مجلة فصليّة محكّمة تصدر عن جمعية اللسانيّين العراقيّين

رئيس التحرير

أ.د. كريم حسين ناصح

كلية الإمام الكاظم (العراق)

مدير التحرير

أ.د. مرتضى جبار كاظم

كلية الإمام الكاظم (العراق)

هيأة التحرير

أ.د. مالك المطلبي
جامعة الإسراء (العراق)

أ.د. مرتضى جواد باقر
جامعة البصرة سابقاً (العراق)

أ.د. محمد عبد مشكور الكعبي
جامعة بغداد (العراق)

أ.د. حيدر عبد الزهرة هادي
جامعة بغداد (العراق)

أ.د. مشتاق عباس معن
جامعة الكفيل (العراق)

أ.د. علاء جبر محمد
جامعة العميد (العراق)

أ.د. كيان أحمد حازم يحيى
جامعة بغداد (العراق)

أ. هشام عبد الله الخليفة
الجامعة العراقية سابقاً (العراق)

د. محمود حمد سماري
جامعة تكساس في أوستن (أمريكا)

أ.د. مؤيد عبيد صوينت
الجامعة المستنصرية (العراق)

أ.م.د. لطيف نجاح القصاب
الكلية التربوية المفتوحة - مركز الرصافة

أ.د. عبد القادر الفاسي الفهري
جامعة محمد الخامس سابقاً (المغرب)

أ.د. محمد غاليم
جامعة محمد الخامس (المغرب)

أ.د. سعد مصلوح
جامعة القاهرة سابقاً (مصر)

أ.د. رمزي بعلبكي
الجامعة الأمريكية في بيروت (لبنان)

أ.د. مهدي أسعد عرار
معهد الدوحة للدراسات العليا (قطر)

أ.د. عبد السلام العيساوي
الجامعة التونسية (تونس)

أ.د. حافظ إسماعيلي علوي
جامعة الشارقة (الإمارات)

أ.د محمود عباس العامري
جامعة القيروان (تونس)

أ.د. محمد محمد يونس علي
معهد الدوحة للدراسات العليا (قطر)

د. حيدر سعيد
المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (قطر)

أ.م.د. جنان سالم البلداوي
كلية الآداب - جامعة سامراء

تدقيق اللغة العربية
م.م هيثم عباس عوده

تدقيق اللغة الإنكليزية
د. محمد رضا عباس

المتابعة والتنسيق
د. رسل علي كتون

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق. بغداد 2412 لسنة 2020

ISSN - الرقم الدولي: الورقي (Print): 2708-0722 I الالكتروني (Online): 2708-0730 I السيديروم (CD-ROM): 2708-0749

حقوق الطّبع

حقوق الملكيّة الأدبيّة والفنيّة محفوظة لمجلّة (أوراق لسانيّة)، التي تصدرها جمعيّة اللّسانيّين العراقيّين، ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد المجلّة أو إدخالها على الحاسوب أو برمجتها على أسطوانات ضوئيّة إلّا بموافقة النّاشر خطّيًّا، وخلاف ذلك تتمّ المقاضاة قانونيًّا أمام القضاء العراقيّ.

البريد الإلكترونيّ للمجلّة: info@linguisitic-papers.com
رابط المجلّة: linguistic-papers.com
رقم هاتف المجلّة: 07824472825

تنفيذ وتوزيع
دار قناديل للنشر والتوزيع
بغداد - شارع المتنبي
ganadel.1986@gmail.com
00964771131929

(تعهّد الملكيّة الفكريّة)

إنّـي الباحــث: .....

صاحب البحث الموسوم بـ(.....

.....

.....

.....

.....).

أتعهّد بأنّ البحث قد أنجزته، ولم يُنشر في مجلّة أخرى في داخل العراق أو خارجه، وأرغب في نشره في مجلّة (أوراق لسانيّة).

التّوقيع:

التّاريخ:

تعهّد نقل حقوق الطّبع والتّوزيع

إنّـي الباحــث: .....

صاحب البحث الموسوم بـــ(.....

.....

.....

.....

.....).

أتعهّد بنقل حقوق الطّبع والتّوزيع والنّشر إلى مجلّة (أوراق لسانيّة).

التّوقيع:

التّاريخ:

سياسة النشر

1. أن لا يكون البحث جزءًا من بحث سابق منشور، أو من رسالة جامعية قد نُوقشتْ، ويقدّم الباحث تعهدًا بعدم نشر البحث أو عرضه للنشر في مجلة أخرى.

2. يشترط لنشر الأبحاث المستلة من الرسائل والأطاريح الجامعية موافقة خطية من الأستاذ المشرف وفقًا للأنموذج المعتمد في المجلة.

3. يُبلّغ المؤلف بقرار صلاحية النشر أو عدمها في مدة لا تتجاوز شهرًا واحدًا من تاريخ وصوله الى هيأة التحرير.

4. يلتزم المؤلف بإجراء تعديلات المحكّمين على بحثه وفقًا للتقارير المرسلة إليه، ومن ثَمَّ موافاة المجلة بنسخة معدّلة في مدة أقصاها (15) خمسة عشر يومًا.

5. لا يحقّ للمؤلف المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ كتاب قبول النشر.

6. لاتُعاد البحوث الى مؤلفيها، سواء قُبلتْ أم لم تقبل.

7. يخضع البحث للتقويم السريّ من خبيرين لبيان صلاحيته للنشر.

8. يدفع المؤلف أجور النشر البالغة (125000) مائة وخمسة وعشرين ألف دينار عراقي من داخل العراق، و(150) دولارًا من خارج العراق.

9. يحصل المؤلف على نسخة من المجلة المنشور فيها بحثه.

10. تعبّر البحوث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

11. لا تلتزم المجلة بنشر البحوث التي تخل بشرط من الشروط.

12. تلتزم المجلة بفهرسة ورفع البحوث التي تُنشر في المجلة في موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية www.iasj.net

دليل المُقوّمين

1 - يرجى من المقوّم، قبل الشّروع بالتّقويم، التّثبّت من كون البحث المرسَل إليه يقع في حقل تخصّصه العلميّ لتتّم عمليّة التّقويم.

2 - لا تتجاوز مدّة التّقويم (10) أيام من تاريخ تسلّم البحث.

3 - يذكر المقوّم إذا كان البحث أصيلًا ومهمًّا لدرجة تلتزم المجلّة بنشره.

4 - يذكر المقوّم مدى توافق البحث مع سياسة المجلّة وضوابط النّشر فيها.

5 - يذكر المقوّم إذا كانت فكرة البحث متناولة في دراسات سابقة، وتتمّ الإشارة إليها.

6 - يحدّد مدى مطابقة عنوان البحث لمحتواه.

7 - بيان مدى وضوح ملخّص البحث.

8 - مدى إيضاح مقدّمة البحث لفكرة البحث.

9 - بيان مدى علميّة نتائج البحث التي توصّل إليها الباحث.

10 - تجري عمليّة التّقويم بنحو سريّ.

11 - يُبلّغ رئيس التّحرير في حال رغب المقوّم في مناقشة البحث مع مقوّم آخر.

12 - تُرسل ملاحظات المقوّم إلى مدير التّحرير، ولا تجري مناقشات ومخاطبات بين المقوّم والمؤلّف بشأن البحث خلال مدّة تقويمه.

13 - يبلّغ المقوّم رئيس التّحرير في حال تبيّن للمقوّم أنّ البحث مستلّ من دراسات سابقة، مع بيان تلك الدّراسات.

14 - يُحدّد المقوّم العلميّ بشكل دقيق الفقرات التي تحتاج إلى تعديل من المؤلّف.

15 - تعتمد ملاحظات وتوصيات المقوّم العلميّ في قرار قبول النّشر وعدمه.

دليل المؤلفين

1. تنشر المجلة البحوث والدراسات التي تقع ضمن مجال تخصصها العلمي.
2. أن يتسم البحث بالأصالة، والجدة، والقيمة العلمية، وسلامة اللغة، ودقة التوثيق.
3. يمنح المؤلف الحقوق للمجلة بالنشر، والتوزيع الورقي والإلكتروني، والخزن، وإعادة استعمال البحث.
4. أن يكون البحث مطبوعًا على الحاسوب بنظام (2010) (office word) على قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد، وتُزوّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية، ويمكن إرسال البحوث عبر بريد المجلة الإلكتروني.
5. أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن (25) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).
6. يُكتب في وسط الصفحة الأولى من البحث ما يأتي:
   أ عنوان البحث باللغة العربية.
   ب اسم المؤلف باللغة العربية، ودرجته العلمية، وشهادته، وجهة انتسابه.
   ت بريد المؤلف الإلكتروني.
   ث الكلمات المفتاحية.
   ج ملخصان أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنكليزية، يوضعان في بدء البحث على أن لا يتجاوز الملخص الواحد(250)كلمة.
7. يُكتب عنوان البحث في وسط الصفحة بحجم خط (16) Bold.
8. يُكتب اسم المؤلف في وسط الصفحة بحجم خط (12) Bold.
9. تُكتب جهة انتساب المؤلف بحجم خط (12) Bold.
10. يُكتب عنوان البريد الإلكتروني بحجم خط (12) Bold.
11. يُكتب ملخص البحث بحجم خط (12) Bold.
12. تُكتب الكلمات المفتاحية التي لا يتجاوز عددها خمس كلمات بحجم خط (11) Bold.
13. جهات الانتساب تُثبت كالآتي: (القسم، الكلية، الجامعة، المدينة، البلد).
14. تُكتب البحوث بخط نوع (Arabic simplified) للغة العربية، وبخط نوع (Times New Roman) للغة الإنكليزية،وبحجم خط(14).
15. مسافة الحواشي الجانبية (54,2) سم، والمسافة بين الأسطر (15,1) سم.
16. على الباحث اتباع قواعد الاقتباس وتوثيق المصادر والمراجع والالتزام بأخلاقيات البحث العلمي.
17. تعتمد المجلة صيغة (ApA) في ترتيب المصادر والمراجع وتنسيقها.
18. تعتمد المجلة نظام فحص الاستلال باستعمال برنامج (Turnitin) ويرفض البحث الذي تتجاوز فيه نسبة الاستلال المقبولة عالميًا.

المحتويات

من التلطيف اللغوي إلى السلوك اللفظي السياسي: مقاربة تداولية	يونس نشاط	1
تراكيب التخييل وجمالية التلقي دراسة تطبيقية في فكر عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ (الأسرار والدلائل) أنموذجاً	أ.م.د. كفاية مذكور شلش	17
منامات الوهراني (ت 575هـ) من منظور تداولي: رسالة المنام الكبير مثالاً	م.د. لمى شمخي جابر	65
الرمز في الخطاب العلوي مقاربة بلاغية	أ.د. حيدر أحمد حسين أ. صباح محمد حسين	101
الأفعال الكلامية في الخطبة الفدكيّة للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)	م.د. أسماء عبد الحسين علي	123

المَقصَـديّة وتحليـل الخِطـاب الشّعريّ	أ.د. جواد كاظم إبراهيم م.م. حسين سعد جليل	**153**
التماسك النصي في قصار السور مقاربة نصية	م.د. أنمار داود سليم	**173**
المخالفة في ديوان علي وفا (807هـ) دراسة صوتية	م.د. يسرى ثجيل مذكور إسراء كريم دويس الجمالي	**195**
العقلية الإبداعية وأثرها في كتاب (المستوفى في النحو) لابن الفرخان	م.د. خير الله خميس مصلح	**215**
تتبعٌ وتحليلٌ للاعتراضات النحوية في شرح ألفية ابن مالك للمكناسي (ت: 919هـ) دراسة وصفية	م.د. هدى كريم هادي	**231**
التردد العجائبي في شعر مازن المعموري وتحولاته الواقعية	م.د. زينة وليد خالد	**257**

جسدنة العقل في الفكر اللّساني الغربي	م.م. علي عبد الكاظم حميد	281
تحليل منهج اللغة العربية للمرحلة الخامسة في المدارس الإسلامية: دراسة في الأهداف والمحتوى وطرائق التقويم من وجهة نظر المدرسين والمدرسات	م.د. سميرة خطاف عبد الكريم	303
Using Instagram on Learning English Vocabulary with Reference to Iraqi Intermediate EFL Learners	Akram Kadhim Cheyad	1
Badir Shakir Al-Sayyab's Response to Edith Sitwell: A study of Rain Son and Still Falls The Rain	Zainab Hakim Musa	15
STYLISTIC ANALYSIS OF SHELLEY'S TO THE MOON	م.م. نماء سمير عبد الكريم	37

49 MA: Jaafar Hachim Malih **The Open Educational College/ Center of Thi-Qar, Al-Ayen university**

من التلطيف اللغوي إلى السلوك اللفظي السياسي: مقاربة تداولية

يونس نشاط

مختبر الدراسات الأدبية واللسانية وعلوم الإعلام والتواصل (كلية الآداب فاس سايس)

Youness.nachate@usmba.ac.ma

ملخص:

تسعى الورقة إلى بيان وجهين من أوجه تداوليات التأدب في الألسنة الطبيعية، وذلك من خلال استعراض نظرية التلطيف اللغوي عند بورس فريزر، ونظرية السلوك اللفظي السياسي لدى ريتشارد ج. واتس باعتباره تنسيبا لنظرية (الوجه) التي جاء بها براون وليفينسون.

تقدم الورقة مسارا للانتقال من التحليل التداولي الكلي إلى التحليل التداولي النسبي، في استحضار للمعطيات السوسيوثقافية والانثربولوجية التي تحدد العلاقات بين الأفراد وبين الجماعات، وترسم طرق التواصل بينهم.

الكلمات المفتاحية: التلطيف اللغوي، السلوك اللفظي، التداولية

Abstract :

This article aims to illustrate two components of verbal politeness' pragmatics in natural languages by reviewing Pierce Frazier's theory of linguistic Mitigation and Richard J. Watts' theory of political verbal behavior as an adaptation of the "face" theory proposed by Brown and Levinson. The paper presents a

path for transitioning from a total pragmatic analysis to a relative pragmatic analysis, drawing on sociocultural and anthropological data that define relationships between individuals and groups and outline the methods of communication between them.
Keywords: Linguistic Mitigation, Verbal Behavior, Pragmatics.

يعد مفهوم التلطيف اللغوي أحد أهم مفاهيم اللسانيات التداولية، لما يكتنزه من دلالات أدبية وذوقية واجتماعية ونفسية، وهو المفهوم الذي ظل حاضرا يتطور منذ القديم؛ من الكناية والتعريض عند علماء البلاغة القدماء، إلى الدراسات اللغوية الحديثة التي تربط اللغة بسياقها الاجتماعي والثقافي.

اقترن مفهوم التلطيف في معاجم العربية بمعاني الرفق واللين والرقة في التعامل والتعبير، يحدده (ابن فارس، 2/447) بأنه "الترفق في الأمور واللين في المعاملة، يقال: تلطف به أي عامله برفق ولين".

ويدل - في النسق اللغوي العربي - على معاني تخفيف الكثيف وترقيق الغليظ، ومنه قول خالويه المُكَدِّي يخاطب ابنه عند موته: "سألقي عليك علم الإدراك، وسبكِ الرخام، وصنعةِ الفسيفساء.. وصنعة التلطيف على وجهه، إن أقامني الله من صَرعتي هذه" (الجاحظ، 1990، صفحة 48)، كما يعني إصلاح الشيء وتحسينه كما في (جابر، 2006، صفحة 112) "إن الصنعة تلطيف هذا الجوهر بالتدبير، حتى تصير كبريتا ذائبا، والتلطيف أيضا الترؤُّف والترحُّم كما في (التوحيدي، 1950، صفحة 103)"إلهنا لا حمد إلا لوجهك، ولا إتقان إلا لفعلك، ولا نفاذ إلا لحكمك.. ولا اهتداء إلا بتوفيقك، ولا إجابة إلا بتلطيفك". كما يعني التوفيق والحكمة والإحكام وحدة النظر، قال ابن سيده "ومن لطَّف النظر أدنى تلطيف لم يذهب ذلك عليه" (سيده، 1321، صفحة 117/14)، والتلطف الترفق في المعاملة والكلام، جاء في شعر المُسَيَّب (المسيب، 1994):

يمشي بمِحْجَنه، وقِرْبَته متلطفا كتلطف الوبْر

والتلطف البر وحسن المعاملة، جاء في شعر تويت اليمامي:

يـــا بِنْـــت أَزْهـــرَ، مـــا أراك مُثِيبَتـــي خيـــرًا، علَـــى وُدي لكـــم وتلطُّفـــي

وفي الدراسات الحديثة لم يبتعد مفهوم التلطيف كثيرا عن هذا المعنى؛ إذ نجد (أولماس، 1992) يعتبره "وسيلة مقنعة وبارعة لتلطيف الكلام وتخفيف وقعه"، وإلى المعنى نفسه أشار (الخولي، 1982) حين عرفه ب"لطف التعبير"، أو "تحسين اللفظ" كما عند صاحب المحظورات اللغوية، (زكي، 1985).

لقد ارتبط التلطيف اللغوي -بوصفه موضوعا مركزيا في التداوليات- بالثنائي براون وليفنسون، اللذين وضعا إطارا نظريا لفهم وممارسة التأدب اللغوي من خلال مفهوم الوجه[1]، الذي يعني صورة الفرد الاجتماعية التي يرغب في الحفاظ عليها؛ إذ تعرضا للتلطيف (Mitigation) باعتباره جزءا من استراتيجيات التهذيب لتقليل الأفعال المهددة للوجه (فمو)[2].

غير أن اللساني الأمريكي بروس فريزر(B. Fraser)[3] طور نموذجا جديدا في التأدب يعد التلطيف أكبر من مجرد أداة لتخفيف الأفعال المهددة للوجه، بل يعتبره ظاهرة تداولية مستقلة يجب أن تدرس ضمن سياقها الذي قد لا يرتبط بالضرورة بالتأدب.

يعرف (Fraser, 1980) التلطيف بأنه "استراتيجية لتقليل أو إنقاص قوة فعل الكلام الذي له آثار غير مقبولة لدى السامع، وهو ليس ميزة نحوية ولا دالة لغوية

1- حدد التداوليون شكلين لعمل الوجه وتشملان: الجانب الوقائي والجانب التعويضي؛ بالنسبة للوجه الوقائي ويقصد به الفعل التواصلي لحماية الوجه من التهديد أو الإهراق. بينما الجانب التعويضي للوجه يُقصد به إعادة ماء الوجه بعد فقده يراجع للمزيد:

Little john, Stephen W., and Karen A. Foss. Theories of human communication. Waveland press, 2010.p 203.

2- (فمو) اختصار لعبارة (أفعال مهددة للوجه)

3- عالم تداوليات، كان بروس ضمن الدفعة الأولى من حملة الدكتوراه في قسم اللغويات بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT)، وتخرج عام 1965، نشر أعمالًا في التداوليات والسوسيولسانيات حول العديد من الموضوعات. لديه مقالات عن الأدب والتحوط والخطاب السياسي وخطاب الطبيب والمريض والكذب وعلامات الخطاب وغير ذلك.

محددة، بقدر ما هو وظيفة تداولية تتحقق من خلال استخدام صيغ تعبيرية متنوعة".

التلطيف - بهذا المعنى- خاصية لغوية تداولية تظهر في شكل تعابير أو بنى لغوية تُستخدم لتليين الكلام، أو تلطيف الأوامر والطلبات أو تعديل حدة المواقف.

يميز (Fraser, 1980) بين التلطيف كـ"مُعدِّل خطابي" (Discourse Modifier) والتلطيف ك"استراتيجية مستقلة" (Independent Strategy).

- فالأول تلطيف تابع لقول أساسي، يهدف إلى تقليل الحدة أو المباشرة في التعبير، ويستخدم لتخفيف أو تهذيب فِعل كلامي قائم، دون أن يكون الهدف الأساسي من الكلام هو التلطيف نفسه، كأن يكمل فعلا كلاميا كالطلب، أو الانتقاد أو الأمر، وهو تلطيف ثانوي من حيث وظيفته في الجملة، ولا يفهم إلا في سياق الجملة التي يرد مصاحبا لها.

ويمكن التمثيل لهذا الضرب من التلطيف بالآتي:

(ربما أخطأت في الحكم)

فكلمة "ربما" تعمل على تعديل قوة الفعل الكلامي؛ (أخطأت).

(لو تفضلت هل يمكنك أن تغلق النافذة؟)

فكلمة "لو تفضلت" تخفف من حدة الطلب المباشر، وتجعل الطلب أكثر قبولا اجتماعيا.

- والثاني تلطيف يُستخدم بوصفه الفعل الكلامي الأساسي، أو جزءًا رئيسيًا في بناء الموقف التداولي، أي أن التلطيف هو الهدف أو الأسلوب المهيمن في القول، ومن وظائفه:

- تدبير العلاقة بين المتكلم والمخاطب بطريقة غير مباشرة.
- أو إخفاء المقاصد.
- أو استباق الردود.

- أو تأجيل المواجهة.

ويمكن التمثيل له بالآتي:

-"ربما يجدر بنا إعادة التفكير في هذا المشروع."

فالتلطيف هنا ليس مجرد تعديل، بل هو الطريقة الأساسية للتعبير عن الرفض أو التحفظ.

- "لا أريد أن أكون صريحًا جدًا، لكن هناك مشكلة."

فالجملة كلها مبنية على استراتيجية تلطيفية مستقلة.

يلجأ إلى هذا النوع من التلطيف في المواقف الحساسة أو التي تتطلب دقة في التواصل، ويكون أساسيا في بنية الكلام.

أساليب التلطيف اللغوي:

لتحقيق التلطيف اللغوي حدد (Fraser, 1980) جملة من الأساليب بيانها في الآتي:

- التقليل من الالتزام؛ من خلال استخدام الأفعال التقريرية الضعيفة؛ مثل: اعتقد أن، يبدو أن، من المحتمل أن، أظن، ربما.. وكلها تقلل من القوة القطعية واليقينية للفعل.

- توظيف صيغ المبني للمجهول: وهدفها عدم التصريح بالفاعل، تجنبا للمواجهة، وتقليلا لإمكانات الاصطدام، فبدلا من قول: "لقد ارتكبت خطأ" لأحدهم، يقال: "تم ارتكاب خطأ"، ومن شأن هذا الأسلوب التخفيف من حدة الاتهام المباشر.

- الأسئلة بدل التصريحات المباشرة: التوسل بالأسلوب الإنشائي بدل الأسلوب الخبري، أحد مظاهر التلطيف اللغوي، فعبارة مثل: "هل فكرت في إعادة صياغة هذه الفقرة؟"

ألطف من عبارة: "يجب عليك أن تعيد صياغة هذه الفقرة".

- استخدام عبارات التعاطف والتهيئة: وذلك بأن نمهد للقول الحساس بعبارات تحمل دلالات التعاطف والتفهم، مثل: لا أقصد الإهانة ولكن...، أو بكل احترام...، أو ربما أكون مخطئا لكن...، ومن شأن هذه العبارات أن تخفف من وقع الخطاب الذي يليها.

- توظيف النبر والتنغيم: في أحيان كثيرة يتجسد التلطيف في الطريقة التي ننطق بها اللغة أكثر من حضوره في اللغة نفسها، فرفع النبرة في نهاية الكلام قد يحول الأمر إلى اقتراح، أو على الأقل يظهر ترددا، مما يقلل من الإلحاح والعدوانية.

- الإطالة واللف والدوران: يلجأ المتحدثون في مواقف معينة إلى استخدام أساليب التعويم، والتطويل بدل القصد المباشر والصارم تجنبا للإحراج.

وظائف التلطيف:

لا يقتصر دور التلطيف حسب (Fraser, 1980) على أساليب لغوية لتليين الكلام فقط، بل يتعدى ذلك لأداء أدوار جوهرية في إدارة التفاعل الاجتماعي، منها:

أولا: التلطيف أسلوب للتحكم في الصورة الاجتماعية: ويحيل هذا المفهوم على نظرية الوجه لكل من "براون وليفنسون"، إذ إن كل متحدث يروم الحفاظ على صورته الاجتماعية وصورة الآخرين، من خلال تجنب التهديدات الموجهة لوجه الطرف الآخر، كالأوامر أو الطلبات أو النقد أو الرفض، أو حتى النصيحة المباشرة.

ثانيا: التلطيف وسيلة لتنظيم التفاعل التبادلي: يلعب التلطيف دورًا أساسيا في الحفاظ على الانسجام في المحادثة إذ:

يسمح للمشاركين بتقديم أفكار حساسة دون التسبب في تصعيد أو توتر.

ثالثا: يُستخدم لتيسير التحولات اللطيفة في الموضوع، أو للتراجع عن أقوال سابقة بطريقة غير محرجة.

رابعا: يُساعد على إدارة الخلافات دون قطع الحوار أو الإضرار بالعلاقة، كما يتيح للمتكلم التعبير عن الخلاف دون اتهام أو نقد صريح.

خامسا: التلطيف استراتيجية تفاوضية: يستخدم التلطيف استراتيجيا في مواقف التفاوض والإقناع، حيث يسهم في تقليل المقاومة والرفض لدى الآخر، وتقديم الأفكار بشكل تدريجي لا يثير معارضة مباشرة، كما يتيح إمكانية اختبار مواقف الآخرين قبل التورط في التصريحات المباشرة.

إن التلطيف بهذا المعنى أكبر من أسلوب لغوي، بقدر ما هو خزان تداولي يستند إليه المتحدث لتحقيق أهداف اجتماعية وتواصلية تتيح التنقل بمهارة بين المواقف التفاعلية، وتجنب المواجهة والصدام مع الآخرين.

أنواع التلطيف اللغوي:

يقترح علينا (Fraser, 1980) تصنيفا وظيفيا لأنواع التلطيف اعتمادا على ما يقوم به المتكلم أثناء التواصل، يقسمه إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التلطيف التفاعلي: يركز على تدبير العلاقة بين أطراف التخاطب، ويستخدم لتقليل الأثر الاجتماعي غير المرغوب فيه لقول ما، سواء كان رفضا أو نقدا أو أمرا أو تصحيحا، وتعد العبارات الاعتذارية والمهذبة نموذجا لهذا النوع من التلطيف.

النوع الثاني: التلطيف المعرفي: ويتعلق بدرجة اليقين أو مستوى الوثوقية أو الالتزام بالحقيقة التي يعبر عنها المتكلم، في هذا النوع من التلطيف يخفف المتحدث من درجة وثوقيته لتجنب الخطأ أو النقد، ويتجسد من خلال عبارات مثل: ربما، من الممكن، لست متأكدا لكن...

النوع الثالث: التلطيف الآلي أو التنظيمي: يوظف هذا الصنف للتحكم في تنظيم الخطاب، وتيسير تدفق المحادثة دون توتر أو إرباك، ويتجلى:

أثناء التنقل بين المواضيع، أو التراجع عن قول، أو تقديم تعليق توضيحي.

ويركز على طريقة تنظيم الكلام، لا على الكلام نفسه أو العلاقة بين طرفي التخاطب.

- التأدب اللغوي والسلوك اللفظي السياسي: إعادة النظر في ادعاءات العالمية:

اعتبر ريتشارد واتس[1] في نقده التداولي (Richard J. Watts، 2003)أن كلا من النهجين التفسيري والوصفي للسلوك اللفظي المهذب يرتكب نفس الخطأ في التجريد، بعيدًا عن البيانات الحقيقية وخلق مفهوم لـ"اللباقة" يدعيان صحته العالمية، أي اللباقة. ثم يُزعم أن هذه الأساليب مجهزة للتنبؤ بالمكان الذي يجب أن تحدث فيه حالات اللباقة اللفظية في التفاعل. وهكذا أصبحت اللباقة في جميع النماذج أمرًا اجتماعيًا معطى، و"حقيقة" اجتماعية.

وفي إطار ما يسميه رتشارد واتس (Watts, 2003, p. 78) "نظرية العقد التخاطبي للتهذيب"، والتي تناولها في في مقال يتناول التجسيدات اللغوية لمفهوم التأدب، حيث انطلق من اقتراح فريزر ونولين (1981) لطريقة بديلة للتعامل مع مفهوم التأدب politeness الذي يفترق عن الاحترام deference. تتمثل خطوتهما الأولى في اقتراح مفهوم العقد التخاطبي. حيث يُعرّف فريزر ونولين (Fraser B. and Nolen، 1981) (1981: 93-4) العقد التخاطبي بالطريقة التالية:

1- أستاذ للسانيات الإنجليزية في معهد اللغات والآداب الإنجليزية من عام 1984 حتى عام 2008. وهو أحد أبرز خبراء العالم في مجال بحوث الأدب اللغوي، وتتركز اهتماماته البحثية الأخرى على وضع اللغة الإنجليزية في سويسرا، والدراسة الاجتماعية والتاريخية للغة الإنجليزية (مع التركيز بشكل خاص على تطور اللغة الإنجليزية القياسية) والممارسات الاجتماعية في مختلف أشكال المؤسسات الاجتماعية، مثل الأسرة. كما نشر أيضًا في علم التداولية، ووضع اللغة في سويسرا، ونظرية السرد، وبحث مؤخرًا في الاقتراضات المعجمية من اللغة الإنجليزية في اللهجات الألمانية السويسرية.

عند الدخول في محادثة معينة، يُقدم كل طرف فهمًا لمجموعة أولية من الحقوقR والالتزاماتO التي ستحدد، على الأقل في المراحل الأولية، حدود التفاعل قد يُساء تقدير هذه الحقوق والالتزامات (RO)، بالطبع، من قبل المشاركين في التفاعل، مما يؤدي إما إلى إعادة التفاوض على الحقوق والالتزامات التي يتمتع بها المشاركون أو إلى احتمال اتهامهم بسلوك غير مهذب. إذا تم التمسك بمجموعة الحقوق والالتزامات (RO)، فيمكن القول إن المشاركين يؤدون "بأدب". في الواقع، يعتقد فريزر ونولين أن الأدب لا يُلاحظ بوعي حتى يتم انتهاك مجموعة الحقوق والالتزامات (RO) بطريقة ما.

الحقوق والواجبات في العقد التخاطبي مسألة نسبية ترجع لكل ثقافة على حدة، ولهذا يُفترض في نظر فريزر أن اللباقة موجودة في جميع المجتمعات البشرية، ولكن في كثير من الأحيان، لا يُصنف ما تتنبأ به النظرية على أنه سلوك مهذب على هذا النحو من قبل عامة الناس. وقد كانت مساواة اللباقة باستراتيجيات التخفيف من تهديدات الوجه هي الخطوة الأكثر جدوى في ترسيخ هذه "الحقيقة" الاجتماعية تحديدًا.

وقد قدم ريتشارد واتس مع مريم لوكر نقدا تاليا لنظرية الأدب لبراون وليفينسون (1987) في (Locher و Richard J. Watts، 2005). وبرهنا بأن هذا التقليد البحثي لا يتعامل مع الأدب، ولكن مع التخفيف من أفعال التهديد بالوجه (FTAs) بشكل عام. وحسب رأيه، لا يمكن مساواة الأدب بتخفيف أفعال التهديد بالوجه فقط لأن الأدب مفهوم خطابيdiscursive concept.

وهذا يعني أنه لا ينبغي للمحللين التنبؤ بما هو مهذب (أو غير مهذب). وبدلاً من ذلك، يجب على الباحثين التركيز على الصراع الخطابي الذي ينخرط فيه المتفاعلون. وهذا يقلل الأدب إلى جزء أصغر بكثير من عمل الوجه facework مما كان يُفترض حتى الوقت الحاضر، ويسمح بتفسيرات تعتبر السلوك مناسبًا فحسب وليس مهذبًا ولا غير مهذب. كما اقترح أن العمل العلائقي، "العمل" "work" الذي يستثمره الأفراد في التفاوض على العلاقات مع

الآخرين، والذي يشمل السلوك غير المهذب وكذلك السلوك المهذب أو المناسب فقط، هو المفهوم المفيد للمساعدة في التحقيق في الصراع الخطابي حول الأدب، ومن هنا جاءت "السلوك اللفظي السياسي" باعتبار الكلام سياسة لفظية[1].

تسعى أطروحة ريتشارد ج. واتس إذن إلى تقديم نقد جوهري للفرضية التي طالما تبنتها اللسانيات التداولية الغربية، والتي تعتبر أن مفاهيم وممارسات التأدب اللغوي (politeness) يمكن إخضاعها لنماذج نظرية موحدة وعالمية، تسري قواعدها على جميع الأنساق اللغوية والثقافية.

وتُعدّ "نظرية الوجه" ل: (Brown و S ,Levinson، 1987) أبرز هذه النماذج، حيث اعتبرت أن استراتيجيات التخاطب المؤَدَّبة؛ (كالاحترام، والتودد، وتجنب الإحراج...) تندرج جميعها في مفهوم "الوجه" باعتباره "الصورة الاجتماعية" التي يسعى الأفراد لصيانتها والحفاظ عليها أثناء التفاعل اللغوي.

يعتبر (Richard J. Watts, 2005) أن هذه النظرية - رغم مكانتها وأهميتها - تفتقر للدقة النظرية والموضوعية في إطلاق سمة التعميم، ذلك أن القول بكونها عابرة للثقافات والخصوصيات قول يجانب الصواب بشواهد واقعية أكثر من أن تحصى، ثم لأن هذه النماذج لايمكن أن تكون محايدة من الناحية الثقافية إطلاقا، ذلك لأنها مصطبغة -بالضرورة- بقيم البيئة الثقافية والاجتماعية

1- مفهوم (سياسة الكلام) دارج في تراثنا العربي، حيث ورد في باب الإطالة والإيجاز من زهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني، مقصودا به مراعاة ما يقتضيه المقام، يقول"إذا أعطيت كلّ مقام حقّه، وقمت بالذى يجب من سياسة الكلام، وأرضيت من يعرف حقوق ذلك"، بيروت: دار الجيل، 146/1، وورد عند إبراهيم محمد الجرمي مقصودا به التأويل، يقول: "يكون التأويل بمعناه اللغوي سياسة الكلام ووضعه موضعه المناسب" ينظر معجم علوم القرآن، دمشق، دار القلم، ط1، 2001. كما قصد به الرافعي أسلوبا كلاميا أقرب إلى التعريض، يقول: "فمن ثم نزعنا في أسلوب الكتاب إلى مَنحى بياني نديره على سياسة من الكلام بعينها، فإن كان فيه من الشدة أو العنف أو القول المؤلم أو التهكم، فما ذلك أردنا، ولكنا كالذي يصف الرجل الضال ليمنع المهتدي أن يضل" يراجع: مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن، بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 2002، ص5

التي أنتجتها، مؤطرة بقيمها ومفاهيمها، كالفردانية والاستقلال وغيرها، كما أنها تستبعد أنماطًا أخرى من التفاعل في مجتمعات ذات بنى ثقافية مختلفة كليا عن النموذج الغربي؛ ففي الثقافات الآسيوية كاللغة اليابانية مثلا، يخضع التأدب لاعتبارات اجتماعية بالغة التعقيد (كالشرف، والواجب والتدرج الاجتماعي)، لا يمكن فهمها وتفسيرها انطلاقا من "نظرية الوجه" ذات الأصول النظرية الغربية.

تأسيسا على ما سبق يقترح (Richard J. Watts، 2005) استبدال مفهوم "التأدب" بمفهوم أكثر شمولية ومرونة هو مفهوم "السلوك السياسي اللفظي" (politic verbal behaviour)، بوصفه الطريقة التي يستخدم بها الأفراد اللغة لتدبير العلاقة بين المتحدث والمخاطب، وتحقيق الانسجام أو السيطرة حسب السياق، دون أن يُنظر إليها دائمًا على أنها مهذبة أو غير مهذبة، وهنا يؤكد (Richard J. Watts، 2005) على دور القوة (Power) والهوية (Identity) في تشكيل السلوك اللغوي.

يهدف (Richard J. Watts، 2005) من خلال هذا الطرح إلى إبراز النسبية الثقافية في التأدب من خلال تفكيك تصوراته الشمولية، وإبراز دور المعايير الثقافية في تحديد ما يعتبر تأدبا، داعيا إلى منهج تداولي يقوم على تحليل سياقي يتأسس على الخصوصيات المحلية، وعلى اعتبار التعدد الثقافي واللغوي في طرق تدبير التخاطب والتفاعل الاجتماعي، لأن السلوك "السياسي" في اللغة عنده مرتهن بخصوصيات السياق الثقافي والمقام التواصلي، فقد لا يعني التأدب دوما وبالضرورة التودد أو التلطيف، بل يشمل كذلك ممارسات القوة، والاحترام الرسمي، وحتى التجاهل، بحسب ما يقتضيه سياق التواصل.

في بعض الثقافات الآسيوية "الصمت" أو تجنب المواجهة، يعد من تجليات التأدب، بينما في الغرب قد لا يعد كذلك، كما أن المجاملات في الثقافة العربية قد يكون مبالغا فيها قياسا إلى الثقافة الإسكندنافية مثلا.

يستند (Richard J. Watts، 2005) إلى تقديم البديل النظري المقابل للنظرية الغربية التي تدعي الكلية والشمولية، على مسألتين اثنتين:

✓ أولا: معالجة وتحليل دقيقين لحوارات طبيعية مأخوذة من تفاعلات يومية باللغة الإنجليزية البريطانية، ليس بهدف قياس مدى "التأدب"، بل لفهم كيف يتفاوض المتحدثون على ما هو "لائق" أو "متوقع" في سياق محدد.

يستخدم أدوات من التحليل الخطابي التفاعلي (Interactional Discourse Analysis) لتوضيح:

كيف تُستخدم بعض التعابير (مثل: please, thank you, if you don't mind) ليس دائمًا بدافع التهذيب، بل كاستراتيجيات لضبط التفاعل.

كيف تتغير درجة "السياسة اللفظية" حسب العلاقة الاجتماعية، وقوة المتحدث، والمكان والسياق.

مثلاً: قول "Would you mind closing the window؟" قد يُنظر إليه كتلطيف في سياق، لكن كـ"تلميح هجومي" في آخر.

✓ ثانيًا: المقارنة مع الثقافات غير الغربية - اليابان مثالًا.

يركز واتس على الحالة اليابانية، مستندًا إلى أبحاث (Ide، 1989) وأبحاث كولماس (Coulmas، 1992)، التي وصفت نظام keigo - وهو نظام قواعد للخطاب المهذب، حيث يُحدد مستوى الحديث وفق علاقة المتكلم بالمخاطَب.

يوضح أن استخدام keigo:

- لا يُبنى على "اختيار فردي" كما في النموذج الغربي.

- بل يتم تلقينه اجتماعيًا بوصفه نظاما تواصليا مؤسسيا، يخضع لعوامل مثل العمر، الجنس، المكانة المهنية، والانتماء الاجتماعي.

بالتالي: لا مجال لـ"التفاوض الفردي على الوجه"، لأن المجتمع هو من يتولى إرساء القواعد السلوكية واللغوية المتوافق حولها.

وهكذا نجد الموقف الياباني يتوافق مع ما ذهب إليه (Richard J. Watts، 2005) من أن التأدب أعقد من أن يكون سلوكا فرديا عابرا، بقدر ما هو نسق ثقافي مؤسس على قواعد يتداخل فيها اللغوي بالاجتماعي والتاريخي.

يشدّد واتس على أهمية التحليل السياقي (contextualization) في فهم التأدب اللغوي لكونه يتطلب دائمًا: العودة إلى السياق المحلي؛

- ❖ أطراف التخاطب،
- ❖ ونوع العلاقات التي تربطهم،
- ❖ والتقاليد الاجتماعية والثقافية السائدة،
- ❖ ثم طبيعة الموقف الذي يقال فيه الكلام؛ هل هو موقف رسمي أم عفوي؟

خلاصة:

إن التلطيف التفاعلي هدفه الحفاظ على العلاقة الاجتماعية، بينما يستهدف التلطيف المعرفي درجة الالتزام بالتصريح، ودرجة اليقين والوثوقية أثناء الحديث، أما التلطيف التنظيمي فغايته هيكلة الحديث وتسهيل تدفقه.

في الجملة، يعد التلطيف اللغوي جانبا أساسيا من الكفاءة التواصلية، ويمكن النظر إليه بوصفه استراتيجية لغوية لتدبير التوترات المحتملة أثناء التفاعل الكلامي، سواء كان الهدف حفاظا على الوجه وتجنبا للأفعال المهددة له، أو كان تقليلا للالتزام، أو حفاظا على العلاقة.

ويرى (Fraser, 1980) أن فهمنا للتلطيف يضيء الكثير من جوانب التخاطب اليومية، ويفتح آفاقا للبحث في التداوليات واللسانيات الاجتماعية، وتحليل الخطاب.

في المقابل يعتبر السلوك اللغوي-حسب (Richard J. Watts، 2005)- ليس تأدبًا أو وقاحة في حد ذاته، بل هو نتاج تفاعل اجتماعي ديناميكي يرتهن

لمعطيات: السياق الثقافي، والبنية الاجتماعية، وعلاقات القوة والهيبة، والموقع التداولي للمتحدث، وليس ثابتا ومبرمجا كما تفترض النظريات الكلاسيكية

لقد انتقد (Richard J. Watts، 2005) فكرة العالمية في التأدب اللغوي، ورفض فكرة "الوجه" و"الأفعال المهددة له" كما قدمها براون وليفنسون، وقدم مفهوم "السلوك السياسي اللفظي"، بديلا تحليليا معتبرا أنه ليس كل كلام مهذب بالمعنى الأخلاقي، لكنه مقبول وفقا للسياق التواصلي.

وميز (Richard J. Watts، 2005) بين "التأدب" باعتباره سلوكا فرديا يهدف إلى إظهار الاحترام واللطف، و"السلوك السياسي اللفظي (politic verbal behaviour) بوصفة ممارسة لفظية توافقية تنسجم مع معطيات السياق الاجتماعي، دون أن تعبر بالضرورة عن نية مهذبة.

لائحة المراجع:

ابن فارس، أبو الحسين(1969). *مقاييس اللغة، تحقيق محمد عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،*.

أولمان، ستيفان.(1992) . *دور الكلمة في اللغة. ترجمه كمال* بشر,القاهرة: مكتبة الشباب.

التوحيدي، أبو حيان.(1950) . *الإشارات الإلهية.*ت حقيق. عبد الرحمن. بدوي,القاهرة: جامعة فؤاد الأول.

جابر، ابن. حيان.(2006) . *رسائل جابر بن حيان* .éd) ط1.(بيروت: دار الكتب العلمية.

الجاحظ.(1990) . *البخلاء*، . ط5.(القاهرة: دار المعارف.

الجرمي إبراهيم محمد. (2001)، *معجم علوم القرآن*، دمشق، دار القلم، ط1.

الحصري القيرواني، (د.ت). *زهر الآداب وثمر الألباب*، بيروت: دار الجيل

الخولي، م. ع.(1982) . *معجم علم اللغة النظري*. بيروت: مكتبة لبنان.

الرافعي، مصطفى صادق(2002)، *تحت راية القرآن*، بيروت: المكتبة العصرية، ط1.

زكي، ك.(1985) . *المحظورات اللغوية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

سيده، ابن. ا.(1321) . *المخصص*. ط1.(بولاق: المطبعة الكبرى الأميرية.

المسيب، ابن ع.لس (1994) *شعر المسيب بن علس*) .تحقيق. أ. سويلم، عمان: جامعة مؤتة.

Coulmas, F. (1992). "Linguistic etiquette in Japanese society.". Dans Politeness in language: Studies in its history, theory, and practice (p. 299.).

Brown, P., & Levinson, S. (1987). Politeness: Some Universals in Language Usage. Cambridge University Press.

Fraser, B. (1980). coversational mitigation. Journalof Pragmatics 4, 350.

Fraser B. and Nolen, W. (1981). The Association of Difference with Linguistic Form. International Journal of the Sociology of Language, Vol. 27(2) , 93-109.

Ide, S. (1989). "Formal forms and discernment: Two neglected aspects of universals of linguistic politeness.". 223-248. Récupéré sur https://doi.org/10.1515/mult.1989.8.2-3.223: Formal forms and discernment: Two neglected aspects of universals of linguistic politeness. Multilingua

Richard J. Watts. (2003). "Politeness: A social model of politeness.". Dans Richard J. Watts, Politeness. Key Topics in Sociolinguistics. (pp. 142-167). Cambridge, Cambridge: Cambridge University Press.

Richard J. Watts. (2005). Linguistic Politeness and Politic Verbal Behaviour: Reconsidering Claims for Universality. Berlin: Mouton de Gruyter.

Little john, Stephen W., and Karen A. Foss .(2010). Theories of human communication. Waveland press.

Locher, M. A., & Richard J. Watts. (2005). "Politeness Theory and Relational Work.".

Richard J. Watts. (2003). "Politeness: A social model of politeness.". Dans Richard J. Watts, Politeness. Key Topics in Sociolinguistics. (pp. 142-167). Cambridge, Cambridge: Cambridge University Press.

تراكيب التخييل وجمالية التلقي دراسة تطبيقية في فكر عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة 471هـ (الأسرار والدلائل) أنموذجاً

أ.م.د. كفاية مذكور شلش جامعة البصرة/كلية الآداب - قسم اللغة العربية

الملخص:

يسلط هذا البحث الضوء على الجماليات التداولية في التراكيب التخييلية. وأثر ذلك على عمليتي الإقناع والإمتاع عند المتلقي على اختلاف أنماطه، وسياق القراءة؛ في فكر علم، من أعلام الإبداع الفكري واللغوي، وهو: عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) صاحب تراكيب النظم، التي شكلت قفزةً نوعية في الدرس اللغوي العربي على اختلاف مراحله وعصوره.

وقد اعتمد البحث منهجاً وصفياً تحليلياً، وبمدونة لغوية، يمثلها بعض الآراء والشواهد في المنجز اللغوي لعبد القاهر، لاسيما كتابي: الإسرار والدلائل اللذين ضمنهما رؤيته حول التجليات الجمالية والدلالات التركيبية التي تحملها التراكيب التخييلية لتحقق للمتلقي إقناعا ولذة، ودعوة إلى المشاركة في إيقاع الحدث أو المضمون الذي تحمله القوالب اللغوية.

الكلمات المفتاحية: التراكيب التخييلية، جمالية التلقي، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، أسرار البلاغة.

Abstract:
This study sheds light on the pragmatic aesthetics of imaginative structures and their Impact on the processes of persuasion and pleasure experienced by the recipient, across different types of audiences and reading contexts. It explores these aspects through the intellectual and linguistic contributions of one of the most prominent figures of Arabic creative thought, ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī (d. 471 AH), the founder of the theory of al-Naẓm (syntactic arrangement), which represented a qualitative leap In the development of Arabic linguistic studies throughout Its various stages and eras.
The research adopts a descriptive-analytical approach, supplemented by comparative methodology, and relies on a linguistic corpus drawn from al-Jurjānī's major works, particularly Asrār al-Balāghah and Dalāʾil al-Iʿjāz. These works encapsulate his vision of the aesthetic manifestations and syntactic meanings inherent in imaginative constructions, whichh serve to provide the recipient with persuasion, delight, and an Invitation to participate In the rhythm of the event or the meanIng conveyed by linguistic forms.
Keywords: imaginative structures, syntactic arrangement (al-Naẓm), aesthetic manifestations, syntactic semantics

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي محمد وآله الطيبين

أما بعد...

فتجدر الإشارة إلى أن الافتراض بوجود تراكيب أصولية شاملة للتخييل، ودوره في عملية الحجاج، في فكر عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) يعد أمراً مراوغاً، يحتاج إلى التريث قبل الإقرار بثباته؛ إذ إن الدراسات اللسانية والبلاغية

الحديثة لم تضع حدا حاسما لأبعاد تراكيب التخييل في النتاج الأدبي على وجه الخصوص.

تفترض الباحثة أن موضوعاً مختصا مثل هذا الموضوع يحتاج إلى منهجين، أحدهما: المنهج الوصفي القائم على الرصد والتسجيل، والآخر: المنهج التحليلي، الذي فيه يقوم المهتم بالبحث في العلوم الإنسانية إلى الإدلاء برؤيته فيما يعن له من شواهد وأفكار، وقد نجح عبد القاهر الجرجاني في إدراك هذا الأمر، فقام برصد معطيات التخييل، وألزم نفسه بدراستها في الشعر خاصة، إذ درس النصوص المقدسة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، كما أنه يُدرك أن التخييل هو روح الشعر خاصة، إذ هو مرتكز على العواطف والصور، وقد تناول عبد القاهر التخييل برؤية فكرية عميقة، وبمرجعية دينية وأخلاقية.

هناك من الدراسات والأبحاث التي تقترب كثيراً من موضوعنا هذا، نحو:

- مفهوم التخييل في أسلوب الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني، لمحمود يونس، ولمى راكان عبدو.

- سلطة التخييل في بلاغة الصورة عند الجرجاني، لبختي العياشي، وبليصق عبد النور.

- التخييل والتصوير بين عبد القاهر الجرجاني والفلاسفة النقاد، للدكتور ماهر مهدي هلال.

- التخييل وتجلياته في الصناعة الشعرية عند عبد القاهر الجرجاني، لتوفيق قحام، وسميرة حفحوف.

لكننا أخذنا منحى أخر في طريقة عرض الموضوع ومعالجته إذ ركزت على الاستعارة والتشبيه والمجازر.

لم يكتف عبد القاهر بمجرد الرصد والتسجيل إنما جاس على شواهده، يستنطقها، متزوداً بذائقة بلاغية ونقدية خاصة، قاصدا الدفاع عن العقل، والأخلاق، والجمال ويجعل عبد القاهر التخييل خاضعاً لحدود المنطق، يقول معلقا على بيت البحتري:

كلفتمونـــــا حـــــدود مـــــنطقكم فـي الشـعر يكفـى عـن صـدقه كذبـه

عاتب حجر أبو امرئ القيس ابنه على قول الشعر، وقال له: يا بني، إن أعذب الشعر أكذبه، فكيف تستسيغ الكذب (الجرجاني، 1983، ينظر: 299).

أراد: كلفتمونا أن نجرى مقايس الشعر على حدود المنطق، ونأخذ نفوسنا فيه بالقول المحقق، حتى لاندعى إلا ما يقوم عليه من العقل برهان يقطع به، مع أن الشعر يكفي فيه التخييل، والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل، إذ يبعد أن يريد بالكذب إعطاء الممدوح حظا من الفضل والسؤدد ليس له، ويبلغه بالصفة حظا من التعظيم ليس هو أهله، وأن يجاوز به من الإكثار محله، لأن هذا الكذب لا يبين بالحجج المنطقية والقوانين العقلية، وإنما يكذب فيه القائل بالرجوع إلى حال المذكور، واختباره فيما وصف به، والكشف عن قدره وخسته، ورفعته أو ضعته، ومعرفة محله ومرتبته"(الجرجاني، 1983: 299).

وقد عُنى عبد القاهر الجرجاني بما يمكن أن نسميه تراكيب التخييل، في كتابه أسرار البلاغة، وقعد لها أصولا وقواعد، أبرز فيها علاقة التخييل بالفعل اللغوي، ويعدُ عبد القاهر الجرجاني من اللغويين والنقاد والبلاغيين القدماء الأوائل الذين تناولوا مصطلح التخييل، وقد أدرك دوره في تحقيق البعد المعرفي والجمالي للتراكيب اللغوية، إذ إنه يمتلك مراوغة على مستوى الشكل والمضمون، وتحقيق القصد وتحديده.

وفي لجوء المتعرض للنصوص إلى التحفظ عند القول بخبرية التركيب، أو كونه إنشاء، وما له من قدرة على إثارة السامع، وتحيله للمعنى، من خلال استحضار صورة أو صور ينفعل بها انفعالاً قائما على الرؤية أو الاستحضار، ويعرف عبد القاهر مصطلح التخييل بقوله: "هو الذي لا يمكن أن يقال: إنه صدق، وإن ما أثبته ثابت، وما نفاه نفي(الجرجاني، 1983: 296).

يرى عبد القاهر أن التخييل لا يقع في اللفظة المفردة، إذ من المحال لها أن تشكل صورة أو هيئة، ولا يقتنص العقل معنى تاما منها، لذا يرى أن التخييل واقع

في الجمل، التي عليها عبء تشكيل المعاني، التي تستثير الأذهان والعقول، إذ هي القواعد، وهي التي يبنى عليها الفهم والتواصل، وقد دارت تقسيماته للتخييل حول أربعة أنماط، وهي: المصنوع، والشبيه بالحقيقة، وهو صنيعهم إذا أرادوا تفضيل شيء أو نقصه، فتعلقوا ببعض ما يشاركه في أوصاف، ليست هي سبب الفضيلة والنقيصة، والرابع: وهو أن يدعى في الصفة الثابتة للشيء أنه إنما كان لعلة يضعها الشاعر، ويخلقها إما لأمر يرجع إلى تعظيم الممدوح، أو إلى تعظيم أمر من الأمور، وأما النوع الخامس فلم يصرح عبد القاهر بتناوله، ولم يضع فيه بصمته التحليلية، إنما صاغه صياغة تراكيب، واكتفى بإيراد الأشعار الدالة عليه(الجرجاني، 1983: 296- 302).

وقد ذم عبد القاهر ذلك التخييل الساذج، غير القائم على الإفادة والطلب والاجتهاد في التعرف إلى جمالية القصد من خلاله، وهو ذلك التخييل المشترك العامي، والظاهر الجلي، الذي قلت: إن التفاضل لا يدخله، والتفاوت لا يصح فيه: إنما يكون كذلك ما كان صريحا ظاهرا، لم تلحقه صنعة، ويمدح ذلك التخييل المركب القائم على اللطف والرمز... فأما إذا ركب عليه معنى ووصل به لطيفة، ودخل إليه من باب الكناية والتعريض، والرمز والتلويح، فقد صار بما غير من طريقته، واستؤنف من صورته، ويتوصل إليه بالتدبر والتأمل، وذلك قولهم - وهم يريدون التشبيه: سلبن الظباء العيون، كقول بعض العرب:

سلبن ظباءً ذى نفار طلاها ونجل الأعين البقر الصوارا

(الجرجاني، 1983: 351).

من هذه الزوايا المتداخلة والمتكاملة يمكن لنا أن نفترض أن عبد القاهر الجرجاني قد أقام نظريته عن التخييل على ركائز فكرية واجتماعية ونفسية وسياقية، وأفرط في الاستشهاد بالشعر إذ إنَّ الأمر عنده أن هناك فوارق بينهما فيما يخص التخييل، ويكون الترجيح لصالح الشعر، فالشعر - في جوهره -

حقيقة ترتدي ثوب التخييل والمجاز، فيتحرك المعنى بين الهبوط والتصاعد، قبولا أو رفضا، فإذا ما اجتمع في الشعر جمالية التخييل قبلته النفس بارتياح.

ولعل هذا المعنى ما أدركه عبد القاهر وأشار إليه في معرض تعرضه لقول ابن ميادة:

أخـــذنا بـــأطراف الأحاديـــث بيننـــا وســـالت بأعنـــاق المطـــيّ الأبـــاطح

حيث يقرر عبد القاهر أن هذا النمط المتضمن روافد التخييل هو من كلام الفحول، ومكمن التخييل في هذا الشاهد أن الشاعر قد صدم ذهن المتلقي بصورة في مقابلة صورة أخرى، الصورة الأولى تشكل حقيقة، وهي أن ناقته قد سارت سيرا حثيثا في غاية السرعة، وكانت سرعة في لين وسلاسة، والصورة تخييلية، فجرت بها، وهي صورة السيول التي وقعت من تلك الأباطح، واستشهد لتلـــك الصـــورة التخييليـــة بقـــولهم: رأيـــت أســـدا، ووردت بحـــرا، ولقيـــت بدرا(الجرجاني، 1984، ينظر: 74).

ومثل هذا الشاهد يدل على أن تراكيب التخييل عند عبد القاهر تقوم على الغرابة، وأن التخييل يرتكز إلى اللطف والدقة، يقول: "وليست الغرابة في قوله: وسالت بأعناق المطي الأباطح على هذه الجملة، ويُكثر عبد القاهر من استعمال هذه الجملة، ويعنى بها: الوجه والمعنى والنمط. وذلك لأنه لم يغرب؛ لأن جعل المطي في سرعة سيرها وسهولته كالماء يجرى في الأبطح، فإن هذا شبه معروف ظاهر، ولكن الدقة واللطف في خصوصية أفادها، بأن جعل (سال) فعلا للأباطح، ثم عداه بالباء، بأن أدخل الأعناق في البين، فقال: بأعناق المطي، ولم يقل: بالمطى، ولو قال: سألت المطى في الأباطح لم يكن شيئًا"(الجرجاني، 1984، ينظر: 75- 76).

مصطلح التخييل (ورود المصطلح):

ليس صحيحا الادعاء بأن فكرة التخييل// تراكيب التخييل ودورها في صياغة النصوص وفهمها لم تكن حاضرة في أذهان القدماء، المشتغلين بالقضايا الأدبية

أو اللغوية، أو البلاغية أو التداولية، وليس صحيحًا الزعم بأنهم قد أخذوا هذه الفكرة(عيد، 1993، ينظر: 42).

حين اطلعوا على آراء أرسطو إذ إن العرب في أشعارهم وفي محادثاتهم التواصلية والتعبيرية قد استثمروا الأبعاد التخييلية في صياغة تراكيبهم اللغوية والجمالية، ولعل امرى القيس في معلقته قد أشار إلى البعد التخيلي في العقلية العربية، يقول:

قفـــــا نبـــــك مـــــن ذكـــــرى حبيـــــب ومنـــــزل

بســـــقط اللـــــوى بـــــين الـــــدخول فحومـــــل.

حيث رسم صورة تعبيرية للوقوف والاستيقاف والبكاء والاستبكاء وذكر الحبيب وذكر المنازل، والمتأمل لعناصر البيت السابق يجد أنها جمعت المعنيين الحقيقي والتخييلي، بيد أنها تمركزت حول التخييل والجمال بصورة مكثفة.

برزت ملامح تراكيب التخييل عند عبد القاهر في مؤلفه أسرار البلاغة، فعرضها بصورة تدل على امتلاكه أبعاد تراكيب، فقد تناول التخييل، في صورة كمية موسعة، شملت من ص 76، حتى ص 336، ثم عاد ليتناولها في التفريق بين الحقيقة والمجاز، من ص 358، وينتهى عند الصفحة 404.

وقد كان " تصوره النظري للتخييل مشتقا من الشواهد الشعرية، وهو لا يعول إلا عليها، كأن النثر يخلو من التخييل، وغالبا ما كان يحلل الأشعار التي يقدمها، وتحليله إياها قد يرد تتبعا دقيقا واستقصاء، وقد يرد إشارات سريعة موجزة، وفي النادر كان يكتفى بعرض الأشعار من دون تعليق عليها، وهو يتناول هذه الأشعار مستعينا بمعرفته العامة، والبلاغية، واللغوية، والأدبية، والنقدية"(حمدي، 1998: 131).

وقد عنى عبد القاهر الجرجاني بما يمكن أن نسميه تراكيب التخييل، في كتابه: أسرار البلاغة، وقعد لها أصولا وقواعد، أبرز فيها علاقة التخييل بالفعل اللغوي، وبعد عبد القاهر الجرجاني من النقاد والبلاغيين القدامى الأوائل، الذين

تناولوا مصطلح التخييل أو التخييل، وقد أدرك دوره في تحقيق البعد المعرفي والجمالي للتراكيب اللغوية، إذ إنه يمتلك مراوغة على مستوى الشكل والمضمون، وتحقيق القصد وتحديده، ولى لجوه المتعرض للنصوص إلى التحفظ عند القول بخيرية التركيب، أو كونه إنشاء، وما له من قدرة على إثارة السامع، وتخيله للمعنى، من خلال استحضار صورة أو صور ينفعل بها انفعالا قائما على الرؤية أو الاستحضار.

ويعرف عبد القاهر مصطلح التخييل بقوله: "هو الذي لا يمكن أن يقال: إنه صدق، وإن ما أثبته ثابت، وما نفاه نفى وهو مفتن المذاهب، كمثير المسالك، لا يكاد يحصر إلا تقريبا، ولا يحاط به تقسيما وتبويبا"(الجرجاني، 1983: 296).

وفي نظرة عبد القاهر للتراكيب التخييلية صنعة واتساع؛ إذ إن " الصنعة إنما يمد باعها، وينشر شعاعها، ويتسع ميدانها، وتتفرع أفنانها وحيث يعتمد الاتساع والتخييل، ويدعى الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل، وحيث يقصد التلطف والتأويل، ويذهب بالقول مذهب المبالغة والإغراق في المدح والذم والوصف وسائر المقاصد والأغراض، وهناك يجد الشاعر سبيلا إلى أن يبدع ويزيد، ويبدأ في اختراع الصور ويعيد، ويصادف مضطربا كيف شاء واسعا، ومددا من المعاني متتابعا"(الجرجاني، 1983: 300). لأن التراكيب اللغوية والإشارية - لاسيما الجملة الشعرية تعتمد التخييل، أو كما قال الرافعي: إن التخييل هو روح الشعر (الرافعي، 2019، 3/ 734).

والكلام السالف الذكر يشير إلى "أن التخييل يقوم على صياغة جمالية وواقعية لمعطيات مقصودة؛ فكرية أو نفسية، يقوم مؤلف النص من خلالها بإحداث إيحاء ما، بشرط أن يفهم أن الصياغة التخييلية - باعتبارها صفة - تتحرك منطلقة من الفكر أساسا، وباعتبارها صياغة لا تخضع لأهواء الانفعال الفردي، وأنها لا تغير الحقيقة، أو تعارضها، بل على العكس، يصبح الإدراك فيه من شعور النفس بالحقيقة إلى جانب التخييل"(بطي، 2019: 198)

ثانيا: المحور الأول: رؤية عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) في العلاقة بين التراكيب التخييلية والمتلقي (أبعاد التراكيب التخييلية)،

وقد اشتمل على ثلاثة مباحث، كما يلي (الجرجاني، 1983: 296، و300، و302) (الجرجاني، 1984، ينظر: 75، و76):

المبحث الأول: التراكيب التخييلية في فكر عبد القاهر الجرجاني.

المبحث الثاني: التراكيب التخييلية رؤية تأصيلية.

المبحث الثالث: التراكيب التخييلية والتلقي، ويمكن تناول ذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: التراكيب التخييلية في فكر عبد القاهر الجرجاني:

تتوقف رؤية عبد القاهر الجرجاني حول التراكيب التخييلية على عدد من المعايير والشروط، منها

-الصدق والشفافية:

احتفى عبد القاهر في إيمانه بورود التراكيب التخييلية في القرآن الكريم على ضرورة توافر معياري الصدق والشفافية فيها، معتبرا جدلية العلاقة بين الوعي والصورة الكتابية، وشفافية الطرح والدلالة، إذ إن كل هذا يؤثر في قراءتنا للتراكيب اللغوية، ويحدد مدى قبول الذهنية الاجتماعية والثقافية لها أو ردها.

وتجدر الإشارة إلى أن عبد القاهر - رغم احتفائه بجمالية التخييل - قد اشترط للتراكيب اللغوية معيار الصدق، وأن يكون الخبر فيها مطابقاً للمخبر، وكأنه يريد الجمع بين الرافدين، حقيقية المعاني وإمتاع نفس المتلقي من خلال التخييل، انظر إليه محتفيًا بالتخييل في كثير من شواهده، فيرى أن التخييل وقصديته تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستجدة، " تزيد قدره نبلاً، له بعد الفضل

فضلا، وإنك تجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة، خلابة مرموقة"(الجرجاني، 1983: 104).

وقد أكد الباقلاني معنى الصدق في التراكيب اللغوية، وما تحمله من أخيلة، يقول: "ثم إذا صدق الوصف انقسم إلى صحة وإتقان، وحسن وإحسان، وإلى إجمال وشرح، وإلى غير ذلك من الوجوه"(الباقلاني، 2009: 244).

ويضاف إلى إبعاد تراكيب عبد القاهر عن التخييل بعداً آخر، وهو ذلك البعد الذي يقترن فيه التخييل بالكذب، فيلبس عبد القاهر التخييل رداء الخداع، حين يجعل من التراكيب الشعرية إطارا، يحتمل وجهين من الدلالة، فيأتي التخييل ليكسو المعنى والحقائق رونقاً ولیناً، ليخفف من جفافها، بصورة تصاعدية من خلو الذهن إلى جحده، فتجاور الفكرة ما يماثلها من الصور، قال - موضحا علاقة الإعراب بالاحتياط للمعنى: "اعلم أن الإعراب على وجهين أحدهما أن يكون من قولهم أعرب عن نفسه، إذا بين ما في ضميره وأوضحه لأن حقيقة الإعراب إيضاح المعاني، والوجه الثاني: أن يكون أعرب منقولا من قولهم: عربت معدته، إذا فسدت، فكأن المعنى في الإعراب إزالة الفساد ورفع الإبهام" (الجرجاني، 1982: 1/ 97).

ألزم عبد القاهر مؤلف النص بأن يوفر لمتلقيه بيئة دلالية تخييلية صادقة، ويبدو أنه لم يرض بأن يقال: أعذب الشعر أكذبه، كما لم يرض أن يغلب على التخييل سمة الكذب والمراوغة، إذ إن هذا الأمر مما يفتح أبواب متعددة للمعنى، رافدها القول بتعدد القراءة، حال تعدد القراءات، وكأنه يرفض القول بموت المؤلف، لذا ثار على جمود المعاني، وأيقن بضرورة ألا يشترط التخييل في الكذب، رأى أنه يجوز التوفيق بين الصدق والتوسع الدلالي، بما يمكن أن نسميه: فيوض الدلالات.

• تقبل النفس للتراكيب التخييلية:

يشيع في كتب عبد القاهر إطراؤه على تصرف التخييل، ومن عباراته الدالة، قوله: "ومن اللائق بهذا الباب البين أمره"(الجرجاني، 1983: 117)، وقوله: ومن هذا الأصل(الجرجاني، 1983: 122)، وقوله: واللفظ يشارك العسل في الحلاوة، لا من حيث جنسها، بل من جهة حكم وأمر يقتضيه؛ وهو ما يجده الذائق في نفسه من اللذة، والحالة التي تحصل في النفس، إذا صادفت - بحاسة الذوق - ما يميل إليه الطبع، ويقع منه بالموافقة... وصفة التجدد في النفس بسببها، وأن القصد أن يخبر بأن السامع يجد - عند وقوع هذا اللفظ في سمعه حالة في نفسه شبيهة بالحالة التي يجدها الذائق للحلاوة من العسل، حتى لو تمثلت الحالتان للعيون، لكانتا تريان على صورة واحدة، ولوجدنا من التناسب على حد الحمرة من الحد للحمرة من الورد(الجرجاني، 1983: 152- 153).

ويصرح - في باب اللفظ والنظم - بأن التخييل "فن من القول دقيق المسلك، لطيف المأخذ، وهو أنا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض... وإذا فعلوا ذلك؛ بدت هناك محاسن تملأ الطرف، ودقائق تعجز الوصف، وجئت إليه من جانب التعريض والكتابة والرمز والإشارة، كان له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق، ما لا يقل قليله، ولا يجهل موضع الفضيلة فيه"(الجرجاني، 1984، ينظر: 306).

• الغموض الفني والسمو والبلاغة:

يرجع قبول عبد القاهر للمراوغ من التخييل إدراكه أن الكلام " إذا علا في نفسه، كان له من الوقع في القلوب، والتمكن في النفوس؛ ما يذهل ويبهج، ويقلق ويونس، ويضحك ويبكي، ويشجى ويطرب، ويهز الأعطاف، ويستميل نحوه الأسماع، ويورث الأريحية، وقد يبعث على بذل المهج والأموال شجاعةً وجوداً، ويرى السامع من وراء رأيه مرمى بعيداً، وله مسالك في النفوس لطيفة، ومداخل إلى القلوب دقيقة"(الباقلاني، 2009: 146).

ويقوم التخييل مقام الحال الناطقة في عمليات الاستلزام الحواري، ويتولى وظيفة تعبيرية، حين يعمد المتكلم إلى حذف نمط من المعينات القصدية، محاولاً التوفيق بين طاقة التلقي والتوسع والجمال، يقول عبد القاهر الجرجاني، في فصل عقده عن الحذف: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة"(الجرجاني، 1984، ينظر: 146).

ثالثا: المحور الثاني: التراكيب التخييلية وجمالية التلقي في تطبيقات عبد القاهر الجرجاني، وفيه ثلاثة مباحث، هي كما يلي:

المبحث الأول: التراكيب التخييلية والمتلقي في تطبيقات عبد القاهر.

المبحث الثاني: التراكيب التخييلية ومراعاة طاقة التلقي (أفق الانتظار).

المبحث الثالث: التراكيب التخييلية وجماليات التلقي، ويمكن تناول ذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: التراكيب التخييلية والمتلقي في تطبيقات عبد القاهر:

أدرك عبد القاهر الجرجاني دور التخييل في توضيح القصد المركزي للمتكلم، وتثبيته في نفس متلقيه (من خلال نسخ المدركات)، كما عُنى ببعد التخييل الحجاجي، من حيث هو من آليات التأثير في الوجدان والإقناع للفكر(صولة، 2007، ينظر: 481).

وهكذا، فقد أسس عبد القاهر نظريته عن التخييل لهدف مقصود، أعلن عنه في صدر كتابيه الأسرار والدلائل، وهو محاججة الخصوم، واستمالتهم، من خلال عمليات التحليل والاستشهاد، والإقناع العقلي بالشعر خاصة، وتمركزت نظريته حول إقناع الصورة، فصارت الصورة (صورة المعنى) وسيلة أساسية من

وسائل الإقناع، فتتراءى آلية فكرية مقصودة، تستثمر للسيطرة على الخصم، فيقبل بالرأي.

وكان التخييل - في فهم عبد القاهر - يلذ النفس، من حيث إنه يكسو المعنى لباسًا جديدًا وكما أنه يستولى على قوى النفس عن طريق إلباس المعاني المتأدية إليها، ثوباً من التخييلات بعد تلوينه باللون الذي يريده الشاعر تبعا لغرضه(عيد، 1993، ينظر: 70).

ويمتلك التخييل قوة نافذة على الإقناع، لاسيما إن كان وليد النظام الثقافي للمتلقي الذي يروم مؤلف النص إقناعه، إن لصورة التخييل سلطة بما تمارسه من ضغط فكري على الآخر ليقبل القصد والرؤية، لذا فإن الميدان الأصلي (المعنى المعجمي المعياري) يمارس سلطة على الميدان المنقول إليه أو الميدان الهدف (المعنى المعار المستعمل). ولعل ما يشدنا في هذا الخطاب أن نجد استعارة قوامها "الحلم رحلة"، وعليه، تمارس في هذه القصيدة تصوراتنا المتعلقة بالرحلات سلطة على فهمنا للحلم وتوجيهنا، ويدعم مذهبنا هذا في التأويل رؤية لا يكوف وتورنر من الاستعارة، فهي تمثل عندهما "سلطة على أنظمتنا التصورية"(Lakoff، 1988: 60).

وقد انطلق عبد القاهر من أن القصد المركزي لمؤلف النص إنما يتشكل من قوالب لفظية وإشارية وسياقية، وخيال، وأيقن أن التخييل هو روح الكلام، الذي يحرك عملية التواصل كلها، وذلك القول يجعل التخييل مرتبطا بمعطى خارجي، وهو الحقيقة، ومرتبطاً في جانبه الآخر بعملية داخلية، تصل بالفكر والنفس معاً(عصفور، 2009، ينظر: 312 - 313).

تهدف تراكيب عبد القاهر في التخييل إلى توفير حالة من الإقناع الفكري والنفسي عند المتلقي، لذا فقد قسم عبد القاهر المعاني إلى قسمين، أحدهما يعتمد المعاني العقلية (المعنى العقلي) (فالمرجع فيه إلى العقل المحض، وليس للغة فيه حظ، فلا تخلى ولا تمر، والعربي فيه كالأعجمي، لأن قضايا العقول هي القواعد والأسس التي يبنى عليها غيرها، والأصول التي يرد ما سواها

إليها(الجرجاني، 1983، ينظر: 382-383)، والآخر يعتمد على الصورة والجمال (المعنى التخييلي)، وأما المعنى العقلي، فهو الذي يقره العقل، ويقوم على حجة صحيحة، ويقصد به العقل الصحيح، الذي مجراه في الشعر والكتابة(الجرجاني، 1983، ينظر: 293).

وهذا معناه أن التراكيب اللغوية، بوصفها ناقلة للمعارف والحقائق، فهي - في هذا الجانب معانٍ مجردة. تشكل الحجج والآراء المعرفية التي يشهد لها العقل بالصحة، ولا يكون في حقيقتها تجادل، وتكون فيما لا يرده عقل، ولا ينفيه طبع سليم.

وأما معاني التخييل؛ فهي ما وضعه واضع، ولم يعترض عليه معترض، ولا يستطاع الحكم بصدقه أو كذبه وفقا للعرف، يقول: "هي طبقات، ويأتي على درجات؛ فمنه ما يجيء مصنوعا قد تلطف فيه، واستعين عليه بالرفق والحذق، حتى أعطى شبهاً من الحق، وغشى رونقاً من الصدق، باحتجاج تمحل، وقياس تصنع فيه وتعمل" ومثاله قول أبي تمام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

(أبو تمَّام: 567/1)

فهذا قد خيل إلى السامع أن الكريم، إذا كان موصوفاً بالعلو والرفعة في قدره، وكان الغني كالغيث في حاجة الخلق إليه، وعظم نفعه، وجب بالقياس أن يزل عن الكريم، كما يزل السيل عن الطود العظيم، ومعلوم أنه قياس تخييل وإبهام ولا تحصيل وإحكام (الجرجاني، 1983، ينظر: 296).

ويستعين عبد القاهر في الإقرار بقدرة المؤلف على إيصال معناه لمتلقيه بالقوة المتخيلة، وهي قوة تتوسط بين الحس والعقل، تلك القوة يستمد منها المؤلف قوة دلالته، وتعمقا في عرض الأفكار بتفاصيلها، بمعنى آخر: قوي تتوسط قوى النفس، فتأخذ معطياتها من الحس، وتعيد صياغتها في ضوء قواعد

العقل، فتصبح فعلا تخيليا، لأن القوة المتخيلة هي القوة النفسية الوحيدة التي لها القدرة على محاكاة الأشياء المحسوسة(عصفور، 2009، ينظر: 240).

ومن الأسس التي أقام عليها عبد القاهر الجرجاني نظريته في التخييل أن المعنى المتخيل خارج عن النظام اللغوي ومنطقية العقل، وهو معتمد على الهيئة أو الصورة التعبيرية، لا يمكن بحال أن يخضع في دلالته المقصودة إلى أعراف المجتمع، أو التفسيرات المألوفة عند ملتق ما، أو جماعة لغوية معينة، وهو – مع ذلك – طريف، غريب، مفاجئ، غير مألوف، معتمد على الخواطر والأفكار.

لقد تقبل عبد القاهر الثنائية الحادة بين التخييل والتصديق فيما يعرض له من أشعار، ونقلها عن المستوى المنطقي إلى المستوى البلاغي؛ فوازن بين العقلي والتخييلي من المعاني، وتنطوي موازنته بين هذين النوعين على الثنائية الأساسية الكامنة في تراكيب التخييل نفسها، وأهم من ذلك أنها موازنة تنحاز – صراحة – إلى العقلي، فتفضله على التخييلي، من حيث المحتوى المعرفي والتأثير الأخلاقي(عصفور، 2009، ينظر: 327).

وقد قرن عبد القاهر العقلي من المعاني بكل ما يشهد له العقل بالاستقامة، وتتضافر العقلاء في كل أمة على تقريره، والعمل بموجبه، وقرن التخييلي بما يرده العقل(الجرجاني، 1983، ينظر: 291).

وتنطلق تراكيب التخييل عند عبد القاهر الجرجاني من أن المعنى // القصد الكلي المضمن في فعل القول هو الأساس، وهو المنطلق من ذهن المؤلف أو نفسه، القار في نفس عقل المتلقي أو نفسه، وكان عبد القاهر ينتصر للمعنى على حساب اللفظ، ذلك المعنى القائم على التعقل والفكر والجمال.

وإذا كانت بلاغة الحجاج – عند بيرلمان وتيتكا – تقوم على أن من واجب المؤلف أن يقوم لمتلقيه بيانا لقصده، وأن يتحرى كل ما يعين المتلقي على فهم المقاصد، من مبدأ الكمية والهيئة، والجودة، فقد سبق إلى ذلك صاحب تراكيب النظم التي تحمل المضامين التخييلية، حين عد قدرة مؤلف النص على توفير بيان لقصده، مما يتفاضل به مؤلف عن مؤلف، يقول في هذا الصدد: "والبيان والبراعة

وكل ما شاكل ذلك، مما يعبر به عن فضل بعض القاتلين على بعض؛ من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد(الجرجاني، 1984، ينظر: 43).

ومن يطالع كتاب الدلائل لصاحب تراكيب النظم يجد تناولا لهذا الأمر، الذي أكد تكامل عناصر الجمال في إبراز القصد (مبدأ الهيئة)، من أجل تحقيق وحدة النص، وكل عناصر النص ومكوناته هي أدوات وأنساق تجتمع في توضيح غرض النص وتوضيحه.

يقول في هذا الشأن: وهل تشك، إذا فكرت في قوله - تعالى: "وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين" [هود:44]

فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع، إنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة.

وهذا يدل دلالة واضحة على ما أفاد عبد القاهر من المواد اللغوية المطروحة على مستوى الكثرة أو القلة في الاستعمال: في وضع الأصول وبناء الفروع، وحشد الشواهد لها، لتكون القسم الأول من علم البلاغة حيث لم تزل البلاغة تكمل شيئا فشيئا، إلى أن محض عبد القاهر زبدتها، وهذب مسائلها، ورتب أبوابها(مطلوب، 1964، ينظر: 117).

ونستطيع أن نقول: إن تناول عبد القاهر لمعطيات الآية الكريمة دل على وجود تراكيب حجاجية، لا تقوم على نمط تعبيري عشوائي، وليست باهرة في استعمال أداة أو تركيب من دون سواه فحسب، إنما جعل عبد القاهر من نظريته الحجاجية كيانا مشكلا من ظواهر عدة، رفدها الصياغة والانتخاب والتناسق الداخلي، بيد أن حجاج عبد القاهر الجرجاني في الآية الكريمة يبدو أشد ميلاً

إلى حجاج خالي الذهن. وإن كان يعرض تحليلا منطقيا، يخاطب به الشاك والمتردد، فيعتمد على الحجج اللفظية والأدلة العقلية في إقناع الخصوم.

ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم أن كان النداء بـ: (با) دون أي، نحو: يا أيتها الأرض، ثم إضافة الماء إلى الكاف ودون أن يقال: ابلعي الماء، ثم أن أتبع الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها... في نص طويل ساد فيه عبد القاهر العديد من مظاهر الحجاج اللغوي، القائم على تراكيب دلالية في حجاجه البلاغي(الجرجاني، 1984، ينظر: 45- 46)، وقد حققت هذه التوليفة اللغوية تجنباً لحدوث غموض عند المتلقي، فقد عرضت القوالب اللغوية في الآية الكريمة حقائق معرفية، مؤيدة براهين وأدلة، وحجج، وكأنه يحاجج معاندا، وقد جند عبد القاهر من نفسه خصما.

إن البحث في عملية التخييل من أهم خصائص الخطاب الحجاجي عند عبد القاهر الجرجاني، مراعيا بذلك الأثر النفسي عند المتلقي، ورد فعله في دائرة المتوقع واللامتوقع، واحتفاء الخطاب الحجاجي للخيال يستهدف في المقام الأول الاستحضار النفسي لذات المتلقي.

ومن إدراك عبد القاهر للدور الحجاجي للخيال عقد قسما مختصا به، أطلق عليه: قسم التخييل، وجعله خاصا بالذي لا يمكن أن يقال: إنه صدق، وإن ما أثبته ثابت، وما نفاه منفى... وقد جعله عبد القاهر درجات، وجعل منه ما يصنع بتلطف، ويستعان عليه بالرفق والصدق، حتي أعطى شبها من الحق، وغشى رونقا من الصدق، باحتياج تمحل، وقياس تصنع فيه وتعمل، وهو يوفر خيالا للسامع، وقياس شبه، وتخيل.

إن إدراك القصد من التخييل قائم على مقاييس حدود المنطق، الذي يأخذ النفوس فيه بالقول المحقق: حتى لا ندعي إلا ما يقوم عليه من العقل برهان يقطع به، ويُلجى إلى موجبه، مع أن الشعر يكفي فيه التخييل، والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل(الجرجاني، 1983، ينظر: 298- 299).

ويتأكد احتفاء عبد القاهر بالدور الحاسم للخيال في إقناع المتلقي، وأن التخييل من وسائل الحجاج التي تعمل على إقناع المتلقي والتأثير فيه، حين أفرد باباً لتمكن المعني من النفس، وأن آليات التخييل تجعل المعنى أوضح، وأقدر علي استدعائه، يقول: "فقد حصل في هذا الباب أن الاسم المستعار كلما كان قدمه اثبت في مكانه كان موضعه من الكلام أضمن به وأشد مما هو عليه(الجرجاني، 1983، ينظر: 269).

ويرى عبد القادر الجرجاني أن التخييل وسيلة حجاجية لأجل توجيه الحجاج، نحو عقل المتلقي لنقله من الحالة التصويرية إلى الإقناع(الجرجاني، 1983، ينظر: 95).

وقد أدرك عبد القاهر الجرجاني أن المعاني التي يستجلبها التخييل تفارق المعاني الجافة المجردة منه، يقول معلقاً على الآية السالفة الذكر: "وقول الناس: قتل البعض إحياءٌ للجميع، فإنه، وإن كان قد جرت عادة الناس بأن يقولوا في مثل هذا: إنهما عبارتان معبرهما واحد. فليس هذا القول قولا يمكن الأخذ بظاهره، أو يقع لعاقل شك أن ليس المفهوم من أحد الكلامين المفهوم من الآخر"(الجرجاني، 1984، ينظر: 261).

والتخييل آلية بلاغية تعمل على توضيح الفكرة، ليمنح الخطاب طابعا جماليا، يؤثر في نفوس المخاطبين، فإذا مثلنا بالكتابة وجدناها اسما جامعا أطلق، وأريد معناها مع جواز إرادة ذلك المعنى، وهي وسيلة قوية من وسائل التأثير والإقناع؛ بيد أنها مختلفة عن الاستعارة والتشبيه في إمكانية اجتماع الحقيقة والمجاز فيها، حيث إن بنية الكناية تشتمل على معنين؛ إذ إن هناك معنى حقيقي تعثر عليه في ثنايا الخطاب، وهناك معنى مجازي يتواري في بنية الخطاب العميقة(رابح، 2006، ينظر: 5/ 184).

إن توظيف التخييل - في الحجاج - يكسب النص طاقة حجاجية يستطيع من خلالها إقناع المتلقي، وجعله يذعن لما يقول لأن للخيال قدرة في إثبات

المعاني، فهي بمثابة الدليل الجمالي، للوصول إلى المقاصد، فهو يؤثر في طبيعة الكلام، ويجعله أكثر قدرة على إقناع المتلقي ومن خلال قيمة التخيل نفسها، لأنها تقدم المعنى مع الدليل ولا يقتصر دور التخييل على الجانب الجمالي والتزييني للغة - أو للتراكيب الملفوظة في علاقة الدوال بمدلولاتها - إنما يتعداه إلى التأثير في المتلقي ومحاولة استمالته وإقناعه(سماح: 47).

وليس من شك في أن حديث عبد القاهر عن ثبات المعني ووضوحه في ذهنية المتلقي، ولصوقه بالنفس احتفاء بالتعدد النمطي الطاقات لقراءة النص الواحد، بغية إدراك قصد قد يتعدد، أو يختلف.

فقد جعل التخييل وسيلة من وسائل البيان والتوضيح، وأن في التخييل من التفاصيل، أو الإقناع التأملي، أو البصري، ما لا يمكن بيانه، إلا بعد العلم بحقيقته.

انظر إليه يقول، في معرض تناوله لقوله - تعالى: "واشتعل الرأس شيباً " [مريم:4 أنك ترى الناس إذا ذكروا قوله - تعالى: "واشتعل الرأس شيباً ".لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة، ولم ينسبوا الشرف إليها، ولم يروا للمزية موجبا سواها، هكذا ترى الأمر في ظاهر كلامهم، وليس الأمر على ذلك، لمجرد الاستعارة... ذلك أنك تعلم أن اشتعل للشيب في المعنى، وإن كان هو للرأس في اللفظ، وأن هذا أمر يقصده المؤلف، وأن هذا الإسناد يفيد أنه مع لمعان الشيب في الرأس، الذي هو أصل المعنى، وأنه قد شاع فيه، وأخذه من نواحيه، وأنه قد استغرقه وعم جملته، حتى إنه لم يبق من السواد شيء؛ أو لم يبق منه إلا ما لا يعتد به، وذكر عبد القاهر أن هذا الأمر يذهب بخيال المتلقي مذهب الشمول للصورة(الجرجاني، 1984، ينظر: 101).

وقد أورد عبد القاهر في كتابيه الأسرار والدلائل ما يُشير إلى دور التخييل في الحجاج، محتفيا بالبعد الاجتماعي لأنماط التلقي، فالتخييل يتيح للدلالة التدرج عبر أنساقها، في سلمية دلالية متتابعة، وكان التخييل من أعمدة هذه السلميات الدلالية، التي تؤدي دور الممهد الدلالي لدلالة أكبر.

• المبحث الثاني: التراكيب التخييلية ومراعاة طاقة التلقي (أفق الانتظار):

يتحدث فيه عبد القاهر عن تأثر التخييل على إدراك المتلقين للقصد المركزي، حين يعرض على قرائحهم تراكيب لغوية تعرض لهم صوراً لم يروها من قبل، فهو يقسر النفس، فيملك التخييل قدرة توليدية تحويلية، فيحول التراكيب من معنى إلى معنى آخر، من الجمال إلى القبح، ومن التسطيح إلى التعمق، ومن القبول إلى الرفض، ومن صياغة لغوية إلى برهان، يقنع العقل، ويوفر برهاناً، يعضد القوالب اللغوية في عرضها للقصد في رداء جميل، يقول: وهكذا قول البحتري:

طلعت لهم وقت الشروق فعاينوا
سنا الشمس من أفق ووجهك من أفق
وما عاينوا شمسين قبلهما التقى
ضياؤهما وفقا من الغرب والشرق.

معلوم أن القصد أن يخرج السامعين إلى التعجب لرؤية ما لم يروه قط، ولم تجر العادة به؛ ولم يتم للتعجب معناه الذي عناه، ولا تظهر صورته على وضعها الخاص، حتى يجترئ على الدعوىٰ جرأة من لا يتوقف، ولا يخشى إنكار منكر، ولا يحفل بتكذيب الظاهر له، ويسوم النفس - شاءت أم أبت.

ويقوم التخييل مقام الحال الناطقة في عمليات الاستلزام الحواري، ويتولى وظيفة تعبيرية، حين يعمد المتكلم إلى حذف نمط من المعينات القصدية، محاولاً التوفيق بين طاقة التلقي والتوسع والجمال، يقول عبد القاهر الجرجاني، في فصل عقده عن الحذف: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيهٌ بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة "(الجرجاني، 1984: 146).

وفي حقيقة الأمر عدَّ عبد القاهر التخييل ضربا من ضروب الصنعة، التي تدل على حذق الشاعر وزيادة إبداعه، وقد نال موضوع التعريف والتنكير عناية علماء النحو أمثال سيبويه وابن جني والزجاجي وغيرهم(سيبويه، 1983، ينظر: 2/ 5-8)(ابن جني، 2000، ينظر: 1/ 332).

كما حاز على عناية علماء البلاغة الأوائل، وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني الذي كانت له وقفات وتأملات حسنة عن التعريف والتنكير في كتابه دلائل الإعجاز، تحت عنوان (الفروق في الخبر)، فقد ذكر فوائد وفرائد متنوعة لتعريف الخبر وتنكيره، كما فرق بين الخبر المعرف الألف واللام والخبر المعرف بالموصولية، وبسط القول بسطاً نفسياً(الجرجاني، 1984، ينظر: 177-201).

وقد أبان عن ذلك في معرض تناوله لقول المتنبي:

واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معا

أراد: فأرتني الشمس والقمر، ثم غلب اسم القمر، كقول الفرزدق:

أخذنا بأفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

يقول: "لولا أنه تخيل الشمس نفسها، لم يكن لتغليب اسم القمر والتعريف بالألف واللام معنى"(الجرجاني، 1983: 332)

وقد يكون التخييل سببا في تنكير المعنى، رغم تعريف أدواته وقوالبه، مما يسبب استكراهاً للمعنى، قد يوهم ظاهره خلاف باطنه، ويجانب الاستقامة وتمام الإفادة؛ يقول معلقا على قول أشجع السلمي:

غربت بالمشرق الشمس فقل للعين تدمع

ما رأينا قط شمساً غربت من حيث تطلع

فقد خيل إليك شمس السماء، وقوله - بعد: ما رأينا قط شمساً. يفتر أمر هذا التخييل، ويميل بك إلى أن تكون الشمس في قوله: غربت بالمشرق الشمس غير شمس السماء، أعنى غير مدع أنها هي، وذلك مما يضطرب عليه المعنى ويقلق.

ويجعل عبد القاهر الجرجاني الإبانة في تنكير الشمس، يقول: "وأظن الوجه فيه أن يتأول تنكيره للشمس في الثاني على قولهم: خرجنا من شمس حارة؛ ويريدون في يوم كان للشمس فيه حرارة وفضل توقد، فيصير كأنه، قال: ما عهدنا يوماً غربت فيه الشمس، من حيث تطلع، وهوت من جانب المشرق، وكثيراً ما يتفق في كلام الناس ما يوهم ضرباً من التنكير في الشمس، كقولهم: شمس صيفية" ومثله: والله لا طلعت شمس ولا غربت (الجرجاني، 1983، ينظر: 329-330).

كما فصل القول في التعريف بالموصول، وركز حديثه على (الذي)، وأفرد الحديث عنها في فصل، وقال في مقدمته: (الذي)، وأفرد الحديث عنها في فصل، وقال في مقدمته: (اعلم أن لك في (الذي) علما كثيرا، وأسرارا جمة، وخفايا إذا بحثت عنها وتصورتها اطلعت على فوائد تؤنس النفس، وتثلج الصدر، بما يقضي بك إليه من اليقين، ويؤديه إليك من حسن التبيين...) (الجرجاني، 1984: 199)

وربما يظهر في بعض الأسلوب القرآني أن الاسم المنكر بمنزلة المعرف وبالعكس خاصة إذا كانت اللام للجنس، على أن الاسم يكتسب قيمته للسياق الذي سيق فيه، وهذا ما بينه عبد القاهر الجرجاني في ثنايا حديثه عن تراكيب النظم من ذلك تنكير لفظ الحياة في قوله تعالى { ولتجدنهم أحرص النَّاسِ عَلَى حَيَاة} [البقرة: 96] قال: إذا أنت راجعت نفسك وأذكيت حسك وجدت لهذا التنكير، وإن قيل: على حياة، ولم يقل: على الحياة حسناً وروعة ولطف وتجدك تعدم ذلك مع التعريف، وتخرج عن الأريحية والأنس إلى خلافهما(الجرجاني، 1984، ينظر: 288).

ولم ينحُ عبد القاهر بأصول التخييلية عن الاستعمالات العرفية للغة والتراكيب اللغوية، يقول - في تعليقه على بيتي الفرزدق:

أبي أحمد الغيثين صعصة الذي متى تخلف الجوزاء والدلو يمطر
أجار بنات الوائدين ومن يجر على الموت تعلم أنه غير مخفر

وإن أردت أن تعرف مقدار ماله من القوة في هذا التخييل، وأن مصدره مصدر الشيء المتعارف، الذي لا حاجة به إلى مقدمة يُبنى عليه، نحو أن تبدأ فتقول: أبي نظير الغيث وثانٍ له وغيث ثانٍ. ثم تقول: وهو خير الغيثين، لأنه لا يخلف إذا أخلف الأنواء، فانظر إلى موقع الاسم فإنك تراه واقعا موقعا لا سبيل لك فيه إلى حل عقد التثنية وتفريق المذكورين بالاسم، وذلك أن (أفعل) لا تصح إضافته إلى اسمين معطوف أحدهما على الآخر(الجرجاني، 1983، ينظر: 333).

ويستند عبد القاهر إلى التحليل في إزالة الشكوك لدى ذهنية المتلقي، حتى يوفر له بيئة إقناعية، تتجاوز حدود الشكل إلى عمق الدلالة، وكأنه – هنا يدفع المتلقي دفعا؛ ليسبر أغوار النص، وصولاً للمقاصد المضمونية، وما حواه فعل القول من الفعل التضميني، ليتحول إلى فعل تأثيري، ومن ثم فعل منجز.

يقول: "فقد اتضح – إذن – بما لا يدع للشك مجالاً، أن الألفاظ لا تتفاضل، من حيث هي الفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة "(الجرجاني، 1984: 46).

ولسنا نجاوز الحد حين تقرر أن عبد القاهر الجرجاني حلل مكونات الآية الكريمة على أساس من التحليل والعقل، وقد جعل من مكونات الآية دوالً إفرادية قادرة على حمل صوت النفس إلي المتلقي، واللافت في هذا التناول هو أن عبد القاهر ارتكز على بلاغة الإقناع في التناظر، تلك البلاغة التي تقوم على تواشج التراكيب بعضها مع بعض، وتضافرها لحمل أبعاد النفس، فيحرص على استحضار المتلقي، ليعرض صدي نفسه.

يقول: "ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك، في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر... فتجد لها من الثقل على النفس، ومن التنغيص والتكدير، أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة، ومن الإيناس والبهجة... كما أنه يستمر في استحضار ذات المتلقي ونفسه إلى رحاب الصياغة، متوجها إليه بالحديث، قائلا: "ومن أعجب ذلك لفظة (الشيء) فإنك تراها مقبولة حسنة في موضع، وضعيفة مستكرهة في موضع،... ثم يعتمد الشاهد

والدليل، يسوقه للمتلقي، حتى يناظر بين الأمثال، يقول: وإن أردت أن تعرف ذلك، فانظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

ومن مالئ عينيه من شيء غيره
إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمي

وقول أبي حية:

إذا ما تقاضي المرة يوم وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

ثم يستحسن عبد القاهر الجرجاني نبل التراكيب وسمو دلالتها وجودة صياغتها، في إقناع المتلقي، ومن البراهين التي استدل بها عبد القاهر على هذا الأمر، قبول النفس للصياغة والدلالة، لابتعاد التراكيب عن الاضطراب، وقد استعمل عبد القاهر حروف العطف المتوالية في الآية الكريمة، لتعزيز إقناع المتلقي، مبتعدة به عن الارتياب واللبس والغموض.

• السياق ومراعاة طاقة التلقي:

من الملفت للنظر أن أبعاد التراكيب التخييلية عند عبد القاهر الجرجاني هي أبعاد نفسية أكثر من كونها فكرية سياقية، إذ إن تصوير المعاني بالتجسيم أو بالتشخيص هي عملية نفسية، تؤثر في المتلقي إقناعا وإمتاعا وانفعالا، لأن النفس تأنس بالعلم الذي يأتيها من طريق الحواس، فأنس النفوس موقوف على أن تردها في الشيء، تعلمها إياه إلى شيء آخر، هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم(الجرجاني، 1983، ينظر: 121).

وكان عبد القاهر قد أقام نظريته الإقناعية على التخييل المتعقل، مبتعدا بذلك قدر الإمكان عن الانحصار في بوتقة الإقناع الشكلي ومستثمرا لغة المجاز، التي تحركها أرض التخييل، فيتحرك الشريكان الملفوظات والصورة في تشكيل رؤية خاصة، تتصاعد درجة اقتناصها كلما تصاعدت جدية الضفيرة بين التخييل والعقل أو النفس.

والمطالع لما عرضه عبد القاهر من دقائق، يدرك أن للجرجاني تراكيب خاصة، تقوم على أسس من قوة التخييل، تلك القوة التي تحقق رابطا فكريا ونفسيا بين القصد والمحاكاة، وقد قام منجزه هذا على قدرة المؤلف على التأثير في متلقيه، مما عدا من مسار الأبعاد الكلامية والبلاغية. وقد راعى عبد القاهر الخلفيات الثقافية للمؤلفين، وأن جميع الفكر ليست على نسق واحد، وكذلك المتلقين، وإنما خبراتهم مستمدة من معايشة النصوص، فإن هناك المتلقي السطحي، وهناك الضمني، والمتعمق، والناقد.

بدا حجاج عبد القاهر - في هذه الآية - معتمداً على مبدأ الهيئة الشكلية الناجم عن سلطة النص، التي وفرتها قوة مؤلفه وتفرده، فقد عمد إلى إقناع متلقيه، من خلال إبهاره بجمال الصياغة، وتفرد تراكيبه، مؤكدا على أنه متى ما أراد المؤلف إقناع متلقيه لزمه تحقيق تماسك القوالب النصية وتناسقها الدلالي.

من خلال هذه الآية - حجاج عقلية، يستنصر بالدليل، ولا يهاجم طاقة التلقي، فكأن يخاطب نمطاً من القراء خالي الذهن، انظر إليه يقول: "لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة وهكذا".

ومن أجمل ما عرضه عبد القاهر من آليات حجاجية - في هذه الآية - هو حديثه عن البنية الكلية للنص، وأن اقتناع المتلقي مرهون بقدرته على إدراك المعنى الكلي للنص، مطالبا إياه عدم التسرع، مجبرا له أن يتابع معطيات النص التصاعدية، دافعاً له إلى التوقف عن الحكم إلا عقب استقرائه القوالب اللغوية والإشارية والسياقية، مشيراً إلى أن أدق الأمور قد تؤثر في عمليات التحاجج.

يقول السكاكي في هذا الصدد: "وإذا قد وقفت على البلاغة، وعثرت على الفصاحة المعنوية واللفظية: فأنا أذكر - على سبيل الأنموذج - آية تكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين، ما يسترها عنك، ثم أن ساعدك الذوق: أدركت منها ما قد أدرك من تحدوا بها، وهي قوله - علت كلمته: "وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين". [هود:44]

والنظر في هذه الآية قائم على أوجه عديدة، من أربع جهات منها، النظر فيها من جهة البيان، ومن جهة علم المعاني، وهما مرجع البلاغة، ومن جهة الفصاحة المعنوية، ومن جهة الفصاحة اللفظية، فأما النظر فيها من جهة علم البيان، فيكون النظر فيها من جهة الاستعارة والكناية والمجاز، وأن الله - تعالى - لما أراد رد ما انفجر من الأرض رده كما كان، فارتد، ولما أراد - تعالى قطع طوفان الماء، فانقطع... فبني الكلام على تشبيه المراد بالمأمور الذي لا يتأتى منه، لكمال هيبته، والعصيان، وتشبيه كون المراد بالأمر الجزم النافذ في تكوين المقصود، تصويرا لاقتداره العظيم، وتجلي إبداع المجاز في الخطاب للجمادات، وهو: يا أرض، ويا سماء، وبلع الأرض... ليصرف توهم الواهم، فكل ذلك لا يتأتى إلا من ذي قدرة.

أما النظر فيها من جهة علم المعاني: فقد أفادت كل كلمة في موقعها، حتى وإن حركت بالتقديم أو التأخير، واختار الخطاب القرآني نداء الجمادات به (يا)، من دون سائر أخواتها، لأنها أكثر في الاستعمال، وأنها دالة على بعد المنادىٰ، الذي يستدعيه مقام إظهار العظمة، وهو تبعيد المنادي المؤذن بالتهاون به؛ ولم يقل: يا أرض، بالكسر، لإمداد التهاون، ولم يقل: يا أيتها الأرض، لقصد الاختصار، مع الاحتراز عما في (أيتها) من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام، وقد اختار الخطاب القرآني لفظي الأرض والسماء؛ لأنهما أخف وأدور، وقد اختير لفظ: ابلعي، على ابتلعي؛ لأنه أخصر، ولمجيء خط التجانس بينه وبين أقلعي، أوفر...

وقد جرى الخطاب القرآني في ترتيب هذه الآية على مقتضى اللازم، فيمن كان مأمورا حقيقة، من تقديم التنبيه؛ ليتمكن الأمر الوارد عقيبه في نفس المنادىٰ؛ قصدا - بذلك - لمعني الترشيح، وقدم أمر الأرض، لنزولها منزلة الأصل، وقد عمد الخطاب القرآني إلى الحذف الدال على الذكر، وكأنه قال: قيل: يا أرض

ابلعي ماءك، فبلعت، وقيل: يا سماء أقلعي عن إرسال الماء، فأقلعت عن إرساله... وغيض الماء النازل من السماء ففاض.

• التراكيب التخييلية وتقريب المعنى:

يظل التخييل في تراكيب عبد القاهر مقربا للمعنى، وكأنه صورة أخرى غير مباشر له، فيجعله لا يفقد صفة الحسية، ومهما تباعدت تلك الصورة - وجرت المتلقي إلى أنساق جزئية - تظل مرتبطة بالمعنى الأول، كما إنها لا يمكن لها أن تبتكر معنى جديد على سبيل المغايرة، فكل ما يصل إليه المتلقي من خلال التخييل لا يمكن تشكيله أو التعبير عنه إلا من خلال جزئيات وعناصر أدركها العقل والحس(عصفور، 2009، ينظر: 244).

وقد أدرك عبد القاهر هذا المعنى، يقول: "فإذا قلت: مررت بزيد الظريف، وذكرت الصفة لئلا يلتبس من تعني بمن لا تعني(الجرجاني، 1982: 2/ 920-921)، إنَّ قوله: (وكما يكون لزيد) لعل الصحيح: (كما يكون الزيد).

فالجرجاني ذكر أن المجيء بالصفة لدفع توهم وإزالة لبس حاصل من المتبوع؛ ومن ثم يؤتى بالصفة احتياطا لذلك المعنى، وتمكينا له وتثبيتا.

إذ يرى أن الاستعارة وسيلة ناجحة من وسائل الحجاج، التي تعمل على اقناع المتلقي والتأثير فيه، بدا ذلك من كلامه، فاستعار للجمادات معنى الفعل، والتخاطب، والمقدرة، فطالب الأرض والسماوات، ومنح الماء قدرة على الانحسار والغور، يقول: فقد حصل - في هذا الباب - أن الاسم المستعار كلما كان قدمه أثبت في مكانه، كان موضعه من الكلام أضمن به، وأشد مما ما عليه، فأمر التخيل فيه، ودعوى المتكلم له أظهر وأتم(الجرجاني، 1983، ينظر: 279) وهي خطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها(الجرجاني، 1983، ينظر: 26).

ويمتلك التخييل قوة نافذة على الإقناع، لاسيما إن كان وليد النظام الثقافي للمتلقي الذي يروم مؤلف النص إقناعه، إن لصورة التخييل سلطة بما تمارسه من ضغط فكري على الآخر ليقبل القصد والرؤية. وإذا كانت الاستعارة هي إدراك

تصور ما عن طريق تصور آخر أو القبض على مفهوم ما عن طريق مفهوم آخر، لذا فإن الميدان الأصلي (المعنى المعجمي المعياري)

وتنطلق تراكيب التخييل عند عبد القاهر الجرجاني من أن المعنى (القصد) الكلي المضمن في فعل القول هو الأساس، وهو المنطلق من ذهن المؤلف أو نفسه القارّ في نفس عقل المتلقي أو نفسه، وكان عبد القاهر ينتصر للمعنى على حساب اللفظ، ذلك المعنى القائم على التعقل والفكر والجمال، يقول: "إن الألفاظ خدم للمعاني، وكانت المعاني هي المالكة سياستها المستحقة طاعتها، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته، وذلك مظنة الاستكراه وفيه فتح أبواب العيب والتعرض للشين"(الجرجاني، 1983: 77).

وغير خافٍ أن في كلام عبد القاهر بجعل التخييل مرهون بغاية أمرين، هما: استحضار طاقة التلقي بالقوة، ومعاونة المتلقي، حتى يصل إلى إدراك المقاصد، بالتعرف على تفاصيلها، فهو يؤكد فكرة الحجاج البصري (الإقناع بالنظر)، التي تحتفي بذهنية التلقي، وتتمركز حول القصد الحقيقي.

وأبرز صور التخييل التي أوردها عبد القاهر - في هذا الموضع إنما تمثلت في التشبيه التمثيلي، الذي استثمره عبد القاهر في زيادة التأكيد على فكرته، حين ناظر بين المتغلغل في زوايا العلم بمن تتبع الماء؛ حتى عرف منبعه.

• التراكيب التخييلية وإبراز المعاني الخفية:

يتوسع عبد القاهر في تناوله لأبعاد تراكيب التخييل، ولعل هذا ما يفهم من إشاراته إلى المعاني الخفية البعيدة، التي يتضمنها فعل القول، أو يشير إليها السياق، كما يلزم مؤلف النص بأن يصنع تخييلا أقرب ما يكون إلى الوضوح والصدق، بحيث يقبله العقل والأخلاق الجميلة (أو سائر المعاني التي تجعل الأشخاص أوعية لها)(الزمخشري: 286)، وليس معنى التوسع هنا أن يعمد

مؤلف النص إلى إيراد تراكيب لغوية ممزوجة بخيال غريب مستغلق، لأن المعنى الحقيقي عند الجرجاني خارج عن التخييل المفرط.

وقد أدرك عبد القاهر أن عملية التحاجج عملية وظيفية تعبيرية، تستلزم روافد تركيبية، وليست بالعملية الفردية(عبد الحميد، 2020، ينظر: 42).

وإدراكه هذا قائم على إيمانه بأن عملية التحاجج عملية التعلق بالبعد الاجتماعي للمتخاطبين، وفيها يتم تحديد زاوية المتكلم ووضعه وأحكامه، وتشفيره الدور علاقته في المقام، وحوافز قوله لشيء ما، في علاقته مع مخاطبه(إبريز، 2005: 78).

لذا فقد طالب عبد القاهر مؤلف النص أن يعرض قصده في هيئة واضحة، بعيدة عن الخلل والتعمية، ويقدم للمتلقي ما يدفع الإلباس والوهم عنده، وأن يراعي السائد من الثقافات والأفكار (الفكر الجمعي).

ويؤكد عبد القاهر أن التخييل يسهم في وضوح القصد في ذهنية المتلقي، حسب طاقتها، السطحية أو المضمونية، وأن التخييل يقدم حجة يقينية، تزيل الاحتمالات الدلالية المتواترة والمحتملة وغير المقبولة، من خلال قيام المتلقي بعمليات الترجيح والموازنة بينها، فإذا ما توافرت له أنماط ترجيحية أخرى، دفع عنه اللبس والغموض.

• التراكيب التخييلية وقصدية الاحتياط للمعنى:

جعل عبد القاهر قصدية المؤلف توظيف التراكيب التخييلية في الخطاب التواصلي أن يكون ذلك من طرائق الاحتياط للمعنى الإشارة الحسية، فيما لا يحتاج إلى إشارة؛ احتياطا، وتمكينا للمعنى، وخوفا من انصراف الذهن إلى شيء آخر، وإن كان الاحتمال بعيداً(السامرائي، 2021، 151) وألمح الجرجاني إلى دور البيان بعد الغموض والإبهام في توجيه الدلالة، قبل المجيء بصلة الموصول؛ فقال: "فقول: (مررت بزيدٍ الذي أبوه منطلق) تجدك قد أبنت زيداً من

غيره، بالجملة التي هي قولك: (أبوه منطلق)؛ ولولا (الذي) لم تصل إلى ذلك"(الجرجاني، 1984: 199- 200).

وتقوم نظرية التخييل عند عبد القاهر الجرجاني على قصدية المؤلف في الاحتياط لمعناه، وفي إتمامه في ذهن المتلقي على اختلاف أنماطه، وقد قصد عبد القاهر الجرجاني بنظريته في التخييل: "أن يحاول الشاعر معنى، فلا يدع شيئًا - يتم به المعنى حسنه - إلا أورده في قوالبه اللغوية والإشارية والسياقية، وأتى به: إما مبالغة، وإما احتياطا، واحتراسًا من التقصير"(القيرواني، 2009، 2/ 43) كل ذلك خشية أن تفلت الجزيئات والأنساق المشكلة للنص // للمعنى بتمامه يقول معلقا على بيت لابن المعتز، حينما شبه البرق بالخيل.

وتارة تبصره كانه أبلق مال جلهُ حين وثب

الأبلق الخيل الذي فيه سواد وبياض الجل الدابة: كالثوب للإنسان، يريد أن يريك بياض البرق في سواد الغمام، بل ينبغي أن يكون العرض بذكر الخيل أن البرق يلمع بغتة ويلوح للعين فجأة فصار لذلك كبياض الأبلق إذا ظهر عند وثوبه وميل جله عنه(ابن المعتز، ينظر: 44).

فلقول ابن المعتز (حين وثب) من الفائدة ما لا يخفى، وقد عني المتقدمون أيضا، بمثل هذا الاحتياط(الجرجاني، 1983، ينظر: 171).

فعندما يقول المتكلم قوالب لغوية لها معنى سطحي، وهو لا يريده، ولكن السامع ربما توهم أن زيداً معهم فيريد المتكلم أن يبين ويخص زيدًا بعدم المجيء فيقول: إلا زيداً لذلك سيبويه لم يقل: لأنه مخرج ما دخل فيه، وإنما قال: "لأنه مخرج مما أدخلت فيه غيره"(عبد الوهاب، 1408هـ: 48-52)، ومن أمثلة ذلك: قوله في ذكر الأطلال:

أما الوصال فقد تقادم عهده إلا التخييل يعود كل منام

فالشاعر -هنا- يذكر وصال محبوبته في مستهل القصيدة، كعادة الشعراء، ويصف الوصال بتقادم عهده، وأن هذا الوصال بالأجساد والأمر المحسوس

المشاهد كان في عهدٍ مضى، وتقادم بتقادم السنين، ولكن الشاعر استثنى أمرًا من هذا الوصال المتقادم العهد المنقطع، ألا وهو (التخييل)، وهذا التخييل مستمر في الوصال كل منام.

لم يجعل عبد القاهر الجرجاني الاستعارة إحدى ركائز نظريته، ولم يعدها من أدوات التخييل، لأنها تقوم على الكذب، يقول: واعلم أن الاستعارة لا تدخل في قبيل التخييل؛ لأن المستعير لا يقصد إثبات معنى اللفظة المستعارة، وإنما يعمد إلى إثبات شبه هناك، فلا يكون مخبره على خلاف خبره، وكيف يعرض الشك في أن لا مدخل للاستعارة في هذا الفن، وهي كثيرة في التنزيل، على ما لا يخفى، كقوله: - عز وجل: "واشتعل الرأس شيبا؟ [مريم:4]

ثم لا شبهة في أن ليس المعنى على إثبات الاشتعال، ظاهرا، وإنما المراد إثبات شبهه(الجرجاني، 1983، ينظر: 301).

بل نراها قد شاعت في كتابيه الأسرار والدلائل بصورة مكثفة، مؤمنا بأنها تكسب التراكيب تكثيفا دلاليا، حيث توفر لذهن المتلقي دلالتين، الدلالة الحقيقية، والأخرى المستعارة، فتضيف إلى الجانب المعرفي تصويرا خياليا، يُعين المتلقي على إدراك نقطة التقاطع الدلالي بين الدلالتين، الحقيقية والهامشية، ومن خلال عمليات التوزيع والترتيب والموازنة والترجيح، يستطيع المتلقي إدراك القصد المراد.

يقرر عبد القاهر أنه ثمة نوع من التراكيب اللغوية تناقض الإعجاب بها، التي يقوم فيه التخييل على الإيهام، وأن الصورة التعبيرية لهذه التراكيب اللغوية قد جاوزت حد الإبانة أو التبيين، وزال إدراكه عن العين والعقل؛ وقامت فيها الشبهات الدلالية، وتنوعت القصود حسب طاقة التلقي ونمطيتها، يقول: معلقا على قول الشاعر:

لا تعجبوا من بلى علالته قد زر أزراره على القمر

قد عمد - كما ترى- إلى شيء هو خاصية في طبيعة القمر، وأمر غريب من تأثيره، ثم جعل أن يرىٰ قوما أنكروا على الكتان بسرعة، وأنه قد أخذ ينهاهم عن التعجب من ذلك، ويقول: أما ترونه قد زر أزراره على القمر، والقمر من شأنه أن يُسرع بلى الكتان، وغرضه بهذا كله أنه يعلم أن لا شك ولا مرية في أن المعاملة مع القمر نفسه، وأن الحديث عنه بعينه، وليس في البين شيء، وأن التشبيه قد نسي وأنسى.

ثم يقول: "وهذا موضع في غاية اللطف، لا يبين إلا إذا كان المتصفح للكلام حساساً يعرف وحي طبع الشعر، وخفى حركته التي هي كالخلس، وكمسرى النفس في النفس، وإن أردت أن تظهر لك صحة عزيمتهم في هذا النحو على إخفاء التشبيه، ومحو صورته من الوهم، فأبرز صفحة التشبيه، وأكشف عن وجهه".

وليس موصوفا بالجمال ولا متلقيا بالقبول ذلك التركيب اللغوي، الذي يوفر بيئة تخييلية مخادعة، تقوم على تقييح الحسن، وتحسين القبيح، فتحول التركيب الجميل إلى آخر قبيح، والعكس، وتوغل في تصويرها حتى تصل حد التعمية والتعقيد، وكان عبد القاهر يدرك أبعاد المدرسة التوليدية التحويلية، بيد أن إدراكه على مستوى المعاني التخييلية، وثمة نص يتحدث فيه الجرجاني عن التحولات الدلالية (مما يضطرب معه المعنى) التي يُحققها التخييل في التراكيب اللغوية، لاسيما في القول الشعري خاصة.

فالتخييل يُعد نسقا من أنساق المعنى الكلي، مما يجعل التراكيب اللغوية موصوفة بالجمال، التركيب الجميل في فكر عبد القاهر الجرجاني لا يمكن فيه الفصل بين الشكل والمضمون، ولا يمكن النظر فيه إلى كل جزئية على حدة، ولكن يجب النظر إليه باعتباره كلا متماسكا، فالنظم من النظام، فلو أخذنا - مثلا - جزءا من التمثال الجميل، كأن التمثال، وفصلناه عن بقية الجسم، فإنه لا يمكن

الحكم عليه، بالجمال أو عدمه؛ إنما يحكم عليه بموضعه من التمثال، وتناسقه معه(النهاري، 2014: 451).

ومن طرق الاحتياط للمعنى الإشارة الحسية، فيما لا يحتاج إلى إشارة احتياطاً، وتمكينا للمعنى، وخوفا من انصراف الذهن إلى شيءٍ آخر، وإن كان الاحتمال بعيداً(السامرائي، 2021، 151).

وألمح عبد القاهر الجرجاني إلى دور البيان بعد الغموض والإيهام في توجيه الدلالة، قبل المجيء بصلة الموصول؛ فقال: "فقولك: (مررت بزيد الذي أبوه منطلق) تجدك قد أبنت زيدا من غيره بالجملة التي هي قولك: (أبوه منطلق)، ولولا (الذي) لم تصل إلى ذلك"(الجرجاني، 1984: 199- 200).

• المبحث الثالث: التراكيب التخييلية وجماليات التلقي:

من الجيد التنويه إلى أن من آليات الجمال في اللسانيات النقدية الحديثة هو أن يستطيع المؤلف أن يربط بين التخييل وقدرته على محاكاة القصد المركزي، وأن للتخييل آثارا إيجابية في توضيح المعنى وتحديده وتقييده، وإذا سلمنا أن جانب الجمال يغلب في الشعر أدركنا عليه تمحور تراكيب عبد القاهر في التخييل حول الشواهد الشعرية، ويبدو أن عبد القاهر قد فرق بين الشعر والنظم على أساس التخييل، بحيث أصبح الشعر - عنده - بناءً تخييلياً/ يستهدف إدارة المخيلة عند المتلقي إثارة خاصة، تؤثر في قوته النزوعية إلى الدرجة التي تقود إلى فعل أو انفعال(Walzer، 1970، ينظر: 232- 252).

فعقد عبد القاهر باباً مستقلا مطولا للتخييل، عده من ضمن أبواب البلاغة والجمال، وأنه من أسرار الإمتاع، فعل هذا، وهو مدرك أن مزية الصورة تتمثل في أنها تقدم المعنى تقديما حسياً، وتعتمد على عناصر التوليدية التحويلية في تحويل المسموع إلى هيئة مبصرة، مما يعين المتلقي على إدراك الأنساق والتفاصيل المشكلة للبنية الكلية للنص، أو للتراكيب اللغوية؛ إذ يعتمد مؤلف النص على عمليات التعويض التصويرية في دفع المتلقي إلى اقتناص المعنى، فمثلا يعوض

التشبيهُ والتمثيل عامة المعنى الحقيقي، ليس هذا فحسب، وإنما الغاية في تبليغ المعنى في أحسن صورة، وجعل المتلقي يقتنع به اقتناعا يصرف كل احتمال للاضطراب، ويتقبله، فيظل أبقى في عقله ونفسه، وفي ذلك ربط كبير بين الاستبدال والاستدلال.

ولعل مزية الصورة - بوصفها تجسيدا للمعاني يجعلها مرئية مشاهدة - أن يكون حضورها في ذهن المتلقي أقوى ووقعها عليه أشد، وأثرها فيه أعمق، إذ إن الحقيقة المجردة عن التخييل لا تأخذ من نفس السامع مأخذا ولا تترك في قلبه أثرا، لأنها تظل عارية غير مؤثرة، حتى تكتسي برودا من التخييل فتشبيه، تمتلك المسامع وتجتلب القلوب(المنفلوطي، 1990: 188).

من ذلك ما جاء على لسان الجرجاني، بقوله: "لو أن رجلاً أراد أن يضرب لك مثلا في تنافي شيئين، فقال: هذا وذاك هل يجتمعان؟ وأشار إلى ماء ونار؛ وجدت لتمثيله من التأثير ما لا تجده إذا أخبرك بالقول: هل يجتمع الماء والنار؟ وذلك الذي تفعل المشاهدة من التحريك للنفس، والذي يجب بها من تمكن المعنى في القلب إذا كانت مستفادةً من العيان ومتصرفة، حيث تتصرف العيانُ "(الجرجاني، 1983، ينظر: 106) وأضاف الجرجاني يشرح أسباب تأثير التمثيل في النفس أن أول ذلك وأظهره أن أنسن التقوي موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي وتأتيها تصريح بعد مكني وأن تردها إلى شيء في بأنه أعلم وثقتها به في المعرفة أحكم... لأن العلم المستفاد من طريق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام... وكما قالوا: "ليس الخبر كالمعاينة و"لا الظن كاليقين".

• مراوغة التراكيب التخييلية وتحقق الجمال:

جعل عبد القاهر انتخاب القوالب اللغوية التي تحمل صورة // خيالا مما يعد جزءا من نظريته عن التخييل، ودوره في تحديد الدلالة، فأدرك أن كل قالب لغوي يحمل دلالة خيالية خاصة، فعنى باختيار الصيغة عناية حسنة، لاسيما

الفروق بين الاسم والفعل، وكان حديثه ضمن موضوع (الفروق في الخبر)، حيث بين الفرق بين الخبر إذا كان اسماً أو فعلا، أو صفة مشبهة

وليس معنى هذا أن تتطابق آلية المحاكاة بالتخييل مع الموضوع الأصلي لمؤلف النص/ فالمتلقي - في تخيله -لا يرى المعنى الأصلي ذاته، أو يحاكيه كما هو: وإنما يراه من نسق خاص، باعتماد المعرفة على الحقيقة والجمال، وتجسد ذلك في هيئة (تخييل) بصرية أو ذهنية، تتمتع بسمة المراوغة، وليس شرطا أن نجعل التخييل سببا كليا ومباشرا في قياس مدى قدرة طاقة التلقي على استيعاب القصد المرام، إذ يجوز للموضوع الأصلي وانموذج المحاكاة التخييلية أن يتوافقا، أو يتشابها، أو يتكاملا، أو يتطابقا، لذا تبع عبد القاهر المنهج المنطقي والقياس المتعقل.

وتقوم قوة الاستعارة على أنها توفر امتدادا دلاليا للمعاني، وتصنع صورة أخرى للمعنى، صورة تعرض جزء متحركا من أجزاء المعنى، تلك هي الاستعارة المفيدة عند عبد القاهر، يقول: "اعلم أن الاستعارة - في الحقيقة - في هذا الضرب دون الأول - يقصد الاستعارة غير المفيدة - هي: أمد ميداناً، وأشد اقتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسنا وإحساناً، وأوسع سمة، وأبعد غورا، وأذهب نجدا في الفصاحة وغورا، من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروها، نعم وأسحر سحرا، وأملأ بكل ما يملأ صدرا؛ ويمتع عقلا، ويونس نفساً، ويوقر أنساً، وأهدى إلى أن تعدى إليك عذارى قد تخير لها الجمال، وعنى بها الكمال، وأن تخرج لك من بحرها جواهر إن باهتها الجواهر مدت في الشرف والفضيلة بأنها لا يقصر، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسن لا تنكر"(الجرجاني، 1983: 103).

وتتجلى صلة التخييل بالاستعارة في فكر تراكيب عبد القاهر الجرجاني في أنها تستحضر صورة المعاني، على سبيل التشخيص أو التجسيم؛ فتصور المعاني المجردة في صورة حسية، وقد جعل عبد القاهر التخييل جزءًا أصيلا من تمام المعنى، كأنه يوازن بين هذا المعنى وقولهم: الإعراب شطر المعنى، فيكون -

عندهـ التخييل شطر المعنى، ومن أدوات الثبات والتمام له، وهو أي: التخييل، محقق لقاعدة التمام الدلالي لكلا المعنيين، الحقيقي والتخييلي، ومن المفيد التأكيد على أننا نتكلم بالنفس والفكر، لا بالكلمات، ويمكننا القول إن التراكيب اللغوية صيغ لفظية تحمل إيحاءً خياليا، ويفهم من كلام عبد القاهر في الأسرار عن أقسام التخييل أنه يؤكد على أن المعنى المراد من وراء القوالب اللغوية والإشارية حلم، يعمد فيه المؤلف إلى صياغة معطيات منتحبة والتأليف فيما بينها ولترسم معنى، جسدته الصورة، التي صاغها التخييل.

ولكن الصورة التي يبرمها التخييل شعور لا يخالف العقل، ولا يُجافى الفكر، بيد أن هناك نوعين من التخييلات، خيال التعقل، والتخييلات الباطلة، وليس من شك في أن خيالات الواقع هي التي تجعل الكلام والقصد منطبقا مع الواقع(الزهاوي، 1973م، ينظر: 3).

وكأن تراكيب// آلية// تصرف التخييل عمل ابتكاري، لا يقوم على استعارة صور المحسوسات فحسب؛ وإنما تقوم بالتأليف بينها، وتعيد تشكيلها في تركيبات مختلفة، يتفق - في بعضها- أن تكون مخالفة للمحسوس، وهي القوة النفسية الفاعلة في عمليات تحقيق التوازن بين الأصل والمحاكاة(رافع، 2011، ينظر: 46).

لذا يسهم التخييل في فكر عبد القاهر في تصوير المعاني، في صورة حسية، من شأنه أن يزيد في إثبات المعاني التي يراد تقديمها، من خلال الصورة والمبالغة في توكيدها، عبر طاقات تأثيرية هائلة، ذلك أن التخييل الذي تحدثه الصورة في مخيلة المتلقي عن طريق التشخيص أقدر على إحداث الاستجابة المناسبة(أبو العدوس، 1997م، ينظر: 241). فيمنح التخييل في تراكيب عبد القاهر المعاني قوة، حين يوفر للمتلقي صدقا في الخبر، وهو في حالة التخيل، وقد مثل لهذا الرأي، بقول مسلم بن الوليد:

الشيب كره وكره أن يفارقني=أعجب بشيءٍ على البغضاء مودود

فهو من حيث الظاهر صدق وحقيقة، لأن الإنسان لا يعجبه أن يدركه الشيب، فإذا هو أدركه كره أن يفارقه، فتراه - لذلك - ينكره ويكرهه، على إرادته أن يدوم له وإلا أنك إذا رجعت إلى التحقيق كانت الكراهة والبغضاء لاحقة للشيب على الحقيقة، فأما كونه مرادا ومودوداً فمتخيل فيه، وليس الحق والصدق، بل المودود الحياة والبقاء(الجرجاني، 1983، ينظر: 296).

يضمن كلام عبد القاهر إشارة إلى التخييل المخادع، الذي يقوم على عقد صلة بين الحقيقة والتخييل// الصورة، يقوم فيه المتلقي - حسب كلام عبد القاهر - بإدراك القصد عن طريق القياس الخادع، ليوازن بين الصورة الحقيقية، والأخرى التخييلية للمعاني، وعرض ذلك على المرجعيات العقلية والنفسية.

ويلازم الإيحاء والرمز والإشارة، والإيماء التصريح في تراكيب التخييل عند عبد القاهر، في علاقة تكاملية متكافئة، في غلبة السلطة القصد المضمن في فعل القول، إذ الأمر أنه كلما قلت العبارة اتسعت دائرة الصورة، في عرض المعاني، فتغدو الصورة التخييلية من وسائل التعبير، وتُعين الدوال الملفوظة في حمل المدلولات السطحية أو العميقة، فتعين المتلقي على كشف المعاني(كيليطو، 2982، ينظر: 64).

ونجد أن هذا الأساس متجذر في فكر عبد القاهر، وحاضر في نظريته التقعيدية، حيث أدرك أن للرمز والإيحاء دورا في عرض التفاصيل الدقيقة للمعاني، يقول: "إذا تأملت كلام الأولين، الذين علموا الناس وجدت العبارة فيه أكثر من الإشارة، والتصريح أغلب من التلويح، والأمر في علم الفصاحة بالضد من هذا، فإنك إذا قرأت ما قاله العلماء فيه.

وجدت جله أو كله رمزا ووحيا وكناية وتعريضا، وإيماء إلى الغرض من وجه لا يفطن إليه إلا من غلغل الفكر، وأدق النظر، ومن يرجع من طبعه إلى المعية يقوي معها على الغامض، ويصل بها إلى الخفي، حتى كان بسلا حراما أن

تنجلى معانيهم سافرة الأوجه، وحتى كأن الإفصاح بها حرام، وذكرها على سبيل الكناية والتعريض غير سائغ"(الجرجاني، 1984: 407).

يؤكد عبد القاهر أن التخييل كلما كان موغلا في الغرابة، كان موغلا في تجسيد الصورة، ويجاوز هذا النمط من التخييل حد العقل، وحد البحث عن صدقه أو كذبه، كما يجاوز حد الأعراف اللغوية ومنطقية الترتيب، إنه ذلك التخييل المركب، الذي يلامس النفس، ويدفعها إلى الاهتزاز والطرب.

إن التخييل القائم على الغرابة تعوزه الدقة والبصيرة، والتأمل والمراجعة، يقول عبد القاهر معلقا على البيت السابق: "ثم راجع فكرتك، واشحذ بصيرتك، وأحسن التأمل، ودع عنك التجوز في الرأي، ثم انظر: هل تجد لاستحسانهم وحمدهم وثنائهم ومدحهم منصرفا إلا إلى استعارة وقعت موقعها، وأصابت غرضها، أو حسن ترتيب، تكامل معه البيان، حتى وصل المعنى إلى القلب، مع وصول اللفظ إلى السمع، واستقر في الفهم، مع وقوع العبارة في الأذن.

ثم يبرز رغبته في القول بأن الشاعر حقق جمالية للتراكيب من خلال التخييل وصورته، التي عبرت عن المعنى بصورة حسية، يقول: "لفظة من ألفاظها... من الذهب تراها بصحبة الجواهر لها في القلادة، واكتنافها لها في عنق الغادة، وصلتها بريق حمرتها، والتهاب جوهرها، بأنوار تلك الدور التي تجاورها... تزداد جمالا في العين، ولطف موقع من حقيقة الزين... وإن كان لا يبعد أن يتخيله من لا يمعن النظر، ولا يتم التدبر"(الجرجاني، 1983: 87- 89).

فالمعنى الذي صيغ البيت لأجله لا يتعدى قولك: أخذنا تتناوب الأحاديث، والإبل تسير مسرعة في الأباطح، ويبدو أنه معنى مبتذل، وحديث لا يختص به عابر سبيل دون آخر، ولولا أن الشاعر قد أورده في هذه الصورة، التي خيلت إليك بطاحا تتدفق بسيل من ناق الإبل والمطايا، لم ينل عندك من الخطوة والاستحسان(الجرجاني، 1984، ينظر: 36).

ينظر عبد القاهر إلى تركيب التخييل، بوصفه سببا من أسباب التماسك بين عناصر النص الواحد فقد كانت فكرة الانسجام النصي واضحة في ذهن عبد القاهر الجرجاني وضوحا متميزاً.

وقد جاءت صيغة المضارع في نص في دلائل الإعجاز العبد القاهر الجرجاني، لتدل على استقصاء الشيء واستظهاره، إذ يقول: "كما ينص الشيء ويعين ويكشف عن وجهه ويبين"

فقد تابع الزمخشري الفكرة ذاتها، بل إنه يضفي على هذا النمط العالي من الكلام أثرا جماليا، يعتمد على الذوق الصادق، والحس المرهف في القراءة؛ أو الإنتاج، أو التخييل، يقول في قوله - تعالى: "وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرَّ السحاب، صنع الله الذي أتقن كل شيء"(الزمخشري، 2010: 3/ 304).

إذ يشير إلى تحقق التماسك النصي في هذا النص، وهو تماسك قائم على حسن التأليف، ومنطقية الترتيب، كأنه أفرغ في قالب واحد، ويدلل على ذلك ببلاغة الخطاب القرآني في استخدام المصادر، كقوله - تعالى: "مر". أو صنع "، فيقول: ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام: جاء كالشاهد بصحته، والمنادي على مداده، وأنه ما ينبغي أن يكون إلا كما قد كان، ألا ترى إلى قوله: "صنع الله". بعدما وكله بإضافته إليه بسمة التعظيم، كيف تلاها بقوله: "الذي أتقن كل شيء" [النمل:88]

و قد جعله السيوطي (ت 911هـ) سببا صريحا في إتمام الإفادة للمعنى: بقراءته اللفظية والمعنوية، حيث قال: "لأن الغرض من النص الاستقلال بإفادة المعنى على قطع؛ مع انحسام جهات التأويل والاحتمال، مع القرائن الحالية والمقالية" (السيوطي: 2/ 31).

تلك الفكرة سبق إليها الزمخشري (ت 538هـ)؛ حين نظر إلى النص نظرة شاملة، تستهدف الخروج من دائرة الجملة الضيقة: إلى رحاب الفيوضات الدلالية والاتساع؛ فقد كان - بعد الدراسة التحليلية للجمل، وبعد بيان ترتيب معانيها وتناسقها - ينظر إلى الدلالات نظرة أوسع، يصف النص، أو يشير إلى

بعض الظواهر الفنية في الأسلوب؛ ويراها في مكامن القوة والتأثير(أبو موسى: 13). من ذلك قوله - معلقا على قوله - تعالى: "يوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء الله وكل أتوه داخرين، وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر من السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون. من جاء بالحسنة فله خير منها. وهم من فزع يومئذٍ آمنون. ومن جاء بالسيئة فكيت وجوههم إلى النار". [النمل87-90]

ليس من شك في أن التخييل يؤدى دورا بارزا في صنع الصور التشبيهية؛ مع إمكانية حمل المفاجآت ذهنية، أو نفسية، يعمد إليها المؤلف، بما يثير دهشة المتلقي، ويستحوذ على إعجابه، وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني، بقوله: "لأن الصنعة إنما تمد باعها، وينشر شعاعها، وهنا يجد الشاعر سبيلا إلى أن يبدع ويزيد. ويبدئ في اختراع الصورة ويعيد، ويصادف مضطربا كيف شاء واسعا، ومددا من المعاني متتابعاً"(الجرجاني، 1983: 343).

إن التراكيب اللغوية والإشارية - لاسيما الجملة الشعرية - تعتمد على التخييل، أو كما قال الرافعي: "إن التخييل هو روح الشعر"(الرافعي، 2019: 3/ 734). والكلام السالف الذكر يشير إلى أن التخييل يقوم على صياغة جمالية وواقعية المعطيات مقصودة فكرية أو نفسية، يقوم مؤلف النص من خلالها بإحداث إيحاء ما، بشرط أن يفهم أن الصياغة التخييلية - بوصفها صفة تتحرك منطلقة من الفكر أساسا، وبوصفها صياغة لا تخضع الأهواء الانفعال الفردي، كذلك إنها إضافة لا تغير الحقيقة، أو تعارضها، بل على العكس، فهي تتجاور معها في قرآن شعوري، يصبح الإدراك فيه من شعور النفس بالحقيقة إلى جانب التخييل(بطي، 2019، ينظر: 198).

ولعل مزية الصورة - بوصفها تجسيدا للمعاني يجعلها مرئية لمشاهدة - أن يكون حضورها في ذهن المتلقي أقوى ووقعها عليه أشد، وأثرها فيه أعمق. إذ إن الحقيقة المجردة عن التخييل لا تأخذ من نفس السامع مأخذاً ولا تترك في قلبه

أثراً لأنها تظل عارية غير مؤثرة، حتى تكتسي برودا من التخييل، فتمتلك المسامع وتجتلب القلوب(المنفلوطي، 1990: 188)

من ذلك ما جاء على لسان الجرجاني، بقوله: "لو أن رجلاً أراد أن يضرب لك مثلا في تنافي شيئين، فقال: هذا وذاك هل يجتمعان؟ وأشار إلى ماء ونار؛ وجدت لتمثيله من التأثير ما لا تحده إذا أخبرك بالقول: هل يجتمع الماء والنار؟ وذلك الذي تفعل المشاهدة من التحريك للنفس، والذي يجب بها من تمكن المعنى في القلب إذا كانت مستفادة من العيان ومتصرفة، حيث تتصرف العيان"(الجرجاني، 1983: 106)، وأضاف الجرجاني يشرح أسباب تأثير التمثيل في النفس أن أول ذلك وأظهره أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي وتليها بصريح بعد مكني وأن تردها إلى شيء هي بأنه أعلم وثقتها به في المعرفة أحكم... لأن العلم المستفاد من طريق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة بفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام.. وكما قالوا: ليس الخبر كالمعاينة و"لا الظن كاليقين".

وقد جعل عبد القاهر انتخاب القوالب اللغوية التي تحمل صورة (خيالا) مما يعد جزءا من نظريته عن التخييل، ودوره في تحديد الدلالة، فأدرك أن كل قالب لغوي يحمل دلالة خيالية خاصة، فعني باختيار الصيغة عناية حسنة، لاسيما الفروق بين الاسم والفعل، وكان حديثه ضمن موضوع (الفروق في الخبر)، حيث بين الفرق بين الخبر إذا كان اسماً أو فعلا، أو صفة مشبهة.

وليس معنى هذا أن تتطابق آلية المحاكاة بالتخييل مع الموضوع الأصلي لمؤلف النص، فالمتلقي - في تخيله - لا يرى المعنى الأصلي ذاته، أو يحاكيه كما هو؛ وإنما يراه من نسق خاص باعتماد المعرفة على الحقيقة والجمال، وتجسد ذلك في هيئة (تخييل) بصرية أو ذهنية، تتمتع بسمة المراوغة، وليس شرطا أن نجعل التخييل سبباً كليا ومباشرا في قياس مدى قدرة طاقة المتلقي على استيعاب القصد المراد، إذ يجوز للموضوع الأصلي ونموذج المحاكاة التخييلية أن يتوافقا، أو يتشابها، أو يتكاملا، أو يتطابقا.

يقول عبد القاهر: "فإذا قلت: "زيد منطلق، فقد وضعت كلامك لإثبات الانطلاق لزيد، فعلا له، من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئا فشيئا، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: "زيد طويل"، و"عمر قصير" فكما لا تقصد هنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط، وتقضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك: "زيد منطلق" لأكثر من إثباته لزيد(الجرجاني، 1983، ينظر: 340) (الجرجاني، 1984، ينظر: 173- 198)، ولكن الصورة التي يبرمها التخييل شعور لا يخالف العقل، ولا يجافى الفكر، بيد أن هناك نوعين من التخييلات خيال التعقل، والتخييلات الباطلة، وليس من شك في أن خيالات الواقع هي التي تجعل الكلام والقصد منطبقا مع الواقع(الزهاوي، 1973م: 3).

ومن الأسس التي أقام عليها عبد القاهر الجرجاني نظريته في التخييل أن المعنى المتخيل خارج عن النظام اللغوي ومنطقية العقل، وهو معتمد على الهيئة أو الصورة التعبيرية، لا يمكن بحال أن يخضع في دلالته المقصودة إلى أعراف المجتمع، أو التفسيرات المألوفة لدى ملتق ما، أو جماعة لغوية معينة، وهو - مع ذلك - طريف، غريب، مفاجئ، غير مألوف، معتمد على الخواطر والأفكار.

وفي هذا الصدد يقول عبد القاهر الجرجاني: "وكذا قول النبي - صل الله عليه وسلم -: "إياكم وخضراء الدمن"(المجلسي، 1404، 20/ 22)، معلوم أن ليس القصد إثبات معنى ظاهر اللفظين، ولكن الشبه الحاصل من مجموعهما، وذلك حسن الظاهر مع خبث الأصل(الجرجاني، 1983، ينظر: 302).

ويقوم المعنى التخييلي على آلية التعريض والتأمل، لذا فهو يحتاج إلى فكر ورؤية، يقول: "واعلم أني لست أقول إن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة أصلاً "(الجرجاني، 1984: 410).

يؤسس عبد القاهر بهذا الطرح تراكيب حجاجية، ترتكز على خيال الإقناع(أبو زيد: 46-47)، بأن يستثمر المتلقي هذا التخييل في الاستدلال

المنطقي على القصد، وكأن التخييل محاور ضمنيا، يتخذ من الصورة سبيلا في عرض الفكرة وإبراز دقائقها، التي قد لا تنجح القوالب اللغوية المجردة في حملها. لذا جاء البناء الحجاجي عند الجرجاني قائما على تأكيد القصد بما يمكن أن نطلق عليه: خيال الحجة.

ويرى عبد القاهر أن التخييل - وحده - ليس بالأداة الكافية في عرض القصد، إنما هو معين للقوالب والسياقات، إلا أن التخييل عنده يصلح لأن يكون ممهداً دلالياً، أو سلماً متدرجاً، يعين من نقص القوالب اللغوية والسياقية في عرض المقاصد، فأحياناً نراه يستعمل أفعالا من شاكلة: محتل، فظننته، وضربوا له المثل.

ويقال إجمالاً: إن استثمار عبد القاهر لآلية التراكيب التخييلية في مشروعه الحجاجي، وحرصه على تحقيق جمالية التلقي قد جاءت منطلقة من الشك، والاحتمال الدلالي المتواتر، وأنه متى ما غمض المعنى، استدل عليه بالحجة والبرهان، وكأن التراكيب التخييلية قد قدمت مقومات الفحص والبحث لبعض تفاصيل المقاصد. وقد بدا في معرض حديثه عن أبنية التراكيب التخييلية أنه يدفع طاقة التلقي إلى الانتفاع من تصرف التخييل إلى تحقق الاقتناع والجمال.

الخاتمة، وقد تضمنت أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

- استنتج عبد القاهر الجرجاني نظريته عن التراكيب التخييلية من الأشعار التي استشهد بها بوصفها مرجعا لقيه العرب والنقاد بالقبول، وأنه قد حصر نظريته التخييلية في بعض ما قالت العرب، ولو أنّه استرسل في تتبعها وتقصيها لأمكنه التوصل إلى قواعد أخرى لتراكيب التخييل في فكره.

- وتراكيب التخييل - عند عبد القاهر - تراكيب ممتدة امتداد النتاج الأدبي، لذا لم يضع عبد القاهر التراكيب التخييلية قوالب أو قوانين تصب فيها، فاستخدم عبارة: شبه القوانين، ولم يستطع وضع حدود فاصلة بين أنواع التخييل، إذ هو

مـدرك لجمودهـا، لإيمانـه بـأن أطـر التخييـل تتغيـر بتغيـر الـذوات والأشـخاص، والأنفس والسياقات في المنتج الكلامي.

وإن ما صنعه عبد القاهر في الأسرار والدلائل كان على سبيل الاستشهاد على وجود أصول تضبط قصدية التخييل، فاتحا الباب أمام فيوض كثيرة ومتنوعة وظفهـا بعـده الزمخشـري، بعـد أن اسـتوعبها جيـدا، فأضـاف عليهـا ملامـح آخـر، وعمد إلى توفير بيئة إقناعية للمتلقي، من خلال ربطه بين التقعيد والتطبيق.

- بدا عبد القاهر - في كتابيه الأسرار والدلائل - راغبا في ضبط الأشياء وإجرائهـا علـى أنسـاق وقـوانين ثابتـة، فـلا يلائمـه تمـرد التحييـل علـى المسـتوى التطبيقـي (التـوظيفي) علـى إطـلاق المصـطلح وآليـات التطبيـق، فيجعـل التخييـل منضـبطا بالقواعـد والقـوانين، لـذلك أطلـق مـا أسـماه: شـبه القوانين(الجرجـاني، 1983، ينظر: 394) للتخييـل؛ حتى يهتدى بهـا إلى التوضيح والتفصيل وهـذا ما وظفه خلفه الزمخشري (ت 538هـ) في تعرضه لتفسير آيات كتاب الله الكريم.

- تقوم قدرة التراكيب التخييلية على إنجاز فكرة التحاجج والإقناع عند - عبد القاهر الجرجاني -

على مفهوم الادعاء بأن طاقة التلقي متوقفة على حركة المعاني والدلالات والأبعاد السياقية، السابقة، والموازية، وليست حركة الألفاظ، وهي ليست صورة جمالية فحسب، بقدر ما هي طريقة لتأكيد الإثبات الذي يقوم على الادعاء.

- استحضر طاقة التلقي إلى رحاب ما وراء الصياغة، انظر إليه يقول: "هذا ما أردت أن أبينـه لك"(الجرجـاني، 1984: 41)، فقـد اسـتخدم كـاف الخطـاب وتـاء التكلم ليشير إلى ذات افتراضية متخيلة في حد ذاتها، وقد جسد لها عبد القاهر فكر ورؤية، ولولا إدراكه دور التخيل في توجيه العقل نحو المقاصد لاكتفى بأن يقول: هذا ما أردت أن أبينه؛ بيد أنه أراد أن يشارك في التصور لكامل المقصد.

- جعل عبد القاهر من التراكيب التخييلية سبيلا للكشف عن القصد وإبانته، وأن التخييل دليل على ما يدعيه مؤلف النص من دلالات جزئية، تمهد لأخرىٰ كلية.

- أشار إلى أن التراكيب التخييلية توفر إقناعاً بصرياً، وعلاقات حجاجية، يقول عبد القاهر: "وأن يكون غابة ما لصاحبك منك أن تحيله على نفسه، وتقول: قد نظرت فرأيت فضلاً ومزية، وصادفت لذلك أريحية، فانظر لتعرف؛ كما عرفت، وراجع نفسك واسبر، ودق، لتجد مثل الذي وجدت؛ فإن عرفت فذاك، وإلا فبينكما التناكر، تنسبه إلى سوء التأمل، وينسبك إلى فساد في التخيل"(الجرجاني، 1984: 41- 42).

- احتفىٰ صاحب تراكيب النظم بالتراكيب التخييلية، حين أقام قصديته من مفهوم الادعاء بأنه قائم بين طرفين: أحدهما الأصل والآخر هو العارض وفيلجأ المدعي إلى التلاعب بمعانيه ودلالاته وتوظيفها على النحو الذي يخدم طبيعة توجيه خطابه ليعمل على إقناع مخاطبه واستمالته، هي الية لإثبات رأي المخاطب، والعمل على إقناع المتلقي، حيث إنه يأخذ المقاصد إلى النفس، ويصل به إلى أناسي العيون وحبات القلوب(الجرجاني، 1984: 42).

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

• أبو موسى، (محمد محمد)، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة.

• إبرير، (بشير)، 2005م، من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة التواصل، العدد: 14، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.

• ابن المعتز، ديوان ابن المعتز، د.ت، دار صادر، بيروت.

• ابن جني، (أبو الفتح عثمان)، 2000م، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

• أبو العدوس، (يوسف) 1997م، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، الأبعاد المعرفية والجمالية، منشورات الأهلية، عمان، الأردن.
• أبو تمَّام، ديوان أبي تمَّام.
• أبو زيد، (أحمد) الاستعارة عند المتكلمين، مجلة المناظرة.
• الباقلاني، (أبو بكر)، 2009م، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة.
• الجرجاني، (عبد القاهر المتوفى 471 هجرية)، 1984م، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، (د. ط)، مكتبة الخانجي، ومطبعة المنتدى، القاهرة.
• الجرجاني، (عبد القاهر)، 1982م، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق الدكتور: كاظم بحر المرجان، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، سلسة كتب التراث، رقم: 115، دار الرشيد للنشر.
• الجرجاني، (عبد القاهر)، 1983م، أسرار البلاغة، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، (د. ط)، مكتبة الإيمان المنصورة، (د.ت) وتحقيق محمود شاكر، دار المدني جدة، 1991م، وتحقيق ريتر، دار المسيرة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة.
• الرافعي، (مصطفى صادق)، 2019م، وحي القلم، (د. ط)، مكتبة عصير الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة.
• الزمخشري، (جار الله)، من دون تاريخ، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ط 1.
• الزمخشري، (جار الله)، 2010م، الكشاف، شرح: يوسف الحمادي، مكتبة مصر، القاهرة، ط 1.
• الزهاوي، (جميل صدقي)، 1973م، ديوان الزهاوي، بيروت، (د. ط).
• السامرائي، (فاضل صالح)، 2021م، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، ط 2.

• السيوطي، (جلال الدين)، (د. ت)، الإتقان في علوم القرآن، وبالهامش: إعجاز القرآن، للقاضي أبي بكر الباقلاني، (د. ط)، دار نهر النيل.

• القيرواني، (ابن رشيق)، 2009م، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الطلائع، مصر.

• المجلسي، (محمد باقر)، 1404هـ، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، دار الكتب الإسلاميّة، ط2.

• المنفلوطي، (مصطفى لطفي)، 1990م، النظرات، (د. ط)، دار المعارف، القاهرة.

• بطى، (روفائيل)، 2019م، سحر الشعر، المكتبة العصرية، بغداد، (د. ط).

• حمدي، (محيي الدين)، 1998م، التخييل عند عبد القاهر الجرجاني، دار المنظومة، ضمن أعمال ندوة عبد القاهر الجرجاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، تونس.

• رابح، (بوحوش)، 2006م، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم عناية الجزائر.

• رافع، (ماهر)، 2011م، جمهورية أفلاطون (المدينة الفاضلة)، العالمية للكتب والنشر، بيروت، لبنان.

• سماح، (سهام ونوال سماح)، الأسلوب الحجاجي في القرآن الكريم- سورة الكهف أنموذجاً.

• سيبويه، (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، 1983م، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2.

• صولة، (عبد الله)، 2007م، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.

• عبد الحميد، (أحمد)، 2020م، دراسة الخطاب الحجاجي في منظور الجدل التداولي، مجلة عالم الفكر، العدد 182 أبريل/ يوليو، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

• عبد الوهاب، (عبد الرحمن بهاء الدين)، 1408هـ، دراسة في معنى الاستثناء وأسلوب الاستثناء المنقطع، مجلة التوباد الجمعية السعودية للثقافة والفنون، مج 1، العدد: 4 شوال.

• عصفور، (جابر)، 2009م، النقد الأدبي (قراءة التراث النقدي)، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1.

• عيد، (صلاح)، 1993م، التخييل نظرية الشعر العربي، مكتبة الآداب- القاهرة، مصر.

• كيليطو، (عبد الفتاح)، 1982م، الدلالة الشمسية للمجاز عند عبد القاهر في الأدب والغرابة، بيروت.

• مطلوب، (أحمد)، 1964م، البلاغة عند السكاكي، مكتبة النهضة، بغداد، (د. ط).

• النهاري، (صالح على محمد)، 2014م، من مظاهر الإبداع اللغوي عند علماء العربية القدامى، كتاب المؤتمر الدولي الثاني لكلية الآداب، جامعة أسيوط.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

-(Lakoff) G. and Turner1988, More than Cool Reason: A fieled Guid to Poetic Metaphor; the University of Chicago Press; Chicago and London;; P 60

-(Walzer) Richard, 1970, Greek Into Arabic. Univ. of South Carolina Press..pp 235-252.

منامات الوهراني (ت 575هـ) من منظور تداولي: رسالة المنام الكبير مثالاً

م.د. لمى شمخي جابر
قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ذي قار
dr.luma.s.jabber@utq.edu.iq

الملخص

يعد أدب الرحلات حقلاً مائزاً في الأعمال الأدبية على امتداد تاريخ الفنون والآداب، وتشكّل روايات الرحلة إلى عوالم الغيب نمطاً خلّاقاً في هذا الحقل الابداعي. ولجماليات الخطاب السردي في الأدب العربي القديم وتفرده عند الشيخ ركن الدين محمد بن محرز الوهراني، ولاسيّما بصمته الأدبية " رسالة المنام الكبير " وبنيتها الثرية في القضايا التداولية في عملية التواصل وانتاج الدلالة سعت هذه الورقة البحثية إلى الاستضاءة بالمنهج التداولي وجوانبه المختلفة لقراءة المتن السردي للوهراني وكشف ما فيها من استعمالات اللغة في المقامات المتنوعة، ومن ثم اصطفى البحث عنوانه الموسوم " منامات الوهراني (ت5757هـ) من منظور تداولي رسالة المنام الكبير مثالاً " والعينة المنتقاة عولجت تداولياً في ثلاثة محاور هي: أولاً -الأفعال الكلامية والانجازية ثانياً- الاستلزام الحواري ثالثاُ-الحجاج، وتلت هذه المحاور أبرز نتائج البحث ومحصلته ثم ملخصاً باللغة الانكَليزية للبحث، أعقبه هوامش البحث ومصادره ومراجعه.

الكلمات المفتاحية: المنامات، الحكايات، الوهراني، التداولية

Manamat Al-Wahrani (-575) from a Pragmatic Perspective (Risalat Al Manam Al Kabeer)as an Example

Dr.Lama Shamkhi Jaber
dr.luma.s.jabber@utq.edu.iq
Department of Arabic Language/ College ofEducation for Human Sciences Thi-QarUniversity

Abstract
Travel literature is a special field in literary works throughout the history of arts and literature, the travel stories to the worlds of the unseen constitute a artistic pattern in this creative field. The narrative discourse in ancient Arab literature is characterized by aesthetics, especially with Sheikh Rokan al-Din Muhammad bin Muhriz Al Wahrani, and his uniqueness in his linguistic structure in terms of the richness of his linguistic circulation and in terms of the communication process and the production of of semanence.
Therefore, this research sought to be enlightented with the pragmatic method and its various fields in reading the Al-Wahrani narrative, specifically his literary imprint "Al Mannam Al Kabeer", by describing pragmatics as an approach to investing in the uses of language in the different maqams, this is from which the study was inspired.
The selected sample was tackled pragmatically in three concepts , which are
1-Speech Acts
2-Conversational Implicature
3-Argumentation
The study ended with the most prominent results, followed by footnotes and the list of references.

Keywords: Dream Narratives, Folk Tales, Al-Wahrani, Pragmatics.

المقدمة

نهضت المدونة السردية في الموروث البشري بوظائف مختلفة منها تعرية انحرافات العصر، وتفسير أفكار المجتمع وأفعالهم وفقاً لسياق تاريخي خاص، ومن أجل ذلك فإنَّ هذا البحث ينم الاستضاءة بالمنهج التداولي في مقاربة الخطاب السردي عند الوهراني، ومن هنا أتى البحث موسوماً " منامات الوهراني (ت575هـ) من منظور تداولي رسالة المنام الكبير مثالاً " وكيف أُستُثمِرَت تشكيلات اللغة في السياقات المتباينة في المقام التواصلي الذي يتكلم فيه مستعمل اللغة.

وتكمن أهمية البحث هذا في معالجة رسالة المنام الكبير للوهراني بأدوات تداولية ومعاينة مجالاتها في بناء العملية التبليغية والتفاعلية بوساطة السلسلة الكلامية، وكذلك الكشف عن مزية الاستعمال غير المباشر للإخبار الصريح والبسيط. من الدراسات التي يممت رسائل الوهراني هي:

(1)منامات ركن الدين بن محرز الوهراني: من القالب السائد إلى السرد المختلف، مداني زيقم، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الشريف مساعديه، سوق أهرأس، الجزائر، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، المجلد 28، العدد 11، 2020(2)منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، دراسة سيميائية، زينب عذافة طعمة المالكي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2017، أطروحة دكتوراه.

(3)مقامات ومنامات الوهراني بين التأصيل والتفاعل، ضيف الله الصافي، معرفة، المجلد 24، العدد 2، 31 ديسمبر/ كانون الأول 2022

(4)تشكلات السرد في منامات الوهراني ومقاماته، مقاربة سيميائية، بلجرمة يوسف، إشراف أ.د مزاري عبد القادر، كلية الأدب العربي والفنون، جامعة عبدالحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، 2020/ 2021

أما هيكيلية البحث فاقتضت طبيعة المنام الكبير وحيثيات تكوينه اللغوي تقسيم الدراسة على ثلاثة محاور هي: أولاً-الأفعال الكلامية والانجازية ثانياً-الاستلزام الحواري ثالثاً-الحِجاج.

المحور الأول: الأفعال الكلاميّة والإنجازية

تمخضت عن جهود فلاسفة اللغة في دراسة النظام اللغوي والنسق التخاطبي وظيفة مستحدثة للغة تمثّلت في احداث تغييرات في عالمنا المادي والمعنوي بفعل ما تنتجه تلك الألفاظ والجمل من أفعال مؤَثِرة ومؤثَرة، ومن ثم تعد نظرية الفعل الكلامي أهم جوانب التحليل التداولي بل أنَّها النواة المركزية للأعمال التداولية(صحراوي، 2005)، إنَّ النصوص في نظر فلاسفة أكسفورد وغيرهم من التداوليين أفعالٌ كلامية تنجز في طبقات مقامية تهدف إلى وصف واقع أو تغييره(قيَّاس، 2009، ينظر: 192)، ومن التصنيفات الرئيسة للأفعال الكلامية هو تصنيف (سيرل) المطوّرة عن تصنيفات (جون أوستين) وفي ضوء ذلك فإنَّ تحليل أمثلة هذا المحور سيكون وفقاً لتقسيم (سيرل) وهي:

1-الأفعال الدّالة على الإخباريات، هي قسم في تصنيف سيرل للأفعال الكلامية، والغرض الانجازي فيها هو وصف المتكلم واقعة معينة بوساطة قضية معينة، وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم وشرط الاخلاص فيها يتمثّل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها (نحلة، 2011، ينظر: 51-52) من الاخباريات التي وردت في رسالة الوهراني قوله: "لقد فكر الخادم في ليلة وصول كتابه إليه في سوء رأيه فيه، وشدة حقده عليه وبقى طول ليلته متعجباً من مطالبته له بالأوتار الهزلية بعد الزمان الطويل، وامتنع عليه النوم لأجل هذا إلى هزيع من الليل"(الوهراني،

2011: 219). تبين لنا الأفعال الكلامية في هذا النص السردي رأي الوهراني بصاحب الرسالة وتكشف في الوقت ذاته عن قصدية الوهراني المتمثلة في السلوك العدواني الذي سوف يسلكه تجاه صديقه الحافظ جمال الدين الغُليمي رداً على رسالة سابقة منه يعاتب الوهراني فيها(الوهراني، 2011: 215). والأفعال الإخبارية تتجسد في "لقد فكر... في سوء رأيه فيه، وشدة حقده عليه، وبقى طول ليله متعجباً... وامتنع عليه النوم لأجل هذا إلى هزيع من الليل". إنَّ الغرض الانجازي لهذه الأفعال هو وصف سلسلة أفعال الاستجابة الصادرة منه والتي حفزّتها رسالة صديقه الحافظ العليمي، وتحيل هذه الاخباريات إلى ثنائية السماحة والفضاضة، إذ وظّف التضاد التأويلي في قضية أخلاق المجتمع ومفاسده، وكيف أن الحقد قد تعشعش في فكر صاحبه وفكره هو، ومن أجل ذلك يتعجب الوهراني من خُلُقِ صاحبه لـ"مطالبته له بالأوتار الهزلية بعد الزمن الطويل". ويستشف البحث من هذه الافعال الإخبارية حكماً واضحاً من الوهراني على شريحة اجتماعية يأتي الحافظ العليمي ممثّلاً لها. وهذا الخُلق السيء كان متداولاً في ذاك العصر، ومن أجل ذلك جاءت صياغة هذا المقطع السردي من المنام بصيغة الماضي، وعليه فإنَّ القصد التداولي التواصلي للمتكلم يتمحور حول تعرية هذه السلوكيات في المجتمع ومناهضاتها.

2-التوجيهيات، وغرضها الانجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة، ويدخل في صنف الأمر والنصح والاستعطاف والتشجيع" (نحلة، 2011، ينظر: 51-52). ومن النصوص التوجيهية هي قول الوهراني محاوراً العليمي "وقلتَ لي: يا عدو الله، ما كفاك أنَّك ما خاطبتني... فقلتُ لك: يا كافر القلب أما ترتدع؟ أما ترعوي؟... بالله عليك، اترك الرقاعة عنك في هذا الموقف، وهوّن عليك هذا الأمر واتركنا لما نحن فيه، فقلتَ لي: والله ما هو شيءٌ هين عليَّ فأهوّنه ولا أسامحك به ولا أفارقك حتى أدفعك إلى كمال الدين بن الشهرزوري"(الوهراني، 2011: 221-222) البنية التركيبية لهذا المقطع

من الحوارية تشكلّت من ثلاثة أساليب هي النداء في"يا عدو الله، يا كافر القلب " والاستفهام في "أما ترتدع؟ أما ترعوي؟" والأمر بـ"اترك الرقاعة عنك، اتركنا لما نحن فيه"

تستهل الجمل التوجيهية بتقانات النداء والاستفهام والأمر الصادرة من مخاطبين متساووين في رتبة السُلم الاجتماعي والتقسيم الطبقي وعناصر السياق من الباث والمستقبل والزمان والمكان والحدث، كلها في النسق نفسه. وعنيت الأفعال الكلامية بنسقين من السلوك والمعتقد، أولهما-نسق يعكس فيه الحافظ العليمي مثال الإنسان الجاهل والنمط الانتهازي المستغل للآخر بغض الطرف عن طبيعة السياق في انجاز العملية التواصلية. آخرهما- يستنبطن نسق الذكاء والعلم لشخصية الوهراني بتوظيف المبدأ البلاغي والنقدي في مطابقة الكلام لمقتضى الحال. هذان النسقان الأخلاقي واللاخلاقي تبرزان القصد التداولي من مجموعة الأفعال التوجيهية، وهما انحراف من دائرة المباشر إلى غير المباشر. والغرض منها مقارعة ثقافة الماديات من التشبث بالألقاب الاجتماعية، وتبجيل المقامات الدنيوية. أما الافعال الانجازية الضمنية المترشحة من هذه التوجيهيات فهي نصح العليمي والعطف عليه. وهذا النصح الضمني، وإنْ كان موجهاً لمتلقٍ حقيقي وشخص واحد، لكنه يمثّل في الحقيقة أي فرد يتلبس بهذا السلوك ويحيل في انتمائه إلى هذا الصنف من الناس وطبقاتهم. وتداولية هذا الحدث الكلامي تظهر لنا ثقافة الانشغال بالأمور الجانبية والمصالح الذاتية والمنافع الشخصية دون النظر إلى العواقب ومآل الانسان في حياته.

3-الإلتزاميات: وغرضها الإنجازي هو إلزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات وشرط الاخلاص هو القصد ويدخل فيها الوعد والوصية(أرمينكو: 68-69) وترى فرانسواز أرمينكو أن أوستين أنَّ الالتزاميات لا تكون نمطاً عالمياً لأفعال اللغة بل عدّها ردود فعل اتجاه أوامر(نحلة، 2011، ينظر: 104) ومن أمثلة الالتزاميات قول الأعور

البغدادي يصف راوياً مشاركاً: "فأما إذا قد سلمتم من ذلك فأنا أدلكم على من يسقيكم الماء من الحوض ولا يحوجكم إلى شيء من هذا الصداع الطويل أتبعوني أهديكم سبيل الرشاد "(الوهراني، 2011: 237)، ومن نماذج التعهد، وعيد أبي القاسم الأعور للوهراني وجماعته قائلاً: "ها أنا رايحٌ أهيج عليكم قبائل العراق، يا بقر الشام، ياشيعة الطاغوت ياعبيد الطلقاء، هذا الأنزع البطين بين أيديكم إلى أين تذهبون"(الوهراني، 2011: 241)، نرى في النصين وعدين في قول الأعور البغدادي الأول -"أنا أدلكم على من يسقيكم الماء من الحوض " الآخر -" انا رايح أهيج عليكم قبائل العراق " على الرغم من اطلاق المتكلمينِ وعديهما لكن سردية الوهراني لم تبين لنا التزام الفاعلينِ بالتنفيذ، وهذا الاخلاف في الوعد يحتمل أمرين: أما أن المتكلم غير قادر على ما يلزم نفسه به، أو إنّ نية المتكلم غير قائمة على القصد وتنفيذ الوعد، وفي الحالتين فإنَّ الدلالة الضمنية لفعلي الوعد هي فضح اخلاقيات هذين الشخصين وإزالة قناع النفاق عنهما؛ لأنَّ تنفيذ الوعد هو العامل الرئيس لتحقيق صدق القائل من كذبه، وفي ذلك جاء الوعدان مخالفين للمفهوم الذي حدده سيرل لهذا الصنف من الأفعال الكلامية.

4-التعبيريات: إنّ الغرض الانجازي لهذا الصنف هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيراً يتوفر فيه شرط الاخلاص وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات مطابقة للعالم، ولا العالم مطابقاً للكلمات، ويدخل فيه الشكر والتهنئة والاعتذار والمواساة(نحلة، 2011، ينظر: 52). من التعبيريات الواردة في منامات الوهراني وحكاياته قوله واصفاً نفسية ملك الموت: "ففرح بذلك عزرائيل، وقال: "ما أقدر لك اليوم على مكافأة إلاّ أنيّ أبشرك أنّك تعيش في الدنيا بعد المهذب عشر سنين، لكل دينار سنة فسُررتُ بذلك ورضيتُ به، وقمتث وأنا له من الشاكرين"(الوهراني، 2011: 23). نرى المرسل إليه قد عبّر عن شكره بمجموعة من العواطف ومنها السرور والشكر لملك الموت، وهذه السلوكيات تمثّل أساليب أدائية ايجابية للفعل الكلامي الإخباري "إبشرك أنّك تعيش في الدنيا بعد المهذب عشر سنين" وهذه الأفعال

التاثيرية عكست بوساطتها الرسالة حب الإنسان لطول العمر لكن سياق النص لا يظهر توفر الاخلاص الحقيقي. ومن نماذج التعبيريات، ومن نماذجها السخرية الوهراني من الحافظ العليمي قائلاً: "فقال لي عبدالواحد: ذكرتني بهذا القول، الساعة كان الحافظ العليمي يقلب عليك الأرض. فقلتُ له: وأين أجده؟ فقال: هذا هو واقف مع النبيه الموصلي يمسح أفخاذه من البول، فقلتُ له: وأي شيء أصاب التوينة المسكين؟ فقال إنَّه لما سمع انشقاق سماء الدنيا خري على ساقيه"(الوهراني، 2011: 221). إنَّ التنوع في التغبير سمة بارزة في رسالة الوهراني، ولا سيما السخرية فهو يسوق تهكمه بإسلوب فني جاعلا احدى شخصياته السردية وهو عبدالواحد روايا للمقطع الوصفي التهكمي وجيء بالفعليين الكلاميين بصيغة الاخبار "هذا هو واقف مع النبيه يمسح أفخاذه من البول" و"خري على ساقاته"، والملاحظ على الفعليين الكلاميين عدم استساغتهما اجتماعياً وانتهاكما للآداب العامة، وتصريح بيّن لخرق السلوك التربوي الاسلامي لسرديات القيامة ومنازلها. كما نرى انتفاء شرط الاخلاص في التعبير الوارد بصيغة الاستفهام الانكاري في "وأي شيء أصاب التوينة المسكين؟" وقوله: "التوينة معذور". إنَّ سؤال الوهراني وتبريره لفعل الحافظ العليمي لم يصدر من فاعل يعبر عن حالة نفسية صادقة تجاه العليمي والذي يعضّد ذلك هو السياق اللغوي كما هو واضح في الحوارية. والملاحظ أن الفعل الكلامي المركزي المتمثل بالسخرية تضمن سلسلة أفعال كلامية لغوية منها الإخبار والاستفهام.

المحور الثاني: الاستلزام الحواري

يعدُّ الاستلزام الحواري حقلاً حيوياً من حقول الدرس التداولي، ويشكّل ركيزة بارزة في لسانيات فلسفة اللغة والعملية التواصلية بين الباث والمستلم. وقد اشتق كّرايس مصطلحه من المصدر " implicate " ذاته، وتخصيص عملية الاستدلال التي تجري في التداول اللغوي باسم " " implicaicature تمييزاً لها عن " " implication المتعارف عليها(العياشي، 2011: 17). وقد تباينت

ترجمة " " implicatureca ture، فمنهم مَن ترجمه إلى الاستلزام وهو الأغلب الأعم، ومنهم منَ ترجمه إلى التضمين(يول، 2010، ينظر: 65). وآخر ترجمه بمعنى الاقتضاء(فخوري، 1989: 141). وذهب بعض الدارسين إلى أن الاستلزام والاقتضاء متشابهان من حيث أنهما يندرجان تحت المعاني الضمنية، وهي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلاً في تحديدها والتوجيه إليها. أما الفارق بينهما فإنّ الاستلزام يتولّد من خرق مبادئ الحوار حصراً، وفي الاقتضاء لا يشترط ذلك(محمَّد، 2015، ينظر: 251). وهذه الظاهرة التخاطبية تحصل إذا خُرِق احدى القواعد الأربع التي نهض عليها مبدأ التعاون وهي قاعدة الكم والكيف والعلاقة والجهة أو الكيفية(العياشي، 2011، يُنظر: 99-100). إنَّ بنية الحوار في منامات الوهراني وحكاياته حُظيت بتعاون بين المتخاطبين، وتجلّت فيها أربعة أنماط من الاستلزام بين طرفي الحوار هي

1-الاستلزام العرفي أو الوضعي، ويحصل على هذا النمط من الاستلزام انطلاقاً من الألفاظ اللغوية نفسها(موشلار، 2010، ينظر: 571). أو هو الذي لايتولد بوساطة قواعد المحاورة بل بوساطة ألفاظ متعارفة عليها في توليد ذلك النوع من التلويح(الخليفة، 2000م، ينظر: 163). ومن شواهد هذا النمط من الاستلزمات في المنام الكبير للوهراني النص الآتي: "ثم استدعى عبيدالله بن زياد، وقال له: خُذْ معك ألف رجل من السكائك والسكون، واقصد المشرعة التي عليها الأشتر النخعي... واضربهم بالسيف حتى تزيلهم عنها، وأورد هؤلاء الرجال حتى ينالوا بغيتهم من الماء وينصرفوا سالمين. وإنْ أتاك الأشتر النخعي في نخعه مدداً للطائيين فأنزل على المشرعة واثبت لهم حتى تتصل بك الجيوش. فقال له معاوية: لا تبعث معهم ابن زياد فإنَّه مما يهيج القوم، ودماء بني أبيك في لبابه وسيفه يقطر منها إلى الآن، ولكن قدّم عليهم ذي الكلاع الحِميري، فربّما انتفعوا هنالك باليمانية وكُسرت عادية الشَّر وحدة القتال "(الوهراني، 2011: 241). نلمس جليّاً في هذه الحوارية الإتيان التراكمي للإستلازم المولد من الشكل اللغوي بوصفه عاملاً فاعلاً لانتاج الاستلازم العرفي، وقد تنوعت

العناصر اللسانية على خمسة روابط هي (الواو، والفاء، ولكن، وحتى، وثم)، وأظهرت الحوارية هيمنة واضحة للرابط (الواو) وفقاً لعامل الكم إذ جاء ثلاثة عشر مرة . أما الرابط (الفاء) فورد أربع مرات. و(حتى)مرتين، واقتصر (ثم، لكن) على مرة واحدة. يعكس هذا التنوع في الروابط وعددها إلى اتساق الخطاب دلالياً. وتبرز أهمية العطف في وصف أجزاء الكلام وربط المعاني ولا ينحصر هذا الأثر في تحقيق التماسك على مستوى الجزء من الكل بل يتوزع في المستويات المختلفة ومنها مستوى الألفاظ ومستوى الجملة أيضاً(أبو زنيد، 2010، ينظر: 132). إنَّ الرابط (ثم) يفيد التعقيب وهذا النمط من العطف أدى وظيفياً توالي وحدات النص. وجاء استعمال (الفاء) الدال على التأخر بالمعطوف عليه متصلاً به وعلى التراخي(عبد الحميد، 2004، ينظر: 187/3). وهذا الاستعمال جاء أولاً في قوله: "وإنْ أتاك النخعي... فأنزل على المشرعة " لاستلزام التراخي. أما الرابط (ثم) فإنَّ استعماله ناسب دلالته؛ لأنَّ المتكلم بعد الوحدات السردية والمقاطع الحوارية التي تمحورت حول شدة العطش محبيّ الملك الأموي الأول وبعد طرهم من حوض الكوثر، استلزم (ثم) معنى التعقيب؛ لانَّ فعل استدعاء عبيدالله وأمرته على ألف من السكائك والسكون وهما بطنان من بطون كنده من أجل الحصول على الماء جاء بعد شدة ظمئهم. أما حرف العطف (الواو) فيستلزم لغوياً معنى الجمع والفعل المشترك الجامع بين جمل العطف في بينية الحوار وهو الحصول على الماء بالقوة العسكرية؛ لأنَّ فضاء الحوارية هو الصراع وتنوع استراتيجاتها القتالية. أما الرابط (لكن) فبوساطته اتسم الخطاب بنمط الاستلزام العرفي؛ لأنّه يستلزم معنى ثابتاً في السياقات اللغوية وتراكيبها جميعاً، ويتحدد هذا المعنى بالاستدراك وإنْ بعدها "قدِمْ عليهم ذي الكلاع الحميري فربّما انتفعوا هنالك باليمانية" يباين "لا تبعث معهم ابن زياد فإنّه مما يهيج القوم ودماء بني أبيك.." إنَّ الربط اللغوي بـ"لكن" ولّد هذا الاستدراك.

2-الاستلزام التخاطبي المعمم: إنَّ الاستلزام التخاطبي المعمم ظاهرة تفسر تطورياً تحجر مرّت بمرحلتين مرحلة تكون فيها دلالتان اثنتان، دلالة حرفية ودلالة مستلزمة مقامياً ومرحلة تنمحي فيها دلالتها الحرفية فتصبح دلالتها الوحيدة هي دلالتها المستلزمة أي تنحجر هذه الاخيرة أو تعمم حسب مصطلح كرايس بحيث تصبح دلالة حرفية لا ينطبق عليها مبدأ خرق قواعد الحوار لرصد دلالتها المستلزمة(المتوكِّل، 1989، ينظر: 26). ويطلق عليه " كنفسن" اسم التلويح النمطي (غير الاستثنائي) (الخليفة، 2000م، ينظر: 162). ويحدث هذا الصنف عندما لا نحتاج إلى معرفة خاصة بالسياق لحساب المعنى الموصل الإضافي(يول، 2010، ينظر: 72). من استلزامات هذا النمط في رسالة المنام الكبير قول الوهراني على لسان الحافظ العليمي "أ ليس تعلمون أنَّه لم يولد في الاسلام مولود قط أرق ديناً من هذين الرجلين، ولا أقل خيراً منهما"(الوهراني، 2011: 227). إنَّ الدلالة الصريحة للاستفهام الداخلة على النفي بالأداة ليس هي النفي، أما دلالتها الضمنية فهي الاثبات والإقرار بمعنى تمكينه في ذهن المتلقي واقراره.

3-الاستلزام التخاطبي المتدرج أو الدرجي، في هذا الصنف من الاستلزام يتم ايصال بعض المعلومات عن طريق اختيار كلمة تعبر عن قيمة واحدة من بين تدرج للقيم. ويتضح هذا الأمر جليّاً في مصطلحات تستعمل للتعبير عن الكم، ومثال ذلك حيث تنتظم هذه المصطلحات في تدرج من أكثر قيمة إلى أقلها قيمة " كلّ، ومعظم، وكثير، وبعض، وقليل" و"دائما، وغالباً، وأحياناً" عندما ينشأ المتكلم اللفظ فإنَّهُ يختار كلمة من التدرج الأكثر أخباراً ومصداقية كماً ونوعاً حسب الظروف المحيطة. إنَّ أساس التضمين المتدرج هو إنَّه عند ثبوت صيغة في التدرج يتم تضمين ففي كل الصيغ الأعلى في التدرج وينشأ العدد من التضمينات المتدرجة باستعمال تعابير قد لا نعتبرها في وقت الكلام جزء من أي تدرج(يول، 2010، ينظر: 73). لم تخلُ رسالة المنام الكبير من هذا الصنف من الاستلزام ومنه النص الآتي " وبينما أنا أجاذبه عليها ويجاذبني إذا بضجة عظيمة

من جنب المحشر والناس يهرعون نحوها مستبشرين، فملنا جميعاً نحوها، وإذا بحلقة فسيحة عليها من الأمم ما لا يحصى، كلهم يصفقون ويُزهزهون ووأربعة في وسطهم يرقصون ويلعبون إلى أن وقعوا إلى الأرض لا ينفسون. فسألنا بعض أولئك الحاضرين عن ذلك الفرح، وعن الأربعة الذين يرقصون"(الوهراني، 2011: 227). يصور الوهراني لنا في القطعة السردية من منظور أحد رواته جانباً من أحداث يوم القيامة ووقائع عرصة من عرصاته بإسلوب تهكمي وهو " اسلوب من أساليب النقد المجتمعي تنقد العيوب بطريقة ساخرة وتركز على هنات وعيوب معينة في الشخص أو المجتمع بدافع الإصلاح أو كشف المساوئ"(غريب، 2016: 505). وفي القطعة المنوَّه بها وصف الراوي مجموع الأمم الموصوفة بالرقص والتصفيق بالعنصر اللغوي " كلُّهم "، بينما استعمل لفظة " بعض " للمجموعة الموجهة إليهم السؤال عن سبب الفرح والرقص. وهذه الثنائية (كل/ بعض) تناسب الموصوفين، فالكل جَمَعَهم فعل سلوكي مشترك هو الرقص والتمايل ومن أجل ذلك وظّف المتكلم العنصر " كلُّهم " ولفظ " كلّ " اسم موضوع للإحاطة والشمول(عبد الحميد، 2004، ينظر: 172/3). أتى " كل " لايضاح الفعل المركزي والعامل المشترك للأمم المجتمعة في الحلقة الفسيحة جنب المحشر، ومن ثم إنَّ " كل " استلزمت الشمول والاحاطة. ولما كان السؤال موجهاً إلى واحدٍ أو أكثر ناسب اللفظ تعبير المتكلم فجيء ب " بعض " إذ لا يعقل أن يسأل كلَّ الحاضرين. و"بعض " ضد الكل وهو الدال على القلة بل قد يقصد منه شخصاص واحداً في سياقات خاصة. وتأتي الوحدة اللغوية " قليل " في دائرة الاستلزامات المدرجة ومن شواهدها في المنام الكبير، قول الوهراني في حواره مع مالك خازن النار والحافظ العليمي " فرجعنا حينئذٍ إلى الملاطفة والسؤال، وقلنا له: سألناك بالله لا تعجل علينا فنحن صائرون إليك بعد قليل، وما لنا عنك من محيص"(الوهراني، 2011: 225). كشف المتكلم/ الوهراني في هذا النص السردي الزمن الذي يؤوب إليهما خازن النار، وكما هو معلوم فإن " القليل

" بالضد من الكثير ويأتي هرمياً في آخر سُلم التدرج لقيم " كلَّ "، والدلالة الاستلزامية للدال " قليل " في سياقها اللغوي هي تليين جانب خازن النار وصبره عليهما؛ لأنَّهما تحت قبضته ولا يمكنهما الفرار من سلطته ونفوذه وطلبهم المهلة وتأخيرهم إلى وقت أخر قريب من أجل الحساب ثم العقوبة.

4- الاستلزام التخاطبي، اشتملت المشاهد السردية في منامات الوهراني وحكايته على مواقف حوارية تضمنت بعضها خروقاً لمبادئ التعاون ومنها:

أ-خرق مبدأ الكم، وهذا المبدأ ينص على " كمية الأخبار التي يجب أن يلتزم به المبادرة، واحدى مقولتي هذا المبدأ هي: لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر مما هو مطلوب"(يول، 2010، ينظر: 67). من أمثلة هذا النوع من الخرق ما نراه في التواصل الحواري بين الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام، وبين الحافظ العليمي: "فقال لي صلوات الله عليه مسترسلاً...: أي آية في كتاب الله تعالى فيها مائة وأربعون عيناً؟ فقلت: اعرفها والله يا أمير المؤمنين. فقال: وأي سورة لا يستغني بها القارئ في الصلاة وليست من القرآن؟ وأي آية وزنها أربعة عشر درهماً إلا ثلث؟ فقلتُ: أعرفها والله يا أمير المؤمنين، فقال صدقت"(الوهراني، 2011: 233). نرى الخرق في الفعل التأثيري للمخاطب وإنَّ المسؤول لم يقدّم للسائل كمية المعلومات المناسبة، على الرغم ان السائل أي - الإمام عليه السلام - قد أدرك القصد التواصلي للمسؤول بدليل قول الإمام - عليه السلام - " صدقت "، لكن جواب الحافظ العليمي كان أقل من الحد المطلوب في المشاركة على مستوى الكم، وإن اقتصر على معرفة للسؤال، واكد تلك المعرفة بالقسم وهو فعل انجازي أفاد تقوية المقول وتعضيده، ومن ثم كان الأجدى بالطرف الثاني من الحوار أن يتجنب هذا الايجاز في الاجابة؛ لأنَّ مشاركته بالإخبار كان أقل من القدر المطلوب وهذا الخرق يحتمل تأويلين: أولهما، إنَّ السائل وأقصد الإمام - عليه السلام- كشف ضمنياً للمتلقي عن مستوى أهل العلم بالقرآن؛ لأنَّ اسئلته لا تناسب مستوى دعوى الوهراني وهو القائل: "فقلتُ له: إنَّا نحن قومٍ من أهل العلم والقرآن يا أمير المؤمنين"(الوهراني،

2011: 232). ومن ثم فإنَّ الإيجاز في الجواب دلالة على سهولة الاسئلة، وهو يحيل على المعرفة المسبقة للمتكلم بالمستوى العلمي للمستمع، ومن ثم تم اختباره بالاسئلة السهلة، ولهذا أوجز المجيب اجاباته. ثانيهما، رغبة المتكلم مساعدة المستمع وانجاحه في الاختبار من أجل ورود الماء ورفع العطش كون النجاح في الاختبار شرط لبلوغ الحوض. وعلى الضد من الخرق الكمي الأقل، نرى في موضع آخر من المنام الكبير خرقاً لمبدأ التعاون للقاضي صدر الدين في حواره مع يزيد الأموي: "فيقول يزيد بن معاوية للقاضي صدر الدين: أوصيك بأصحابكَ الأكراد خيراً فإنَّهم أولى بحسن تدبيرك من سائر الناس. فقال: نعم يا أمير المؤمنين، ما احتاج فيهم إلى زيادة تأكيد، ها أنا قد وليتُ القضاء لجماعة منهم، أنَّا أعرفهم لا يعيشون إلاَّ من اللصوصية وسرقة الحمير والبقر، ولم أفعل ذلك إلاّ لأنَّي ألزمتُ باستقضاء قوم لا يصلحون أن يكونوا إلاّ في البدود والمواخير، مثل ابن أخي اليايا وأنظاره"(الوهراني، 2011: 240). في الحوارية أعلاه خرق القاضي صدرالدين مبدأ التعاون في بعده الكمي بوساطة دفق معلومات كثيرة والخوض في سرديات قبح قومه ومنها السرقة وشرب الخمر وغيرها من الموبقات، وكان الأولى من منظور كّرايس الايجاز في الجواب والاكتفاء مثلا بقول: "نعم يا أمير المؤمنين إلى زيادة تأكيد " لكن سياق الموقف وهو سياق الحساب في يوم الجزاء؛ ولأنَّ الشَّر غالب على سلوك بني آدم أكثر من الخير؛ فإنَّ القاضي أطنب في حديثه عن انحرافات قومه، والدلالة الاستلزامية لهذا الخرق هي أن القاضي لا يؤثر فيه التحيز القومي، وهي رسالة لجميع القضاة إلى النزاهة وتطبيق العدالة ونبذ اصدار القرارات والأحكام تبعاً للأهواء والنأي حد المستطاع عن الذاتية والمؤثرات الشخصية.

ب-خرق مبدأ الكيف: والقصد من هذه القاعدة منع ادعاء الكذب أو اثبات لباطل، وعدم القول على ما ليس عليه دليل(العياشي، 2011، يُنظر: 99-100). من تمثّلات خرق الكيف في المنام الكبير، حوار الوهراني مع جماعة من أصحابه

"فلحقتموني أنتم وأدركتموني وقلتم لي: أنت مجنون؟ تدري لمن تخاطب؟ فقلتُ: لا. فقلتم: هذا عزرائيل ملك الموت، وهو يُعنى بالمهذب عناية عظيمة فهو الذي شفّع فيه وخلصه من العذاب المقيم. فقلتُ لكم: من أين هذه المعرفة والمحبة بين المهذب وعزرائيل؟ فقال لي أبو المجد بن أبي الحكم: من جهة الطب. أما علمّتَ أن المهذب كان من خيار أعوان ملك الموت في دار الدنيا، ما دخل قط إلى عليل إلا ونجزه في الحال وأراح ملك الموت من التردد إليه وشم الروائح المنتنة والنظر إلى شخصه المزعج وخلصه من الانتظار الطويل. فهو يرعاه لأجل هذا ويحبّه من ذلك الزمان"(الوهراني، 2011: 230). إنَّ عدم اقامة الدليل على حبِّ ملك الموت للمهذب أو الاطباء السوء عامة يفضي إلى انتهاك المجيب وخرقه لمبدأ الكيف مولِّدا بذلك دلالة استلزامية هي فشل المهذب في عمله واستهانة الاطباء بحياة مرضاهم والوضع المزري للصحة العامة في عصره.

المحور الثالث: الحجاج

يمثل الحجاج واحداً من أبرز الحقول في الدراسات التداولية، ويسعى هذا المحور من البحث إلى رصد النصوص في منامات الوهراني وحكاياته التي امتازت ببنيتها الاستدلالية في مواطن مختلفة من المنام الكبير. توظّف هذه الدراسة طروحات الحجاج الغربي الحديث بفعل الجهود الكبيرة التي أنتجتها الأبحاث الحديثة ودراساتها والتي أفضت إلى انتقال الحجاج إلى مرحلة قشيبة في حقل الحجاج الحديث والمعاصر، ومن أبرز رواد هذا الحقل التداولي بيرلمان وتيتيكا. قدّم بيرلمان تصوره الجديد للحجاج والمغاير عن أرسطو وأفلاطون وقصد منه "دراسة التقنيات الخطابية التي من شأنها أن تؤدي بالاذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من اطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم(أمقران، 2018: 224). أما أزوفالد ديكرو فهو واضع نظرية لسانية تعتني بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم وذلك بقصد توجيه خطابه للآخرين وباستطاعته تحقيق بعض أهدافه الحجاجية، وهو

ينطلق من فكرة مؤداها إنَّنا نتكلم عامة بقصد التأثير(العزاوي، 2006، ينظر: 14). اقتضت طبيعة النصوص في ضوء الإجراءآت التداولية في بعدها الحجاجي تناول هذا المحور في المطالب الآتية

المطلب الأول، العوامل الحجاجية وعلاقاتها

في اللغات جميعها هناك ثلة من الثنائيات العامة التي تصنف الظواهر اللسانية، ومنها ثنائية الإطلاق والتقييد، وهذه الثنائية كانت محط عناية الفلاسفة والمناطقة واللسانيين وغيرهم وتناولوها معرفياً كلا حسب تخصصه ونطاق عمله، وبسبب طبيعة اللغة التشكيلية والمكوناتية فقد وصفوا دائرة الكثرة والقلة في الامكانات النقاشية والجدالية بالعوامل الحجاجية وهي "عناصر لغوية تنتظمها غاية واحدة وهي تحقيق الخطاب للإقناع في عملية التواصل"(الناجح، 2011، ينظر: 21). وإنَّ كان الحجاج هو ذلك الانتقال الذي يتم من ق1 إلى ق2، أي من المعطى إلى النتيجة، وهذا الانتقال الذي أطلق كل من ديكرو وانسكومبر عليه بفعل التوجيه، أي الحركة من مقام أول معلوم إلى مقام ثانٍ قد يكون صريحاً ضمنياً وهدف المخاطب هو النتيجة التي يريد اقناع المتلقي به(الناجح، 2011، ينظر: 27-28). فإنَّ العوامل الحجاجية هي التي لا تقوم بالربط بين متغيرات حجاجية، أي بين الحجة ونتيجتها، أو بين مجموعة حجج بل عملها تكمن في حصر وتقييد الامكانات الحجاجية لقول ما في خطابها الحجاجي واختلافها عن الروابط الحجاجية التي تربط بين وحدتين دلاليتين ضمن استراتيجية حجاجية واحدة (العزاوي، 2006، ينظر: 27-29). من العوامل الحجاجية المستثمرة في المنام الكبير هي:

(أ)- عامل القصر، والمراد بالقصر تخصيص الشيء بالشيء اثبات أحدهما للآخر ونفيه عن غيره(الصعيدي، 2000م، ينظر: 3/2). ومن العوامل الحجاجية عند الوهراني، القصر بوساطة النفي والاستثناء كما في قول الحافظ العليمي محاوراً مالك خازن النار: "واللهِ ما حذفته إلاّ من شدة الهلع وانقطاع مادة

الكلام(الوهراني، 2011: 232). الملفوظ الحجاجي يتألف من "حذفته" وهو في موضع النتيجة. أما قوله "من شدة الهلع وانقطاع مادة الكلام" فهو في مقام الحجة في النظام الحجاجي. وعلة هذا القصر هو الخوف الشديد فالمتكلم حذف الحرف الأخير من اسم مالك وجعله (مالِ)، ومن ثم وجّه قوله باتجاه نتيجة واحدة ومحددة وترشحت من مقولة القصر طاقةحجاجية تسنى للقائل من اقناع السامع لحجته بدليل قول مالك "هات كلمتيك، وقُلْ ما تشاء أن تقول "(الوهراني، 2011: 232). فالأداتان (ما) و(إلا) وجتها " القول وجهة واحدة نحو الانخفاض وهذا ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه "(الشهري، 2004: 519-520). ومن وسائل حجاجية القصر في المنام الكبير توظيف " إنَّما "، ولا سيّما في قول أحد الحاضرين عن علة فرح عبدالرحمن بن الملجَّم المرادي والشّمر الضبابي والحجاج الثقفي وأبو مُرة إبليس ورقصهم في حلقة فسيحة في عرصة المحشر " وأما الفرح الذي ألهاهم عن توقع العذاب... فهو الطمع في رحمة الله تعالى... إنَّما الباري جلّت قدرته غفر اليوم للفقيه المجير والمهذب النَّقاش".(الوهراني، 2011: 227). إنّ قصر تقوية أطماع الأربعة وعقده بالنتيجة جاء لتقوية دعواهم وتأكيده، إذ قصّر الطمع على المغفرة الإلهية الواسعة، وولّد هذا الطمع الفرح والرقص، وهذه هي قاعدة الجواز من المقدّمة إلى النتيجة كما هو مبيّن بالمخطط: مقدّمة ---------- إنَّما ---------- اثبات النتيجة. إنَّ حضور " إنَّما " في البنية اللغوية الحجاجية أعطت التشكيل اللغوي دلالة مختلفة لو كانت الأداة " إنَّما " غائبة ولكان التأويل مغايراً. واحتمل القول تأويلات عديدة منها، إنَّ غير الميئوس يدخل في الخير أيضاً . وتمركز الهدف من توظيف " إنّما " حول احتواء ما يعتري القول الخبري من غموض وتحييد التأويلات والتفسيرات، وذلك بفعل سرعة ربط " إنَّما " بين الحجة والنتيجة، فلا يخوض المتلقي في التأويلات المتنوعة التي تهدر جهده للوصول إلى قصدية الفعل الحجاجي.

(ب)-عامل النفي، من الثنائيات الحاكمة على الجمل الإسمية والفعلية هي ثنائية الإثبات والنفي، والأخير يكون إما ظاهراً أو ضمنياً. ولعامل النفي اثر في اتمام العملية الحجاجية للغة، والذي يأتي إما في رفض قضية أو عدم قبول بفكرة معينة. في المنام الكبير للوهراني تجلّى النفي في صور مختلفة، ومنها النفي بـ(لا) و(ما) والمستعملان في سياق ذم ابن النّقاش، كما في " يتكلم بهذيان في هذا المقام ما أنت غريب من هذا الرجل، ولا أنت جاهل به، جميع ما وجد في صحيفة حسناته خمس قراطيس صدقة"(الوهراني، 2011: 229). نلحظ دخول النفي على جملتين اسميتين هما، "ما أنت غريب " و"ما أنت جاهل " ونتج عن هذا الاشتغال بالنفي طاقة حجاجية قوية ولدّت أثراً في المتلقي واستجاب له بدليل أنَّ رصيد حسناته لم يتجاوز خمس قراطيس. والنفيان توجهتا نحو النتيجة نفسها وهي اقناع المخاطب بخفة كفة حسنات ابن النَّقاش. أما عامل النفي (ليس) وهو من أبرز أدوات النفي في اللغة العربية، وأجلّها أهمية، وللدكتور فاضل صالح السامرائي رأيٌ في عمله إذ لا يرى استعماله لنفي الحال عند الاطلاق بل يكون نفيه حسب التقييد الذي تكون عليها الجملة(السامرائي، 2000م، ينظر: 251/1). نرصد حضور هذا العامل في القول الحجاجي للوهراني وهو يرفض مقترح الحافظ العليمي بعدم اتباع الأعور البغدادي من أجل الحصول على الماء من حوض الكوثر، قائلاً: "فقلتُ لكَ: بالله اتركنا من خنفتك، فليس هذا وقت صلف ولا أنفة، أما سمعتَ قول الشاعر:

لا تعجبن لخيرٍ أن أتاك بهِ

فالكوكبُ النحسُ يسقي الأرضَ أحيانا"

(الوهراني، 2011: 237).

نرصد في القول المنفي للوهراني "فليس هذا وقت صلف ولا أنفة" صوتين متزامنين، الأول - بُنيَّ على الإثبات، والثاني هو صوت المتكلم القائم على النفي، وهذه التعددية في الأصوات من سمات النفي في الخطاب الحجاجي،

فالمتكلم يطلب من مستمعه غض الطرف عن عزّة النفس وترك التبجح؛ لأنَّ المقام لا يناسب ذلك لشدة حاجتهم للماء. هنا تبرز أهمية حجاجية النفي بوساطة توجيه المستمع لنتيجة واحدة مضمونه اجتناب المخاطِب للتكبر والتكلف. ويستبطن القول المنفي للوهراني البعد النفعي أو البراغماتي؛ لأنَّه يوحي باتباع المصالح لا المبادئ وتحقيق الأهداف بغض النظر عن الوسائل، فالأعور البغدادي نذير شؤم ورسول ضلال، لكن في سياق العوز والشدة الغاية تبرر الوسيلة وهنا تكمن حجاجية النفي، وهذه الحجاجية وإنْ استوفت أركانها منطقياً لكنّها من الناحية العقلية لا تكون فاعلة إلاّ في الفئات الانتهازية وعند أصحاب المصالح الشخصية. فيما سبق كان الحديث عن أكثر العوامل الحجاجية وروداً من حيث الكم في المنام الكبير. أما الشق الآخر من هذا المطلب فهو العلاقات الحجاجية في الخطاب الحجاجي،وأسفرت عملية استقراء في المنام الكبير عن حزمة من العلاقات أبرزها:

(أ)- العلاقة السببية ووهي " علاقة شبه منطقية تجعل النص يحاكي نصوصاً منطقية في ترابط أجزائها وتناسق أفكارها؛ لأنَّ قاعدتها أو خلفيتها المؤسسة لطاقتها الحجاجية مستمدة من عالم المنطق وأدواته"(الدريدي، 2007: 327). وهذه العلاقة يظهر حرص القائل على ربط الأفكار والوصل بين أجزاء الكلام دون الاكتفاء بتلاحق أو تتابع طبيعي، بل يعمد لمستوى أعمق من العلاقة فيجعل بعض من الأحداث أسباباً لأحداثٍ أُخر، أو ما يسمى فعلاً ما أنَّهُ نتيجة متوقعة لفعلٍ سابق، أو يجعل موقفاً معيناً سبباً مباشراً لظهور موقفٍ لاحق(الدريدي، 2007: 327).

ومن نماذج هذه العلاقة في المنام الكبير الحوارية الآتية: "فقلتُ لكَ: يا أخي قد طيّر هذا الجبار عقولنا، ومرّت لنا معه ساعة تشيب الولدان، فاطلع بنا إلى جبل الأعراف لنشرف منه على الموقف ونتفرد على بساتين الفردوس فتستريح صدورنا، وترجع إلينا أروحنا في ذلك المكان. فقلتَ لي: احذر أن تفعل ذلك، الله الله في نفسك. فقلتُ لك: ولِمَ؟ فقلتَ لي: لأنَّ يأسنا من الجنة أكثر من رجائنا

فيها، ومتى رأينا أشجارها وأنهارها وفاتنا دخولها تضاعفت علينا الحسرات والأحزان"(الوهراني، 2011: 225). طرفا الحوار هما الوهراني والعليمي وموضوع المحاورة هو اقتراح الوهراني الذهاب إلى الأعراف بهدف التنفيس عن حالتهم النفسية السيئة وما أصابهم من خوف وهلع من خازن النار واتسمت الحوارية بخصائص حجاجية منها هيمنة العلاقة السببية على النص السردي وأدت هذه العلاقة وظائف منها، الاتساق بين فقرات النص وتحقيق الانسجام بوساطة حرفي الربط الواو والفاء الذين ربطا بين جملة السبب ونتيجتها، وجاءا على النسق التوالي وذلك بتوالي الواو والفاء. والرابط السببي نراه في الجمل الآتية: -إنَّ اقتراح الذهاب إلى جبل الأعراف والتفرج على البساتين كان بسبب هول الموقف من خازن النار. -اختيار بساتين الفردوس للفرجة بسبب الراحة النفسية التي تولدها ولأنَّها تبعث المسرة والطمأنينة في النفوس. -تحذير الحافظ العليمي ورفضه مقترح الوهراني كان بسبب اليأس من دخوله الجنة. اللافت في القولين الحجاجين للوهراني أنَّهما من النمط الذي يرمي إلى الربط بين حدثين متتابعين بوساطة رابط سببي(بيرلمان وتيتكا، ينظر: 364/2). أما حجاج الحافظ العليمي فنهض على الحذر من الوصول إليها أو الاقتراب منها لما يتركه هذا الفعل من حسرة في نفس فاعله. والملاحظ إنَّ هذا الاسلوب الحجاجي القائم على بنية السؤال والجواب يضع القارئ والمتلقي أمام تعددية القراءة والتأويل، منها هل أنَّ الوهراني يريد من المتلقي ان لا ييأس من رحمة الله وإنَّ كانت أعماله لا تؤهله للدخول إلى الجنة، أم الإشارة إلى الرحمة الإلهية التي لا تستطيع أن يستوعبها البشر، وإنَّ الفكر الإنساني مهما اتسع وتعقّد يبقى محدوداً في ادراك عفو الله ومغفرته. ويترتب على ما تقدّم أنَّ الخطاب الحجاجي للوهراني أكثر قناعة عند المتلقي من خطاب الحافظ العليمي لتضمين الاول دلالات التفاؤل والأمل والارتياح والإيجابية وانغلاق خطاب الحافظ العليمي على الشؤم واليأس والسلبية، من زاوية الطمع والرحمة والظن به لكن ذلك مرهون بالأعمال

الصالحة والسيرة الحسنة، ومن ثم فإنَّ المحصلة الأخيرة من حجتي الوهراني والحافظ العليمي هي إنَّ اللغة وإنْ تضمنت بنيتها بعداً حجاجياً لكن أثر الحجاج لا يمكن الاستجابة معها ايجابياً لفقدان شرط أو أكثر من شروط الاقناع الخطابي.

(ب)-العلاقة الاقتضائية، هي احدى العلاقات الرئيسة التي عنيت بها الدراسات الحجاجية؛ لأنّها تقوم على المقصد الذي يبتغيه المخاطب بوساطة كلامه، وهو بذلك يتكون من عنصرين ضرورين، هما المقتضي (وهو الكلام المنطوق به في الخطاب)، والمقتضى (وهو الكلام المقدر) وبوساطة هذين العنصرين يتحقق علاقة الاقتضاء وهي التي تندرج ضمن اطار تفاعلي بين عناصر الخطاب بحيث تجعل من الحجة يقتضي النتيجة(بو سلاح، 2016، ينظر: 170). إذن هي عبارة عن "استلزام القول لمعنى تابع للمعنى العباري من غير توسط دليل ومع توقف فائدة القول عليه(عبد الرحمن، 1998: 108). من عينات هذه العلاقة في المنام الكبير ما جاء في نقد الوهراني للصوفية وبيان حالهم في حضرة رسول الله – صلى الله عليه وآله – في يوم القيامة، قائلاً: "فلما انتهى إلى شاطئ المشرعة وقف عندها فتقدمت إليه الصوفية من كل مكان، وعلى أيديهم الأمشاط وأخلة الأسنان وقدّموها بين يديه. فقال صلى الله عليه: مَن هؤلاء؟ فقيل له: هؤلاء قوم من أمتك غلب العجز والكسل على طباعهم فتركوا المعايش وانقطعوا إلى المساجد يأكلون وينامون. فقال: فبماذا كانوا ينفعون الناس ويعينون بني آدم؟ فقيل له: ولا بشيء ألبتة، ولا كانوا إلاّ كمثل شجر الخروع في البستان يشرب الماء ويضيق المكان"(الوهراني، 2011: 235). نرى التلازم بين مقولة الحجة والتي جاء في تشبيه الصوفية بشجر الخروع في البستان ومقولة النتيجة وهي قوله: "يشرب الماء ويضيق المكان ". وكأن هذا النمط من العلاقة يفرض نوعاً من الجبرية على طرفي بنية الحجاج. وإنَّ التصوير التشبيهي كاد أن ينفتح على تأويلات عديدة لو لاذيل الجملة والذي هو الصفة الجامعة بين طرفي التشبيه وبذلك تقلصت تعددية الدلالات لها. إنَّ تشويه صورة الصوفية في المجتمع

والتاريخ ووصفهم بشجر الخروع وحصر عملهم بالتطفل هو من العيب الثقافي والتحيّز المذهبي؛ لأن الصوفية يمتلكون من المقومات الايجابية ما تبهج القلوب وتسر الانسانية ولا سيّما اتجاههم السلمي ورسالتهم في المحبة كل ذلك ينقض دعوى الوهراني وذمه لهم. وبناء على ذلك فالبحث لايرى أن فاعل الحجاج كان موفقاً على حمل السامع والمتلقي على الإذعان وتحقيق الاقناع لسيادة العمومية في الحكم على خطابه الحجاجي.

(ج)-علاقة الاستنتاج، وضح (أندريه لالاند) في موسوعته الفلسفية هذه العلاقة بعد ربطه بالمنطق قائلاً: "عملية اجرائية، يتم بواسطتها الاستنتاج الصارم لما يلزم عن قضية أو عدة قضايا بوصفها مقدمات، والانتقال إلى قضية تكون لزومها الضروري بموجب أحكام منطقية"(لالاند، 2001: 246-247). في المنام الكبير لم تغب علاقة الاستنتاج في الخطاب الحجاجي بين الشخصيات في الحكاية ومنها في سبيل المثال لا الحصر الحوار بين خازن النار والحافظ العليمي: "فقال لي مالك: لعلك تريد أن تهجوني بشعر مثل الذي رأيت في صحائفك اليوم، أو تعمل فيَّ مقامة تذمني فيها مثل ما تفعل في بني آدم، والله لألطمنك بالقُلع حتى يبول القندلاني على ساقيه. واشتهيتُ أن اعلم ما سبب غيظك عليَّ؟ هل تقدر تحلف أنك ما كنت تقود على رفيقك هذا في دار الفوارة بجيرون؟ في سنة ثلاثة وخمسين وخمسمائة من الهجرة. فلما سمعنا ذلك خرسنا وأبلِسنا، وعلمنا أن الناقد بصير لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها"(الوهراني، 2011: 224-225). فعّل الحافظ العليمي السكوت وفضل ترك الجدال مع خازن النار؛ لأنَّ - بَلَسَ يعني الترك والتخلي- ويأتي العلم التفصيلي لخازن الناربملف أعمال العليمي اشارات لسانية تدعم علاقة الاستنتاج، فالحافظ العليمي اتخذ سلسلة من الأفعال الكلامية بعد استنتاجه من تصريحات خازن النار " هل تقدر أن تحلف..." كان عند الحافظ العليمي المبرر من الانتقال إلى التراجع والاستسلام أمام المتكلم والكف عن مجادلته. وكان تذكير العليمي

بخطاياه زمنياً عام 553 من الهجرة ومكانياً في دار الفوارة بجيرون في دمشق هي حجته على الاستنتاج في السكوت وترك النقاش بل والملاطفة معه. ولهذا بادر الوهراني بعد عملية الاستنتاج بوساطة الحجة التي قدّمها مالك خازن النار إلى القبول بالأمر الواقع، وفي ضوء ذلك يفهم كيف إن " نتيجة الخطاب متولدة من رحم الدليل أو البرهان ناشئة عنه عائدة إليه(الدريدي، 2007: 339). فالاستنتاج حصل عندما نهضت المقولة، هل تقدر أم تحلف؟ وإلى جانب تحقيق العلاقة الاستنتاجية في النص الوهراني على المستوى الحجاجي التداولي، فقد تحققت وظيفة الربط بين أجزاء النص ووحداته اللغوية، وإنَّ جواب الوهراني واصفاً خازن النار: "إنَّ الناقد بصير لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها " يتضمن مسكوتاً عنه، ويمكن تأويله بما يأتي:

-إنَّ الإثنين لم يغفرا لهما في الدنيا وإن حسناتهما لم تمح سيئاتهما بعد والاستنتاج هنا مجالستهم في الآخرة على ملك الفعلة الشنيعة. - يستنتج المتلقي من إجابة الوهراني والحافظ العليمي أن هل الاستفهامية المستعلمة في قول خاز النار كان دلالاته للتصديق وليس للتصور. -اقرارهما الضمني بالتهمة الموجهة إليهما وعلاقة ذلك بسكوتهما. - تضمن الفعل الكلامي هل يقدر..؟ خروج دلالة الاستفهام إلى التحدي والمصداقية والثقة بالمقول. -الاضطراب في التوازن النفسي والداخلي للوهراني والعليمي والدليل النص الآتي: "فلما سمعنا ذلك خرسنا وأبلسنا" فالخرس وترك الجدال تصوير للحالة النفسية والاضطراب الداخلي.

المطلب الثاني: حجاجية الآليّات البيانيّة

إنَّ بناء اللغة لا يقتصر على التشكيلات الجمالية بل يأتي التصوير البياني لأداء وظيفة حجاجية في التأثير على المتلقي انفعالياً وفكرياً تلك التشكيلات الجمالية والشعرية وظائفيا متنوعة ومنها الابلاغية والتواصلية والتفسيرية والجمالية والحجاجية. وزخرت رسالة المنام الكبير بأساليب فنية وألوان بيانية حملت بعداً حجاجياً من ذلك:

(أ)- حجاجية التشبيه، التشبيه من الآليات البيانية الحجاجية الذي يستثمره المحاجج بهدف التأثير في المتلقي والتسليم له؛ لأنَّه يمنح " قوة انطلاق العلاقة من خلال المعطيات التي تترشح عنها الخلاصة التي بالنتيجة تفضي إلى الحجة، إذ أن التمثيل يعمل على اسناد بنية ذهنية لدى المتلقي تتعلق بالتأثير الصوري عن طريق الملفوظ، وإن هذا الملفوظ يحث على الاعتقاد بالفكرة المطروحة في سياق التمثيل"(صادق، 2015: 165). من صور البياني الحجاجي المحاورة بين العليمي والوهراني وخطاب الثاني للأول قائلاً: "يا كافر القلب، أما ترتدع؟ أما ترعوي؟ أما ترى السموات تنفطر مثل فطاير المزة في الكوانين ؟... أما ترى الميزان يرتعد بما فيه مثل المحموم إذا أخذه النافض البغلمي ؟أما ترى الصراط يرقص بمَن عليه رقص القلوص براكب مستعجل ؟"(زيقم، 2020: 221-222). وظّف فاعل الحجاج التصوير التشبيهي لأداء وظيفة حجاجية لتقييم الوضع الذي هم عليه من الشدة والعقبات الكؤودة وعظائم الأمور، ومن ثم فالوقت ليس وقت عتاب أو خصام أو جدال وتشكّلت مقولة الحجاج بتوالي ثلاث جمل تشبيهية هي: السموات مثل فطاير المزة في الكوانين، والميزان يرتعد مثل المحموم، والصراط يرقص بمن عليه رقص القلوص براكب مستعجل. هذه التشبيهات تضمنت الدليل والحجة على صحة مزاعم الوهراني لإثبات سلامة كلامه وصحة أقواله ليفضي إلى اقناع المخاطب العليمي بالكف عن سلوكياته وكما بيّنها بـ" اترك الرقاعة عنك في هذا لموقف وهوّن عليك هذل الأمر، واتركنا لما نحن

فيه"(زيقم، 2020: 221-222). إلتقت هذه الصور الشعرية التشبيهية بالهدف نفسه وهو اقناع الطرف الآخر وتبايّنت في بيان منازل الآخرة مثل انفطار السموات والميزان والصراط وتوالي هذه التشبيهات لتقرير دعواه وتعزيزه وافحام المستمع وهي نمط من المقارنة بين ثنائية العظمة والوضاعة. بوساطة علاقة المشابهة بين طرفي التشبيه تبرز وجه الشبه بينهما، لاسيّما إنَّ التشبيه الاول مجمل. أما الثاني والثالث فهما مفصلان. والملاحظ أن الحقل الدلالي الذي استقى منه فاعل الحجاج صوره التشبيهية هو حقل الدين كما نرى في الدوال الآتية: السموات والميزان والصراط. أما المشبهات به فنجد تنوعاً في الحقول الدلالية منها حقل الطبخ والمرض والحيوان والرحلة. إنّ المشبهات به قمن مقام الدليل الذي أراد المحاجج اثباته فالمصائب كبيرة مستعظمة بحيث السموات صرن كالفطائر المتطايرة والمحترقة في وعاء النار - الكانون-، وارتعاد الميزان كالمحموم المرتعش والصراط كالراكب المستعجل على قلوص راقص من شدة الميلان في الحركة. ومن المعاني السياقية التي بثّها المتكلم في حجاجية تشبيهاته:

-تمسك الإنسان بصغائر الأمور وغفلته عما يجري حوله من أهوال بسبب أهوائه أو كبريائه وتعلقه بالزائل من الأشياء ومنها الألقاب الفخرية والمقامات الدنيوية.

- نزوع العقول عند طائفة من البشر إلى السطحية والسكون والصنمية في المواقف الصعبة، علامة على أن الجمود العقلي والكساح الفكري والظمأ الروحي تكون ملازمة لهم في الأكوان المختلفة.

-الدعوة إلى التسامح والعفو والإحسان في جميع العوالم التي ينتقل إليها الانسان ومنها عالم الدنيا والبرزخ والقيامة والحساب . لكن يبقى السؤل الأبرز في هذا الخطاب الحجاجي هل وُفِقَ الوهراني في التوظيف والانتقاء حجاجياً، وهل الافتراضات السابقة والصور الذهنية كانت منسجمة مع دعوى الاستدلال والبرهان؟ إنَّ المعطى السردي يشير إنّ متلقي الحجاج/ الحافظ العليمي لم تؤثر

فيه تلك الصور التشبيهية لا جمالياً ولا حجاجياً، ولم يقتنع لمّا قدّمه المحاجج من حجج بدليل قوله: "قلتَ لي: والله ما هو شيءٌ هيّنٌ عليَّ فأهونه، ولا أسامحك به، ولا أفارقك حتى أدفعك إلى كمال الدين الشهروزي ينكل بك تنكيلاً يردعكَ على استخفاف الفضلاء في مخاطباتهم ووزجرك عن سوء الأدب باختصار ألقابهم"(زيقم، 2020: 221-222).

(ب)حجاجية الاستعارة، انطلاقاً من مقولة: "لا حجاج بلا مجاز"(عبد الرحمن، 1998: 213). فإنَّ الاستعارة بوصفها من الركائز الأساسية في عالم البيان ووسائله الفعّالة في التأثير العاطفي والذهني في المتلقي، فهي إلى جانب بعدها الجمالي والتصويري تمتلك الخاصية الحجاجية بوساطتها يهدف المتكلم إلى تغيير قناعات المتلقي والتأثير في مدركاته العقلية والذهنية. من التوظيف الحجاجي بتقنية الاستعارة حوارية الشهادة بين الوهراني ونظام الدين: "يا سيدنا نظام الدين. عسى تتفضل علينا وتمشي معنا ساعة، تشهد لنا عند أمير المؤمنين بالبراءة مما قُذفنا به عنده من النصب والإنحراف عن أولاد فاطمة عليهم السلام. فقال: أنَّا واللهِ في هذا الوقت مشغولٌ بنفسي وعلى أنَّ شهادتي ما تنفعكم عنده؛ لأنَّي رُميتُ في مجلسه بالفلسفة والعمل بأحكام النجوم، وقد أضرَّ بي ذلك عنده، وزوى وجهه عنّي... ثم انصرف عنَّا فبقينا بعده حائرين"(الوهراني، 2011: 237). في حوارية طلب الشهادة نرى بناء جملتين منها بيانياً على التصويري الاستعاري والتجسيم المادي أي تحويل الموجودات المعنوية إلى موجودات تتصف بصفات الموجودات المادية من الجسمية والحركية والانتقالية. وتجسّدتا مرة في قول الوهراني: "مما قذفنا به من النصب والإنحراف عن أولاد فاطمة عليهم السلام ". وأخرى في قول نظام الدين: "لأنَّي رميت في مجلسه ..." والاستعارتان مكنيتان إذ شبّه النصب والانحراف والعمل بالفسلفة بشيء مادي قابل للرمي كالكرة أو السهم أو الحجارة أو غير ذلك. كما أنَّ الصورة الحجاجية في قول نظام الدين جاءت في مقام حجاجي قائم على الاعتذار من الوهراني

لعدم تمكنه من الشفاعة له والشهادة له بالبراءة من العداوة والبغض والانحراف عن أولاد فاطمة - عليهم السلام -. ويترشح من القول الإستعاري في الخطاب الحجاجي لنظام الدين ما يأتي:

- إنّ الفلسفة بوصفها حقلاً معرفياً صار في زمن الوهراني شيئاً غريباً وغير مرغوب بها بل جناية يُجرم العامل بها.

-ضرورية الربط وادراك الصراع بين السلطة الدكتاتورية والمثقف غير السلطوي.

-إن التمثيل الحسي واضفاء المادي على المجرد أدنى إلى فهم المتلقي وأجمل من أنماط الخطاب الأخرى. إذ جسّد المعنويات (المعرفة، الفلسفة) وألبسها جلباباً مادياً بتشبيههما بالحجارة أو السهم أو الكرة بجامع الإلقاء والرمي.

(ج)-حجاجية الكناية: وهي احدى أعمدة التشكيل البياني في البلاغة، ولها سمتها الخاصة في محيطها الاجتماعي وجذب المتلقي إليها. وهي بمثابة المؤشر الذي يلوذ إليه المرسل لإقرار معاينة التي يستعملها عن طريق اللزوم بعد أن يكون المتلقي قد مرَّ بعمليات ذهنية استدلالية(أحمد، 2002م، ينظر: 296). وتتجلّى حجاجية الكناية في أنَّها " تنطوي على حجة الشاهد إذ تقدّم ملموساً على صحة الدعوة"(الجرجاني، 1992م، ينظر: 66). في المنام الكبير أدت الكناية بوصفها تقنية بلاغية، وظيفة حجاجية وحجة استدلالية، ومن أمثلتها، كنائية الوهراني معاتباً الحافظ العليمي ومحاججا إيَّاه: "أما ترى مالك خازن جهنم قد خرج من النار مُبَحلقَ العينينِ في يدِّه اليمنى مصطيجة"(الوهراني، 2011: 222). تشفير الوهراني للمعنى الحقيقي بصورة كنائية في وصف خازن جهنم في سياق التحذير جاء لأداء وظائف منها تكثيف المعنى وتفاعل القارئ وادراكه للدلالات الضمنية بذاته بوساطة مراحل استدلالية عقلية، وقوله " مبحلق العينين " عمل على تحويل فهم المتلقي من اللازم إلى الملزوم وهو المقصود من التعبير الكنائي، وهو الرعب والصرامة والشدة والهيبة، والتصوير الكنائي لهيأة خازن

جهنم هو تصوير ديني لتمثيل العدالة الإلهية بإنزال العذاب بالعاصين والمخالفين وما سيؤولون إليه من نهاية مرعبة ومخيفة. إنَّ عبارة " مبحلق العينين: هي نتيجة للمقدِّمات وتظهر في الصورة الآتية:

- المعنى الحقيقي: فتح العينين واسعاً، أو التركيز شديداً في شيء ما.

-الدلالة الكنائية السياقية: تمثيل العدالة الإلهية، أو العذاب والنهاية المخيفة للعاصين.

يوصلنا التعبير الكنائي إلى تفصيل المبهم من أجل اكتمال اللقطة الوصفية، وإن لفظة " مبحلق " أفاد حصر فعل العينين لنستنتج منها سياقياً فعل الغضب وعدم الرحمة على الظالمين، ومن ثم فإن فاعل الحجاج ركن إلى تثبيت الدلالة المستدل به بوساطة الكناية لتكون الدليل الذي يتوسل به فاعل الحجاج من أجل اقناع المخاطب والمتلقي.

المطلب الثالث: تقانات الحجاج

ضخت البنية السردية للمنام الكبير مجموعة متنوعة من التقانات الحجاجية بما يتلائم وحجج المحاججين في سياقات الجدال والمفاوضة واندرجت تلك التقانات تحت تصنيف الوصل والفصل ومن أشهر التقانات التي توسل بها المحاجج هي:

(أ)-حجة التعايش، وتقوم هذه الحجة بين واقعتي مختلفتي المستوى إذ تكون أحدهما توضيحاً للأخرى، وتقوم انطلاقاً من علاقة التعايش بين الأشياء، وهي علاقات حصرها بعضهم في علاقة الذات بصفاتها أو الشخص بأفعاله(الدريدي، 2007، بنظر: 228). من أوضح نماذج هذه الحجة في المنام الكبير وتحديداً البيت الشعري الذي أورده الوهراني على لسان احدى شخصياته وهي ترفض اتباع الأعور البغدادي بوصفه رائداً لا يكذب أهله والمتبصر لحاجات قومه ومصالحهم، قائلاً:

"إذا كانّ الغرابُ دليلَ قومٍ فلا يعدو بهم طُرقُ الخراب"

(الوهراني، 2011: 247). نلمسُ جليّاً العلاقة بين الغراب والأعور البغدادي فكلاهما دليل شؤم وسوء المنقلب، والحافظ العليمي قيّم الأعور البغدادي وفقاً لإعماله؛ لأنَّ الصلة بين الشخص وأفعاله هي متبادلة، والحافظ العليمي أطرَّ أفعال الأعور البغدادي في رمزية الغراب ودلالاته السلبية وجاء هذا التشكيل الرمزي في ضوء الأفق الأخلاقي والسلوك المهيمن على شخصية البغدادي، ومن ثم فإنَّ القصد الحجاجي للحافظ العليمي هو الكشف عن النتيجة السلبية في اتباع الأعور البغدادي. إنَّ البيت الشعري المستشهد به قام بوظيفة تفسير ما هيه الشخص وفعله، كذلك يمثّل استشراف للمصير الوخيم الذي سيؤول إليه الوهراني والحافظ العليمي في حال الأخذ برأي الأعور البغدادي والاحتذاء به.

(ب)-حجة السلطة، تعتمد بعض الحجج خطابات الناس على فعاليتها من هيبة الشخص ومقامه الاجتماعي وهي تستثمر فيها هيبة الشخص وسلطته أو عدد الشخوص لغاية دفع المخاطب إلى تبني دعوى ما، ومن هذه السلطات: الاجماع أو الرأي العام، والعلماء، والفلاسفة، ورجال الدين، والأنبياء، وغيرها(بنو هاشم، 2014، ينظر: 79). برزت هذه الحجة في المقطع السردي الآتي " فقالت الملائكة: أي ربّ أشغالنا كثيرة في هذا اليوم، وقد جاء هذا الرجل بتخليطٍ عظيم... فيقول الباري جلّت قدرته: "ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة " سلموه إلى الروح الأمين. فيقول جبريل عليه السلام: هذا الشيخ من شيوخ الإسلام ومن عظماء إمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. (الوهراني، 2011: 223). تضمنت بنية النص الحجاجي صورتان من صور حجة السلطة في المجال الديني، وحصراً في سياق أحداث يوم الحساب، أولى هاتين الصورتين، الآية المباركة وهي قوله تعالى: "ما خلقُكُم ولا بعثُكُم إلاّ كنفسٍ واحدة"[لقمان: 28]. نرى اعتماد المتكلم على السلطة الدينية باستحضار النص القرآني من سورة لقمان من أجل كسب متلقي الحجاج وحمله على التصديق لما يتمتع به النص القرآني من قوة في الاستجابة وما يمنحه من ثقة وطمأنينة في بنية الحجاج. أما الصورة الثانية فتتمثل بمكانة جبريل عليه السلام بين الملائكة في السماء، وهو ما

قرأناه في نص الوهراني - سلموه إلى الروح الأمين -. يظهر النص لنا النفوذ الكبير لهذا الملك المقرّب وما يتمتع به من هيمنة بدليل استفراده من جميع الملائكة الذي لا يحصي عددهم إلاّ الله. كما نلحظ استثمار جبريل - عليه السلام - نفسه لشكل من أشكال السلطة من أجل الشفاعة للحافظ العليمي، وتندرج حجة الروح الأمين تحت السلطة العلمية بوصف المشفع له كان في عالم الدنيا من طائفة العلماء، وهذه الطائفة يتمتعون بسلطة العلم وأثرهم في البنية الاجتماعية. إنَّ لجوء الروح الأمين إلى هذا الشكل من السلطة تكشف عن غياب حجة مقنعة يتوسل إليها لإنقاذ الحافظ العليمي، فلو كانت أعماله الصالحة أكثر في ميزان العدالة الإخروي لأنتفت الحاجة إلى هذه السلطة؛ لأنَّ العلم لا يتقدم على الإخلاص والعمل الصالح في تقييم يوم القيامة، فكم من العلماء كانت أعمالهم ضد النوع الإنساني، وجلبت على البشرية الويلات والدمار، وكانت جهودهم آلة فتاكة بيد السلطات المستكبرة. ومن هنا فإنَّ " حجة السلطة هذه لا تبرز قيمتها وأهميتها إلاّ في حالة عدم وجود حجج مقنعة، وهنا تأتي دعماً لحجج أخرى والذي يستعملها يحرص على الرفع من قيمة السلطة التي تنسجم مع دعواه"(بنو هاشم، 2014، ينظر: 79).

(ج)-حجة الشاهد، يُبنى هذا الصنف من الحجاج على الحجج المؤسسة لبنية الواقع والمراد منه، عندما يحاجج المتكلم عن طريق الشاهد يدل على وجود " اثبات أو اطراد لما يوفر الشاهد تجسيداً له، فهو يسعى إلى اثبات قاعدة إذ يبحث انطلاقاً من حالة خاصة عن القانون أو البنية التي تكشف عنها هذه الحالة"(بنو هاشم، 2014، ينظر: 83-84). من أمثلة حجة الشاهد قول الوهراني راداً على تشاؤم الحافظ العليمي من اتباع الأعور البغدادي:

"لا تعجبن لخيرٍ إنْ أتاك به
فالكوكب النحس يسقي الأرض أحياناً"
(الوهراني، 2011: 237).

النص الذي استشهد به الوهراني جاء في سياق تقوية الرأي ورفع الشك في نفس السامع لتبديد الصورة السلبية المركوزة للأعور البغدادي في ذهن الحافظ العليمي، فالمتداول في الثقافة الشعبية إنَّ الحالة الغالبة لكواكب النحس هي الجدب والقحط، لكن يستثنى أزمان خاصة تكسر فيها القاعدة العامة لصفة النحوسة في الكواكب، ومن ثم فالوهراني يعرض موازنة بين نحوسة الكواكب ونحوسة الأعور البغدادي سلباً وايجاباً، وجعل من الكواكب النحسة مرآة لفهم السمات الشخصية العامة للأعوار البغدادي، وهو في دعواه أبطل رأيي الحافظ العليمي أو زعزع معتقده تجاه صفات البغدادي، وحجة الوهراني تحمل النظر إلى الأشياء والوقائع من منظور نسبي، وإنَّ فاعلية الحجاج في قول الوهراني ظهرت أثرها أيجاباً في النص الآتي " ومشينا معه مقدار أربعة فراسخ"(الوهراني، 2011: 237). فالمشي مع الأعور البغدادي دليل على قبول الحافظ العليمي لحجة الوهراني والشاهد الشعري كان كفيلاً بالاقتناع به.

نتائج البحث

أثمر البحث عن جملة من النتائج وشملت ما يأتي:

1-الحدث الكلامي العام في المنام هي الإدانة وهو بدوره يتفرع إلى سلسلة من الأفعال الكلامية

2-إنَّ الأفعال التأثيرية كانت لها أهميتها الوجودية في عمل الوهراني.

3-شغلت الإخباريات والإلزاميات مساحة كبرى على جسد المنام الكبير ثم تلتها التوجيهيات والتعبيريات.

4-السخرية والتهكم بوصفهما الثيمة المركزية المهيمنة على رسالة الوهراني إلاّ أن المؤلف أجاد في تحويلهما إلى نسق تخاطبي مؤثر وعقلاني ونافع في تشخيص الأمراض الاجتماعية وما يعانيه من أزمة في القيم.

5- الاستلزام بوصفه حقلاً تداولياً شكّل تنويعه بصمة مميزة وأشارة إلى قدرة الوهراني، ونجاحه في بناء نصه على بنية الحوار .

6-شهدت عوامل الحجاج ومنها(النفي والاستثناء،وليس)، حضوراً فاعلاً في العينة المدروسة

7-تنوعت العلاقات الحجاجية، ومنها الاستنتاجية والاقتضائية وغيرهما بين المتكلم والمخاطب والقضية المطروحة وسياق الخطاب.

8-اتسم الخطاب الحجاجي عند الوهراني بالمرونة من زاوية عناصر العملية الحجاجية.

9-العلاقة الوطيدة بين نسبية الحجاج ومساحة التأويل وتعددية التأويلات.

10-إنَّ اللغة المجازية بآلياتها المتباينة تتمتع بقدرات حجاجية قوية تارة وضعيفة تارة أخرى في اقرار الحجج وحمل المتلقي على الاقناع.

-أبرز البحث قدرة تطبيق النظرية الحجاجية على نصوص التراث.

*المصادر والمراجع

- الجرجاني، (عبد القاهر)، 1992م، دلائل الاعجاز، تحقيق: محمود أحمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط 2.

- أبو زنيد، (عثمان)، 2010م، نحو النص إطار نظري ودراسة تطبيقية، عالم الكتب الحديث، ط 1.

- أرمينكو، (فرانسواز)، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي.

- الخليفة، (هشام عبد الله)، 2000م، نظرية الفعل الكلامي بين لغة علم الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، مكتبة لبنان، ناشرون، ط 1.

- الدريدي، (سامية)، 2007، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1.

- السامرائي، (فاضل صالح)، 2000م، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1.

- الشهري، (عبد الهادي بن ظافر)، 2004م، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، المتحدة، ط 1.

- الصعيدي، (عبد المتعال)، 2000م، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة.

- العزاوي، (أبو بكر)، 2006م، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، دار البيضاء، ط 1.

- العياشي، (أدراوي)، 2011م، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الرباط، ط 1.

- المتوكِّل، (أحمد)، 1989م، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط.

- الناجح، (عز الدين)، 2011، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط 1.

- الوهراني، 2011م، منامات الوهراني وحكاياته، تحقيق: منذر الحايك، تقديم: سهيل زكار، ط 1،سورية- دمشق، دار صفحات للدراسات والنشر.

- بنو هاشم، (الحسين)، 2014م، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1.

- بيرلمان وتيتكا، (شاييم ووَلوسي أولبرخت)، المصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة، ترجمة وتقديم: محمد الولي، دار الكتاب الجديدة المتحدة.

- صادق، (مثنى كاظم)، 2015م، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، كلمة للنشر والتوزيع، بيروت ط 1.

- صحراوي، (مسعود)، 2005، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة- بيروت، ط 1.

- عبد الحميد، (محمد محيي الدين)، 2004م، شرح ابن عقيل على إلفية ابن مالك، دار الطلايع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة.

- عبد الرحمن، (طه)، 1998م، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط 1.

- قيّاس، (ليندة)، 2009م، لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمداني أنموذجاً، تقديم: عبد الوهاب شعلان، مكتبة الآداب القاهرة، ط 1.

- لالاند، (أندريه) 2001م، موسوعة لالاند الفلسفية، ت: خليل أحمد خليل عويدات، منشورات عويدات، لبنان، ط 2.

- موشلار، (جاك وآن ريبول)، 2010م، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة خالد ميلاد، ط 1.

- نحلة، (محمد أحمد)، 2011م، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1.

- يول، (جورج)، التداولية، 2010، ترجمة: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم والفنون ناشرون، ط 1.

*الأطاريح الجامعية

- أحمد، (واضح)، 2002م، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجري، أطروحة دكتوراه، جامعة ألسانيا، وهران، الجزائر.

- بلجرمة، (يوسف)، 2021م، تشكلات السرد في منامات الوهراني ومقاماته، مقاربة سيميائية، إشراف أ.د مزاري عبد القادر، كلية الأدب العربي والفنون، جامعة عبدالحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر.

- محمد، (حسين عمران)، 2015، شعر أبي نواس دراسة تداولية، بإشراف أ.م.د علي متعب، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ديالى، جمهورية العراق.

*الدوريات

- الصافي، (ضيف الله)، 2022م، مقامات ومنامات الوهراني بين التأصيل والتفاعل، معرفة، المجلد 24، العدد 2، 31 ديسمبر/ كانون الأول.

- أمقران، (شعبان)، 2018، تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عن بيرلمان، المجلة التعليمية، جامعة باجي مختار، عنابة- الجزائر، العدد 15، المجلد 5، سبتمبر.

- بو سلاح، (فايزة)، 2016م، العلاقات الحجاجية في القصص القرآني، مجلة الحضارة الإسلامية، ع 29.

- زيقم، (مداني)، 2020م، منامات ركن الدين بن محرز الوهراني: من القالب السائد إلى السرد المختلف، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الشريف مساعديه، سوق أهرأس، الجزائر، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، المجلد 28، العدد 11.

- غريب، (سلامة هليّل)، 2016، السخرية في المنام الكبير للوهراني (دراسة موضوعية وفنية)، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 43، ملحق 1.

- فخوري، (عادل)، 1989م، الاقتضاء في التداول اللساني، مجلة عالم الفكر، أكتوبر نوفمبر ديسمبر، ع 3.

الرمز في الخطاب العلوي مقاربة بلاغية

أ.د. حيدر أحمد حسين كلية العلوم الإسلامية/ جامعة ديالى
أ. صباح محمد حسين كلية العلوم الإسلامية/ جامعة ديالى

الملخص:

يعد الخطاب العلوي، الذي يمثله كلام الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، واحدًا من أبرز النماذج الأدبية والبلاغية في التراث الإسلامي والعربي، فينماز بعمقه الفكري، وجماله اللغوي، وقدرته الفائقة على التعبير عن المفاهيم الإنسانية والدينية بأسلوب فريد، وكان للرمز دلالات تأويلية لها أثرها في الخطاب العلوي بلاغياً عبر تحريك ذهن المتلقي وشعوره، فضلاً عن إمكانية الرمز في الإيحاء عن رؤى ثقافية واجتماعية ودينية بطريقة تعبيرية غير مباشرة محملة بالمقاصد والمعاني والمفاهيم، يصل إليها المتلقي بعد فك شفرة الرمز ودلالته الموحية، فالخطاب العلوي يعد أرضًا خصبة لدراسة الرمز، لذا جاء عنوان بحثنا موسومًا بـ(الرمز في الخطاب العلوي مقاربة بلاغية) كاشفًا عن دلالات تلك الرموز وأشكالها.

الكلمات المفتاحية: (الرمز، الخطاب العلوي، دلالة، بلاغة)

Symbolism in Al-Alawi Discourse: A Rhetorical Approach

Prof. Dr. Haider Ahmad Hussein Prof. Sabah Muhammad Hussein
Ministry of Higher Education and Scientific Research /University of Diyala

Abstract:
Al-Alawi discourse, represented by the words of Imam Ali Ibn Abi Talib (peace be upon him) is one of the most prominent literary and rhetorical models in the Islamic and Arab heritage. It is distinguished by its intellectual depth, linguistic beauty, and superior ability to express human and religious concepts in a unique style. Symbolism has interpretive connotations that influence Al-Alawi discourse rhetorically by stimulating the mind and feelings of the recipient. Furthermore, symbolism can suggest cultural, social, and religious visions in an indirect expressive manner, filled with intentions, meanings, and concepts, which the recipient arrives at after decoding the symbol and its suggestive significance. Al-Alawi discourse is fertile ground for the study of symbolism. Therefore, the title of our research, "Symbolism in Al-Alawi Discourse: A Rhetorical Approach," reveals the connotations and forms of these symbols.
Keywords: (symbol, Al-Alawi discourse, connotation, rhetoric).

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

فيكتسب هذا الموضوع اهمية كبيرة لما يحمله خطاب الامام علي (عليه السلام) من عمق فكري وروحي، ولا ريب ولا جدال في ذلك فشخصية الامام علي (عليه السلام) تحتل مكانة في حقل البلاغة العربية فهو من الشخصيات البارزة التي وظفت البلاغة في خطابها توظيفا دقيقا، وهذه دراسة تكشف لنا ما يمتلكه شخص الامام علي (عليه السلام) من ثراء فكري وبلاغي يمتاز بالعمق والدقة، فقد امتاز عليه السلام بأسلوبه الذي استطاع ان يوصل الفكرة بطريقة

انفرد بها بوساطة الجمع بين الحكمة والفصاحة ودقة التعبير، وهذا ما جعل كلامه مرجعا في الدراسات البلاغية والاسلامية، فهو مادة خام يمكن ان ينتفع منها الفكر الانساني فهو من أبرز الشخصيات التي استخدمت البلاغة بأساليبها المختلفة، ومن ضمنها الرمز، لنقل الأفكار والقيم الأخلاقية والفلسفية ، لذا فان دراسة الرمز في الخطاب العلوي تكشف لنا عن ثراء فكري وبلاغي عميق.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة الرمز في الخطاب العلوي بوساطة مقاربة بلاغية، تسلط الضوء على كيفية استخدام الإمام علي (عليه السلام) للرموز في خطبه ورسائله وحكمه، واسهاماتها في إثراء المعنى وتوجيه المتلقي. سيتم في هذا البحث الاعتماد على المنهج التحليلي البلاغي، الذي يتتبع الرموز في الخطاب العلوي ويحللها في ضوء السياقات التاريخية والثقافية والدينية التي نشأت فيها. كما سيتم ربط هذه الرموز بالمفاهيم الفلسفية والأخلاقية التي يطرحها الإمام علي (عليه السلام)، مما يسهم في إبراز الأبعاد المتعددة لخطابه.

وقُسم البحث على ثلاثة مباحث يتصدرها تمهيد عنوانه (الإطار النظري في تعالق الرمز والبلاغة)، وكان المطلب الأول بعنوان: (المقاربات البلاغية الرامز في الخطاب العلوي)، وجاء عنوان المطلب الثاني: (دلالات الرمز في الخطاب العلوي وتجليه بلاغيًا)، وتحدث المطلب الثالث عن: (الرمز وسيلة اقناعية)، وخُتمت الدراسة بجملة من النتائج مع توصيات وقائمة بالمصادر والمراجع.

التمهيد: الإطار النظري في تعالق الرمز والبلاغة

أولاً مفهوم الرمز في اللغة والاصطلاح

الرمز لغة: يعود أصل كلمة "الرّمز" في اللغة العربية إلى الفعل رَمَز، والذي يدلّ على الإشارة الخفية أو الإيماءة التي تحمل دلالة غير مباشرة. وقد ورد في معاجم اللغة أن الرمز يعني الإشارة بالعين أو الشفاه أو الحاجب أو غيرها من الوسائل غير اللفظية، كما قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: "الرمز إيماء بالشفتين والحاجبين والعينين"(ابن فارس، 1986: 398/1).

والرّمز باللسان هو الصّوت الخفيّ ويمكن أن يراد بالرّمز الإيماء بالحاجب بلا كلام، ومثله الهمس(الفراهيدي: 366/7)، قال ابن منظور: "والرَّمْزُ فِي اللُّغَةِ كُلُّ مَا أَشرت إِليه مِمَّا يُبانُ بِلَفْظٍ بأَي شيءٍ أَشرت إِليه بِيَدٍ أَو بِعَيْنٍ، ورَمَزَ يَرْمُزُ ويَرْمِزُ رَمْزاً. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ فِي قِصَّةِ زَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً"(ابن منظور، 1414ه: 356/5).

ومما سبق يتضح لنا ان مفهوم الرمز في اللغة لا يتعدى كونه الإشارة والإيماء والكلام الموجز الذي يُفهم معناه بغير تصريح، أي أنه شكل من أشكال الإيحاء أو التلميح الذي لا يعتمد على الإفصاح المباشر، وفي السياق الأدبي يمكن ان يُستخدم الرمز للتعبير عن المعاني العميقة والمجازية التي تتجاوز الدلالة الظاهرية للنص.

أما الرمز اصطلاحاً: هو الإشارة أو العلامة التي تحمل دلالة تتجاوز معناها الحرفي، لتعبر عن فكرة معينة، أو مفهوم ما، أو تجربة إنسانية بشكل غير مباشر(ليونز: 229)، وتعدد تعريفات الرمز وفقًا للمجالات التي يُستخدم فيها، فمن منظور البلاغة والأدب، يُعرف بأنه " وسيلة إيحائية من ابرز وسائل التصوير وبخاصة في الشعر أو في النثر وهي قديمة ولكن الشاعر المعاصر غلبها في تجاربها الشعرية للانتقال الحداثي من بلاغة الوضوح إلى بلاغة الغموض في سعيه الدائم وراء اكتشاف وسائل التعبير اللغوية يثري بها لغة الشعرية وهو مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعرية التي يعانيها في واقعه الراهن"(فتوح، 1984: 33). أما في الفلسفة وعلم النفس، فيُنظر إلى الرمز على أنه وسيلة للتعبير عن المفاهيم المجردة والمعاني الكامنة في اللاوعي (بدوي، 1993: 427).

والرمز أسلوب فني يعتمد عليه الأديب للتعبير عن تجربته الشعورية أو رؤيته الفنية، حيث يسهم في تشكيل المعنى الذي يهدف إلى إيصاله، يمكن أن يتخذ الرمز شكل كلمة أو عبارة أو شخصية أو حتى اسم مكان، ويحمل في طياته دلالتين: واحدة مباشرة وظاهرة، وأخرى باطنة ترتبط بالمعنى العميق الذي يرغب

الأديب في توصيله. على سبيل المثال، تُستخدم الحمامة كرمز للسلام، والدماء كرمز للحرب والقتل، والمطر كرمز للخير، والميزان كرمز للعدالة (العتبي: 217).

ويعد الرمز في الدراسات البلاغية أداة فنية تستند إلى المجاز والاستعارة، إذ يمكن أن يكون كلمة أو صورة أو فكرة تحمل معاني متعددة تتكشف للقارئ وفقًا للسياق الثقافي والتجربة الشخصية(إسماعيل: 23)، ويُعَدُّ الخطاب العلوي نموذجًا غنيًا لاستخدام الرمز، حيث تتجلى فيه الدلالات العميقة التي تعكس الحكمة والمقاصد البلاغية.

وبذلك يمكن ان نعرف الرمز بانه العنصر الذي يمكن ان يمنح للغة النص عمقا وجمالا ويتيح للمتلقي فرصة للتأمل والتأويل، فهو وسيلة تواصل غير مباشرة تحمل بعدا دلاليا متعددا ما يجعله اداة اساسية في التعبير عن المعاني الخفية بأسلوب مؤثر.

ثانياً: الرمز في البلاغة العربية ومجالاته

يُعدّ الرّمز أداة يستعملها الكُتّاب والشعراء للتعبير عن أفكارهم بأسلوب غير مباشر، مما يمنح النص عمقًا دلاليًا وجماليًا، ويعطي للمتلقي مساحة اوسع في فهم النص وتفسيره، ونلحظ ان الرمز يحتل في الدرس البلاغي مكانة بارزة كونه وسيلة تعبيرية تعتمد على الإيحاء بدلًا من التصريح، مما يساعد في إضفاء الغموض الفني والجاذبية على الخطاب الأدبي(الميداني، 1414: 472/1). فيأتي الرمز دالاً على لفظ أو صورة أو تركيب لغوي للإشارة إلى معنى غير مباشر، بحيث يحتاج المتلقي إلى التأمل، ويمكن القول إنّ الرّمز يتجاوز المعنى الحرفي للكلمة ليحمل معاني عميقة قد تكون دينية أو فلسفية أو اجتماعية (الكاتب، 1996: 122).

ومن منظور البلاغيين، فإنّ الرّمز هو جزء من علم البيان، حيث يتصل بالمجاز والاستعارة والكناية، إذ يعتمد على توظيف الصور والإيحاءات بدلًا من

التصريح الواضح. ويختلف عن الاستعارة في كونه أكثر غموضًا واتساعًا في دلالاته، إذ لا يحدد العلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي بشكل مباشر(السيد، 2014: 53)، ففي كتاب "البيان والتبيين"، ذكر الجاحظ أهمية استخدام الرموز في البلاغة قائلاً: "البلاغة هي أن تجد في الكلمة ما يوقع في النفس شيئًا مما يكون عليه المعنى، بحيث تصير الجملة أقوى في الأثر من الجملة المعبرة عن المعنى مباشرة"(الجاحظ، 1964: 82/1). فالبلاغة ليست في مجرد نقل المعنى، بل في القدرة على إيصاله بطريقة تؤثر في النفس، وتثير فيها التفكير.

وفي "دلائل الإعجاز"، يبين الجرجاني أهمية الرمز في البلاغة قائلاً: "الرمز هو مفتاح العقل، فإن الكلمة المباشرة قد تجلب الفهم السطحي، أما الكلمة الرمزية فتفتح للذهن أفقًا أوسع وأكثر تعقيدًا، وتجعل من المعنى شيئًا يتفاعل معه العقل بشكل أعمق."(الجرجاني، 1992: 408)، إذ أشار إلى أن الرمز لا يرد لمجرد الزخرفة اللغوية، بل هو وسيلة لفتح أبواب الفهم العميق في عقول المتلقين. فالرمز يُحرك العقل في أكثر من اتجاه، ويُضفي طابعًا من الإثارة الفكرية التي تتيح للمستمع أو القارئ أن ينخرط في عملية فكرية مستمرة.

المطلب الأول: المقاربات البلاغية الرامز في الخطاب العلوي

أولاً: المقاربة الاستعارية للرمز

ان الاستعارة أداة من أدوات البلاغية الرامزة، إذ تبنى عليها كثير من الرموز الأدبية، فالرمز يمكن أن يُولد من الاستعارة ويتوسع في تأويلاته، مما يجعل العلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص، فالرمز أوسع تأويلاً، والاستعارة أكثر تحديدًا في السياق البلاغي، قال الامام علي (عليه السلام) "فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ، وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ." (ابن أبي الحديد، 1959: 91/2).

استعمل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الاستعارة ليجعل من "الدنيا" شخصًا مدبرًا يودّع، ومن "الآخرة" شخصًا مُقبلًا يُطلّ، فينقل الصفات الحركية

للبشر إلى مفاهيم مجردة. هذه الاستعارات تُبنى عليها رموز ذات دلالات عميقة؛ فالدنيا ترمز إلى الفناء والزوال، بينما ترمز الآخرة إلى الخلود والبداية الحقيقية، فالاستعارة هنا تُجسّد المفاهيم الغيبية وتقرّبها للذهن، بينما الرمز يُعطيها أبعادًا فكرية وروحية. وهكذا، تعمل الاستعارة كوسيلة لإنتاج الرمز، ويتكاملان لنقل المعنى بأسلوب مؤثر ومهيب.

ثانياَ: المقاربة الكنائية للرمز

الكناية هي أسلوب بلاغي يعتمد على ذكر معنى غير مباشر دون تصريح، مما يجعلها قريبة من الرّمز في طريقة التعبير. ومع ذلك، فإن الكناية غالبًا ما تكون دلالتها أوضح من الرمز، إذ يمكن استنتاج المعنى بسهولة من السياق(الميداني، 1414: 141/2).

وان العلاقة بين الرّمز والكناية قائمة على التقارب والتكامل، إذ أن كلاهما يُعبّر عن المعنى بطريق غير مباشر، لكن بأسلوب مختلف. فالكناية تُعبّر عن المعنى بلفظ يدل عليه بقرينة، دون التصريح به، بينما الرمز يتجاوز المعنى الظاهر إلى إيحاءات متعددة تتطلب تأملًا وتفسيرًا.

ومن ذلك قول الإمام علي عليه السلام: "دارٌ بِالْبَلاَءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لاَ تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلاَ يَسْلَمُ نُزَّالُهَا"(ابن أبي الحديد، 1959: 257/11).

في هذا النص، يُكنّي الإمام عن الدنيا بأنها "لا يسلم نُزّالها"، وهي كناية عن مصير الإنسان المحتوم بالموت أو البلاء، دون أن يذكر ذلك صراحة، كما أن وصفها بأنها "دار محفوفة بالبلاء ومعروفة بالغدر" هو كناية عن تقلّبها وخداعها، لكن هذه الكنايات تتحوّل في السياق إلى رموز فـ"الدنيا" ترمز إلى مكان الفتنة والتجربة الزائلة، و"البلاء" و"الغدر" يرمزان إلى طبيعتها الخادعة والمخيفة، فالكناية تخفي المعنى المباشر خلف تعبير مألوف، في حين أن الرمز يعطي هذه الكناية بُعدًا فلسفيًا وأخلاقيًا، فالكناية تُلمّح، والرمز يُؤوّل ويوسّع، ليعبّر النص عن رؤية شاملة للدنيا وموقف الإنسان منها.

ثالثاَ: المقاربة المجازية للرمز

المجاز هو استعمال كلمة أو تعبير في غير معناه الأصلي لعلاقة معينة، ويُعدّ أداة أساسية في بناء الرّمز، فالرّمز في جوهره يعتمد على المجاز لإعطاء الكلمات دلالات أوسع من معانيها الحرفية(الميداني، 1414: 272/2).

وان العلاقة بين الرّمز والمجاز علاقة وثيقة، فكلاهما يقوم على نقل اللفظ من معناه الحقيقي إلى معنى آخر غير مباشر، لكنهما يختلفان في مدى الدلالة وطريقة التعبير، فالمجاز يعتمد على علاقة محددة بين المعنى الحقيقي والمجازي، مثل المشابهة أو السببية، ويُفهم غالبًا من السياق بسهولة، أما الرمز فيتجاوز المجاز ليحمل إيحاءات أوسع، ويُستخدم للتعبير عن معانٍ عميقة وفلسفية تتعدد تأويلاتها، ان المجاز أداة بلاغية دقيقة، بينما الرمز أداة فنية وفكرية مفتوحة، وغالبًا ما يكون الرمز مبنيًا على المجاز، أي أن المجاز يُمهّد لبناء الرمز. لذلك، يمكن القول إن كل رمز يحتوي مجازًا، لكن ليس كل مجاز يُعدّ رمزًا(عوني: 93/5).

ففي قول الإمام علي عليه السلام: "انْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا، الصَّادِفِينَ عَنْهَا؛ فَإِنَّهَا واللَّه عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ السَّاكِنَ، وتَفْجَعُ الْمُتْرَفَ الْآمِنَ؛ لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ، ولَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ"(ابن أبي الحديد، 1959: 105/7).

يحمل النص بلاغة عالية تُظهر بوضوح العلاقة التفاعلية بين الرمز والمجاز، حيث يُوظَّف المجاز التصويري ليؤسّس لمعانٍ رمزية أعمق، فيُظهر الإمام علي عليه السلام استخدامًا بارعًا لكل من الرمز والمجاز لنقل معنى عميق حول حقيقة الدنيا. المجاز في النص يتجلى في صور حركية وواقعية مثل "تزيل الثاوي الساكن" و"تفجع المترف الآمن"، حيث يتم تصوير الموت والتحولات الدنيوية على أنها عمليات فاعلة تزيل الراحة والاستقرار. من جهة أخرى، الرمز يتجسد في مصطلحات مثل "الدنيا"، التي تُرمز إلى الغرور والمصير المجهول، و"الثاوي"

و"المترف"، اللذان يرمزان إلى الإنسان المغرور والمتعلق بالملذات الزائلة. العلاقة بين الرمز والمجاز في هذا النص هي علاقة تفاعلية: المجاز يُقدّم الصورة الحسية والواقعية، بينما الرمز يُعمّق المعنى ويفتح أفقًا تأويليًا يتجاوز الظاهر. هكذا، يشكّل النص مزيجًا من التصوير البلاغي والمعنى الفلسفي في تعبير عن زوال الدنيا وزيف استقرارها.

ثانياَ: المقاربة التشبيهية للرمز

ان التشبيه هو مقارنة بين شيئين يشتركان في صفة معينة، وغالبًا ما يكون مباشرًا، بينما الرّمز يعتمد على الإيحاء دون مقارنة صريحة (الجرجاني: 170).

الرمز والتشبيه هما من الأدوات البلاغية التي تُستخدم في اللغة لإيصال المعاني العميقة، لكن بينهما فرق في الوظيفة والعمق. التشبيه يعتمد على المقارنة المباشرة بين شيئين ويهدف إلى إيضاح فكرة أو صورة معينة من خلال إيجاد علاقة بين أمرين. أما الرمز فهو يشير إلى شيء معين لكن يُحيل إلى معانٍ أوسع وأكثر تجريدًا، حيث يحمل دلالة متعددة تتجاوز الظاهر. العلاقة بين الرمز والتشبيه تكون في أن التشبيه قد يُستخدم أحيانًا لتوضيح الرمز، في حين أن الرمز يمكن أن يفتح آفاقًا أعمق لفهم التشبيه ويضفي عليه معاني

قال الإمام علي عليه السلام: "الدَّهْرُ يَوْمَانِ: يَومٌ لَك ويَوْمٌ عَليكَ، فَإذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطَرْ، وإذا كَانَ عَلَيكَ فَاصْبرْ"(ابن أبي الحديد، 1959: 364/19)، يجسد الإمام علي عليه السلام هنا طبيعة العلاقة بين الرمز والتشبيه في نصه بأسلوب بليغ.

ان التشبيه الذي يستخدمه الإمام في هذا النص هو مقارنة الدهر (الزمن) باليومين: يوم لك ويوم عليك، هذه المقارنة توضح تقلبات الحياة بين الفرح والحزن، والنعمة والشدة، وتُظهر كيف أن الإنسان يمر بلحظات متغيرة بين اليسر والعسر، التشبيه يعكس الحركية في الحياة ويجعل الفكرة أكثر وضوحًا، حيث يظهر الإنسان في حالة من التوازن بين هاتين الحالتين.

أما الرمز في هذا النص، فيتمثل في الدهر، الذي يُعد رمزًا للزمن والمصير. فالدهر لا يعكس فقط التقلبات الطبيعية في الحياة، بل يمثل أيضًا القوة المجهولة التي لا يمكن للإنسان التحكم فيها. يشير إلى التحديات والفرص التي تأتي في أوقات مختلفة، مما يعكس الطبيعة غير المستقرة للحياة.

ان العلاقة بين الرمز والتشبيه في هذا القول هي علاقة تكاملية؛ التشبيه يبسط الفكرة ويجعلها قابلة للتصور من خلال المقارنة بين اليومين، بينما الرمز يعطي المعنى أبعادًا أعمق تتجاوز الظاهر. إذ يربط الدهر ليس فقط بتقلبات الحياة بل أيضًا بالزمن والمصير الذي يخضع له كل إنسان، بذلك فإن هذا النص يعبر عن التقلبات الحياتية بوساطة التشبيه، بينما يوفر الرمز فسحة للتأمل في القوة التي تسير الحياة وكيفية تعامل الإنسان معها، سواء أكان في السراء أم الضراء.

المطلب الثاني: دلالات الرمز في الخطاب العلوي وتجليه بلاغيًا

يُعدّ نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) انموذجًا فريدًا في فنون البيان والبلاغة، حيث استخدم الرمز كوسيلة تعبيرية عميقة تحمل دلالات متعددة، مما يفتح المجال أمام التأويل والتفكر في معانيه. فالرموز في نهج البلاغة لم تكن مجرد وسيلة جمالية، بل كانت أداة تعبيرية، وتعليمية، وتوجيهية تعكس مقاصد الإمام في الدعوة إلى الحق، والعدل، والوعي الديني والسياسي. في هذا المطلب، سنسلط الضوء على أهم الدلالات البلاغية للرموز في خطب وأقوال الإمام علي (عليه السلام)

أولًا: الدلالة الإيحائية والرمزية العميقة:

إن الرمز في نهج البلاغة يحقق الإيحاء والتلميح بدلًا من التصريح المباشر، مما يمنح النص قوة تعبيرية تسمح للقارئ بالتفكر والتأمل في المعاني المتعددة. كقوله (عليه السلام): "الدُّنيا دارُ مَمرٍّ لا دارُ مَقَرٍّ، والنّاسُ فيها رَجُلانِ: رَجُلٌ باعَ فيها نَفسَهُ فأَوبَقَها، ورَجُلٌ ابتاعَ نَفسَهُ فأَعْتَقَها"(ابن أبي الحديد، 1959: 329/18).

فقوله "دار ممر لا دار مقر": ترمز إلى أن الدنيا طريق لا غاية، والإنسان عابر لا مقيم، مما يوحي بعدم التعلّق بها، اما قوله "باع نفسه" و"ابتاع نفسه": فهو رمز يجسّد حقيقة ان الإنسان بين خيارين وجوديين: الهلاك بالاتباع للشهوات، أو التحرر بالزهد والطاعة. البيع والشراء هنا رمز لحركة النفس بين الفناء والخلاص.

وقال (عليه السلام): "ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيسا ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة! ما لهم؟" (ابن أبي الحديد، 1959: 312/2). إن الغدر هنا رمز لانقلاب القيم، فان اتّخاذ الغدر "كيسًا": يوحي بمفارقة أخلاقية، حيث صار الشر يُرى ذكاءً، وهي دلالة رمزية على فساد معيار التمييز بين الخير والشر

ثانيًا: الدلالة العاطفية والتأثيرية

إن الإمام علي (عليه السلام) لم يكن مجرد ناثر أو خطيب، بل موجّه وجداني، يُسخّر الرمز والتشبيه والصورة البلاغية لتحريك الوجدان، وإثارة العواطف، وغرس المواقف الأخلاقية في النفوس، خصوصًا في القضايا الكبرى مثل الظلم، الفقر، والعدل.

فيعطي صورة للفقر كبلاء موجع، فيقول: " وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ وبِالْيَمَامَةِ مَنْ لا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ "(ابن أبي الحديد، 1959: 386/16).

إن هذه الصورة ترسم مشهدًا مزدوجًا، فمن جهة يُصوّر الإمام قدرته على العيش برفاه، ومن جهة أخرى يُجسّد مأساة الفقير الذي "لا طمع له في القرص"، وهي صورة موجعة تتجاوز المفردة إلى إثارة عاطفة العطف والتأنيب الذاتي لدى القارئ، ورمز "القرص" هنا يوحي بأدنى مستويات القوت، فكيف بمن لا يجد حتى هذا؟، وقد استخدم الإمام مقابلة تصويرية بين رغد العيش ومشقة الفقر، لا

ليُبكينا على حال الفقير فقط، بل ليزرع في وجداننا الحياء من الغفلة والترف في ظل الجوع العام. هذا الأسلوب يجعل المستمع لا يتلقّى العبارة عقلًا فحسب، بل وجدانًا ومسؤولية.

وفي وصفه (عليه السلام) للمظلوم ودعوته لنصرته، يقول في وصيته لولديه (عليهما السلام): "كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا"(ابن أبي الحديد، 1959: 5/16).

إن هذه العبارة تبدو بسيطة في ظاهرها، لكنها تشتعل بالعاطفة النبيلة والالتزام الأخلاقي، استخدام الإمام لفظ "كُونَا" بصيغة الأمر الحازم يُثير في النفس روح النخوة والواجب الفوري، أما قوله "لِلظَّالِمِ خَصْمًا"، فهو تصوير يُحوِّل السامع إلى مقاتل رمزي ضد الظلم، لا مجرد ناقد لفظي، واللفظ "عَوْنًا" فيه دفء وعطاء، صورة شعورية تدفعك لا لتشفق فقط، بل لتتحرك، إنه تصوير يُربّي الحسّ النضالي في ضمير الإنسان، لا عبر الخطابة الجافة، بل برموز مشحونة بالحب والغضب والحق وقد شخص ابن رشيق ما للبلاغة من اثر في النفوس قائلاً" : "إن البلاغة أن يكون الكلام كما يقتضيه المقام، فيكشف المعنى ويغني عن التفسير. ولا يكون ذلك إلا من خلال الأسلوب الذي يحيط بالرمز، ويترك فيه المجال للمتلقي ليكتشف المعنى من خلال استنباطه "(القيرواني، 1981: 1/ 245).

وهذا يعكس فكرة أن البلاغة الحقيقية تكمن في الإشارة إلى المعنى بشكل غير مباشر، ما يجعل المتلقي أكثر قدرة على التفاعل مع النص واكتشاف مغزاه. الرمز، هنا، يُعد وسيلة فعالة لتمكين المتلقي من اكتشاف المعاني بأنفسهم، مما يخلق نوعًا من التعاون الفكري بين الكاتب أو المتكلم والمستمع.

رابعًا: الدلالة التوجيهية والتربوية:

لم يكن الرمز في نهج البلاغة مجرد أداة فنية أو زخرفًا بلاغيًا، بل كان وسيلة رفيعة للنصح والإرشاد. فقد عمد الإمام إلى توظيف الرموز ليغرس العبر

والدروس الأخلاقية في النفوس بأسلوب غير مباشر، يستثير الفكر ويحرك الوجدان، إذ قال (عليه السلام): "ألا إنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عَليهِ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّماءِ، إذا خَوى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ"(ابن أبي الحديد، 1959: 84/7).

لقد شبّه الإمام علي عليه السلام آل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بـ"نجوم السماء"، كلما غاب نجم ظهر آخر، فالنجوم ترمز إلى الهداية والنور في ظلمات الحياة، فمعنى "خوى" أي خبا ضوءه أو غاب، إشارة إلى أن غياب أحد الأئمة لا يعني انقطاع الهداية، بل يظهر نجم آخر ليكمل المسير، ويُرشد الإمام الأمة إلى أن تقتدي بأهل البيت، فهم مصدر النور والهداية بعد النبي، وجاء هذا التشبيه لتثبيت مفهوم الولاية والارتباط بأهل البيت (عليهم السلام) بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، في مرحلة كان المسلمون أحوج ما يكونون إلى مرجعية واضحة للهداية فالنص جاء ليرسّخ مفهوم القيادة الشرعية والتعلق بالحق، فالرمز هنا يعلّم الأمة بثوب بلاغي مدهش، فيثبت المبدأ التربوي في النفوس بلطف، ويرسم صورة ذهنية قوية، تجعل الإنسان يشعر بالحاجة الفطرية للنجوم في سفره، تمامًا كما يحتاج إلى القيادة الإلهية في مسيره إلى الله.

وقال (عليه السلام): "القلوب أوعية فخيرها أوعاها"(ابن أبي الحديد، 1959: 346/18).

يشبه الإمام علي (عليه السلام) القلوب بالأوعية التي يُملأ بعضها بالخير وبعضها بالشر، بحسب قابلية الإنسان، وكلمة "أوعاها" تعني أكثرها حفظًا وجودةً لما يوضع فيها، فقد ورد هذا النص ضمن وصايا الإمام التي تهدف إلى غرس قيم طلب العلم والحكمة، وتنقية النفس من شوائب الأهواء كون القلب مركزًا للتغيير الحقيقي، وليس مجرد مستودع عاطفي، وفيه دعوة إلى تنقية القلب ليكون صالحًا لاستقبال العلوم والمعارف الربانية.

إن الصورة التي يقدمها الرمز تعلق في ذهن المتلقي بوضوح: الإناء النظيف يحفظ الطيب ويفوح به، والإناء النجس يفسد ما يوضع فيه، وهكذا يشعر الإنسان بمسؤوليته عن مراقبة قلبه، وتنقية محتواه مما يضر به دنياه وآخرته.

المطلب الثالث: الرمز وسيلة إقناعية

يُعدّ نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) نموذجًا فريدًا في فن الخطابة والتأثير، حيث اعتمد الإمام على الرمز كوسيلة بلاغية قوية تساعده على إيصال رسالته بطريقة غير مباشرة، مما يتيح للمتلقي مجالًا للتأمل والتفكر، يقول ابن الأثير في كتابه "المثل السائر": "الرمز له سحر في البلاغة، فالكلمات إذا كانت محمولة على صورة غامضة تستثير الذهن وتدعوه إلى التأمل، كان تأثيرها أقوى في إقناع المتلقي"(ابن الأثير: 20/2)، إن هذه المقولة تؤكد على أن الرمزية يمكن أن تستثير الذهن وتجذب انتباهه للبحث عن المعنى الخفي. يُقدّر في البلاغة أن المعنى المستتر، الذي يتطلب تحليلاً ووقتًا لاكتشافه، يكون أكثر تأثيرًا من المعنى المكشوف مباشرة، حيث يثير التساؤل ويحث على البحث والاستنتاج لذا نجد الامام علي عليه السلام كان مدركا لكل ما يستخدمه من رموز في خطبه وأقواله التي كانت احد وسائل الإقناع والتأثير، سواء على المستوى العقلي أم العاطفي، حيث يثير الرمز الخيال، ويحفّز الذهن، ويعزز الفهم العميق للمعاني المقصودة.

أولًا: الأثر العقلي للرمز في الإقناع

يمثّل الرمز وسيلة فنية بارعة اعتمدها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة لتأجيج الفكر، وإثارة التساؤلات، وتحفيز العقول على المشاركة في استنباط المعاني. إذ لا يقتصر الإقناع عند الإمام على الإلقاء المباشر للحقائق، بل يتعمد تغليفها بالرمز ليجعل المتلقي جزءًا من عملية الفهم، مما يرسخ الحقيقة في ذهنه رسوخًا أعمق.

رمز "الطريق والدليل": قال عليه السلام: "أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ وَاسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجِلَهُ وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي وَلَا لُبِّسَ عَلَيَّ وَايْمُ اللَّهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ"(عبدة، 1986: 43/1).

ففي هذا النص، يستخدم الإمام رمز "الطريق" بشكل غير مباشر عبر مفردات مثل: "الشيطان قد ذمّر حزبه"، "استثار جنوده"، "استجلب جلبه". كأنما يدعو الإمام إلى تصور معركة قائمة، ومسير منظم باتجاه هدف باطل.

كما يتكرر الرمز الخفي للطريق عبر حثه على "الجهاد باليد واللسان"، أي أن المسار الفكري والعقائدي لا يقل أهمية عن المسار العسكري.

وإن هذا التكوين الرمزي ينقل العقل إلى تصور موقف كامل: هناك مسار يسلكه أهل الباطل، ومسار آخر يسلكه أهل الحق. ويجد المستمع نفسه تلقائيًا مضطرًا للاختيار بين المسارين، فيقتنع عقليًا بأهمية نصرة الحق والمبادرة قبل ضياع الفرصة.

ومن ذلك رمز "الثور المربوط": قال الإمام في إحدى خطبه: "كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وَأَتْبَاعَ البَهِيمَةِ رَغَا فَأَجَبْتُم وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ" (ابن أبي الحديد، 1959: 1/ 251).

إن هذه من أكثر المقاطع رمزية وذكاء فالإمام يصف حال جيشه الذي خذله بعبارتين رمزيتين جند المرأة: رمز للذل والخضوع تحت قيادة لا تليق بالرجال، إذ كانت إشارة إلى حرب الجمل. وأتباع البهيمة: رمز للانسياق الأعمى وراء عواطف لا عقل فيها. تصوير الخصم بالبهيمة يحفز عقل المستمع ليقارن بين السلوك العقلاني الواجب، والسلوك الغريزي الحيواني الذي وقع فيه الآخرون.

والرمز هنا يولد قناعة ذاتية بأن القتال كان ينبغي أن يكون عقلانيًا رشيدًا لا خاضعًا للعواطف والشعارات، فأثر هذه الرموز على الإقناع العقلي يجعل السامع في موقف التأمل العميق، إذ لا يمكنه المرور بالكلام مرورًا عابرًا حيث ان المشاركة الذهنية في تفسير الرمز تجعل السامع يقتنع عن طريق "الفهم الشخصي" لا التلقي القسري، ان الرمز هنا يختصر معاني كبيرة في صور مكثفة ذات وقع نفسي وعقلي.

ثانيًا: الأثر العاطفي للرمز في التأثير

الرمز لا يخاطب العقل فقط، بل يؤثر في العاطفة والمشاعر، حيث يستخدم الإمام صورًا رمزية تعبّر عن المعاناة، والخطر، والعدل، والظلم، مما يثير التفاعل العاطفي لدى المستمع، ويجعله أكثر تأثرًا بالرسالة.

" فَيَا عَجَباً! عَجَباً وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ؛ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ!"(ابن أبي الحديد، 1959: 2/ 74-75).

إنَ الإمام يصور في هذا المقطع حال أتباعه بصورة جيش مهزوم " فقوله "غرض يُرمى" رمز للقابلية للانكسار والضعف، وقوله " تُغزون ولا تغزون" رمز لفقدان المبادرة والدفاع عن الكرامة وهذا الرمز يستنهض مشاعر الخزي والعار لدى المستمعين، ما يدفعهم إلى مراجعة مواقفهم بعاطفة مشحونة بالألم، تقودهم إلى ضرورة تصحيح المسار، مما ينتج اقتناعًا عقليًا مبنيًا على إحساس داخلي بالخطر والواجب.

وقال عليه السلام: "أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ، وَغَداً السِّبَاقَ، وَالسَبَقَةُ الْجَنَّةُ، وَالْغَايَةُ النَّارُ" (ابن أبي الحديد، 1959: 91/2).

لقد شبّه الدنيا بميدان سباق، وكل إنسان متسابق، والجائزة إما الجنة أو النار، تثير هذه الصورة في نفس السامع الجانب العاطفي من حس المنافسة والحماسة، وتحفزه للعمل بكل طاقته حتى لا يفوته الفوز، كذلك ممكن لها ان تستنطق الاثر العقلي لتجعل المستمع يدرك أن الإهمال في السباق يؤدي حتمًا إلى الخسارة، كما أن التراخي في الدنيا يسبب الخسران في الآخرة، فبلاغة النص تتركز في الترتيب التصاعدي (اليوم - غدًا - السباق - الجنة أو النار) يولد شحنة شعورية وعقلية متزايدة مع كل عبارة.

يظهر مما سبق أن الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة لا يلقي الأفكار مجردة، بل يغلفها برموز حسية قوية، تلامس العاطفة وتحفز العقل معًا، فالرمز عنده ليس تجميلًا للخطاب، بل هو وسيلة إقناع مزدوجة فيخترق القلب بالمشاعر من جانب، ويخاطب العقل بالصور الحسية العميقة.

ثالثًا: الأثر النفسي للرمز في تعزيز الفهم والاستيعاب

إن الرمز في خطاب الإمام علي عليه السلام أداة فنية وتربوية عظيمة. فهو لا يقتصر على تجميل الكلام أو إثارة العاطفة، بل يُسهم بصورة عميقة في تسهيل الفهم النفسي وتعزيز الإقناع العقلي، فالرمز يحول المعاني المجردة والمعقدة إلى صور محسوسة، فتستوعبها النفس بسهولة، ويدركها العقل بوضوح، مما يجعل الخطاب أكثر تأثيرًا ودوامًا في وجدان المتلقي وفكره معًا.

قال عليه السلام: "اعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ" (ابن أبي الحديد، 1959: 209/9).

يصور الإمام التقوى والفجور بدارين مختلفين في العزة والذلة، ان الصورة تجعل النفس تتخيل نفسها داخل حصن إن اختارت التقوى فهي في أمن ومنعة، وإن اختارت الفجور فهي مكشوفة مهددة، فتشعر بالخوف والرغبة في الاحتماء. فاستطاع عليه السلام من تقريب المفهوم فبدلا من شرح التقوى والخطر الأخلاقي شرحًا نظريًا مجردًا، يُجسد الإمام المفهوم في صورة قلعة تحمي أو تهلك، مما يجعل الفكرة راسخة لا تُنسى.

قال عليه السلام: "إِنَّ هَذِهِ اَلْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ اَلْأَبْدَانُ فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الحِكْمَةِ" (ابن أبي الحديد، 1959: 18/ 246).

نلحظ ان الإمام عليه السلام شبّه القلب بجسد يتعب ويحتاج للتجديد، جعل السامع يفهم أن التقصير في تحفيز القلب يؤدي إلى ضعفه، فيتحرك بدافع داخلي لإحياء قلبه بمواعظ جديدة، وانتقل بالإدراك من فكرة (ضرورة تجديد الإيمان) إلى إحساس حقيقي بحيوية القلب وحاجته للغذاء الروحي.

ويتضح من تحليل أثر الرمز في نهج البلاغة أن الإمام علي (عليه السلام) استخدم الرموز بأساليب متعددة جعلت خطابه أكثر إقناعًا وتأثيرًا في العقول والقلوب. فقد ساعد الرمز على تبسيط المفاهيم المعقدة، وإثارة العواطف، وتقوية الحجج، وإيصال المعاني بطرق عميقة ومؤثرة. ولذلك، لا تزال كلماته حية ومؤثرة حتى اليوم، تلهم الباحثين والمتأملين في معانيها ودلالاتها

الخاتمة ونتائج البحث:

بعد رحلة علمية في رحاب الخطاب العلوي، تبيّن لنا أن الرمز يحتلّ مكانة مركزية في بناء دلالات هذا الخطاب، إذ لم يكن الرمز عند الإمام عليّ مجرد حُلية بلاغية أو ترفٍ فنيّ، بل كان أداة فكرية وجمالية للتعبير عن مضامين عميقة بطريقة إيحائية تسمح بتعدّد القراءات وتوسيع أفق الفهم.

وقد جاءت الرموز في خطابه متنوّعة المضامين، غنية بالإيحاءات، تارة تستند إلى الموروث الديني والقرآني، وتارة أخرى تنبع من تجاربه الحياتية وفهمه العميق للواقع الاجتماعي والسياسي.

واتّضح عن طريق المقاربة البلاغية أن الإمام عليّ قد وظّف أدوات بلاغية دقيقة كالكناية والاستعارة والمجاز المرسل ليمنح رموزه بُعدًا فنيًا يضفي على خطابه طاقة تعبيرية تتجاوز ظاهر الألفاظ إلى المعاني العميقة.

نتائج البحث:

1. الرمز وسيلة بلاغية وفكرية: الرمز في الخطاب العلوي كان يحمل وظيفة مزدوجة، إذ جمع بين الإبداع البلاغي ونقل الأفكار العميقة بطريقة غير مباشرة تثير التفكير.

2. تنوع مصادر الرمز: استقى الإمام علي رموزه من القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن البيئة الاجتماعية والثقافية لعصره، مما جعل خطابه ذا جذور راسخة في الوعي الإسلامي والإنساني.

3. التكثيف الدلالي: عبر الرموز، تمكّن الخطاب العلوي من تكثيف المعاني في تراكيب قصيرة ولكنها مشحونة بالإيحاءات، ما أعطى خطبه وسجالاته طابعًا خلاّقًا.

4. البنية البلاغية الدقيقة: أظهرت الدراسة أن الإمام عليّ اعتمد في بناء الرمز على أساليب بلاغية دقيقة مثل الاستعارة والكناية والمجاز، بطريقة تخدم المعنى ولا تطغى عليه.

5. البعد الإيحائي للخطاب: الرمز في خطاب الإمام عليّ لم يكن غامضًا مغلقًا، بل كان مفتوحًا قابلاً لتعدّد القراءات، مما زاد من حيوية خطابه وديمومته عبر العصور.

6. التناسب بين الفكرة والرمز: كانت الرموز في خطاب الإمام علي منسجمة مع الموضوعات المطروحة؛ فكل رمز اختير بعناية ليؤدي دوره الدلالي ضمن السياق العام للنص.

توصيات البحث:

1. توسيع الدراسة إلى كامل تراث الإمام عليّ: يُوصى بتوسيع نطاق البحث ليشمل كل خطبه ورسائله وأقواله، وليس فقط النصوص المشهورة، لاستكشاف المزيد من الرموز البلاغية الكامنة في نصوصه المختلفة.

2. مقارنة الخطاب العلوي بخطابات أخرى: يُنصح بإجراء دراسات مقارنة بين الخطاب العلوي وخطابات شخصيات معاصرة له أو لاحقة، للكشف عن الفروق البلاغية في توظيف الرمز.

3. تحليل الرموز من منظور سيميائي: من المفيد أن تتناول دراسات لاحقة الرمز في الخطاب العلوي من زاوية سيميائية خالصة، لفهم العلاقة بين الرمز والدلالة في ضوء المناهج الحديثة.

4. الربط بين الرمز والواقع السياسي والاجتماعي: يُستحسن دراسة كيف انعكست الظروف السياسية والاجتماعية على طبيعة الرموز في خطاب الإمام علي، مما يفتح أفقًا لفهم أعمق للدوافع وراء استخدام الرمز.

5. استخدام المناهج البلاغية الحديثة: يُوصى بالاستفادة من المناهج البلاغية الحديثة، كالتداولية والبلاغة الجديدة، لتحليل الخطاب العلوي بطريقة تكشف أبعادًا جديدة لم تُكشف بالتحليل التقليدي.

6. إنشاء معجم للرموز العلوية: كعمل علمي متخصص، يمكن إنجاز "معجم للرموز في خطاب الإمام علي"، يجمع الرموز، معانيها، سياقاتها، وأبعادها البلاغية.

وهكذا يتجلّى الرمز في الخطاب العلوي بوصفه أداة فنية وفكرية عميقة، تجمع بين سحر البلاغة وعمق المعنى، لتبقى كلماته حيّة نابضة بالعبر والإلهام عبر العصور.

المصادر والمراجع:

1. ابن أبي الحديد، (عز الدين عبد الحميد ت 656ه)، 1959م، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، ط 1.

2. ابن الأثير، (ضياء الدين بن الأثير نصر الله بن محمد ت 637 هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.

3. ابن فارس، (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ت 395هـ)، 1986م، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية.

4. ابن منظور، (أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي ت 711هـ)، 1414 هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة.

5. إسماعيل، (عز الدين) (ت 1428هـ)، الأدب وفنونه - دراسة ونقد، دار الفكر العربي.

6. بدوي، (زكي أحمد)، 1993م، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي ـ فرنسي. - عربي، بيروت، مكتبة لبنان، الطبعة الجديدة.

7. الجاحظ، (أبو عثمان عمرو بن بحر ت 255 هـ)، 1964م، البيان والتبيين (4 أجزاء)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط مكتبة الخانجي، مصر.

8. الجرجاني، (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي ت 471هـ)، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني، جدة.

9. الجرجاني، (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي ت 471هـ)، 1992م، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة.

10. السيِّد، (رمضان)، 2014م، الرمز الأدبي بين البلاغة العربية والرمزية الغربية، مجلة الرافد، العدد: 193.

11. عبدة، (محمّد)، 1986م، نهج البلاغة، دار أسامة، بيروت.

12. العتبي، (سارة نجم ساير)، الرمزية وتجلياتها المعاصرة، قسم اللغة العربية في كلية التربية بالمزاحمية، جامعة شقراء.

13. عوني، (حامد)، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث.

14. فتوح، أحمد محمد، 1984م، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف القاهرة، ط 3.

15. الفراهيدي، (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري ت 170هـ)، العين، المحقق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

16. القيرواني، (أبو على الحسن بن رشيق الأزدي ت 463هـ)، 1981م، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد [ت 1392 هـ]، دار الجيل، الطبعة الخامسة.

17. الكاتب، (أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب)، 1969م، البرهان في وجوه البيان (نُشِرَ من قبل باسم نقد النثر لقدامة بن جعفر)، المحقق: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب (القاهرة)، مطبعة الرسالة.

18. ليونز، (جون) اللغة وعلم اللغة، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى.

19. الميداني، (عبد الرحمن حسن حبنّكة)، 1414هـ، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ط: دار القلم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

الأفعـــال الكلاميـــة في الخطبـــة الفدكيّـــة للســـيدة فاطمـــة الزهراء(عليها السلام)

م. د. أسماء عبد الحسين علي كلية الآداب/جامعة القادسية
asmaa.abdulhussein@qu.edu.iq

الملخص

تأتي أهمية دراستنا هذه من الوقوف على نص من نصوص التراث العربي الرصين، الذي صدر من معصومة- وهي سيدة نساء العالمين فاطمة بنت نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم -حينما خطبت بجمع من المسلمين مطالبة بحقها في (فدك) الأرض التي نحلها رسول الله (ص) إيّاها، بخطبة بليغة أسكتت خصومها وأدمعت عيون المسلمين، مستندة إلى الأدلة والبراهين في احتجاجها.

في هذه الخطبة ظهرت أساليب الحوار وعناصر الخطاب والموقف التواصلي الذي كشفه السياق، وقد أظهر البحث ما تقوم به الخطبة من أفعال إنجازية حجاجية، والأثر المترتب عليها، فبرزت وظيفة الخطاب على تعدد أساليبه وتنوعها للتأثير في المخاطبين، وإيصال الرسالة التي أرادتها الزهراء للعالم؛ لتبين مظلوميتها.

فكانت هذه الدراسة تطبيقاً للتحليل التداولي في النص النثري، لنجد تآزر الأفعال الكلامية في الكشف عن مكنونات النص للاتصال اللغوي الإنساني.

الكلمات المفتاحية: التداولية- فاطمة الزهراء- فدك- الأفعال الكلامية

The Speech Acts in the Fadak's declamation of Lady Fatima Al-Zahra (peace be upon her(

Asst. Prof. Asmaa Abdul Hussein Ali
college of Literature/ Al-Qadisiyah University
asmaa.abdulhussein@qu.edu.iq

Abstract :
The importance of our study dealing with the examining a text from the texts of the solid Arab heritage, which was issued by the infallible one, the Lady of the Women of the Worlds, Fatima, daughter of our Prophet Mohammed, may Allah bless him and his family and grant them peace. She addressed a gathering of Muslims, demanding her right to (Fadak's Land) the land that the Messenger of Allah (may Allah bless him and grant him peace) had previously granted to her, in an eloquent speech that silenced her opponents and brought tears to the eyes of Muslims, relying on evidence and proofs in her argument .
In this speech, the methods of dialogue, the elements of discourse, and the communicative situation revealed by the context appeared. The research showed the persuasive and performativity activities of the speech and the resulting impact. The function of the speech emerged through the definition of its methods and their diversity, influencing the addressees and conveying the message that Al-Zahra wanted to the world, revealing her injustice.
This study was an application of pragmatic analysis in the prose text, to find the synergy of speech acts in revealing the contents of the text for human linguistic communication.
Keywords: Pragmatics Fatima Al-Zahra Fadak Speech Acts

التمهيد: في فدك والأفعال الكلامية

فَدَك إرث الزهراء

فدك قرية تقع في الحجاز وتبعد عن المدينة فراسخ عدة، بينها والمدينة يومان، كانت فيها مزارع وبساتين لليهود(الاميني، 2004، 125) وبعد إن " فرغ رسول الله (ص) من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك، فبعثوا الى رسول الله (ص) فصالحوه على نصف منها فقبل منهم ذلك، وكانت فدك لرسول الله (ص) خالصة له، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب(الاميني، 2004، 125) في أرض واسعه وتدر أرباحا كثيرة، إذ كان رسول (ص) ينفق منها في سبيل الله على المقاتلين، وقد منح رسول الله فدك للزهراء (عليها السلام) فعن" أبي سعيد الخدري قال لما نزلت (وآت ذا القربى حقه) قال رسول الله (ص) (يا فاطمة لك فدك) (الاميني، 2004، 125) ولما توفي رسول الله مُنعت الزهراء (ع) حقها في فدك مع أن الرسول" قد أنحل بضعته الزهراء (عليها السلام) فدك، وأنها كانت في يدها حتى انتزعت منها، وإن فدك لا علاقة لها بقضية المطالبة بالإرث، إذ الزهراء طالبت بفدك كنحلة وهبة من أبيها، وبالتالي هي تطالب بملكها المسلوب ، وحقها المنتزع وان كانت عليها السلام قد عممت مطالبتها لتشمل إرثها وحقوقها الخاصة من تركة ابيها رسول الله (ص) المسلوبة ايضا"(حمادي، 2005م، 8) وفي بداية الأمر مُنِع وكيل الزهراء في فدك بدعوى إن هذا فيء للمسلمين، لذلك جاءت الزهراء (ع) محتجة، وطُلب منها أن تأتي بشهود يشهدوا لها بفدك فجاءت بأم أيمن وزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وقُبلت الشهادة في البداية ثم تمّ رفض إعطاء فدك لها عليها السلام، (الطبرسي، 1992م، 235/1، 236) فما كان من الزهراء (عليها السلام) إلا أن تستبسل برد حقها المغتصب وتخطب في المسجد في جمع من المسلمين.

الأفعال الكلاميّة

الأفعال الكلامية من أبرز القضايا التداولية وأحد مفاهيمها، ظهرت ضمن المحاضرات التي ألقاها (جون أوستين) الأستاذ في فلسفة اللغة في محاضراته التي ألقاها على طلبته في جامعة أكسفورد في انكلترا في الخمسينات في القرن العشرين، ردًا على الفلاسفة الوضعيين المنطقيين، المهتمين باللغات الصورية، مستبعدين اللغة العادية من الدراسة، وكانت وظيفة اللغة لديهم هو مجرد الوصف لما يجري بالواقع، وبعد وفاة (اوستين) جاء تلميذه (سورل) ليضع أسسا غير التي وضعها اوستين لهذه النظرية، وأطلق عليها (أفعال الكلام) وقد اختلفت التعريفات لدى الدارسين الغربيين للأفعال الكلامية بسبب اختلاف المرجعيات التي بدأوا منها ، يقول (فان ديك) "وما نعنيه بقولنا إننا نفعل شيئا ما متى صغنا عبارة معينة هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي، كأن نعد وعداً ما، ونطلب، وننصح، وغير ذلك مما شاع وذاع أنه يطلق عليه (أفعال الكلام)" (فان ديك، 2000، 263)

كانت أفكار أوستين قائمة على أمرين:

الأول - رفضه لثنائية الصدق والكذب

الثاني - أن القول لديه عبارة عن فعل ما أو عمل وصنف الجمل أو الأفعال على(نحله، 2002، 44):

1- الاخبارية: - وهي إما صادقة او كاذبة، بحسب الواقع ومطابقتها له، وأطلق عليها (الوصفية)

2- إنجازية: - وهي التي تنجز فعلا بمجرد ان ننطق بها. (اوستين، 1991، 1/ 16، 17) فلا توصف بالصدق او الكذب، وأما أن تكون موفقه أو غير موفقة، ووضع للموفقة منها شرطين(نحله، 2002، 44، 45) هما:

1- الشروط التكوينية، وتعني أنها تتم بوجود الاجراء العرفي المقبول كالزواج، ويتم هذا الاجراء بنطق كلمات محددة، ويكون الافراد مؤهلين للتنفيذ الصحيح الكامل.

2-الشروط القياسية: - وهي تختص بالمشارك فيها، اذ تتطلب أن يكون المشارك بالإجراء صادقا بأفكاره، ومشاعره، ونواياه، وأن يلتزم بما يلزم به نفسه.

ومخالفة الشروط القياسية تسبب سوء الاستعمال

وجعل أوستين الأقوال الإنشائية على نوعين(اوستين، 1991، 1/ 87)

1- الصيغة الإنشائية الاصيلة (سأكون هناك): - التي قد تدل على الوعد او لا تدل.

2- الصيغة الإنشائية الصريحة (اعد بان سأكون هناك):- في هذا القول تظهر الدلالة على الوعد فقط ولا يوجد احتمال آخر.

وبعد ذلك لاحظ اوستين أن هناك عبارات تكون فيها الصيغة الإخبارية والمعنى الإنجازي، ولذلك رأى ان الفعل الكلامي يتكون من ثلاثة أفعال، لا يمكن الفصل بينها(اوستين، 1991، 1/ 116، 120) وهي: -

1- الفعل اللفظي:- يتكون من أصوات لغويه منتظمة بتركيب نحوي صحيح ينتج معنى وله مرجع.

2- الفعل الانجازي: - ويقصد به الغرض وما يؤديه اللفظي من وظيفة.

3- الفعل التأثيري: - ما يحدثه الفعل الإنجازي من أثر في المخاطب.

وقد عدّ أوستين الفعل الإنجازي أهمها جميعا، لأن الفعل التأثيري لا يلازم جميع الافعال ولذلك سميت النظرية أيضا بنظرية الفعل الإنجازي، وعلى أساس القوة الإنجازية للأفعال قدّم اوستين خمسة أصناف(فيليب، 2007، 62)

1- أفعال الاحكام: وهي تعبر عن الحكم.

2- أفعال القرارات (التنفيذ): وهي تعبر عن اتخاذ القرار.

3- أفعال التعهد (الوعد): تعبر عن تعهد المتكلم بفعل شيء.

4- أفعال السلوك: تعبر عن مواقف الآخرين وردود افعالهم.

5- أفعال الايضاح (العرض): تستعمل لتوضيح الرأي او وجهة النظر وذكر الحجة

وعلى الرغم مما قدمه اوستين إلا أنه خلط بين مفهوم الفعل بعدِّه قسما من أقسام الكلام والفعل على أنه حدث اتصالي، فتداخلت الأفعال لديه، الا أنه ميز بين أداء الفعل الإنجازي والنجاح في أدائه، وميز بين معنى الجملة وما يعنيه المتكلم عندما ينطقها، وميز بين الافعال الادائية الصريحة والأوّلي منها، وحدد الفعل الانجازي وهو المفهوم المحوري لنظريته، وبعد ذلك جاء تلميذه سيرل (نحله، 2002، 71) ليكمل المرحلة الاساسية للنظرية إذ رأى أن الكلام محكوم بقواعد مقصدية ويمكن تحديد هذه القواعد بأسس منهجية متصلة باللغة(نحله، 2002، 72) إذ جعل الفعل على أربعة أقسام:

أ- اللفظي وينقسم على قسمين:

1- الفعل النطقي: ويشمل الجانب (الصوتي، النحوي والمعجمي)

2- الفعل القضوي: ويشمل المرجع (المتحدث عنه) والخبر (المتحدث به) ويستعمل دائما مع الفعل الإنجازي؛ إذ لا يمكن ان ننطق بالفعل القضوي من دون المقصد من نطقه والفعل الإنجازي يمثل الوحدة الصغرى في الاتصال اللغوي.

ب- الانجازي: وهو مثل ما ذكره اوستين

ت- التأثيري: لم يختلف عما ذكره اوستين

ورأى سيرل أن الفعل الكلامي لا يقتصر على مراد المتكلم بل يرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي، وقام بتطوير شروط الملاءمة أو التكوينية لدى اوستين، وجعلها اربعة شروط ناتجة وطبقها على الأفعال الانجازية، كأفعال الرجاء والاستفهام، والشكر، والنصح، والتحية، والتحذير.... وهي(نحله، 2002، 75).

1- شرط المحتوى القضوي: وهو ما يطلب في المستقبل من المخاطب من فعل.

2- الشرط التمهيدي، يتمثل بقدرة المخاطب على انجاز الفعل والمتكلم موقن بقدرة المخاطب على الانجاز، وانجاز الفعل المطلوب من المخاطب ليس واضحا عند المتخاطبين.

3- شرط الإخلاص: إرادة المتكلم الحقيقية بإنجاز المخاطب لذلك الفعل

4- الشرط الاساسي: محاولة المتكلم للتأثير في المخاطب

وقد بين (سيرل) أن الأفعال الانجازية تختلف في أغراضها وفي اتجاه المطابقة، فالإخباريات يكون اتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، أما في بعض الأفعال الانجازية الأخرى كالوعد يكون الاتجاه من العالم إلى الكلمات. وتختلف الأفعال الإنجازية في الموقف النفسي للمتكلم، وفي القوة التي يعرض بها الغرض من الفعل الإنجازي، كذلك يقع الاختلاف في المنزلة بالنسبة للمتعلم والسامع، وفى طريقة الارتباط بين القوى واهتمام المتكلم والسامع، والاختلاف في السياق الذي يقع الفعل منه، والإحالة إلى ما قبله وبعده من الأقوال كذلك الاختلاف قد يكون في المحتوى القضوي وما يقتضيه الفعل من عرف غير لغوي او لغوي، وقابلية الافعال على الاداء مثل أعد، وأقرر، واستنتج، إذ إن هناك أفعالا لا يمكن تأديتها بالقول فقط. وكذلك قد تختلف في الأسلوب في تأدية الفعل، أما الاسس المنهجية التي بنى عليها سيرل الأفعال الإنجازية، فهي(نحله، 2002، 78)الغرض الإنجازي

أ- اتجاه المطابقة

ب- شرط الإخلاص

وقد جعل الأفعال الإنجازية خمسة كأوستين(نحله، 2002، 98-104).

1- الاخباريات (التقريريات): والغرض منها هو نقل واقعة ما، وتحتمل أفعالها الصدق والكذب، أما اتجاه المطابقة فيكون من الكلمات إلى العالم الخارجي (الواقع)، ويشمل الإيضاح

2- التوجيهات (الطلبيات): الغرض الإنجازي منها محاولة المتكلم توجيه المتلقي (المخاطب) الى فعل ما، أما اتجاه المطابقة يكون من العالم الى الكلمات، وتتطلب شرط الإخلاص الذي يتمثل بالإرادة، أما محتواها القضوي فهو أن يفعل السامع شيئا في المستقبل.

ويشمل (الاستفهام، والرجاء، والأمر، والدعوة، والإذن والتشجيع، والنصح، والتحدي، وأفعال القرارات) ويحاول المتكلم التأثير في السامع

3- الالتزاميات (الوعديات): والغرض الإنجازي فيها التزام المتكلم بفعل ما في المستقبل.

واتجاه المطابقة من العالم الى الكلمات، مثل التوجيهات ويتوافر فيها شرط الاخلاص الذي يمثل بالقصد، والمحتوى القضوي فيها أن يفعل المتكلم شيئا في المستقبل. والمرجع في الالتزاميات المتكلم بخلاف التوجيهات إذ إن مرجعها المخاطب.

4- التعبيريات (الافصاحيات): غرضها التعبير عن موقف نفسي للمتكلم، يتوافر فيها شرط الإخلاص ، واتجاه المطابقة معدوم فيها إذ لا يحاول المتكلم جعل الكلمات تتطابق مع العالم الخارجي وتشمل أفعال الشكر، والاعتذار، التعزية.

5- الإعلانيات (التصريحيات) ويتمثل نجاح هذه الافعال بمطابقة المحتوى القضوي فيها للعالم الخارجي " فإذا أديت أنا فعل تعيينك رئيسا للوفد أداء ناجحا فأنت رئيس للوفد... وأهم ما يميز هذا الصنف من الأفعال عن الأصناف الأخرى أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم، فضلا عن أنها تقتضي عرفا غير لغوي، واتجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف قد يكون من الكلمات الى العالم ومن العالم الى الكلمات، ولا يحتاج الى شرط الاخلاص"(نحله، 2002، 80).

وقد ميز سيرل بين الأفعال الإنجازية المباشرة، وغير المباشرة ويعني بالمباشرة التي تطابق قوتها الإنجازية لمراد المتكلم، أما غير المباشرة فهي التي تخالف قوتها الإنجازية لمراد المتكلم

" فالافعال الانجازية غير المباشرة لا تدل هيئتها التركيبية على زيادة في المعنى الانجازي الحرفي، وانما الزيادة فيما اطلق عليه سيرل معنى المتكلم"(نحله، 2002، 82).

ويمكن التمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة بفروق عدة(نحله، 2002، 22، 23) منها أن القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تبقى ملازمة لها في مقامات مختلفة، أما الأفعال الإنجازية غير الحرفية (غير المباشرة) فتوكل إلى المقام الذي هي فيه.

إن القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة أيضا يمكن الغاؤها ولا يتوصل إليها إلا عبر الاستدلال بعمليات ذهنية بحسب البساطة والتعقيد، أما المباشرة فتؤخذ من العبارة نفسها، وبين (سيرل) أن نوعا من الأفعال الكلامية غير المباشرة يرتبط بالاستلزام الحواي، واليوم أصبح نظرية متكاملة بإطار التداولية، والفعل الانجازي غير المباشر محول عن فعل إنجازي مباشر(نحله، 2002، 22، 23)

الأفعال الكلامية في الخطبة الفدكيّة

1- الأفعال الإخبارية (التقريريات)

ونجد هذه الأفعال في:

1- الثناء على الله سبحانه وتعالى وحمده.

2- الثناء على النبي محمد (ص)" الحمد لله على ما انعم ... والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها "(الطبرسي، 1992م، 256/1)

ثم ذكرت الشهادة وتشهدت ثم قالت "كلمة جعل الإخلاص تأويلها....." (الطبرسي، 1992م، 256/1)

إذ تضمنت الخطبة أفعالا كلامية إخبارية عن نعم الله التي أنعم بها على الإنسان والتي لا يمكن عدها، ثم تطرقت عليها السلام إلى الشهادة بوحدانية الله فبدأت بنطق الشهادة، "وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الاخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكير معقولها واذا تأملنا في الأفعال التي وردت في هذا الموضع وجدناها قد وردت بصيغة الماضي وهي (جعل، ضمن، أنار، انشأها، كونها، ذرأها، وضع) ولم يرد فعل مضارع في هذا الموضع

وهذا يؤكد الغرض الذي كان وراء الكلام هو ذكر آلاء الله في خلقه، والإخبار من الأحداث الماضية، والفعل الماضي يفيد التقرير فلذلك ناسب السياق إضافة إلى أن الأفعال بعمومها تدل على الحركة والتجدد. والأفعال عموما متضمنة القوة في القول، ولها بعد تداولي.

وهذا ما نجده ايضا في "وأشهد أن أبي محمدا النبي الأميّ صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه"(الطبرسي، 1992م، 256/1)

أيضا وردت الأفعال جميعها بصيغة الماضي. ففيها تقرير وتأكيد وإذعان من قبل المتخاطبين.

فالفعل القضويّ في النص الأول يعبر عن الثناء على الله عز وجل، بنعم قد سبقت البشر. وكرمه السابق من دون انتظار لجزاء المخاطب سواء وقد اقتصر (حمدلله) على ما انعمه على الانسان وربما يكون البعد التداولي وراء هذا المحتوى اذ انها (عليها السلام) في صدد تذكير المخاطبين بما تفضل به الله عليهم، ثم بعد ذلك تنتقل لما من به الله عليهم بابتعاث رسول الله (صلى الله عليه واله)، لتلزمهم الحجة الشرعية لأن ما ينطق به رسول الله هو من الله عزو وجل، ثم لتثبت شرعية امتلاكها لفدك، وتؤنبهم لأنها قد وضعت بهذا الموقف لإثبات ملكيتها (ع) لفدك التي ملكها رسول الله في حياته لها حتى أنها قد وضعت عاملا

على فدك يقوم بها ويعطي للزهراء (ع) أموالها وعندما انتقل الرسول الى الرفيق الأعلى سُلبت فدك من الزهراء (ع)، وقد احتُجّ عليها بالحديث الموضوع عن رسول الله "نحن معاشر الانبياء لا نورث" (المجلسيّ، 2001م، 12/373-462)

و"إن أي قضية يمكن أن تشكل محتوى في التقريرات والشرط المعد للجميع التقريريات هو حيازة المتكلم على شواهد أو أسس أو مبررات ترجح أو تؤيد صدق المحتوى القضوي والحالة النفسية التي تعتبر عنها التقريريات هي: الاعتقاد" (الطبطبائي، 1994، 30).

فما اعتقدته الزهراء قد بثته في كلامها إذ نلحظ أن الأفعال الإخبارية شكلت قوة إنجازية، وفي ذلك يقول سيرل أن اللفظ قد مُلئ "بقوة إنجازيه معينة والقوة التعبيرية هي الصيغة التي يخرج بها الكلام كأن يكون وعدا أو تهديدا أو التماسا أو تقريرا" (مفتاح، د.ت، 140) فالتقرير يحمل قوة إنجازية تعبيرية. إذن القوة المتضمنة في الأفعال الواردة هي إنجاز لأعمال (التفضّل، الندب لشكر النعم، عظمة الخالق وقدرته ومشيئته).

والفعل الناتج عن هذه الأقوال هو إحداث أثر في نفوس المستمعين، لشكر الله في عظيم قدرته ومشيئته، وامتنان المخاطبين لبعث الله تعالى رسوله الكريم ليتم عليهم نعمته، إذ تقول الزهراء (ع) "فأنار الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ظُلَمها، وكشف عن القلوب بُهما..." (الاميني، 2004، 125)

فالزهراء (ع) قد ذكرت جزءاً من هذه النعم (من عموم نعم قد ابتدأها)

أما اتجاه المطابقة فالتقريرات يكون اتجاه المطابقة فيها من الكلمات الى العالم الخارجي، اما الأفعال التعبيرية فيكون من العالم الى الكلمات، وقد جمعت الزهراء(ع) بين هذين الفعلين في آن واحد (الاخبارية والتعبيرية) إذ أخبرت وأفصحت في آن واحد؛ لتعبر عن عقيدتها، وقد توافر فيها شرط الإخلاص، وقد عبرت (ع) عن ذلك صراحة فلازم الشهادة بالوحدانية لله هو الإخلاص قولها (ع) (وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له. كلمة جعلَ الإخلاص تأويلها) (الطبرسي، 1992م، 1/255) ثم أخبرت عن صفات الله

وعلاقته بخلقه، فشروط الأفعال الإخبارية قد تحقق من شرط المحتوى القضوي وهو الشهادة وحقيقتها، وفطرة التوحيد التي أودعها في قلوب عباده، والقضية التي مثلت المعرفة بالتوحيد العقلي .

وإن هذا التعهد الذي أطلقته الزهراء بالشهادة بصورة غير مباشرة ما هو إلا الشرط الأساس للفعل الكلامي الناجح إذ كانت مقالتها بمثابة التعهد بصدق القضية، وهذا ما ذكرته (ع) مع أبيها (ص)، أيضا بدأت بالشهادة ثم بينت وأخبرت عن سبب بعثته (ص) " ابتعثه الله اتماما لأمره، وعزيمة على امضاء حكمه... فأنار الله بأبي محمد صلى الله عليه وأله وسلم ظلمها"(الطبرسي، 1992م، 257/1) وقولها (أشهد) فعل مضارع مسند إلى المتكلم (فاعلها والسياق هنا هو سياق مدح وافتخار في ذلك إشارة اجتماعية "وأشهد أن أبي محمداً (النبي الأمي) صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله"(الطبرسي، 1992م، 256/1) إذ بينت درجة القرابة وهذا تأكيد من الزهراء على قربها من الرسالة لترسخ في عقول الحاضرين أن المتحدثة ابنة رسول الله (ص)، وفي هذا توبيخ لهم، لمّا وافقوا على سحب فدك منها (ع).

ب- وصف الجالسين (الإخبار عنهم)

وتمثّل ذلك بقولها (ع) "وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، موطئ الاقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القد أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد اللتيا والتي"(الطبرسي، 1992م، 256/1)

فالأفعال صادقة، إذ هي مطابقة للواقع، واتجاه المطابقة من الكلمات الى الواقع إذ عبرت الزهراء (عليها السلام) عن الواقع بصدق ومعقولية ليتمكن المستمعين من تفهم ما تطرحه، إذ إن "المتكلم يجب أن تكون له نية توصيل مضمون قضوي حقيقي لكي يتمكن المستمع من مشاطرة معرفته وعلى هذا

المتكلم أيضا أن يعبر بصدق لكي يتمكن المستمع من تصديق تلفظ المتكلم" (الطبرسي، 1992م، 1/260-262)

وقد استحضرت الزهراء (ع) ذلك الواقع الذي كانوا عليه قبل بعثة النبي،

فالفعل النطقي (فعل القول) هو قولها (ع) (كنتم على شفا حفرة) وهي جملة اسمية نُسخت بـ(كان) واسمها الضمير المتصل (أنتم)، والفعل القضوي: كان فيه فعل الإحالة الضمير المتصل (انتم) في قولها (كنتم) ويحيل الى المخاطب (وهم الجالسون)، الذين حضروا في المجلس.

- أما المتكلم فليس في هذه الفقرة ما يحيل إلى الزهراء عليها السلام، فهي بصدد الحديث عن دور النبي فيهم

- العبارة: تمثل فقل القول (كنتم على شفا حفرة) جملة اسمية منسوخة

- والقصد التواصلي: هو شد المخاطب الى المتكلم مراعية (ع) مقتضى السياق وهو التذكير بحالهم قبل البعثة - وهم مغلوبون أذلاء

أما الإسناد فهو (المسند) والمسند في قولها (ع): كنتم على شفا حفرة من النار، هو (على شفا حفرة) الواقعة خبرا لكان وكل ما جاء بعدها (مذقة الشارب) أي شربته (نهزة الطامع) أي فرصته و(قبسة العجلان) هي أخبار لانها تصلح بدلا من الخبر أي كنتم مذقة الشارب ونهزة الطامع...

وقد استعانت الزهراء (ع) بالآية وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، لتؤكد على صحة ما تقول، فتذكرهم، وقد أكد سيرل ذلك في الإخباريات والتقريريات إذ قال " إن أي قضية يمكن أن تشكل محتوى في التقريريات والشرط المعد لجميع التقريريات هو حيازة المتكلم على شواهد أو أسس أو مبررات ترجح أو تؤيد صدق المحتوى القضوي والحالة النفسية التي تعبر عنها التقريريات هي الاعتقاد" (الطبطبائي، 1994، 30).

وعليه فذلك تأكيد لما قالته الزهراء إنهم كانوا قبل بعثة النبي (ص) على شفا حفرة من النار أي يوشكون الوقوع في الموت وهم كفار اذلة يخافون من الناس فأنقذهم الله تعالى برسوله الكريم محمد (ص) وقد استعملت (عليها السلام)

الكتابة بقولها "فانقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (ص) بعد اللتيا والتي" واللتيا الداهية الكبيرة العظيمة، وقد اعتادت العرب على تصغير الأمور العظيمة، والفعل الإنجازي هو التأكيد على دور رسول الله أبيها (ص) وإن كانت الأفعال غير مباشرة لصياغتها المجازية فلا يتنافى الفعلان في التأكيد بحسب مبنى سيرل أما الفعل التأثيري، فهو زيادة تعرف الحاضرين على مقام رسول الله ومقامها من رسول الله، وتضحيات رسول الله لهم وسنذكر جملة الإخباريات التي وردت على نحو الاجمال لأن غرضها واحد، وهي:

1- "وبعد أن مُني ببهم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله... أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها.." (الطبرسي، 1992م، 1/ 262)

2- "وانتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون..." (الطبرسي، 1992م، 263/1)

3- "فلما اختار الله لنبيه دار انبيائه ومأوى أصفيائه... ظهر فيكم حسكة النفاق..."(الطبرسي، 1992م، 263/1-264)

4-"ما كان أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كتاب الله صادفا ولا لأحكامه مخالفا بل كان يتبع أثره ويقفوا سوره... "(الطبرسي، 1992م، 276/1-277)

وكانت الإخباريات من أكثر الأفعال الكلامية حضورا وربما يرجع ذلك إلى طبيعة القضية التي من أجلها خطبت الزهراء بالناس من مهاجرين وأنصار، فالخطبة كانت حول فدك التي وهبها رسول الله لابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) في حياته، وبعدما تُوفي استُردت من الزهراء(ع) فلذلك عمدت الزهراء في معظم الخطبة إلى التذكير والتأكيد والتعريف والتقرير بصورة مباشرة وأخرى غير مباشرة لذلك السبب كانت الإخباريات هي الغالبة على سائر الأفعال.

2- التوجيهات (الأمريات والطلبيات)

وتتمثل في التوجيهات الطلبية التي يحاول المتكلم توجيه السامع أو التأثير فيه وإما أن يطلب الفهم فيه كالاستفهام أو يطلب فيه الإقبال كالنداء أو يطلب فيه الأداء أو الترك كالأمر والنهي وقد تكون التوجيهات نفسية تصدر عن المتكلم المنفعل نحو المتلقي ليحثه ويحرك مشاعره ليقوم بفعل إنجازي وقد تنوعت الأفعال الكلامية التوجيهية في الخطبة بين الأمر والاستفهام والنداء والنصح والتحذير والدعوة والتحدي ولكن النداء والاستفهام كانا من أكثر الأساليب ورودا وهذا ما سنقف عنده.

الأمر

ذكر الشاطبي أنه "استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه"(السمعاني، 1997، 53/15) وصيغته الأصلية هي افعل ودلاله صيغته تكون على الوجوب مواكبة لسلطة الأمر المرسل ويفترض ان يكون الآمر أعلى من المأمور في الرتبة(الشهري،2004، 342).

ويذهب اوستين في اللسانيات الحديثة الى أن "من أرجح معانيه كونه يجعل من التلفظ بالصيغة دلالته على الوجوب" ولتحقيق هذا المعنى لابد من اقتران الفعل بسلطة المرسل فاذا انعدمت سلطته خرج الأمر عن التوجيه إلى مقاصد أخرى تحدد بحسب السياق ولذلك لا يتحقق الأمر إلا بوجود الصيغة والسلطة(الشهري،2004، 341، 342) اللذين يحققان الوجوب للأمر(الشهري،2004، 342). فإن لم يتوافر لم يفد الأمر الا الطلب

ويفيد الأمر "التكرار بمجرد التلفظ به... ومن مميزات استعمال الفعل الإنجازي، كالأمر مثلا، إمكان دلالته على التوجيه بدوام السياق الاصلي" (الشهري،2004، 342)

في اللسانيات الحديثة نجدهم قد عدوا مسألة الامر مسألة لغوية تداولية" إذ ليس الوضع اللغوي هو المعيار الأوحد بل أن تعضده مرتبة المرسل، لأنها هي التي تحوّل دلالة الصياغة من الأمر الى غير ذلك)) (الشهري،2004، 342)

وقد ورد الأمر في الخطبة الفدكية بصورة اسم الفعل وهو ((دونك)) في قولها عليه السلام وهي تخاطب الذين سلبوها فدك

أذ ذُكرت الصيغة مرتين "فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك"(الطبرسي، 1992م، 268/1)

وقولها عليها السلام "فدونكموها فاحتقبوها، دبرة الظهر، نقبة الخف، باقيه العار، موسومة بغضب الجبار"

ويبدو أن الزهراء عليها السلام قد استعملت صيغة الأمر للإلزام والاخذ والتوجيه والارشاد

اما الالزام فلأن الصيغة متوافرة (دون) اسم فعل الامر واما السلطة فقد قلنا سابقا إن السلطة لا تقتصر على المعنى التقليدي لها، بل تتضمن سلطة العلم والمعرفة والزهراء عليها السلام قد أحرزتها، فلذلك وجبت الطاعة والانقياد لها على مَن ألقت عليه الخطبة وكان جالسا

وقد تضمنت هذه الصيغة إضافة إلى ما سبق معاني أخرى وهي التوجيه والإرشاد الى ما فيه من مصلحة دنيوية. كذلك شملت الندب، فقد ندبتهم الزهراء لاسترداد حقها الشرعي في امتلاك فدك ولذلك لزم عليهم مناصرتها "فالندب توجيه الى ما يرجى به ثواب الأخرة" (الطبرسي، 1992م، 274/1)

وقد ذكر النحاة أن في أسماء الافعال" إرادة الايجاز والمبالغة في المعنى فنزال أبلغ في المعنى من انزل وتراك أبلغ من اترك وإنما غير لفظ الفعل الواقعة هذه الأسماء موقعه ليكون ذلك أدل على الفعل وأبلغ في إفادة معناه"

فالفعل الإنجازي هو طلب الأخذ والتمسك بتوجيه الزهراء (فدونكها مخطومه) (دون) اسم فعل أمر يأتي بمعنى خذ كذلك يأتي بمعنى (الزم) والغرض منها الإغراء فنقول: دونك زيدا، اي بمعنى الزم زيدا.

أما (مخطومة مرحولة) فتعني بالخطام" كل ما وضع في أنف البعير ليُقاد به... وناقة مخطومة ونوق مُخطَّمه شُدّد للكثرة»(ابن منظور، 1982، 185/12)

اما الرحل: فيشمل كل ما يعد للرحيل من متاع ومركب على البعير(ابن منظور، 1982، 265/11) وتعني عليها السلام خذها منضبطة ومهيأة.

فالقوة الإنجازية لهذا التعبير كان فعلا كلاميا غير مباشر وهو تشبيه فدك بالناقة المهيئة للركوب منقادة إلى صاحبها، أما الفعل التأثيري بيان المتكلم للسامع مدى خطورة الفعل الذي أقدموا عليه اذ توعدتهم الزهراء عليها السلام بسوء العاقبة التي سيلقوها من الله سبحانه وتعالى ومن الرسول صلى الله عليه وآله.

واتجاه المطابقة يكون من العالم الى الكلمات، كما أن سيدة نساء العالمين لا تحتاج الى شرط الاخلاص فهي الصادقة المحدثة عن رسول الله صلى الله عليه واله

والمحتوى القضوي لاسم فعل الأمر (دونك) المضافة إلى ضمير المخاطب فهو أن يلتفت السامعون الى خطورة الأمر واستدراك ذلك لدرء الظلم الذي وقع على الزهراء فمثلها عليه السلام لا يعامل بمثل تلك المعاملة وقد ظُلمَت حقها فكيف بالباقين من عامة الناس إذ أرادت الزهراء ايقاظ الحاضرين لكي يثوروا على الظلم.

نصوص النداء والاستفهام

ورد الاستفهام المسبوق بالنداء فكان الاكثر حظا في الخطبة الفدكية، وهما من الاستراتيجيات التوجيهية، وسنذكر الموارد التي وردا فيها معا، أو منفردين:

"أيها الناس اعلموا أني فاطمة وأبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم" (ابن منظور، 1982، 265/11)

"وكيف بكم وأنى تؤفكون؟ "(الطبرسي، 1992م، 259/1)

"أرغبة عنهم تريدون أم بغيره تحكمون؟ " (الطبرسي، 1992م، 265/1)

"وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا فحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكما"(الطبرسي، 1992م، 265/1)

"أيها المسلمون أأغلب على إرثي؟ يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئا فريا" (الطبرسي، 1992م، 267/1)

أفخصّكم الله بآية اخرج ابي منها؟ أم هل تقولون إنا أهل ملتين لا يتوارثان أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي"(الطبرسي، 1992م، 267/1)

يا معشر النقيبة وأعضاد الملة وحضنة الاسلام، ما هذه الغميزة في حقي والسنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده»" (الطبرسي، 1992م، 269)إيهاً بني قيلة، ءأهظم تراث ابي؟ وأنتم بمرأى مني ومسمع؟ ومنتدى ومجمع؟" (الطبرسي، 1992م، 271/1)

فأنى حرتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الاعلان؟ ونكصتم بعد الاقدام؟ واشركتم بعد الإيمان؟"(الطبرسي، 1992م، 272/1)

«أفتجتمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور والبهتان»(الطبرسي، 1992م، 277/1)

النداء

النداء هو تصويت المتكلم "بمن تريد إقباله عليك"(ابن الخباز، 1991م، 512/2). وقد عدّه البصريون من (المفعولات). أما العامل فيه فهو فعل مضمر يُقدّر بالفعل (أدعو) أو (أنادي)

ولكون النداء "يحفز المرسل اليه لردة فعل تجاه المرسل"(الشهري،2004، 36) فهو من الطلبيات.

ويلجأ المتكلِّم إلى استعمال النداء، لما فيه من دَور "التنبيه وتعيين المخاطَب"(الشاوش، 2001م، 679/2) وصونًا لذلك، فالنداء ليس أسلوبًا لغويًا فحسب، بل تداولي ايضا.

وقد ورد النداء في الخُطبة بصيغ مثل: (أيها الناس)، (أيها المسلمون)، (يا معشر النقيبة)، (ايها بني قيلة)

وقد استعملت الزهراء النداء على الرغم من أن الخطاب كان موجها للحاضرين وقد يغني عن النداء. ولكنها آثرت استعمال النداء لما يستدعيه من "طلب حضور الذهن لوعي الكلام"(الطاهر، 1984، 54/21) ويضمن استمرار التواصل بين المتكلم والمتلقي وقد تنوع النداء فتارة يمثل الجميع فتستعمل (الناس) وتارة تخص الأنصار (يا معشر النقيبة) وتارة تنادي الأوس والخزرج بقولها (بنو قيلة) وهما قبيلتا الأنصار. وكثيرا ما شفعت -ع- النداء باستفهام إذ استوقفتهم عليها السلام ثم سألتهم متعجبة ومحذرة لهم مما هم فيه، وسنقف عند ذلك

ولم يستعمل النداء هنا بحقيقته، وهي طلب الإقبال، بل للتنبيه فهو فعل إنجازي لغوي، فالتعريف في (الناس) أرادت الناس عامة، أي ليس الحضور فقط، بل أرادت الحاضرين والاجيال التي تأتي لاحقا أيضا.

ويدرس سياق النص في قولها -ع -" أيها الناس اعلموا أني فاطمة وأبي محمد "(الطبرسي، 1992م، 259/1) أحالت الزهراء على التنبيه عن نسبها ثم خصصت "أيها المسلمون أأغلب على إرثي يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي.." (الطبرسي، 1992م، 267/1)

هنا أرادت التنبيه على نزع الإرث عنها (فدك) ثم نادت مرة أخرى لاستنهاض الأنصار من الأوس والخزرج معاتبة وموبخة لهم "يا معشر النقيبه

وأعضاد الملة... سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول. ." (الطبرسي، 1992م، 269/1)

فالقصد التواصلي للمتكلم كان متناسبا مع السياق والسياق هنا سياق تنبيه وتقريع

وفعل الإسناد هو (أدعو) الذي يقدر في النداء المسند الى المتكلم الزهراء (عليها السلام).

والفعل الإنجازي جاء مباشرا مطابقا لفعل القول (النطقي) إذ أرادت استنهاضهم للمطالبة بفدك ومن ثم بإرجاع الخلافة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

أما الفعل التأثيري فتمثل بانسياق الرأي العام لصالح فاطمة الزهراء عليها السلام وإحراج الغاصبين

الاستفهام

والاستفهام من الأساليب الإنشائية الطلبية، وتعني" طلب فهم الشي واستعلام ما في ضمير المخاطب، أو طلب حصول صورة الشيء في الذهن"(نكري، 2000م، 1/ 72)، والاستفهام الحقيقي عندما يجهل المتكلم المعلومة التي يسأل عنها، أما إذا كان يعلمها فعندها يكون الاستفهام مجازيا فيكون معناه بحسب السياق.

من معانيه «التقرير، الانكار، التعجب، التكثير، التنبيه، الترغيب، النهي، الدعاء، التمني، الاستبطاء، التعظيم، التحقير، والاكتفاء، والابتعاد، والتهكم، والاستهزاء، والتأكيد، والتسوية، والانكار التوبيخي، والاستفهام الانكاري»(الكفوي، د.ت، 985)

وقد ورد الاستفهام بالهمزة أكثر من غيرها من الأدوات في الخطبة الشريفة؛ وفي ذلك إشارة الى القرب المكاني من الحاضرين.

وقد ورد بـ(كيف) مرة وب- (أي) التي معناها (اين) او (كيف) مرة واحدة.

والاستفهام فعل كلامي (إنجازي) جاء في الحطبة مستلزما الإنكار، والتعجب من موقفهم مما يحصل مع الزهراء وسلب حقوقها في قولها "أفحكم الجاهلية تبغون... أفلا تعلمون؟! بلى، قد تجلى لكم كالشمس الضاحية: أنّي ابنته "(الكفوي، د.ت، 267/1)

أو قولها "أم هل تقولون: إنّ أهل الملتين لا يتوارثان؟؟ أولست أنا وأبي من ملة واحدة؟"(الكفوي، د.ت، 268/1) منكرة متهكمة مستهزئة، من موقفهم فلا تريد منهم جوابا وإذا عدنا إلى سياق النص نجد ذلك المقطع انتهى بالوعيد" فنعم الحكم الله والزعيم محمد"(الكفوي، د.ت، 268/1)

فقد توعدتهم بعدالة الآخرة وأنهم سيسألون عن تخاذلهم عندما يرون العذاب بقولها "وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم"(الكفوي، د.ت، 268/1)

فالقوة الإنجازية للاستفهام في عموم الخطبة هي الاستنكار والتوبيخ وقد استعملت الحوار او المساءلة وكثيرا ما استعملت التمثيل لتقريب الحقيقة كما في قولها "فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك"(الكفوي، د.ت، 268/1) وهي الناقة التي يوثق فمها لتقاد بحبل قوي يشد على ظهرها الرحل.

وقد تكرر الاستفهام للتأكيد على حقها المغتصب.

واتجاه المطابقة هنا من العالم الى الكلمات فقولها عليه السلام "أفخصكم الله بآية اخرج أبي منها؟ أم هل تقولون إن أهل ملتين لا يتوارثان أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة أم أنتم أعلم بخصوص القران وعمومه من أبي وابن عمي فدونكها مخطومة مرحولة"(الكفوي، د.ت، 268/1)

فالفعل القضوي نجد فيه فعل الإحالة بالنسبة للمتكلم (ياء المتكلم) في (أبي)(وأنا) فهي تحيل إلى الزهراء عليها السلام أما ضمير المخاطب فتمثل بواو الجماعة (تقولون)(أنتم) وهي تمثل الحاضرين جميعا أما الضمير في (فدونكها) فقصدت بها تسليم فدك.

وفعل القول هو الاستفهام المكرر، لا لجهل للمعلومة، بل أرادت محاججتهم بالقرآن ومعرفة خصوصه وعمومه فعندهم يهبط الوحي، لذلك فالقوة الإنجازية في الاستفهام غير المباشر فهو إعجازي أرادت به استنكار فعلهم فهو استفهام استنكاري لمحاججتهم لها عليها السلام بالقرآن (سوره النمل 16) وقد تلتها الزهراء في الخطبة مع آيات أخريات وهي:

{يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً}(سوره مريم 6)

{وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(سوره الأنفال 75)

{وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ}(سوره النمل 16)

{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ}(سوره البقرة 180)

فلم تسأل الزهراء لطلب الجواب بل أرادت نفي وقوع الحديث واستحالته وهو " نحن معاشر الأنبياء لا نورث"(الطبرسي، 1992م، 276/1)وقد استندت الى النصوص القرآنية التي ذكرناها سابقا فالحديث موضوع ولم يصدر عن النبي (ص)؛ لقولها عليها السلام" أفتجمعون الى الغدر اعتلالا بالزور والبهتان"(الطبرسي، 1992م، 277/1)

اما الفعل التاثيري للاستفهام في هذا النص فيتمثل بنفي الفكرة ورفضها "وزعمتم أن لا حظوة لي ولا أرث من ابي ولا رحم بيننا(الطبرسي، 1992م، 268/1) وقد اقنعت المخاطبين مظهرة الاستغراب الذي جاء ممزوجا بالنفي.

3- الالتزاميات

التزام المتكلم بأن يفعل شيئا في المستقبل، واتجاه المطابقة من العالم الى الكلمات، يتوافر فيها شرط الإخلاص ويشترط فيها القصد، والإرادة والرغبة

الصادقة، فهي تمثل: أفعال الوعد، والوعيد، البشارة، التعهد، التهديد، الإنذار، والضمان، ويدخل القصد والتضرع في الوعد، المناصرة، والاقتراح، فيستعمل فيها الأفعال الكلامية مثل "سأبذل جهدي"، "اصرح عن قصدي" فهي إلزام لي، أي فعل المتكلم وليس المخاطب فهي تعهد المتكلم بالقيام بعمل ما، وهذه الأفعال كثيره في الخطبة الفدكية سنتناول نماذج منها، وهي: الإلتزاميات، التهديد، التوعد،

قولها عليها السلام "فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون".(الكفوي، د.ت، 268/1)

فهذا عهد من الزهراء وتهديد ينبا به مصيرهم المخزي، وهو إلتزام منها عليه السلام بأن هذه القضية ستطرح في عرصات القيامة وانهم سيخسرون فقد الزمت الزهراء نفسها بأن لها موعدا معهم في يوم القيام في استرداد حقوقها المسلوبة من قبل أهل الباطل وقولها "فدونكموها فاحتقبوها موسومة بغضب الجبار وشنار الأبد، وموصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة، فبعين الله ما تفعلون... وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعلموا إنّا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون"(الكفوي، د.ت، 268/1) ففعل القول هو قولها(ع): "انا ابنة نذير لكم...وانتظروا انا منتظرون"

والفعل القضوي يتضمن فعل الإحالة، اذ يحيل الى المتكلم بالضمير (انا) المنفصل و(انّا) (نا) المتصلة بحرف التوكيد (إن) فعل (منتظرون) وضمير المخاطب الكاف في (لكم) و(واو الجماعة) في انتظروا والعبارة هي "أنا ابنة نذير لكم.."

وأرادت الزهراء بذلك الخطاب بالتوعد للغاصبين والراضين بذلك، فسياق الخطبة كان للمطالبة بفدك، وقد عبّرت الزهراء عن مظلوميتها في سلبها حقها المشروع فتوعدت أهل الباطل بيوم القيامة، وهددتهم وكان هذا أمر الفعل الإنجازي توصلت الى هذا الفعل بالتواعد والتهديد "انتظروا انا منتظرون" وهو

فعل انجازي مباشر مطابق للفعل النطقي فعل القول ونجحت الزهراء في التاثير في الحاضرين إذ أجابها أبو بكر بأسلوب يغلب عليه الاستعطاف قائلا "يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفا كريما وانت يا خيرة النساء وابنة خير الانبياء صادقة في قولك... إني سمعت رسول الله ص يقول" نحن معاشر الانبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا دارا ولا عقارا وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة.." (الكفوي، د.ت،/ 275-276)

4- التعبيريات

تأتي التعبيريات للتعبير عن موقف نفسي للمتكلم، يشترط فيها الإخلاص والصدق، ولا يتوافر فيها اتجاه المطابقة. فهد معدوم، فالغرض منها "التعبير عما نشعر به من حالات نفسية (انفعالية) خاصة تجاه الوقائع الخاصة التي تمثل مضمون القول"(ميلاد،2001م، 507)

وهي تشمل الشكر والتهنئة والترحيب والاعتذار،(ميلاد،2001م، 507) والتعزية فلا تقتصر على المتكلم بل "يمكن أن تتعداها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل وتنعكس آثاره النفسية الشعورية على المتكلم" الصرّاف، 2011، 212)

ونجد التعبيريات في قولها (ع):

" ألا وقد قلت هذا على معرفة مني بالجذلة التي فأمرتكم والقدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس ونفثة الغيض، وخور القناة، وبثة الصدر، وتقدمة الحجة" وعنت (ع) بالجذلة"(جذل: أصل الشيء الباقي من شجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع، (ابن منظور، 1982، 106/11) أي الأصل الخذلان الذي خالطهم، واستعملت الزهراء (ع) التشبيه في و"وخور القناة" ضعف الرمح(الخور: الضعف، (ابن منظور، 1982، 2062/4) إذ شبهت ضعف النفس عن الصبر على الشدائد بضعف الرمح (القناة: الرمح، (ابن منظور، 1982، 203/15)

فالفعل النطقي "قلت هذا على معرفة مني"

وكان القصد التواصلي واضحاً في سياق النص وهو اللوم والعتب على الأنصار إذ فيه إحالة على المخاطب في (خامركم) إذ أحالت على(بني قيلة) وهما الأوس والخزرج، أي الأنصار

فالفعل الانجازي كان فعلاً مباشراً، مطابقاً لفعل القول. أما الفعل التأثيرى: فقد نفّست الزهراء عن سخطها على الأنصار، وخذلانهم لها في قولها هذا.

ومن التعبيريات أيضاً قولها (ع) في التعجب من الرد عليها، إذ قالت (ع): "سبحان الله، ما كان أبي رسول الله (ص) عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً ! بل كان يتبع أثره ويقفو سوره، أفتجتمعون على الغدر اعتلالاً عليه بالزور..." ((الطبرسي، 1992م، 276-277

ففعل القول هو سبحان الله

أما الفعل القضوي فقد أحالت الزهراء الى نفسها (المتكلم) إذ يتعلق المفعول المطلق بفعل محذوف وجوباً تقديره (أسبح) والمخاطب أحيل عليه بالضمير (الواو) في أفتجتمعون، وهي تقصد الغاصبين والموافقين.

فالقصد التواصلي يظهر في سياق النص الدهشة والاستنكار بقولهم الزور إذ وضعوا حديثا لم يقله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قائلة: "أفتجتمعون على الغدر اعتلالاً عليه بالزور... وهذا كتاب الله حكماً عدلاً وناطقاً فصلاً؛ يقول يرثني ويرث ال يعقوب" ويقول" وورث سليمان داود"(الطبرسي، 1992م، 277/1)

فالقوى الإنجازية تكمن في تعبيرها عن التعجب، إذ هو فعل إنجازي مباشر.

والفعل التأثيري الناتج يكمن في رد أبي بكر بعد قولها هذا أن قال "صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك هؤلاء المسلمون بيني وبينك قلدوني ما تقلدت وباتفاق منهم أخذت، غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر، وهم بذلك

شهود"(الطبرسي، 1992م، 277/1) وبعد إن أتمّ كلامه جاعلا الأمر في أعناق الحاضرين (وباتفاق منهم أخذت) ولم يعترضوا.

ومن التعبيرات عن الألم قولها (ع) " هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، الا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين"(الطبرسي، 1992م، 265/1) فالفعل الإنجازي المباشر: هو التعبير عن ألم الفقد للنبي، وغصب الخلافة ومباشرتهم إلى ترويج البيعة، اما الفعل الانجازي غير مباشر فهو الذم لهم

أما الفعل التأثيري، فهو الحث على الرجوع عما هم عليه من السكوت والخذلان، ليتراجع الغاصبين والظالمين عما فعلوه.

5- الإعلانيات التصريحات

وقد عرفت الإعلانيات بـ" أفعال كلام إنجاز نجاحها حيث تطابق المحتوى والواقع" (الطبرسي، 1992م، 265/1) وتنشئ هذه الأفعال أحداثاً إذ يتطابق المحتوى القصوى فيها للعالم الخارجي(نحله، 2002، 80)، ولا تحتاج الى شرط الإخلاص.

وتشمل الإعلانيات مجموعة أفعال نحو البيع والشراء والإجارة والوصية، والهبة، والزواج والطلاق (الطبرسي، 1992م،265/1)

ومن الإعلانيات الواردة في الخطبة

1- الادعاءات والقرارات

يمكن أن نجدها في قولها (ع) "فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون؟! وكتاب الله بين أظهركم... وقد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون، أم بغيره تحكمون؟! بئس للظالمين بدلاً، ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" (الطبرسي، 1992م، /272-273)

فعل القول هو قولها (ع) "وقد خلفتموه وراء ظهوركم " أي القرآن الكريم فلم يتبعوه

فالقوة الانجازية مباشرة بإصدار الحكم بقولها " بئس للظالمين بدلاً" اذ بينت تخلفهم وعدم اتباعهم كتاب الله، وبذلك خرجوا عن الإسلام ولن يقبل منهم أي عمل والجزاء هو الخسران، لذلك كان الفعل الكلامي الانعكاسي مباشراً والمتكلم فيه هو الزهراء (ع) والمخاطب هم المستمعون آنذاك، والغرض منها بيان تخلفهم وعدم اتباعهم لأحكام القرآن الكريم وبذلك خرجوا عن الاسلام، فهم بفعلتهم هذه لا يتخذون من الإسلام ديناً.

- أفعال الرأي والاعتقاد

قولها (ع) "ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونحوتم بالضيق من السعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد" (الطبرسي، 1992م، /272-273)

فقولها أخلدتم الى الخفض أي إلى السعة، أما دسعتم الذى تسوغتم، فهو إشارة الى جحودهم ونكرانهم

ففعل القول هو قولها (ع) (وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض) والفعل القضوي يتمثل بفعل الإحالة للمتكلم الضمير في (أرى) يحيل الى الزهراء (ع) أما المخاطب فهو الضمير المتصل في (اخلدتم) أي (أنتم الأنصار).

والعبارة هي فعل القول (أرى قد أخلدتم الى الخفض) وهو جملة فعلية فعلها مضارع (أرى) والقصد التواصلي توجيه الزهراء (ع) بالعبارة الى المخاطبين وكان السياق سياق ذم لهم عندما أخلدوا إلى الراحة والدعة.

والفعل الإنجازي هو إنجاز فعل الرأي بأن رأت الزهراء (ع) تخلفهم عن نصرتها بسبب السعة التي حلت عليهم، فغدروا بها فكان الفعل الكلامي مباشراً.

والفعل التأثيري هو اقتناع المخاطب برؤية الزهراء لهم بميلهم عن جادة الصواب وإبعادهم لمن هو أحق بالخلافة.

الخاتمة

انتهى البحث إلى مجموعة من النتائج التي منها:

1- كان البعد التداولي واضحاً جلياً في الخطبة الفدكية فقد ضمت الخطبة الأبعاد التداولية كافة، وقد خصصناها بالأفعال الكلامية.

2- كان للسياق إسهام واضح في إبراز مقاصد الزهراء (ع).

3- إن الزهراء (ع) قد عمدت إلى علم البيان من تشبيهات وتمثيلات حسية لتقرب الحقيقة، وتثبتها لتؤثر في السامعين فقد كان تصويرها للأحداث دقيقاً جداً ملقية الحجة عليهم، فلم تدع مجالاً للشك في نفوسهم.

4- وقد برز الفعل التأثيري وذلك إذ توتر الجو مع البكاء، وأحرجت الغاصبين واستجوبتهم.

5- كانت التعبيريات (الافصاحيات) والطلبيات طاغيتين على سائر الأفعال الكلامية مع حضور الاخباريات والإعلاميات والالتزاميات.

6- كان الفعل الكلامي الإنجازي مطابقاً لشرط الإخلاص؛ وذلك لأنها صادرة عن الذات الصادقة فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين بحديث الرسول (ص).

7- كانت الأفعال الكلامية أغلبها مباشرة في قوتها الإنجازية. أما غير المباشرة فكانت قليلة، وربما يعود ذلك الى طبيعة الخطاب والمقام.

8- برزت الأفعال الإنجازية في الخطبة بشكل واضح.

9- تأكد لنا في البحث ما ذهب إليه سيرل، أنه" ليس من الضرورة أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما".

فعندما خطبت الزهراء(ع) نجحت في إثارة مشاعر الحاضرين، وزعزعت سلطة الغاصبين باحتجاجها، إلا أن المسلمين قد تخاذلوا في نصرتها، وربما يعود ذلك إلى أمرين،(الأول) ما فعله في الردّ على الزهراء، فلم يكن مهاجما، بل كان

مستعطفاً للزهراء (ع) مستمعاً لها قائلاً بأن هذا قرار المسلمين، ولم يكن قراره، و(الثاني) أنه قد بُذل للمسلمين في العطاء، فلذلك خنعوا وضعفوا عن نصرتها (عليها السلام).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

محمد وآله الطيبين الطاهرين

المصادر

1. ابن الخباز. (1991). الغرّة المخفية في شرح الألفية (تحقيق حامد محمد العبدلي). مطبعة العاني، بغداد.

2. ابن منظور. (1982). لسان العرب (ط. 1). دار صادر.

3. أفاية، محمد نور الدين. (1998). الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: نموذج هابرماس (ط. 2). أفريقيا الشرق.

4. الأميني، إبراهيم. (2004). فاطمة الزهراء (ع) المرأة النموذجية في الإسلام (ترجمة علي جمال الحسيني). قم - إيران.

5. أوستين. (1991). نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام (ترجمة عبد القادر قنيني). أفريقيا الشرق.

6. بعطيش، يحيى. (2011). الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو. ضمن: حافظ إسماعيل عليوي (إعداد وتقديم)، التداوليات علم استعمال اللغة. عالم الكتب الحديث.

7. بلانشيه، فيليب. (2007). التداولية من أوستين إلى غوفمان (ترجمة صابر الحباشة). دار الحوار للنشر والتوزيع.

8. حمادي، حسن أحمد. (2005). فدك هبة النبوة (ط. 1). دار الولاء.

9. السمعاني، أبو المظفر. (1997). قواطع الأدلة في الأصول (تحقيق إسماعيل الشافعي). دار الكتب العلمية.

10. الشاوش محمد. (2001). أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص. المؤسسة العربية للتوزيع.

11. الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (2004). استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية (ط. 1). داري الكتب الوطنية، بنغازي.

12. الطاهر ابن عاشور، محمد. (1984). تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر والتوزيع.

13. الطبرسي. (1992). الاحتجاج (إشراف جعفر السبحاني، تحقيق إبراهيم البهادري، حميد هادي به). انتشارات أسوة - إيران.

14. الطبطبائي، سيد هاشم. (1994). نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين. مطبوعات جامدة.

15. فان ديك. (2000). النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي (ترجمة عبد القادر قنيني). أفريقيا الشرق.

16. ليتش، جيوفرس. (2013). مبادئ التداولية (ترجمة عبد القادر قنيني). أفريقيا الشرق.

17. المجلسي، محمد باقر. (2001). بحار الأنوار (تحقيق لفيف من العلماء). دار التعارف للمطبوعات.

18. مفتاح، محمد. (د.ت). الخطاب الشعري: استراتيجية التناص. دار التنوير.

19. ميلاد، خالد. (2001). الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة: دراسة نحوية تداولية (ط. 1). كلية الآداب جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع.

20. نحله، محمود أحمد. (2002). آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. دار المعرفة الجامعية.

المَقصَديّة وتحليل الخِطاب الشّعريّ

أ.د. جواد كاظم إبراهيم
كليّـة الإمـام الكـاظم (ع) للعلـوم الإسـلاميّة الجامعة/قسم اللّغة العربيّة

م.م. حسين سعد جليل
كليّـة الإمـام الكـاظم (ع) للعلـوم الإسـلاميّة الجامعة/قسم اللّغة العربيّة

dr.jawadkadhim@iku.edu.iq iq
hassan- saad@iku.edu

ملخّص:

يُعَـدُّ المقصَـد جُـزءًا مـنَ الخِطَـاب اللّغـويّ، وغايـة رئيسـة مـن غاياتـه؛ لأنّ الأساس في الخطاب يشترك فيه كلٌّ من المُتكلّم والمُتلقّي (المُخَاطَب)، فيَرسِم المُتكلّم مدّته وشكله وكيفيّة إنجازه، ومِن ثمَّ يَستحضِر مَقصَده في كلّ ما يتلفّظ به مِن خِطَاب، فإذا كانَ غَرَض المُتكلِّم توبيخ المُخاطَب مَثلًا، فخِطابه يَكُونُ مُغايرًا لحَالِهِ فِيمَا إذا أرادَ مَدحَه أو الثّناء عَليهِ.

وتحليـل الخطـاب هـو حقـلٌ معرفـيّ يُركّـزُ علـى شـكل الخطـاب ومضـمونه، بوصفه بِنية لسانيّة حاملة لبنية قَصْديّة، ولكلّ من هاتين البنيتين ميزاتها الخاصّة وآليّة اشتغالها، إذ لا يُمكن فصلهما عن بعض، فالنّص رسالة من المُنتج إلى المُتلقّي، والاتّصال بينهما يتمّ عبر النّص مثلما يتمّ التّواصل بين المُتكلّم والسّامع عبر الكلام، فهناك جانبان يكوّنان الخِطاب: ما يُنتجه الكَاتب، وما يقرؤه المُتلقّي.

الكلمات المفتاحيّة: المَقصديّة، الخِطاب، التّحليل، الشّعر.

Abstract:
The intent is considered part of linguistic discourse and a primary goal of its purposes, because the basis of discourse is shared by both the speaker and the recipient (the addressee). The speaker defines its duration, form, and method of completion, and then evokes his intent in every speech he utters. If the speaker's intent is to rebuke the addressee, for example, then his speech will be different from the way it would be if he wanted to praise or commend him. Discourse analysis is a field of knowledge that focuses on the form and content of discourse, as a linguistic structure that carries an intentional structure. Each of these two structures has its own characteristics and operating mechanism, as they cannot be separated from each other. The text is a message from the producer to the recipient, and communication between them takes place through the text, just as communication between the speaker and the listener takes place through speech. There are two aspects that make up the discourse: what the writer produces, and what the recipient reads.
Keywords: intentionality, discourse, analysis, poetry.

تنقسم النّظريّات اللّغويّة بناءً على رؤيتها لوظيفة اللّغة على مجموعتين، الأولى: هي النّظريّات اللّسانيّة البِنيويّة، وتضمّ مجموعة من النّظريّات التي تنظر إلى اللّغة بوصفها أنظمة مجرّدة، أي إنّها تنظر إليها بمعزل عن وظيفتها التّواصليّة، أمّا المجموعة الثّانية (ما بعد البِنيويّة) فتهدف إلى دراسة الاستعمال اللّغوي والقواعد التي تحكمه، وأثر السّياق في التّواصل (الوظائف التّداوليّة في اللّغة العربيّة، صفحة 8)، ولا يتعارض الاتجاه الشّكليّ مع الاتجاه التّواصليّ، بل يُكمل أحدهما الآخر، فالاتجاهان متكاملان في دراسة الظّواهر اللّغويّة، إذ لا يُمكن دراسة الاستعمال اللّغويّ دون معرفة بالنّظام، ولا يمكن أن تبقى دراسة النّظام

اللّغويّ معلّقة في فراغ (آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر، الصفحات 57-58).

أوّلًا: المقصَديّة في اللّغة والاصطلاح:

وردَ مفهوم المقصَديّة مُرادفًا للمعنى، ففي لسان العرب: "لَا يُقَالُ عُنِيتُ بِحَاجَتِكَ إِلا عَلَى مَعْنى قصَدْتُها، مِنْ قَوْلِكَ عَنَيْتُ الشَّيْءَ أَعْنِيه إِذا كُنْتَ قاصِداً لَهُ" (لسان العرب، صفحة 105/15)، والمقصَد والقَصْد لفظان والمُراد منهما واحد، ويَأتيانِ لمعانٍ عدّة منها: القَصْد بمعنى استقامة الطّريقة، وفي المعيشة بعدم الإسراف والإقتار، وبمعنى إتيان الشّيء والتّوجّه، وبمعنى الاعتماد (كتاب العين، صفحة 54/5، وتهذيب اللغة، صفحة 274/8، والصّحاح، صفحة 524/2، وتاج العروس، صفحة 36/9).

ولمْ يكن عُلماء العربيّة بمنأى عن أهميّة القَصْد، فابن جِنّيّ (ت392هـ) عندما حدّ اللّغة بأنّها: "أصوات يُعبّر بها كلّ قوم عَن أغراضهم"(الخصائص، صفحة34/1) مُراده من ذلك حَصْر وظيفة اللّغة الأساسيّة في التّعبير عن المقاصد، فاللّغة ما هي إلّا ألفاظ وأصوات، لكنْ إرادة المُتكلّم (المُنتج) تدفعه للتّعبير عن مقاصده من هذه الألفاظ، فينتقي من هذه الألفاظ ما هو أَنصَع وأَوضَح لمقصَده من سواه، فلا يَلفظُ إلّا بما يُحقّق لهُ مُرادَه، فالحاجة إلى اللّغة تَكمُنُ فِي الإفصاح عن المقاصِد. وقَد قَسّمَ الجِرجَانيّ (ت471هـ) المقاصد على ضَربينِ: ظَاهِرة وخَفيَّة، وأطلق عليها (معنى المَعنى) بقوله: "الكلامُ على ضَرْبين: ضربٌ أنتَ تَصِلُ منه إِلى الغَرضِ بدلالةِ اللفظِ وحدَه... وضربٌ آخرُ أنتَ لا تصِلُ منه إِلى الغرضِ بدلالة اللّفظِ وحدَه، ولكنْ يدلُّكَ اللّفظُ على معناه الذي يَقْتضيه موضوعُهُ في اللغُّة، ثُمَّ تَجدُ لذلك المعنى دَلالةً ثانيةً تَصِلُ بها إلى الغَرَض" (دلائل الإعجاز، صفحة 262/1). ويقول الشّاطبيّ (ت790هـ) في هذا الصّدد: "كِتَابُ سِيبَوَيْهِ يُتَعَلَّمُ مِنْهُ النَّظَرُ وَالتَّفْتِيشُ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّ سِيبَوَيْهِ وَإِنْ تَكَلَّمَ فِي النَّحْوِ، فَقَدْ نَبَّهَ فِي كَلَامِهِ عَلَى مَقَاصِدِ الْعَرَبِ، وَأَنْحَاءِ تَصَرُّفَاتِهَا فِي

أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا، وَلَمْ يَقْتَصِرْ فِيهِ عَلَى بَيَانِ أَنَّ الْفَاعِلَ مَرْفُوعٌ وَالْمَفْعُولَ مَنْصُوبٌ وَنَحْوِ ذَلِكَ" (الموافقات، صفحة 54/5).

وقاعدة (الأمور بمقاصدها) من أهمّ القواعد الفقهيّة التي تشتمل على أكثر أبواب الفقه، وتحدّد الأعمال الصّحيحة والمَقبولة مِن غَيرها، وإنّ النّيّة التي لمْ تَتصِل بإرادة المُتكلّم، ولمْ تَقترِن بفِعلٍ ظَاهريٍّ على اللّسان أو على الجَوارِح لا تَترتّب عليها أحكامٌ شَرعِيّة (الأشباه والنظائر في النّحو، صفحة 8). فممّا سبق يتبيّن أنّ علماء العربيّة كانَ لَهم السَّبق في إدراكِ مَا للقَصْد مِن أهميّة، بوصفِه المُحرّك الأَساس للخِطاب.

والمقصَديّة هي جُزء من العناصر النّصيّة الّتي حدّدها دي بوجراند (De Beaugrand) في سبعة معايير هي: (الاتّساق، والانسجام، والمقصَديّة، والمقبوليّة، والإعلاميّة، والمقاميّة، والتّناص)، والّتي لا بُدَّ من توفّر أغلبها حتى نحكم على نصيّة النّص، فمن هذه المعايير ما يتعلّق ببنية النّص نفسه، وهما معيارا الاتّساق والانسجام، فالاتّساق: هو التّماسك النّحوي (الوحدة الموضوعيّة)، أمّا الإنسجام فهو: التّماسك الدّلاليّ (كالتّماسك بأدوات الرّبط وما أشبهها). ومنها ما يتعلّق بمنتج النّص ومتلقّيه، وهما معيارا المقصديّة والمقبوليّة، فالمَقصَديّة (محلّ البحث) ترتبط بمُنتج النّصّ، والمقبوليّة: تتعلّق بمتلقّي النّص وتحيد موقفه بقبول النّص أو رفضه انطلاقًا من وجود التّماسك فيه أو عدمه. ومنها ما يتعلّق بالظّروف السّياقيّة لإنتاج النّص، وهي معايير الإعلاميّة، والمقاميّة، والتّناص، فالإعلاميّة: يتعلّق هذا الشّرط بمدى إمكانيّة توقّع المعلومات الّتي يقدّمها النّص، أو عدم توقّعها، فإذا خلا النّص من أيّ معلومات لم يكن نصًّا. والمقاميّة: تُعنى برعاية المقام الّذي أُنشئ فيه النّص، ويبدو فيه النّص أكثر تماسكًا. والتّناص: هو علاقة تقوم بين أجزاء النّص، كعلاقة السّؤال والجواب (مدخل إلى علم لغة النّص، الصفحات 11-12، ولسانيّات النّص وتحليل الخطاب، الصفحات 392/1-394، وفَيْضَةُ النَّفْسِ، دراسة نصيّة عربيّة في ضوء

لسانيّات النّصّ، الصفحات 24-25). ويعني معيار المقصَديّة "التّعبير عن الهَدف من إنشاء النّصّ، وإنّ النّصّ يُعبّر عن اعتقاد مؤلفه، وهو وسيلة من وسائل مُتابعة خطّة للوصول إلى غاية بعينها" (لسانيّات النّص وتحليل الخطاب، صفحة 392/1).

إنَّ الدّراسات اللّسانيّة الحَديثة أَولَت اهتِمَامًا واضِحًا بالقَصْد من بابِ عنايتها بالمَعانِي الّتي شَكّلَت أَسَاسًا لتحليلات الفلاسفة، فهذا غرايس (Grice) يَحصر مقاصِد المتكلّم بالتّأثير في المُتلقّي بناءً على ميثاقٍ بينهما، فأعلن مبدأ التّعاون، وهو الّذي يُحدِّد الطّريقة الّتي اُستعمل فيها اللّغة بأعلى قَدْر من الكفاية والفاعليّة، ويُتوقّع من المُشاركين أن يتعاونوا بعضهم مع بعضهم الآخر في عمليّة التّواصل، وقواعده الأربع هي: الكمّ، والكيف، والعلاقة، والأسلوب (مُعجم أكسفورد للتّداوليّة، الصفحات 196-197)، من أجل نجاح عمليّة التّفاعل بين طرفيّ الخِطَاب، فتحدّث عن القصْديّة عند دراسته المعنى من خلال محاضراته الشّهيرة (محاضرات وليم جيمس) الّتي ألقاها بهارفارد سنة 1968م (التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل، صفحة 245)، ووَصَفَ المعنى على وفق معايير مقاصد المتكلّم، الأمر الّذي جعله يقسّم المعنى على قسمَينِ: أحدهما: المعنى الطّبيعيّ (Natural)، والآخر: المعنى غير الطّبيعيّ (Nonnatural). فالمعنى الطّبيعيّ: هو المعنى غَير المُرتبط بالقَصْد، ويعتمد على علاقة السّببيّة بين شيء وآخر، مثلًا: (هذهِ البُقع تعني الحَصبة)، فوجود البُقَع عَلامَة عَلى وُجود الحَصْبَة، وكدلالة الدّخان على النّار (نظريّة المعنى في فلسفة بول جرايس، صفحة 40، والاستلزام الحواريّ نحو مقاربة تداوليّة معرفيّة للخطاب القرآنيّ، صفحة 30)، أمّا المعنى غير الطّبيعيّ فهو المرتبط بالقصد، وعرّفه غرايس (Grice) بـ"أن نقول إنّ القائل قصد شيئًا ما من خلال جملة معينة، فذلك يعني أنّ هذا القائل كان ينوي وهو يتلفّظ بهذه الجملة إيقاع التّأثير في مخاطبه بفضل فهم هذا المخاطب لنيّته" (التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل، صفحة 53)، من مثل: (أيمكنكَ أن تمدّ لي الملْح؟)، فالمُتكلّم لا يريد إشغال المُخاطب بقدرته على مدّه بالملح، بل

يطلب منه المِلْح (القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، صفحة 26). واشتهر غرايس (Grice) بنظريّته القَصْديّة الّتي توضّح الجانب الاتّصاليّ في المعنى غير الطّبيعيّ، وهذه النّظرية قائمة على مَقاصِد المُتكلّمين فِي تأْسِيس الدّلالة اللّغويّة، وتتّخذ الصّورة الآتية: إنَّ قولَ القائلِ لا يُفيدُ شَيئًا إلّا إذا قَصَدَ أمورًا ثلاث، هيَ: أنْ يدفعَ قوله لحصول استجَابة عندَ المُتلقّي، والثّاني: أنْ يكونَ المُتلقّي على معرفة بهذا القصْد، والأخير: إنّ انتهاض المتلقّي يكونُ بالجواب المستند إلى المعرفة بقصْد المُتكلّم (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، صفحة 45).

ويُعدّ جون سيرل (John Searle) من أبرز الفلاسفة اشتغالًا بالمقصديّة، إذ أضاف لها بُعدًا تداوليًّا، وآراؤه خالفت التّقاليد الفلسفيّة السّابقة، وقسّم المقصديّة على لُغويّة وغير لُغويّة، فالّتي تُبيّن الأحاسيس والمشاعر كبكاء الطّفل عند الجوع، أو بعض سلوكيّات الحيوانات الّتي تدلّ على حالات معيّنة ما هي إلّا مقصديّة غير لغويّة تُسْتَمَد منَ العَقل، أمّا المقصَديّة اللُّغويّة فهي الّتي تُحدّد أشكالَ ومعانيَ الأفعال الكَلاميّة.

تتّخذ نظريّتا (غرايس وسيرل) الذّات منطلقًا لعمليّة التّواصل، فإذا كان غرايس يحصر مقاصد المُتكلّم بتأثيره في المُتلقّي بناءً على ميثاق بينهما، فإنّ سيرل وسّع النّظريّة لتشتمل على كثير من الظّواهر الإنسانيّة واللّغويّة.

فالمقصديّة إذن هي الغاية الّتي توجّه عملية التّواصل اللّغويّ، وينطلق المُتكلّم منها في إيصال ما يسعى تحقيقه عند المُتلقّي، ويستعمل المُتكلّم النّص خدمة لغرضه، فيقوم بانتقاء الكلمات والأساليب المؤثّرة في عمليّة التّواصل. وتساعد المقصَديّة المُتلقّي في فهم النّص وتفسيره، فيتعرّف على الغرض من الكلام، ويفهم المعنى الّذي أراده منتج النّص بشكل أعمق. وسبب اختيار مصطلح (المَقصَديَّة) في وصف وتحليل كلام شعراء أهل البَيت (عليهم السّلام)؛ لأنّ (المَقصَديَّة) أقرب للمصطلح اللّسَانيّ، ويعني نشاطًا يتعلّق بمنتج الخطاب، وتوجّهه الواعي نحوَ الهَدف المَقصُود، فهو مصدر ميميّ على زنة (مَفْعَل)، وهو

أفضل من النّاحية الصّرفيّة وأكثر توفيقًا من مُصطلح (القصْديَّة) الّذي هو أقرب للاستعمال الإنشائيّ اليوميّ.

ثانيًا: أنواع المقصديّة:

قسّم سيرل (Searle) المقصديّة اللغويّة على دلاليّة ولفظيّة، فـ"القصْديّة الدّلاليّة... هي تلك الصّفة في العقل التي تُمكّنه من التوجّه نحو أو حول الأشياء، أو الحالات الواقعيّة في العالم باستقلال عنها، والقصْديّة المدلوليّة مُعاكسة لمدلوليّة اللّفظ (extcntionality) إنّها صفة تخصّ جُملًا وقضايا وموجودات لغويّة أُخرى غير مُعيّنة" (العقل مدخل موجز، صفحة 142)، وهذا يعني أنّ المقصَديّة الدلاليّة تخصّ المعنى الّذي يقصده المتكلّم، أي المعنى غير الحرفيّ، والمقصديّة اللفظيّة تخصّ معنى الكلمة أو الجملة، أي المحتوى القضويّ للعبارات.

إنّ العمليّة التواصليّة تعتمد على ثلاثة عناصر: مؤلّف، ونصّ، وقارئ؛ لغرض الوصول إلى المعاني المحتملة. ولا تحصل الفائدة إلّا بوجود تفاعل حواريّ متواصل بين عناصر الخطاب. وأنواع المقصَديّة على النّحو الآتي:

1- مقصديّة المُنتج؛ (المُؤلّف):

إنّ نظريّة التخاطب تُعنى بتحليل النصّ وفق مُراد المنتج ومقصده، والّتي تُمكّنه من إيصال مراده إلى المُتلقّي فـ"بصفة عامّة إنّ لصاحب خطاب ما -إلى جانب مقاصده التواصليّة الموضعيّة من كلّ قول ينتجه- مقصدًا تواصليًّا إجماليًّا يتعلّق بمجموع خطابه" (التّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل، صفحة 206)، وبما يقتضيه الموقف النّصيّ والنّظام اللّغوي، فنظريّة التّخاطب أشبه بالصّورة التي تقود المتلقّي للكشف عن أبعاد النّص، فيقوم بالبحث عن أهمّ الاحتمالات والافتراضات التي يُمكن تأويلها. ويعبّر المُنتج عن قصده في الخطاب بواسطة اللّغة، لأنَّ اللّغة "تحيل عليه لتحديد معنى الخطاب، ولهذا يحتج صاحب المعنى على أنّ القصْد شرط في بلوغ الكلام تمامه، معتمدًا على ملاحظة أنّ الكلام في

الشّاهد يكون أمارة لما يريده المتكلّم بحيث يكون دليلًا على مقصود المتكلّم وعلى أنّ المتكلّم أراد أن يبلّغ مراده بمقصوده" (استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، صفحة 182). واللّغة وعاء لمقصد المتكلّم، فهو يعتمد عليها في إيصال مراده للمتلقّي، ويشترط فيه أن يكون متمكّنًا منها بمستوياتها الصّوتيّة والصرفيّة والنحويّة والدلاليّة وسياقات استعمالها، فالمؤلّف لا يكتُب نصّه وفق منزلقات هشّة، بل ينسجه وفق معطيات دلاليّة تمنح النّص ثراءه وتكسبه معاني جديدة، وتُعدّ تلك المعاني الخطوة الأولى إلى التأويل الّذي يقف على حقائق النّص ومقاصده الخفيّة، وممّا لا شكّ فيه إنّ المقاصد على مستوياتٍ مختلفة، والهدف منها مساعدة المتلقّي بتوجيهه لفهم دلالات النّص، فالنّص يتّخذ أبعادًا لا حصر لمقاصده فيها، فبات من الضروري -إذن- خلق عمليّة استراتيجيّة تُسهم في تفعيل مسار الرؤية النّصيّة.

2- مقصديّة النّص:

النّصّ عبارة عن "تعالقات قصديّة بين الجمل، فما دامت الجمل والمقاطع النّصيّة مترابطة فيما بينها داخل نسيج نصيّ، فإنّها مترابطة قصديًّا ودلاليًّا أيضًا" (من فلسفات التّأويل إلى نظريّات القراءة، صفحة 159)، فهناك علاقة وثيقة بين النسيج والعناصر النصيّة بالقصْد، فالنّص يحمل دلالات مختلفة ترجع إمّا إلى مدلول داخليّ في النّص، وإمّا إلى خارج النّص، وحمولة النّص اللّغويّة تعكس ثقافة إنتاج النّص وبيئته وعصره، فالمقصديّة -هنا- توجّه القارئ في التفاعل مع مضمون النّص، وهو ما ركّز عليه فان دايك (Van Dijk) بتوضيحه أنّ النّص يحتوي على شفرات ثقافيّة واجتماعيّة تُحدّد نوع القارئ، فالنّص يكشف عن نوع القارئ الّذي سيتفاعل معه (النّص والسّياق، صفحة 304).

فمقصديّة النّص تتحكّم بكلّ فعل لغويّ، وتحاول أن تكشف معناه الظّاهر والمضمر؛ كون النّص يحتاج إلى ذاكرة جديدة من أجل الحفاظ على تكثيفه.

3- المقصديّة والقارئ:

يوجد ارتباط فيما بين مقصديّة النّص ومقصديّة القارئ، فالثّاني مرتبط بالأوّل ومتعلّق به، فالنّص قد يأتي غامضًا من شأنه إعاقة مقصديّة القارئ وأُفق توقعه، فنجد أنّ القارئ يَدخل النّص مُستعدًا عقليًّا ونَسَقيًّا، وهذا الاستعداد يساعده على تذوّق النّص، وتتمثّل قدرة القارئ في الثقافة والمُكتسبات بما يمكّنه مِن الكشف عن كوامن النّص، فمقصديّة القارئ تبحث عن طريقة لمعالجة النّص، لأنَّ النّصَّ رمزٌ لمنظومة ثقافيّة، والمُنتج والقارِئ النّاقد هُما مَن يَمرّان عبر الأسطر بُغية الوصول إلى المقصد الحقيقيّ للنّص (مرجعيات القراءة والتأويل عند ناصر حامد أبو زيد، صفحة 25)، فنجاح تفاعل القارئ مع النّص متوقف بقدرته على القيام بفعل تامّ المراحل فهمًا وشرحًا وتفسيرًا.

ثالثًا: أهميّة المقاصد في الخطاب:

تتمثّل أهمية المقاصد في العلوم التي تتعلّق بلغة الخطاب قديمًا وحديثًا، انطلاقًا مِنْ أنّ المقاصدَ هي لبّ العمليّة التواصليّة؛ لأنّه "لا وجود لأيّ تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصديّة وراء فعل التواصل، ودون وجود إبداع أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات" (التّحليل السّيميوطيقيّ للنّصّ الشّعريّ، صفحة 25)، ولأنّها كذلك فإنّ سيرل (Searle) يرى أنّ المقاصد ذات تكوين بيولوجي، ولها أطر معينة في ذهن المنتج، ففلسفة اللّغة عنده تعدّ فرعًا من فلسفة العقل، وغاية قصد المنتج هي إفهام المتلقّي، ويشترط ليعبّر المنتج عن القصد الذي يوصل إليه: أن يمتلك اللّغة في مستوياتها المعروفة ومن أهمّها المستوى الدلالي؛ وذلك بمعرفته بالعلاقة بين الدّوال والمدلولات، وبمعرفته بقواعد التركيب وسياقات الاستعمال، وبالمجمل معرفته بالبنيات المشتركة التي تنظّم إنتاج الخطاب، والقصد لا يقف عند إيجاد العلاقة الدّلاليّة في العلامة اللّغويّة بين الدّال والمدلول؛ بل يمتدّ إلى استعمالها في الخطاب لاحقًا (التّحليل السّيميوطيقيّ للنّص الشّعريّ، صفحة 25).

وعادة ما يشير الناس في تخاطبهم السّؤال: ماذا يعني كلامك؟ وماذا تقصد بخطابك؟ وتجنبًا للسّؤال هذا يعمد طرفا الخطاب إلى تحديد المقاصد من الألفاظ والعبارات والمفاهيم مسبقًا، وكذلك في النّقاشات لكي ينطلقوا من قاعدة واحدة تكون مرجعًا لهم عند الاختلاف.

وقد ميّز الباحثون بين العلامات ذات الدّلالة الطبيعيّة والعلامات ذات الدّلالة غير الطّبيعيّة (المقصودة)، فالعلامات ذات المعنى الطبيعيّ على الرّغم من أنّها تحمل معنى، إلّا أنّ القصد لا يتدخل في تحديدها، مثل علامة الدّخان الدّالّة على وجود النّار، وهذا النوّع من العلامات هو اصطلاح السّيميائيين بالمؤشّر (Index)، وهناك نوع من العلامات لا يتحدد معناها إلا من قصد المنتج، مثل الرّمز (symbol)، لذا يذهب أنصار سيمياء التواصل كبويسنس (Buysens)، وبريتو (Britto)، ومونان (Mounin)، وغرايس (Grice)، وأوستن (Austin)، وفنجنشتاين (Wittgenstein)، ومارتينيه (Martinet) إلى أنّ العلامة تتكوّن من وحدة ثلاثيّة المبنى: الدّال، والمدلول، والقصد (معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النّقديّة الحديثة، صفحة 84).

والخطاب اللّغويّ ما هو إلّا علامة تنطوي عليها مقاصد المتكلّم، وهذا ما يجعل معنى الخطاب يتعدد بتعدد السياقات التي ينتج فيها، فمن هنا تتضح ضرورة ارتباط القصد بالعلامة عند الاستعمال -أيًّا كان نوع العلامة- لينجح المنتج (المرسل) في خطابه، ويتدخّل القصد بوصفه معيارًا في صلب تصنيف العلامة، فيقوم بنقلها من صنف إلى آخر، كما ينقلها من حيّز الخلو من المعنى إلى أن تصبح ذات معنى، وعليه فإنّه يمكن تصنيف الأمارات من حيث دلالتها إلى ثلاثة أصناف: "الأمارات العفويّة، والأمارات العفويّة المغلوطة، والأمارات القصديّة: ويتعلق الأمر بالوقائع التي توفّر إشارات أنتجت قصدًا لتوفيرها، وهي إشارات لا تبلغ هذا الهدف إلّا شريطة الاعتراف بها بوصفها أُنتجت لِتَبْلُغَ ذلك الهدف. مثال: علامات المرور. وتسمّى الأمارة القصديّة علامة. هكذا يبدو أنّ

هنـاك اشـتراطًا للقصـديّة التواصـليّة الواعيـة حتـى صـار الـدّليل أداة القصـديّة التواصليّة. وإذا أخذنا بعين الاعتبار كلّ ما سبق، فإنّ موضوع السيميولوجيا هو الـدّلائل القائمـة على القصـديّة التواصـليّة" (دروس في السّـيميائيّات، الصـفحات 73-74).

والاسـتراتيجيّة التـي يسـتعملها المُنـتج (المرسـل) فـي الخطـاب هـي وسـيلة تتجسّد باللّغة لتحقيق المقاصد؛ لأنّ الوسيلة إلى أفضـل المقاصـد هـي مـن أفضـل الوسائل(مقاصـد الشّـريعة الإسـلاميّة، صـفحة 145)، وللقصـد أثـره فـي تقنـين مسارات الحجاج والنقاش، شرط أن يكون المتلقّي قد فهم ما يعنيه المنتج؛ ذلك أنّ الكلام على ما لم يقصده المنتج يعدّ عدولًا عن الغرض المطلوب.

رابعًا: المَقصديّة وتحليل الخطاب:

مُصـطلح (الخطـاب) ترجمـة أو تقريـب للمُصـطلح (discourse) فـي الإنجليزيّة، و(diskous) في الألمانيّة، إنّ "مُصطلح خطاب من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطابات، يحيل على نوع من التّناول للّغة، أكثر مما يحيل على حقل بحثيّ محدّد، فاللّغة في الخطاب لا تُعدّ بنية اعتباطية بل نشاطًا لأفراد مندرجين في سياقات معيّنة، والخطاب، بهذا المعنى، لا يحتمل صيغة الجمع: يُقال (الخطاب) و(مجال الخطاب) إلخ، وبما أنه يفترض تمفصل اللّغة مع معايير غيـر لغويّـة، فـإنّ الخطـاب لا يمكـن أن يكـون موضـوع تنـاول لسـانيّ صِـرف" (المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، صفحة 38)، فالخطاب نشاط للّغة يَنشأُ بشكل مقصود بعيدًا عـن الاعتباطيّة، فكلّ خطاب يُعدُّ نشاطًا خاصًّا تتقاطع فيه اللّغة مع مكوّنات خارج لغويّة كالإيماءات، والتّعابير الوجهيّة، وما إلى ذلك.

إنّ الفرق الّذي يُمكن الاعتداد به يكمن أساسًا في زمنيّة التّلقي، وما يُمكن أن تؤثر به في تكوين القصد، أو ردّة فعل معينة تتلاشى مع الزمن، كأنْ تصل رسـالة دعـوة -مـثلًا- بعـد التّـاريخ المـذكور للحضـور المفتـرض، وبهـذا يكـون الخطاب المكتوب أبطأ في استدعاء عقل المتلقّي، ومع ذلك يبقى يحتفظ بقيمته،

وهكذا نجد أنّ اللسانيّات الوظيفيّة اتخذت الخطاب موضوعًا للدّرس، سواء أكان الخطاب مفردة واحدة، أو مركبًا اسميًّا، أو جُملة، أو نصًّا كاملًا، وبتعبيرٍ آخرٍ فقد أصبح موضوع المقاربة اللسانيّة يقاس "لا بالتقسيمات التركيبيّة التقليديّة، بل بكلّ ما يُمكن أن يشكّل وحدة تواصليّة في موقف تواصليّ معيّن" (التّركيبات الوظيفيّة قضايا ومقاربات، صفحة 58)، فالوحدة التّواصلية من أهم صفات الخطاب، فمثلًا الرّسالة والبرقيّة تشكّل خطابات ناجحة عند وصولها للمتلقّي وأبدى تفاعله معها ومع مضمونها.

ويزيد بول ريكور (PaulRicaur) على هذا المعنى أن النص الّذي هو الكلام المكتوب يتميز بالامتداد، قال: "لكن ما الخطاب؟ لن نطلب الجواب من المناطقة، ولا حتى من المدافعين عن التحليل اللسانيّ؛ بل من علماء اللغة. الخطاب هو الرأي المخالف لما يسميّه هؤلاء بالنّسق أو النظام اللسانيّ. الخطاب يعني حدث الكلام" (من النّص إلى الفعل "أبحاث التأويل"، صفحة 141)، فهو بهذا يفرد بأنّ الخطاب بعيد عن مجرّد كونه نسقا لسانيّا وتتابعا خطيّا، ثم يردف ريكور في إرساء سمات الخطاب التي يتميز بها، وفي هذه السمات يضمن أهم منطلقات الخطاب سواء أكان شكله شفهيّا، أو كان شكل الخطاب كتابيّا، و"السّمات هي:

1- إنّ الخطاب يحقق دومًا زمنيًّا وفي الحاضر، بينما نظام اللغة تقديريّ وغريب عن الزمن.

2- في الوقت الذي لا تتطلب فيه اللّغة أيّ ذاتٍ بذلك المعنى الذي لا ينطبق فيه سؤال: من يتكلم؟ على هذا المستوى، يحيل الخطاب على متكلّمه بفضل مجموعة من أدوات الوصل كالضّمائر مثلًا، لذا نقول إنّ إلحاح الخطاب مرجعيّ ذاتيّ.

3- تحيل علامات اللّغة على علامات أخرى داخل النظام نفسه، وبينما تستغني اللّغة عن العالم كما تستغني عن الزمنيّة والذاتيّة، يكون الخطاب دائمًا

على صلة بموضوع ما يحيل على عالم يتوخى وصفه، والتّعبير عنه وتشخيصه، لهذا لا تتحقق وظيفة الكلام الرمزيّة إلّا في الخطاب.

4- لا تعتبر اللّغة سوى شرط للتواصل الذي تقدم له أنساقًا ما، فلا يتمّ تبادل الإرساليّات إلّا في الخطاب، وبهذا المعنى لا يملك الخطاب وحده عالمًا فقط، بل آخر مخاطب.

هذه السّمات الأربع مجتمعة تجعل من الخطاب حدثًا" (من النّص إلى الفعل، صفحة 142) وهي التي تعطيه هويّته وحركيّته، وتضمن له التّجدّد والتّنوع، وتعمل على تعدّد أشكاله من حيث أنّه مستوى نَسقيّ، أو نظام لغويّ ينتمي إلى خلفيّة معرفية للغة معيّنة، ف- "ثمّة كلمات في اللّغات تنظّم الجمل بين بعضها البعض، من ضمنها الروابط (connecteurs) المنطقية (لأنّ، وبالفعل، وإذن، ولكنّ)، وضمائر التردّد التوكيدي (pronons anaphoniqes) (ضمير الغائب، والضمائر التي تعوّض عن المكان). لعلّ ذلك ما يؤدي إلى اشتغال الخطاب اللّغويّ الذي يتجاوز بمرونة فائقة حدود الجملة" (سوسيولوجيا اللّغة، صفحة 21)، فالخطاب يتحقّق متى ما ارتبط بذات محدّدة يحيل عليها، وعالم حقيقيّ الوجود حول أقطاب الخطاب، وذات تتفاعل معه عند استقبالها له، سواء أكان هذا الاستقبال في حال الخطاب الشفوي، أو حال الخطاب المكتوب، وتتوافر لكلّ فرد -إلى جانب معرفته بلغة معينة- مجموعة بنيات ثقافيّة للوجود الّذي من حوله، والمعارف اللّغويّة، حتى يتسنّى له التواصل مع العالم المحيط به.

والتّواصل نحو اللّغة من المعجم إلى التّداول -ضمن فعاليّة السّياق- هو ما يعرف بأفعال اللّغة، فاللّفظ هو كلّ جزء من أجزاء الخطاب ينجزه المتكلم، بحيث يكون هناك وقف قبل هذا الجزء وبعده، وهو ينطبق على اللّغة المنطوقة والمكتوبة، وهو يسمح بتناول دلالي أوسع، وتزايد تداولي للخبر تفعله اللّغة؛ لأنها أداة التّحول، وذخيرة هذا التحول والتفاعل، فما يتمّ التبادل به ليس اللّغة، بل الخطاب الذي يستلهم المعنى من الخارج، ومن ثمّ يكتسب من الخطاب قيمة رمزيّة، وهكذا يبنى التواصل بين المخاطبين على أساس مبدأ الحوار وتعدّد

الأصوات (استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، صفحة 25)، ويرتكز أثر المقاصد على المعنى، فيستلزم من المنتج مراعاة كيفية التعبير عن قصده، وتكمن وظيفة اللّغة -هنا- في تحقيق التفاعل بين طرفي الخطاب بما يناسب السّياق.

وترتبط المقصديّة بالخطاب الشعريّ في صورة تتجاوز إطار الثنائية (مرسل ومرسل إليه)، فهي إحدى المقومّات التي تُسهم في توجيه أطراف العمليّة التواصليّة، وتُسهم في التحكّم في الإطار العام الّذي تتحرّك فيه مختلف العناصر الفعّالة والمشكّلة للخطاب، ممّا جعلها تكتسب بُعدًا تداوليًّا لتفيد في توجيه الخطاب وتوجيه المُخاطَب، وتُسهم في إنشاء علاقة متواصلة بين العناصر اللّغويّة وغير اللّغويّة.

وتتّصف العلاقات في الخطاب أو استراتيجيات التخاطب بأنّها الطّرائق التي توضّح مقاصد المنتج وكفايته التداوليّة، بصورة تُساهم في فاعليّة إنتاج الخطاب وفقَ شروط داخليّة وخارجيّة، تفتح مجال التّوافق مع السّياق -مهما كان نوعه عامًّا أو خاصًّا-، فالإحاطة بالقصد متوقفة على معرفة السّياق اللّغويّ المتعلّق بمنتج الخطاب، وبمؤشرات داخليّة وأخرى خارجيّة تتعلّق بالخطاب، وترتبط بالإطار اللسانيّ والتداوليّ، ممّا يجمع بين عناصر التخاطب المتحكّمة في حركيّة المقاصد من جهة، وفي سيرورة الخطاب من جهة أخرى (استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، صفحة 96).

فمن ذلك ما ورد من هاشميّات الكُميت بن زيد الأسديّ (ت126هـ) في مدح بني هاشم، قال: (ديوان الكميت بن زيد الأسديّ، الصفحات 491-492)

رَاجِحِي الوَزنِ كَامِلِي العَدلِ في ... السِيرةِ طَيِّبِين بالأُمورِ الجِشَامِ
فَضّلُوا النَّاسَ في الحَدِيثِ حَدِيثًا ... وَقَدِيمًا في أوّلِ القُدَّامِ
مُستَفِيدِينَ مُثْلِفِينَ مَوَاهِبَ ... مَطَاعِيمَ غَيْرِ ما أبرَامِ
مُسْتَعِفِّينَ مُفْضِلِينَ مَسَامِيـ ... ـحَ مراجِيحَ في الخَمِيسِ اللُّهَامِ
ومَدَارِيكَ لِلذُّحُولِ مَتَارِيْـ ... ـكَ وإن أُحفِظُوا لعُورِ الكَلاَمِ

ففي هذه الأبيات أنجز الشّاعر فعل الإخبار عن طريق المقصد، وهنا ينجلي فيما أراده الشّاعر من حمل للمتلقّي على معرفة معيّنة، وهذه المعرفة قد يكون المتلقّي على علم بها، ولكن أتى بها الشّاعر تذكيرًا وتنبيهًا، ولمن يجهل بها تعريفًا وتبصيرًا، فمقصد الكميت بيان فضائل أهل البيت (عليهم السّلام) وصفاتهم بوساطة عدّة أفعال كلاميّة إخباريّة، تعكسها الطّبيعة التّقريريّة الوصفيّة للغةِ الهاشميّات من قبيل (راجحي الوزن، كاملي العدل، مواهيب، مطاعيم...الخ)، فهذه الصّفات نلحظ فيها شرط الصّدق الّذي يبدو جليًّا في الأبيات، وهو ما يرجع إلى مصداقيّة الشّاعر عندما يتحدّث عن فكرة معيّنة، إذن مقصد الكميت هو الإخبار عن الصّفات الكامنة في أهل البيت (عليهم السّلام) والّتي كانت موضع إفتخار عنده، وكذلك أصبحت موضع إعلام ووصف.

إنَّ ارتباط المقصديّة بالخطاب الشعريّ وعلى مستويات متداخلة خاضعة لسلطة اللّغة، يدفع بالقصد إلى اعتماد وظائف إثباتيّة تتعلق بالبنية اللّغويّة، ومدى فهم عناصرها، وذلك بربط مكونات البنية بمنتج النّص ومتلقيّه وقرائن الاستعمال، وذلك وفق نموذج تفاعليّ وتواصليّ يرصد تحوّلات الخطاب الشعريّ وسلوكه اللّغويّ وقواعده البنيوية، ويخضعها لمتطلبات دلاليّة تُنير ما يحتويه من رؤى وإشارات ومرجعيّات ضامنةً إنتاج المقاصد، تعمل على إعادة توزيعها لتضمن وجود استراتيجيّة مفاهيميّة تحكمها منظومة علاقات تكفل توجيه الخطاب الشّعريّ، وفق معايير يحددها الأطراف الفاعلة فيه (النّحو القرآني في ضوء لسانيّات النّص، صفحة 290).

الخاتمة:

يتّضح من خلال البحث أنّ المقصديّة تُشير إلى المعنى المُضمر الكامن وراء النّص، فهي هدف منتج النّص غير المُعلن، الذي يسعى إلى إيجاد عالمه الخاصّ في سياق لغويّ معرفيّ يُحكم عليه برؤية شموليّة تتعلّق بداخل النص وبثوابته، وبالمجريات غير الواعية التي تأتي من خارج النّص لتُسهم في توجيه الدّلالات

وتحديدها بنحوٍ سليم؛ لكي تجمع المقصديّة على هذا النّحو بين المتناقضات داخلًا وخارجًا، وبين الوعي واللاوعي، وبين البسيط والمركب.

المصادر والمراجع:

• استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة: عبد الهاديّ بن ظافر الشّهريّ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط1، 2004م.

• الاستلزام الحواريّ نحو مقاربة تداوليّة معرفيّة للخطاب القرآنيّ: جنان سالم البلداويّ، دار قناديل، بغداد - العراق، ط1، 2021م.

• آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر: محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعيّة، مصر، ط1، 2002م.

• تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد مرتضى الحسينيّ الزَّبيديّ (ت1205هـ)، تح: مجموعة من المحقّقين، التّراث العربيّ، مطبعة حكومة الكويت، د. ط، بتواريخ مختلفة.

• التّحليل السّيميوطيقيّ للنّص الشّعريّ: جيرار دولودال، ترجمة: عبد الرّحمن بوعلي، مطبعة المعارف، ط1، 1994م.

• التّداوليّة اليوم علم جديد في التواصل: آن روبول، وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدّين دغبوس، ومحمّد الشّيبانيّ، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظّمة العربيّة للترجمة، بيروت - لبنان، ط1، 2003م.

• تهذيب اللّغة: أبو منصور محمّد بن أحمد الهرويّ الأزهريّ (ت370هـ)، تح: محمّد عوض مرعب، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت - لبنان، ط1، 2001م.

• الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنيّ الموصليّ (ت392هـ)، تح: محمّد عليّ النّجّار، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط4، د. ت.

• دروس في السّيميائيّات: مبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء - المغرب، ط1، 1987م.

• دلائل الإعجاز في علم المعاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمّد الجرجانيّ (ت471هـ)، تح: محمود محمّد شاكر أبو فهر، مطبعة المدنيّ بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ - 1992م.

• ديوان الكُميت بن زيد الأسديّ: جمع وشرح وتحقيق: محمّد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م.

• سوسيولوجيا اللّغة: بيار أشار، تعريب: عبد الوهاب تزو، منشورات عويدات، بيروت - لبنان، ط1، 1996م.

• الصّحاح - تاج اللّغة وصحاح العربيّة: أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ (ت398هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط4، 1987م.

• العقل مدخل موجز: جون سيرل، ترجمة: ميشيل متياس، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 2007م.

• فَيْضَةُ النّفس، دراسة نصيّة عربيّة في ضوء لسانيّات النّصّ: كريم حسين ناصح الخالدي، دار الرّضوان، عمّان - الأردن، ط1، 1439هـ - 2018م.

• القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة: آن روبول، وجاك موشلار، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف: عزّ الدّين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، دار سيناترا، المركز الوطنيّ للتّرجمة، تونس، ط2، 2010م.

• كتاب العين: أبو عبد الرَّحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ (ت175هـ)، تح: د. مهديّ المخزوميّ ود. إبراهيم السّامرّائيّ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د. ط، د. ت.

• لسان العرب: أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم المعروف بابن منظور الإفريقيّ المصريّ (ت711هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان، ط3، 1414هـ - 1994م.

• لسانيّات النّص وتحليل الخطاب: محمّد عبد الرحمن خطابي وآخرون، دار كنوز المعرفة، عمّان - الأردن، ط1، 1434هـ - 2013م.

• مدخل إلى علم لغة النّص: دي بوجراند، ودريسلر، ترجمة: الهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، دار الكاتب، نابلس، ط1، 1413هـ - 1992م.

• مرجعيّات القراءة والتّأويل عند ناصر حامد أبو زيد: اليامين بن تومي، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011م.

• المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: دومينيك مانغونو، ترجمة: محمّد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، بيروت - لبنان، ط1، 1428هـ 2008م.

• معجم أكسفورد للتّداولية: يان هوانغ، ترجمة هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت - لبنان، ط1، 2020م.

• معرفة الآخر (مدخل إلى المناهج النّقديّة الحديثة): عبد الله إبراهيم، وسعيد الغانميّ، وعوّاد عليّ، المركز الثقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء - المغرب، ط2، 1996م.

• مقاصد الشّريعة الإسلاميّة: محمّد الطّاهر بن عاشور، الشّركة التّونسيّة للتّوزيع، تونس، د. ط، 1978م.

• من النّص إلى الفعل (أبحاث التأويل): بول ريكور، ترجمة: محمّد برادة، وحسّان بورقية، عين للدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، القاهرة - مصر، ط1، 2001م.

• من فلسفات التأويل إلى نظريّات القراءة: عبد الكريم شرفي، منشورات الاختلاف، الجزائر، د.ط، 2007م.

• الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمّد اللّخميّ الغرناطيّ الشّهير بالشّاطبيّ (ت790هـ)، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفّان، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1417هـ - 1997م.

• النّحو القرآني في ضوء لسانيّات النّص: هناء محمود إسماعيل، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط1، 2012م.

• النّص والسّياق استقصاء البحث في الخطاب الدّلاليّ والتّداوليّ: فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدّار البيضاء - المغرب، 2000م.

• نظريّة المعنى في فلسفة بول جرايس: صلاح إسماعيل، دار قباء الحديثة، القاهرة، د. ط، 2007م.

• الوظائف التّداوليّة في اللّغة العربيّة: أحمد المتوكّل، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1405هـ.

التماسك النصي في قصار السور مقاربة نصية

م.د. أنمار داود سليم
جامعة تكريت، كلية التربية الأساسية، قسم التربية الإسلامية

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة التماسك النصي في قصار سور القرآن الكريم من منظور لساني نصي، مع التركيز على كيفية تكوين وحدة دلالية متماسكة في نصوص قصيرة تحتوي على مقاطع وجمل متقاربة الطول. تنطلق الدراسة من فرضية أن التماسك النصي ليس مجرد ترتيب لغوي، بل آلية دلالية تربط بين المقاطع والجمل لتشكل وحدة متكاملة، تساعد القارئ على فهم المعنى المقصود وتوجيه التأويل السليم.

يعتمد البحث على تحليل نصوص سور قصيرة، مع تقسيم التماسك إلى مستويات: اللفظي، الدلالي، والتركيبي. يشمل التماسك اللفظي استخدام الترادف، التجانس الصوتي، والضمائر، بينما يشمل التماسك الدلالي الربط بين المعاني وتوظيف الأدوات الدلالية لتعزيز وحدة النص. أما التماسك التركيبي فيبرز من خلال البنية النحوية والربط بين المقاطع والجمل، بما يضمن ترابط النص كوحدة متكاملة.

كما يتناول البحث أدوات التماسك النصي مثل حروف العطف، الاستدراك، والرموز البلاغية التي تعزز وحدة النص، إضافة إلى دراسة البنية الكبرى للمعنى وكيفية تحقيق التماسك الضمني بين جمل النص القصير.

من خلال تحليل نصوص نموذجية من سور مثل: الكوثر، العصر، الفيل، قريش، يوضح البحث كيف يسهم التماسك النصي في وحدة المعنى، وضبط الرسالة الإلهية، وتوجيه المتلقي نحو فهم النص كوحدة متكاملة. كما يظهر البحث أن تطبيق مقاربة لسانيات النص كشف مستويات التماسك الخفية التي تعجز المناهج الأدبية التقليدية عن رصدها، مما يجعل هذا المنهج أداة أساسية لدراسة القرآن الكريم نصيًا.

الكلمات المفتاحية: التماسك النصي، القرآن الكريم، قصار السور، لسانيات النص، التماسك اللفظي، التماسك الدلالي، التماسك التركيبي.

Textual Coherence in the Short Surahs: A Textual Approach

of Dr. Anmar Dawood Saleem/ University of Tikrit, College - Basic Education
Sharqat, Department of Islamic Education
Email: Anmar.D.saleem@tu.edu.iq

Abstract
This study aims to examine textual cohesion inthe shorter surahs linguistic perspective, focusing on how -of the Qur'an from a text nit is formed within shorttexts composed of a coherent semantic u relatively concise verses andphrases. The study is based on the premise thattextual cohesion is not merely a linguisticarrangement but a semantic mechanismlinking helping the ،segments and sentences to form anintegrated unit reader understandthe intended meaning and guiding .accurateinterpretation
The research analyzes short Qur'anic surahs, dividing cohesion into three levels: lexical, semantic, and structural. Lexical icharmony, and cohesioninvolves the use of synonymy, phonet pronouns, while semanticcohesion refers to the linking of meanings andthe use of semantic devices to reinforce

textualunity. Structural cohesion is manifested throughsyntactic construction and the linking ofsentences and segments, ensuring .he textfunctions as an integrated wholet
The study also addresses cohesive devices suchas conjunctions, counterpoints, and rhetoricalsymbols that strengthen textual structure of meaning and theimplicit -unity, alongsidethe macro .hin theshort surahscohesion among sentences wit
-Kawthar, Al-Through the analysis of model surahs such asAl Fil, and Quraysh, thestudy demonstrates how textual -Asr, Al cohesioncontributes to semantic unity, preserves thedivine xt as a message, and guides the reader towardunderstanding the te linguistic -coherent whole. Moreover, applying a text approachreveals hidden levels of cohesion thatconventional literary methods fail to detect, establishing this methodology as .an essentialtool for Qur'anic textual analysis
Keywords: Textual Cohesion, The Holy Qur'an, Short Surahs, Text Linguistics, Lexical Cohesion, Semantic Cohesion, Syntactic Cohesion.

مقدمة

يُعَدُّ القرآن الكريم النص المؤسس للحضارة الإسلامية، ودراسة بنيته النصية ليست مجرد ترف أكاديمي، بل هي محاولة لفهم عمق إعجازه اللغوي والبلاغي. ومع ذلك، فإن الدراسات القرآنية التقليدية غالبًا ما ركّزت على الجوانب التفسيرية والأدبية والبلاغية لكل سورة على حدة. إن هذه المقاربة، رغم أهميتها، قد تُغفل الأبعاد اللسانية العميقة التي تمنح النص القرآني تماسكًا داخليًا لا مثيل له، خاصة في قصار سوره التي تبدو للوهلة الأولى مقاطع مستقلة. تأتي هذه الدراسة لتقديم مقاربة جديدة من منظور لسانية النص، والتي تُعنى بتحليل النص ككل متماسك، وليس فقط كجمل منفصلة (الخولي، 2000، ص. 34).

مشكلة البحث

على الرغم من الدراسات العديدة التي تناولت القرآن الكريم من مختلف الزوايا، إلا أن هناك فجوة واضحة في تطبيق المنهج النصي اللساني على قصار السور. فغالبًا ما يتم التركيز على السور الطويلة أو المتوسطة، بينما تُغفل قصار السور التي تُعدُّ مختبرًا مثاليًا لدراسة التماسك النصي في أقصى درجاته، لأنها تُقدّم فكرة أو معنىً شاملاً في عدد قليل من الآيات، مما يجعل الترابط بينها أكثر وضوحًا. لذا، تكمن مشكلة البحث في غياب التحليل المنهجي الذي يدرس هذه السور من منظور التماسك النصي، للكشف عن آليات الربط الداخلي فيها.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

- التعريف بمفهوم التماسك النصي وتحديد مبادئه النظرية في ضوء لسانية النص.
- الكشف عن الآليات والأدوات اللغوية التي تُحقق التماسك النصي في قصار السور.
- بيان المستويات المختلفة للتماسك (اللفظي، والدلالي، والتركيبي).
- إثبات أن قصار السور القرآنية تُشكّل وحدات نصية متكاملة تمامًا، وليست مجرد تجميع لآيات منفصلة.
- الإسهام في تأصيل المنهج النصي في الدراسات القرآنية.

أسئلة البحث

للإجابة على مشكلة البحث، سيتم التركيز على الأسئلة التالية:

1. ما هو مفهوم التماسك النصي، وما هي مبادئه الأساسية وفق لسانية النص؟

2. ما هي أبرز أدوات ومستويات التماسك النصي التي تظهر في قصار السور؟

3. كيف تتكامل هذه الأدوات والمستويات لتُشكّل البنية الكبرى للنص القرآني القصير؟

4. ما هو دور التماسك النصي في تعزيز إعجاز القرآن الكريم؟

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث سيتم وصف النص القرآني وتحليله من منظور المقاربة النصية اللسانية، مع الاستعانة بأمثلة من متن السور لدعم التحليل.

هيكل الدراسة

ينقسم هذا البحث إلى خمسة مطالب رئيسة، فضلًا عنالمقدمة والخاتمة:

- المطلب الأول: الإطار النظري ومفاهيم التماسك النصي.
- المطلب الثاني: مستويات التماسك النصي في قصار السور.
- المطلب الثالث: أدوات التماسك النصي.
- المطلب الرابع: التماسك الضمني والبنية الكبرى.
- المطلب الخامس: تحليل نصوص نموذجية من قصار السور.

المطلب الأول: الإطار النظري ومفاهيم التماسك النصي

1.1 التأطير النظري: رحلة مبادئ التماسك بين الدرسين العربي والغربي

إن مفهوم التماسك النصي، الذي يُمثّل حجر الزاوية في لسانية النص الحديثة، ليس وليد العصر، بل له جذور عميقة في التراث الفكري والنقدي العربي والغربي. في الغرب، ظهر المفهوم بشكل منهجي على يد مايكل هليداي

ورقية حسن في السبعينيات من القرن العشرين، حيث قدّما أدوات تحليلية دقيقة للروابط اللفظية والدلالية (السبك) التي تُشكّل نسيج النص.

في المقابل، شهد التراث العربي إدراكًا مبكرًا لأهمية هذه الروابط، وإن لم يُطلق عليها نفس المصطلحات. فقد أدرك نقاد البلاغة العربية، مثل عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز"، أن النص لا يكتسب جماله وقوته من الألفاظ المفردة، بل من "الربط بينها وتآلف بعضها مع بعض" (الجرجاني، 1982، ص. 297). كما تحدثوا عن مبادئ مثل "حسن التخلص"، وهو الانتقال السلس من غرض شعري إلى آخر دون انقطاع، ومفهوم "الفصل والوصل" الذي يُعنى بكيفية الربط بين الجمل أو تركها منفصلة، وهو ما يُوازي اليوم فكرة السبك النحوي والدلالي. وهكذا، يمكننا القول إن الدراسات العربية القديمة قدّمت تأصيلاً نظريًا عميقًا لمفاهيم التماسك، ولكنها كانت تندرج ضمن إطار البلاغة والنقد الأدبي، في حين قدّمت لسانية النص الحديثة مقاربة منهجية ونظرية أكثر شمولية (حسان، 1998، ص. 45).

1.2 مستويات التماسك النصي: السبك (Cohesion) وأنواعه

يُعرف السبك بأنه مجموعة من الوسائل اللغوية الظاهرة التي تربط بين مكونات النص على المستوى السطحي (ملاابراهيمي، وتاند، 2022، ص 105) ويمكن تقسيم السبك إلى عدة أنواع رئيسية:

• السبك النحوي: يُعنى بالروابط التي تُحققها القواعد النحوية، ومن أهم أدواته:

• الإحالة (Reference): وهي إحالة عنصر في النص إلى عنصر آخر(دهان؛ وعباس، 2023، ص672)

• الإحالة بالضمائر: مثل استخدام ضمير الغائب "هو" أو "هي" للإشارة إلى اسم مذكور سابقًا

• الإحالة بأسماء الإشارة: مثل استخدام "هذا" أو "ذلك" للإشارة إلى فكرة أو جملة.

• الإحالة بالأسماء الموصولة: مثل "الذي" و"التي" لربط جملتين ببعضهما.

• الوصل (Conjunction): استخدام أدوات الربط مثل حروف العطف "الواو"، "الفاء"، و"ثم"، وأدوات الشرط والاستدراك، والتي تُحدد العلاقة المنطقية بين الجمل.

• الحذف (Ellipsis): وهو حذف عنصر من الجملة يُفهم من السياق، مما يُقلل من التكرار ويُحقق ترابطًا سلسًا.

• السبك المعجمي: يتحقق عبر العلاقات الدلالية بين الكلمات، ويُعد من أهم وسائل السبك في الشعر والنثر على حد سواء.

• التكرار: تكرار كلمة أو عبارة لتعزيز فكرة معينة.

• الترادف والتضاد: استخدام كلمات لها نفس المعنى أو معانٍ متقابلة.

• الاشتراك في حقل دلالي: استخدام كلمات تنتمي إلى نفس المجال المعجمي (مثل: "صلاة، زكاة، حج" في الحقل الديني).

• الشمول والتخصيص (Hyponymy): استخدام كلمة عامة (حيوان) ثم كلمة خاصة منها (قط) (البطاينة، 2011، ص. 145).

1.3 مستويات التماسك النصي: الحبك (Coherence) وأنواعه

يُعد الحبك الجانب الأعمق والأكثر تجريدًا من التماسك. إنه ليس مجموعة من الروابط اللغوية الظاهرة، بل هو البنية المعرفية التي تُنظّم الأفكار في ذهن المتلقي. يُمكن تعريف الحبك بأنه "الترابط المنطقي والمعنوي الذي يمنح النص وحدته، حتى في غياب أدوات السبك الصريحة" (بحيري، 2002، ص121).

يُمكن التمييز بين أنواع مختلفة من الحبك:

• الحبك الموضوعي: وهو ترابط الأفكار والمواضيع داخل النص.

• الحبك المنطقي: وهو التسلسل السببي والنتائجي بين الأحداث أو الأفكار.

• الحبك الزمني: وهو التسلسل الزمني للأحداث في النص.

• الحبك العاطفي: وهو التدرج في المشاعر والأحاسيس التي ينقلها النص للمتلقي.

1.4 البنية الكبرى (structure-Macro) وعلاقتها بالتماسك

تُمثّل البنية الكبرى الإطار الشامل الذي يضم كل من السبك والحبك. فهي الفكرة المحورية أو الموضوع العام الذي يُنظّم النص بأكمله. وفقًا لعالم اللسانيات تِيُون فان دايك، فإن البنية الكبرى هي "الخلاصة الكلية للنص" التي يُدركها القارئ من خلال فهمه للروابط الدلالية بين أجزاء النص (Van Dijk & Kintsch, 1983, p. 195).

في قصار السور القرآنية، تُعتبر البنية الكبرى العنصر الأهم. فكل سورة، رغم قصرها، لها فكرة محورية واضحة (مثل التوحيد في سورة الإخلاص، أو جزاء الكافرين في سورة المسد). تعمل أدوات السبك (الضمائر، حروف العطف) على ربط الجمل، بينما يعمل الحبك على ترابط المعاني، وكلاهما يصب في خدمة البنية الكبرى التي تُحدد الغرض النهائي للسورة.

المطلب الثاني: مستويات التماسك النصي في قصار السور

2.1 التماسك اللفظي: أدوات التجانس الصوتي والمعجمي

يُعَدّ التماسك اللفظي (Lexical Cohesion) أحد أبرز مستويات التماسك التي تُضفي على النص القرآني وحدته السطحية. فهو يعتمد على الروابط الظاهرة بين الكلمات والجمل، مما يجعل النص يتدفق بسلاسة وانسجام. في قصار السور، يتجلى هذا التماسك بوضوح في أدوات متعددة:

• الترادف والمقابلة: على الرغم من أن الترادف الكامل نادر في القرآن، إلا أن استخدام الألفاظ المتقاربة في المعنى يساهم في إثراء النص وتماسكه

الدلالي. كذلك، يُعَدُّ التضاد أو المقابلة بين الألفاظ (مثل "الليل" و"النهار"، أو "الهدى" و"الضلال") أداة قوية للربط بين المعاني، إذ تُبرز كل كلمة الأخرى وتُعمّق دلالتها ضمن سياق السورة.

• التجانس الصوتي: يتجاوز القرآن مجرد التجانس اللفظي إلى مستوى أعمق هو التجانس الصوتي الذي يُعرف بـ"الفاصلة القرآنية" (مكي، 2008، ص. 98). تُعطي الفواصل القرآنية للنص إيقاعًا موسيقيًا يربط بين الآيات، مما يجعل السورة تبدو كقطعة واحدة متناغمة. على سبيل المثال، في سورة الفيل، يظهر التجانس الصوتي في الفواصل مثل: "أصحاب الفيلِ"، "تضليلٍ"، "سجيلٍ"، و**"مأكولٍ"**. هذا التناغم الصوتي يُثبت المعنى في الذهن ويُعزز من ترابط السورة.

• استخدام الضمائر والإحالة: تُعدُّ الضمائر أداة أساسية في الربط النصي، إذ تُحيل إلى شخصيات أو مفاهيم ذُكرت سابقاً في السورة، مما يُقلل من التكرار ويُحقق انسيابية في النص. ففي سورة الكوثر، يظهر هذا الاستخدام بوضوح في قوله تعالى: "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ"، حيث يعود ضمير المتكلم "إِنَّا" على الله تعالى، بينما يُحيل ضمير المخاطب "كَ" إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). هذه الإحالات تُشكّل شبكة من العلاقات اللفظية تربط كل آية بما قبلها وما بعدها.

2.2 التماسك الدلالي: الترابط بين الجمل والمعاني

يُعَدُّ التماسك الدلالي (Semantic Cohesion) المستوى الأهم في دراسة النصوص القرآنية. إنه لا يقتصر على الروابط اللغوية الظاهرة، بل يتجاوزها إلى الربط بين المعاني والأفكار. إن الحبك الدلالي هو ما يُعطي السورة وحدتها الموضوعية، بحيث تُصبح كل آية جزءاً لا يتجزأ من الصورة الكلية.

في قصار السور، يتجلى التماسك الدلالي في:

• الوحدة الموضوعية: كل سورة من السور القصيرة تخدم موضوعًا محوريًا واحدًا، حيث تُسهم كل آية في إثراء هذا الموضوع. على سبيل المثال، في سورة

العصر، يترابط المعنى ترابطاً دلالياً محكماً تبدأ السورة بقسم على الزمن، ثم تنتقل لبيان أن كل إنسان خاسر إلا فئة محددة، ثم تُفصّل صفات هذه الفئة (الإيمان، العمل الصالح، التواصي بالحق، التواصي بالصبر)، (أبو هزيم، 2009)، ص 26)

هذه الأفكار الأربع مترابطة دلالياً بشكل لا يُمكن فصله، فهي تُشكّل معاً خريطة طريق للنجاة.

• العلاقات السببية والنتائجية: تُظهر السور القصيرة ترابطاً دلالياً عبر علاقات السبب والنتيجة. ففي سورة المسد، نجد أن كل آية تُعدُّ نتيجة منطقية لما قبلها: "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ"، والنتيجة هي "مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ"، والتي تُفضي بدورها إلى النتيجة الأخيرة: "سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ". هذه السلسلة السببية تُعزّز من التماسك الدلالي للنص.

2.3 التماسك التركيبي: البناء النحوي والربط بين المقاطع

يُعنى التماسك التركيبي (Syntactic Cohesion) بكيفية تنظيم الجمل والعبارات لغويًا داخل السورة، مما يُعطيها بناءً متيناً ومحكماً. هذا المستوى يُبرز الإعجاز النحوي والبلاغي للنص القرآني.

• البناء النحوي المتوازي: تُستخدم في قصار السور بنى نحوية متوازية تُعزّز من التماسك. ففي سورة قريش، نجد أن الترتيب النحوي للآيات يُشكّل توازياً بديعاً: "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ"، ثم تأتي النتيجة: "فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ". هذا التوازي يُثبت الفكرة في الذهن ويجعل النص أكثر ترابطاً.

• الربط بين المقاطع: على مستوى أوسع، يُلاحظ أن بعض قصار السور تُقسّم إلى مقاطع مترابطة، حيث يُقدم كل مقطع فكرة ثم ينتقل إلى الأخرى بسلاسة. ومثال ذلك سورة العلق، التي تبدأ بمقاطع تدعو للقراءة، ثم تنتقل إلى مقاطع تتحدث عن طغيان الإنسان، ثم تُنهي بمقاطع تدعو إلى عبادة الله. هذه

المقـاطع مترابطـة ترابطـاً تركيبيـاً وموضـوعياً يُعـزّز مـن البنيـة الكبـرى للسـورة (القاضي، 2015، ص. 93).

المطلب الثالث: أدوات التماسك النصي في قصار السور

3.1 استخدام أدوات الربط (حروف العطف، البدل، الاستدراك)

تُعدّ أدوات الربط من أكثر وسائل السبك وضوحًا وشيوعًا في أي نص، وهي في القرآن الكريم تُستخدم بدقة متناهية لربط الآيات ببعضها البعض، مما يُشكّل نسيجًا لغويًا متكاملًا. من أبرز هذه الأدوات:

• حـروف العطـف: تعمـل حـروف العطـف مثـل "الـواو" و"الفـاء" علـى ربـط الجمل وإقامة علاقات منطقية ودلالية بينها. "الواو" في السياق القرآني غالبًا ما تُفيد الجمع المطلق، بينما "الفاء" تُعطي معنى التتابع والتعقيب أو السببية. ففي سورة العصر، نجد أن "الواو" تُربط بين عناصر النجاة الأربعة: "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ". هذا الترتيب لا يُفيد فقط الجمع، بل يُبرز أن كل عنصر لا يكتمل إلا بوجود الآخر (الخولي، 2000، ص. 90).

• البـدل: يُعتبـر البـدل أداة نحوية قوية للـربط والإحالـة، حيـث يـأتي ليُوضـح اسمًا مبهمًا أو ليُعطي تفصيلاً له، مما يُعزز من ترابط النص. ففي قوله تعالى في سـورة قـريش: "لِإِيـلَافِ قُـرَيْشٍ إِيلَافِهِـمْ"، كلمـة "إيلافهـم" تُعَـدُّ بـدلاً مـن "إيـلاف قريش"، وهذا التكرار البديع لا يهدف إلى مجرد التوضيح، بل إلى تعزيز المعنى وتعميق الترابط اللفظي في النص.

3.2 علامات التنسيق والترابط السياقي

فضلًا عن أدوات الربط الصريحة، يعتمد النص القرآني على علامات تنسيق خفية وغير مباشرة تُسهم في ترابطه. هذه العلامات تُدرك من السياق العام للنص، وتُبرز براعة البناء اللغوي:

• الترابط الإشاري (reference-Co): وهو الربط بين الألفاظ التي تُشير إلى نفس المرجع دون استخدام أدوات صريحة. في سورة العلق، نجد أن الضمائر تُشير بشكل متناغم إلى الإنسان (الإحالة) وإلى الله تعالى (المرجع). هذا التناغم يضمن أن المتلقي يتابع التحول في المضمون دون شعور بالانقطاع، والحال نفسه في سورة العصر هنا يتجلى التناغم الإحالي بشكل واضح. فالفعل "آمَنُوا" يحيل ضميره إلى اسم الموصول "الَّذِينَ"، وبدوره يحيل "الذين" إلى "الإنسان" في الآية السابقة، مما يخلق سلسلة إحاليةمتينة. يرى عبدالسلام المسدي (2010، ص 92) في كتابه "الأسلوبية والأسلوب" أن "تكرار ضمير الجماعة في الأفعال ('آمنوا'، 'عملوا'، 'تواصوا') لا يعيد تأكيد الوحدة النحوية فحسب، بل يؤكد أيضًا الوحدة الدلالية والاجتماعية للفئة المستثناة، مشيرًا إلى أن النجاة لا تكون فردية بل جماعية قائمة على التضامن ('تواصوا')". هذا التسلسل يبني تصورًا تدريجيًا للصفات التي تنجي من الخسران.

• التوازي (Parallelism): وهو استخدام بنى نحوية أو دلالية متوازية لربط الأفكار ببعضها. ففي سورة الكافرون، يُستخدم التوازي في نفي عبادة الكفار: "وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ"، ثم يكرر هذا النفي مع اختلاف طفيف للتأكيد. هذا التوازي يُثبت الفكرة في ذهن المتلقي ويُعزز من الترابط اللفظي والمعنوي.

3.3 دور الاستعارات والرموز في تعزيز وحدة النص

لا تقتصر أدوات التماسك في القرآن على الجانب اللغوي الصرف، بل تتجاوزه إلى الجانب البلاغي العميق. تُستخدم الاستعارات والرموز في قصار السور كأدوات تُعزز من البنية الكبرى للنص وتُربط بين أجزائه بطريقة غير مباشرة.

• الرمزية الدلالية: ففي سورة الفيل، لا يُعد "الطير الأبابيل" أو "حجارة من سجيل" مجرد وصف للأحداث، بل هي رموز تُشير إلى قوة الله المطلقة أمام ضعف الكافرين. هذه الرموز تربط بين بداية السورة التي تتحدث عن حدث

عظيم ونهايتها التي تُظهر جزاء من يُحاول التعدي على بيت الله (فضل، 1999، ص. 145).

• الاستعارة الكلية: في سورة المسد، تُعد السورة بأكملها استعارة لحال أبي لهب وزوجته، حيث يُستخدم لفظ "تبت" للإشارة إلى الهلاك والخسران. هذه الاستعارة تُنظّم السورة وتُوحّد أجزاءها، إذ أن كل آية تأتي لتُفصّل جانبًا من جوانب هذا الهلاك، هنا تتحول فكرة العذاب الأخروي المجردة إلى صورة حية. فالنار موصوفة بصفة بشرية هي "ذات لهب". يعلق الدكتور فاضل السامرائي (2002، ص 98) في كتابه "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" على هذه الآية قائلاً: "وصف النار بـ'ذات لهب' فيه استعارة مكنية، حيث شُبّهت بالنار الدنيوية ذات اللهب المتأجج، ثم حذف المشبه به (النار المعتادة) وكنى عنه بصفة من صفاته (اللهب) لتقريب الصورة وإشعارها بالحياة والحركة، وكأنها نار ترى بأعين الحاضرين" كما أن في تسمية الرجل "أبا لهب" ومن ثم مصيره إلى نار "ذات لهب" طباق لفظي ومعنوي يربط بين اسم الرجل ومصيره رباطاً استعارياً محكماً.

المطلب الرابع: التماسك الضمني والبنية الكبرى

4.1 التماسك الضمني وأبعاده المعنوية

يُعَدّ التماسك الضمني (Implicit Cohesion) أعمق مستويات التماسك النصي وأكثرها تعقيداً. فهو لا يعتمد على أدوات الربط الصريحة، بل على قدرة المتلقي على استنتاج العلاقات الخفية بين أجزاء النص، بناءً على المعرفة المشتركة والسياق العام. في النصوص القرآنية، يتجلى هذا التماسك بوضوح، مما يُبرز أن النص لا يُخاطب العقل بشكل مباشر فحسب، بل يُشجّع على التأمل واستخلاص المعاني.

في قصار السور، يظهر التماسك الضمني في المواضع التي تبدو فيها الآيات منفصلة، ولكن يربطها معنى واحد. ففي سورة الكوثر، يربط التماسك الضمني بين الآيات الثلاث: "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ".

إن الربط بين "إعطاء الكوثر" و"الصلاة والنحر" ليس رابطاً صريحاً، بل هو ضمني، يفيد أن النعم تستوجب الشكر بالعبادة. كما أن العلاقة بين الشكر و"الأبتر" (المنقطع) تُعدّ رابطاً ضمنياً، فمن يشكر الله على نعمه لا ينقطع ذكره، عكس عدوه. هذا التماسك يُشير إلى أن المعنى لا يقتصر على ظاهر اللفظ، بل هو كامن في السياق الإدراكي الكلي للسورة (فضل، 1999، ص. 176).

4.2 البنية الكبرى للنص القرآني

تُمثّل البنية الكبرى (structure-Macro) للقصة أو السورة الفكرة المحورية أو الموضوع العام الذي يُنظّم النص بأكمله. إنها ليست مجرد ملخص، بل هي المبدأ التنظيمي الذي يُوجّه المعاني ويُوحّد الأجزاء. وفقاً لنظرية لسانيات النص، فإن فهم البنية الكبرى هو جوهر فهم النص ككل (الخولي، 2000، ص. 102).

في قصار السور، تُعدّ البنية الكبرى هي المفتاح لفهم النص. ففي سورة العصر، على سبيل المثال، البنية الكبرى هي "الخسارة والنجاة". كل آية تخدم هذه الفكرة المحورية:

- "وَالْعَصْرِ": قسم على الزمن الذي هو وعاء الخسارة أو النجاة.
- "إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ": تحديد الفكرة الرئيسية: الخسارة هي القاعدة.
- "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ": استثناء الفئة الناجية الأولى.
- "وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ": استثناء الفئة الناجية الثانية، وتوضيح صفاتها.

هذه الآيات، رغم قصرها، تُشكّل بناءً محكماً، حيث يربطها جميعاً خيط الخسارة والنجاة الذي يُمثّل بنيتها الكبرى.

4.3 تناسق الآيات والسور: البنية الكبرى بين النصوص

يأخذ مفهوم البنية الكبرى في القرآن بُعدًا استثنائيًا، يتجاوز حدود السورة الواحدة إلى الترابط بين السور نفسها. يُطلق على هذا المفهوم في التراث العربي

اسم "علم المناسبة" أو "التناسق"، وقد أفرد له الإمام جلال الدين السيوطي كتاباً كاملاً هو "نثر الدرر في تناسق الآيات والسور". يرى السيوطي أن كل سورة لا تُوضع في موضعها عشوائيًا، بل إن ترتيبها له حكمة بالغة وعلاقة وثيقة بما قبلها وما بعدها. هذه العلاقة تُشكل "بنية كبرى" على مستوى المصحف بأكمله (السيوطي، 1979، ص. 34).

تظهر هذه العلاقة في عدة صور:

• الربط بين خاتمة السورة وبداية التي تليها: ففي نهاية سورة المسد: "فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ"، وهو حبل من ليف، بينما تبدأ سورة الإخلاص بالتوحيد: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ". يمكن فهم العلاقة هنا على أن القرآن ينتقل من الحديث عن الشرك وأصحابه إلى الحديث عن التوحيد وأصله (ابن عاشور، (1984)، ج30، ص523)

• الوحدة الموضوعية بين السور المتجاورة: تُلاحظ هذه العلاقة بوضوح في السور القصيرة، مثل سورتي الفيل وقريش. ففي سورة الفيل، يُذكر هلاك أصحاب الفيل الذين أرادوا هدم الكعبة، ثم تأتي سورة قريش لتُبيّن لماذا أهلكهم الله: "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ"، أي من أجل إيلاف قريش ورحلاتهم، وهو ما يُظهر أن هلاك الفيل كان تمهيدًا وتثبيتًا لقريش في مكانتها. هذا الترابط ليس صدفة، بل هو جزء من بنية كبرى تُؤكد على وحدة النص.

• العلاقة السببية: ففي سورة العصر، يُقدم القرآن العلاج لكل إنسان من الخسارة، ثم تأتي بعدها سورة الهمزة لتُبيّن مصير من لم يأخذ بهذا العلاج، وهو الهلاك. هذا التناسق يُعزّز من قوة الرسالة ويُثبتها في ذهن المتلقي.

4.4 العلاقة بين المستويات: من التماسك الضمني إلى البنية الكبرى

إن العلاقة بين التماسك الضمني والبنية الكبرى هي علاقة تكاملية. فكل كلمة وكل جملة وكل آية تساهم في بناء التماسك الضمني الذي يُتيح للمتلقي

استنتاج المعنى، وهذا المعنى بدوره يصب في خدمة البنية الكبرى للسورة. وهذه البنية الكبرى، كما بيّنا، لا تقف عند حدود السورة، بل تتصل بالسور التي تجاورها، لتُشكّل بناءً نصيًا متماسكًا على مستوى المصحف كله.

بهذا، نرى أن التماسك النصي في القرآن الكريم هو نظام متكامل، يبدأ من أدق التفاصيل اللغوية ليصل إلى أكبر البنية المعنوية، وهو ما يُثبت أن هذا النص ليس مجرد مجموعة من الآيات المتناثرة، بل هو كائن نصي حي ومتجانس.

المطلب الخامس: تحليل نصوص نموذجية من قصار السور

يُعَدُّ التحليل التطبيقي لقصار السور القرآنية أفضل وسيلة لإثبات وجود آليات التماسك النصي التي تناولناها نظريًا. في هذا الفصل، سنقوم بتحليل أربع سور نموذجية، هي: سورة الكوثر، سورة العصر، سورة الفيل، وسورة قريش، لنُظهر كيف تتضافر فيها مستويات التماسك المختلفة (اللفظي، والدلالي، والتركيبي) لتشكيل وحدة نصية متكاملة.

5.1 تحليل سورة الكوثر

تُعدُّ سورة الكوثر من أقصر سور القرآن، إلا أنها تُظهر درجة عالية من التماسك النصي. بنيتها الكبرى هي "النعمة والجزاء".

• التماسك اللفظي: يتجلى في استخدام الضمائر، حيث ينتقل النص من ضمير المتكلم العائد على الله تعالى (إنا)، إلى ضمير المخاطب العائد على النبي (أعطيناك)، ثم يعود ضمير المخاطب في الآية التي تليها (فصل لربك وانحر)، ثم يُشير الضمير في الآية الأخيرة إلى عدو النبي (إن شانئك هو الأبتر). هذا التناغم في استخدام الضمائر يُحقق ربطًا محكماً بين أطراف الحديث، يوضح وهبة الزحيلي (2009،جـ30، ص، 287). في "التفسير المنير" أن "إبراز الضمير في 'هُوَ الْأَبْتَرُ' يفيد الحصر والقصر والتأكيد، أي أن الشانئ وحده هو المنقطع الذكر، وليس النبي صلى الله عليه وسلم كما زعموا" هذه الآلية الإحالية تؤكد التقابل الدلالي بين "أَعْطَيْنَاكَ" (الكثرة والخير) و"هُوَ الْأَبْتَرُ" (القطعية والعدم).

• التماسك الدلالي: يتجلى في العلاقة السببية الضمنية بين الآيات. فإعطاء الله النبي (الكوثر) هو السبب الذي يستوجب منه الشكر (فصل لربك وانحر)، كما أن مصير عدوه (الأبتر) هو نتيجة طبيعية لحقده وانقطاعه عن الخير. هذا التسلسل الدلالي يُعطي السورة وحدتها المعنوية.

5.2 تحليل سورة العصر

تُعتبر سورة العصر نموذجاً للبناء النصي المتماسك دلالياً بشكل لافت. بنيتها الكبرى هي "الخسارة والنجاة".

• التماسك التركيبي: تبدأ السورة بقسم (والعصر)، ثم تأتي جملة الخبر (إن الإنسان لفي خسر)، ثم يأتي الاستثناء (إلا الذين آمنوا). هذا البناء التركيبي يُشير إلى أن القاعدة العامة هي الخسارة، وأن النجاة هي استثناء، وهذا يُعزّز من القيمة الدلالية للنص (فضل، 1999، ص. 145).

• التماسك الدلالي: يظهر في التسلسل المنطقي للأفكار. فالقسم على الزمن يُقدم سياق الحديث، ثم تُقدّم المشكلة (خسران الإنسان)، ثم يأتي الحل في أربع صفات مترابطة، هي: الإيمان (العقيدة)، والعمل الصالح (التطبيق)، والتواصي بالحق (الدعوة)، والتواصي بالصبر (الثبات). هذه الأركان الأربعة تُشكّل نسيجًا دلاليًا متكاملًا لا يمكن فصله، وهو ما يُعرف في الدراسات الحديثة بـ"البنية المنطقية للنص" (حمادي، عبدالعزيز، پورعابد، بلاوي(2021)، ص 47)

5.3 تحليل سورة الفيل وسورة قريش

تُعَدّ سورتي الفيل وقريش نموذجًا فريدًا للتماسك النصي الذي يتجاوز حدود السورة الواحدة، ليشمل الترابط بين سورتين متجاورتين، وهو ما يُعرف بالتناسق.

• التماسك الدلالي بين السورتين: تُظهر سورة الفيل عقوبة الله لأصحاب الفيل الذين حاولوا هدم الكعبة، ثم تأتي سورة قريش لتُبيّن لماذا فعل الله ذلك

(لإيلاف قريش)، أي من أجل حماية قريش وتسهيل رحلاتهم. هذا الربط الدلالي يُعطي السورتين معنىً عميقاً متصلاً. وقد أشار الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" إلى أن هذا الترابط بين السورتين ليس صدفة، بل هو جزء من إعجاز القرآن، حيث تُعدُّ السورة التالية كأنها متممة لمعنى السورة السابقة (الزركشي، 1957، ص. 102).

• التماسك اللفظي والتركيبي: تُلاحظ في سورة قريش أدوات ربط خفية، مثل استخدام كلمة "إيلافهم" كبدل من "إيلاف قريش"، وهذا يُعزّز من الترابط الداخلي للسورة. وفي السياق الأوسع، تُشكل السورتان معاً وحدة نصية كاملة، حيث تُعَدُّ سورة الفيل مقدمة منطقية لسورة قريش، مما يؤكد على أن النص القرآني ليس مجرد تجميع للآيات والسور، بل هو بناء متكامل.

يبلغ الربط بين السورتين ذروته في الآية الأخيرة من سورة قريش: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾. يشير الدكتور محمد عبد الله دراز (2005، ص 178) في "مدخل إلى القرآن الكريم" إلى أن "هذه الآية تقدم تلخيصاً بارعاً للرابط بين السورتين. فـ'آمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ' هو عين ما حدث في قصة الفيل، وهو الأساس الذي قام عليه 'إيلافهم' وأمن رحلاتهم" فالنعمة المذكورة في سورة قريش (الأمن من الخوف) هي بعينها الحادثة التاريخية التي فصلتها سورة الفيل.

الخاتمة

في الختام، يُمثّل هذا البحث خطوة متواضعة نحو تأصيل المنهج النصي في الدراسات القرآنية، ويُثبت أن قصار سور القرآن، رغم قصرها، تُعدُّ من أعمق النصوص وأكثرها تماسكًا. لقد أظهر التحليل أن هذه السور ليست مجرد مقاطع مُتفرقة، بل هي نصوص مُحكمة البناء، مترابطة الأجزاء، وأن كل كلمة فيها تخدم المعنى الكلي، مما يُؤكد أن إعجاز القرآن يكمن في بنيته النصية الكاملة.

تناول هذا البحث موضوع التماسك النصي في قصار سور القرآن الكريم من خلال مقاربة نصية لسانية، تهدف إلى الكشف عن الآليات والوسائل التي تُحقق

الترابط بين آيات هذه السور، وتُثبت أنها لا تُعدُّ مقاطع منفصلة، بل نصوصًا متكاملة. بدأ البحث بتأصيل نظري لمفاهيم التماسك (السبك والحبك) وأدواتهما، وتتبّع جذورهما في التراث النقدي والبلاغي العربي القديم. ثم انتقل إلى مستويات التماسك المختلفة (اللفظي، والدلالي، والتركيبي)، ليختتم بتحليل تطبيقي لنماذج من قصار السور (الكوثر، والعصر، والفيل، وقريش)، مع التركيز على البنية الكبرى والتناسق بين السور كدليل على وحدة النص القرآني

نتائج البحث

بناءً على التحليل النظري والتطبيقي الذي تم في الفصول السابقة، يُمكن استخلاص مجموعة من النتائج التي تُؤكد على قوة المنهج النصي في فهم النصوص القرآنية:

1. التماسك النصي في قصار السور ليس مجرد ظاهرة لغوية عارضة، بل هو مبدأ مُحكَم يخدم المعنى والرسالة.

2. لا يُمكن فصل مفهوم التماسك النصي عن إعجاز القرآن، إذ يُعَدُّ جزءًا لا يتجزأ من بيانه.

3. أدوات السبك اللفظي (الضمائر، الوصل، الحذف) تُستخدم بدقة متناهية لربط الآيات وإقامة علاقات نحوية ودلالية بينها.

4. يُعدُّ التماسك الدلالي هو الأكثر حضورًا في قصار السور، حيث يُركّز النص على الوحدة الموضوعية رغم اختلاف الألفاظ.

5. الترادف والمقابلة والتجانس الصوتي (الفاصلة القرآنية) تُعدُّ أدوات رئيسية لتعزيز التماسك اللفظي.

6. التماسك الضمني يُؤدي دورًا محوريًا في قصار السور، ويُبرز أن النص لا يُفهم من ظاهره فقط، بل من خلال استنتاج العلاقات الخفية.

7. البنية الكبرى هي المبدأ الذي يُنظّم كل سورة، وتعمل جميع الآيات في خدمته.

8. مفاهيم السبك والحبك ليست حديثة تمامًا على الدرس العربي، بل لها جذور عميقة في تراثنا النقدي والبلاغي تحت أسماء أخرى مثل "حسن التخلص" و"الفصل والوصل".

9. يُظهر القرآن الكريم تماسكًا نصيًا ليس فقط داخل السورة الواحدة، بل بين السور المتجاورة، وهو ما يُعرف بالتناسق.

10. العلاقة بين سورتي الفيل وقريش تُعدُّ خير دليل على التناسق، حيث تُشكلان معًا وحدة نصية متصلة دلاليًا.

11. القصص القرآنية في قصار السور تُستخدم لخدمة فكرة محورية، وليس مجرد سرد للأحداث.

12. المنهج النصي يُقدم رؤية جديدة في الدراسات القرآنية تتجاوز التحليل الأدبي التقليدي.

13. قصار السور تُشجع على التأمل والاستنتاج، وتُفعّل دور المتلقي في بناء المعنى.

14. التماسك النصي يُمكّن من فهم أعمق للرسالة القرآنية، وربط أجزائها ببعضها البعض بطريقة منطقية.

15. البحث يُوصي بالاستمرار في تطبيق المنهج النصي على نصوص قرآنية أطول، لاستكشاف أبعاد التماسك على مستويات أوسع.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله محمد. (2002). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. دار الفكر العربي.

2. البطاينة، محمود محمد. (2011). التحليل النصي في اللغة العربية. دار المسيرة.

3. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. (1982). دلائل الإعجاز. (تحقيق: محمود شاكر). مكتبة الخانجي.

4. أحمد فريد أبو هزيم. (2009). سورة العصر أسرار بيانية ودلالات تربوية. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، 24(76).

5. حسان، تمام حسان. (1998). البيان في روائع القرآن. عالم الكتب.

6. الخولي، عبد الرحمن. (2000). التماسك النصي في القرآن الكريم. دار الأندلس.

7. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (1957). البرهان في علوم القرآن. (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم). دار إحياء الكتب العربية.

8. المسدي، عبدالسلام. (2010). الأسلوبية والأسلوب. تونس: دار محمد علي الحامي للنشر.

9. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1979). نثر الدرر في تناسق الآيات والسور. (تحقيق: عبد القادر أحمد عطا). عالم الكتب.

10. ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.

11. السامرائي، فاضل صالح. (2002) *بلاغة الكلمة في التعبير القرآني*. عمان: دار عمار

12. فضل، صلاح فضل. (1999). النص القرآني: من التفكيك إلى التركيب. دار الفارابي.

13. القاضي، عبد الفتاح عبد الغني. (2015). نظرية النص والتحليل اللغوي. دار الفكر.

14. دراز، محمد عبد الله. (2005). مدخل إلى القرآن الكريم. الكويت: مكتبة دار العروبة.

15. البحيري، سعيد حسن. (2002) *علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات*. القاهرة، مصر: عالم الكتب.

16. Halliday, Michael Alexander Kirkwood, & Hasan, Ruqaiya. (1976). Cohesion in English. Longman .

17. van Dijk, Teun Adrianus, & Kintsch, Walter. (1983). Strategies of discourse comprehension. Academic Press.

18- ملا ابراهيمي، عزت؛ وتاند، بايزيد. (2022). آليات انسجام النص القرآني في آيات التعامل بين المؤمنين سور المؤمنون، ولقمان والحجرات أنموذجا. *بحوث في اللغة العربية*، *14*(26)، 105-120.

19- حوراء مجيد دهان، & ا. م. د علي عبد الوهاب عباس. (2023). آثر الاحالة الضميرية في شعر سلمان داود محمد. *Journal of the College of BasicEducation*، *29*(120)، 670-680.

20. الخطيب، عبد الكريم. (2003). التفسير القرآني للقرآن. القاهرة: دار الفكر العربي.

21. حمادي، عبدالعزيز، وپورعابد، بلاوي. (2021). بنية التعبير في رواية عازف الغيوم لعلي بدر في ضوء نظرية التواصل اللغوي لجاكبسون. بحوث في اللغة العربية، 13(25)، 43-58.

المخالفة في ديوان علي وفا (807هـ) دراسة صوتية

م. د. يسرى ثجيل مذكور جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد/ قسم اللغة العربية

إسراء كريم دويس الجمالي جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد/ قسم اللغة العربية

yussra@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

israa.kareem2303m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الملخص:

يتناول هذا البحث ظاهرة المخالفة الصوتية في ديوان الشاعر الصوفي علي وفا (ت: 807هـ)، بوصفها قانونًا صوتيًا يعمل عكس قانون المماثلة، حيث يسهم في إحداث تباين بين الأصوات بدلاً من تقريبها، درست الباحثة أنواع المخالفة: التقدمية، الرجعية، الكمية، الحذف، والتعويض، من خلال شواهد شعرية متعددة من ديوانه، وبيّنت أن هذه الظاهرة تسهم في التوازن الصوتي للغة وتحقق سهولة النطق والتفريق بين المعاني، كما أبرزت الجهد العضلي والذهني الذي تبذله اللغة العربية في تبني المخالفة حفاظًا على سلامة الأداء الصوتي والمعنوي، واعتمدت الباحثة في تحليلها على معطيات علم الأصوات الحديث والرؤية التراثية العربية.

الكلمات المفتاحية: المخالفة الصوتي، التوازن الصوتي، التغاير الصوتي، التباين الفونولوجي.

Abstract:
This study investigates the phenomenon of phonetic mukhālafa (contrast) in the Dīwān of the Sufi poet ʿAlī Wafā (d. 807 AH), considering it a phonological principle that operates in opposition to assimilation by promoting divergence between sounds rather than convergence. The researcher examined five types of mukhālafa: progressive, regressive, quantitative, deletion, and substitution, using multiple poetic examples from his dīwān. The study demonstrates that this phenomenon contributes to the phonological balance of the Arabic language, facilitates pronunciation, and aids in distinguishing meanings. It also highlights the articulatory and mental effort exerted by the Arabic language in adopting mukhālafa to preserve both phonetic clarity and semantic integrity. The analysis is grounded in both modern phonetic theory and classical Arabic linguistic tradition
Keywords: Dissimilation, Phonetic Balance, Phonetic Variation, Phonetic Contrast.

أهمية البحث:

تبرزُ أهميةُ هذا البحثِ في تسليطِهِ الضوءَ على جانبٍ صوتيٍّ دقيقٍ وغيرِ مطروقٍ بوفرةٍ في دراساتِ الشعرِ الصوفيّ، من خلالِ ربطهِ بنظريةِ المخالفةِ الصوتيةِ في ديوانِ عليٍّ وفا. كما يُسهمُ في الكشفِ عن تفاعلِ البنيةِ الصوتيةِ مع الدلالةِ الصوفيةِ، ويدعمُ فهمَ الأداءِ الجماليّ والفنيّ في الشعرِ العربيّ القديمِ، ويعزّزُ حضورَ الدراساتِ الصوتيةِ في النقدِ الأدبيّ.

مشكلة البحث:

يتمثّلُ الإشكالُ الرئيسُ في غيابِ دراسةٍ صوتيةٍ منهجيةٍ لظاهرةِ المخالفةِ في ديوانِ عليٍّ وفا، إذ لم تُجمع شواهدها الشعريةُ ضمن إطارٍ علميٍّ يُبرزُ أنواعها ووظائفها الصوتيةَ والدلاليةَ، رغمِ تأثيرها الواضحِ في بنيةِ الكلمةِ وانسجامِ النصِّ.

المقدمة:

المخالفةُ في اللغةِ: والخِلَافُ: "المُضادّةُ، وَقَدْ خَالَفَه مُخَالَفَة وخِلافاً" (ابن منظور.

المخالفةُ اصطلاحًا: هي"تعديلُ الصوتِ الموجودِ في سلسلةِ الكلامِ بتأثيرِ صوتٍ مجاورٍ، ولكنه تعديلٌ عكسيٌّ يؤدّى إلى زيادةِ مدى الخلافِ بين الصوتين"

إذ تُعدُّ المخالفةُ أحدَ القوانينِ الصوتيةِ، التي تسيرُ عكسَ اتجاهِ قانونِ المماثلةِ؛ فقد عرفنا أنَّ قانونِ المماثلةِ، يحُاولُ التقريبَ بين أصواتٍ بينهما بعضُ المخالفاتِ، وعلى اساسِ قانونِ المخالفةِ، يتمُّ تبديلُ أحدِ الصوتينِ المتماثلينِ تمامًا في كلمةٍ معينةٍ إلى صوتٍ آخرَ، وغالبًا ما يكونُ هذا الصوتُ من أصواتِ العلّةِ الطويلةِ أو الأصواتِ المتوسطةِ أو المائعةِ، ويُعرفُ هذا التبديلُ أو التغيرُ لدى علماءِ الأصواتِ باسمِ قانونِ المخالفةِ (عبد التواب:1997م،ص57)، "وإذن فالمماثلةُ والمخالفةُ يمثّلان عاملينِ يتجاذبانِ اللغةَ، ولكلٍّ منهما فاعليتُه وتأثيرُه، ولكلٍّ منها هدفُه وغايتهُ، ومن صراعهما يحدثُ التوازنُ بين مطلبِ سهولةِ النطقِ ومطلبِ سهولةِ التفريقِ بين المعاني"(عمر: 1997م، ص 386)، فذلك الجذبُ يحقّقُ السمةَ التوازنيةَ اللغويةَ التي يحكمُ بينَتها قانونا اختزالِ الجهدِ والجهدِ الأقوى(عبد الجليل: 2014م، ص292)

فينظرُ العلماءُ الى المخالفةِ على أنها تمثّلُ الوضعَ الأمثلَ لإعادةِ التناغمِ بين الأصواتِ، وهذا يعتبرُ امرًا ضروريًا لإظهارِ قيمةِ الفونيماتِ بصورةٍ مستقلةٍ، إذ

يساهمُ ذلك في تحقيقِ التوازنِ ويقلّلُ من تأثيرِ المماثلةِ (عبد الجليل: 2014م، ص291) إذتُعرفُ هذه الظاهرةُ الصوتية عند بعضِ الأصواتيين بالقوةِ السالبةِ في مجالِ اللغةِ، لأنها تهدفُ إلى خفضِ حدّةِ التناقضاتِ بين الأصواتِ (عمر: 1997م، ص 384)، (عبد الجليل: 2014م، ص291) فالمخالفةُ ظاهرةٌ موجودةٌ في كلِّ اللغاتِ، وقد ثبتَ أنَّ اللغاتِ تستعملُ السواكنَ الأنفيةَ والترددية بشكلٍ أكثرَ لتحقيقِ عنصرِ المخالفةِ لذلك فهي "جنوحُ أحدِ الصوتينِ المتماثلينِ في الكلمةِ إلى أن ينقلبَ إلى صوتٍ مغايرٍ" (المطلبي: 1984، ص283)

وقد ذكرَ اللغويونَ في تعليلهم لظاهرة المخالفة، أسبابا منها:

1) ميلُ المتحدثِ إلى تسهيلِ عملِ الجهدِ العضليّ العصبيّ الضروريّ عند إنتاجِ الأصواتِ خلال عمليةِ النطق (أنيس: ص140)، (عبد التواب:1997م،ص64)، (عبد التواب:2000م، ص46)، (عبد الجليل: 2014م، ص293)

2) عِلّةٌ أخرى نفسيّةٌ محضةٌ، نظيرُها الخطأُ في النطقِ (برجشتراسر: 1994م، ص34)

3) مخالفةُ الصوامتِ المضعفةِ، وهي عِلّةٌ نفسيةٌ أيضاً (برجشتراسر: 1994م، ص35)

وبذلك تهدفُ المخالفةُ إلى بيانِ جانبِ الدلالةِ من خلالِ اختلافِ الأصواتِ، من غيرِ مراعاةِ العواملِ النطقيةِ التي قد تتأثر بفعلِ التباين بين الصوتين، وفي المقابلِ تسعى المماثلةُ لتحقيقِ انسجامٍ في اللفظِ عبر تبسيطِ عمليةِ النطقِ، مهملةً الجانبَ الدلاليَّ الذي يمكن أن يتأثرُ ويتغيرُ نتيجةَ تجانس أو تقارب الصوتين (عمر: 1997م، ص 384) (عبد الجليل: 1998م، ص148) (شريف: 2023م، ص7)؛ الا ان سواء أكانت علة حدوث المخالفة ترجع إلى جوانب نفسية أو إلى تسهيل الناحية الدلالية عن طريق الممايزة، فإنها الوجه المقابل والمعدّل لآثار المماثلة لأنها تهدف في منحاها إلى التقليل أو التخلص

من الفروق المميزة للأصوات(بوروبة: 2002م، ص243) (يشو: 2006م، ص220)

واللغةُ العربيةُ كغيرها من اللغاتِ تحرصُ على المخالفةِ لما لها من دورٍ في تنوع موسيقي محبب تظهر معه الأصوات على حقيقتها نطقًا وسمعًا (يشو: 2006م، ص220) فمن "الواضحِ أنَّ النظامَ اللغويَّ والاستعمالَ السياقيَّ جميعًا يحرصانِ في اللغةِ العربيةِ الفصحى على التقاءِ المتخالفينِ، أو بعبارة أخرى يحرصانِ على التخالفِ ويكرهانِ التنافر والتماثلَ" (حسان:2006م، ص264)، (راشد:2018م، ص2200)

ولم يستقرَّ الصوتيونَ المحدثونَ على مصطلحٍ واحدٍ ضابط لهذه الظاهرة، بل تعددت تعابيرهم المقيدة لها وتراوحت بين ألفاظ: المخالفة (أنيس: ص139)، (عمر: 1997م، ص 384)، (عبد الجليل: 1998م، ص148)، والمغايرة (المطلبي: 1984، ص283) (رشيد: 2009م، ص43) والتباين (كانتينو: 1966م، ص26) (البكوش: 1992م، ص72) والمفارقة (فندريس: 1950م، ص91) التخالف (برجشتراسر: 1994م، ص34)

قد تنبّهَ اللغويونَ العرب القدماء لظاهرةِ المخالفةِ وكانوا يعبرون عنها أحياناً، بـ(كراهية التضعيفِ)، أو (كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد)، أو (اجتماع الأمثال مكروه)، أو (استثقلوا اجتماع حرفين) (سيبويه:1988م،424/4)؛ (ابن جني:2000م، 384/2)، (عبد التواب:1997م،ص62)، (الصيغ: 2000م، ص269)

فالقدماء اللغويين العرب قد عالجوا هذه الظاهرة، وإن كانت معالجتهم لهذه الظاهرة موزعة على أبوابٍ صرفيةٍ متنوعةٍ، كما كانت أمثلتُها متناثرةٍ ضمن هذه الأبوابِ دون منهجٍ ينتظمها، أو مصطلحٍ محدّدٍ يغطي حدودها، ولكن هذا لا يعني أنهم لم يعوا دورَها، أو لم ينتبهوا إلى أهميتِها، بل كانوا على وعي تامٍّ بها، وإِنْ لَمْ يَعْرِفُوها كمصطلحٍ فقد عَرَفُوها كظاهرةٍ صوتيةٍ تُعرضُ للأصواتِ في

السياقِ، فعالجوها وبتسمياتٍ مختلفةٍ، حتى تنوّعت ألفاظُ وتعابيرُ الواحدِ منهم في تقييدِ أمثلتها (بوروبة: 2002م، ص245) (يشو: 2006م، ص220)

أنواع المخالفة:

1.المخالفةُ التقدميةُ: تنقسمُ هذه المخالفةُ إلى نوعينِ: منفصلةٍ ومتصلةٍ، إذ يؤثّرُ الصوتُ الأولُ في الصوتِ الثاني، الذي يُعتبر هو المخالف، نحو: (مِنْطر) في: (مِمْطر)، و(كرناسة) في (كرّاسة) (عبد التواب:1997م، ص59) إذ اختارَ العربُ النونَ بديلًا عن تتابعِ ميمينِ كما في (ممطر)، وعن تتابع رائين كما في (كرّاسة)؛ وذلك لأَنَّ الناطقَ يُحسُّ بثقلِ الادغامِ فيها، وممّا وردَ مثالُ هذه المخالفةِ أبدالُ الهمزةِ الواقعةِ بين الفينِ في شعرِ عليٍّ وافا قولُهُ من موشّحٍ من المخلعِ البسيطِ (وفا: 2012م، ص42)

ظَهَــرْتَ فِــي ســائرِ اللطــائِفْ تــدعُو البرايــا إلــى التَّصــابي

وردتْ في هذا البيتِ لفظةُ (البرايا) وهي جمعُ (بريّةً)، وأصلها (بريئة) على وزن (فَعِيْلَة) تجمع على (برَايِئ) أي بياءٍ مكسورةٍ، وهي تعدُّ ياءَ المفردِ وبعدَها الهمزةُ وهي لامُهُ، إذ تُقلَبُ الياءُ همزةً (برَائِئ) فوقعتِ الهمزةُ الأخيرةُ متطرّفةً بعد همزةٍ فتقلبُ ياءً (برَائِي)، ثم قُلِبَتْ كسرة الهمزة فتحة للتخفيف(خَطَائَي)، ثم قلبت هذه الياءُ ألفًا لتحرّكِها وفتحِ ما قبلها فصارت (برَاءَا) بألفينِ بينهما همزةٌ، وهذه الهمزةُ تماثلُ الألفَ فاجتمعتْ ثلاثةُ ألفاتٍ وذلك مُستكرهٌ فقُلِبتِ الهمزةُ ياءً فصارت (برايَا) (سيبويه:1988م،377/4)، (المبرد: 1/ 139)، (الراجحي: ص163)، (سلمان: 2023ص1426). إذ نلحظ أنَّ المخالفةَ التقدميةَ المتصلةَ وقعتْ هنا فرارًا من تكرارِ الصوتِ الواحدِ ثلاثَ مراتٍ بعد أن عُدَّتِ الهمزةُ كالألفِ.

فمن خلال ذلك نلحظ أنّ المخالفة الصوتية في (البرايا) حقّقت انسيابًا صوتيًا لطيفًا يخفّف ثِقَل الهمزات، فجاء اللفظُ منسجمًا مع الدلالة الصوفية للبيت التي تقوم على دعوةٍ رقيقةٍ تُلامس القلوب برفق.

ومن ذلك أيضًا المخالفةُ بين المثلينِ المتباعدينِ في الكلمةِ بحذفِ أحدِهما والتعويضِ عنه بصامتٍ آخر، غالبًا ما يُعَوَّضُ بـ(الياء، والواو) أي بأشباهِ الحركاتِ، أو بأحدِ الأصواتِ المائعةِ، منه قولُهُ في مسمّطةٍ (وفا: 2012م، ص246)

مَولاي لبيك لبيك لبيك فليسَ للعبدِ عنك عائِقْ

ففي (لبَّيك) حدثت مخالفةٌ تقدميةٌ منفصلةٌ، فالأصلُ في لبيك (لبَّبك) من أَلَبَّ فجيء بالياءِ مكانَ الباءِ، وكان الوجهُ أن يُقالَ لَبَّيتُك، وقد أشارَ الخليلُ له بقوله: "وَيُقَالُ ألبَّ الرجلُ بمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا أَي أَقَامَ، وَكَانَ الْوَجْهُ أَن تَقول لبَّيتُك لأَنهم شبهوا ذَلِك باللَّبب" (الفراهيدي: 1995م، ص176) فبذلك تُبرز المخالفةُ في (لبَّيك) انسيابًا صوتيًا يخفف الثقل ويعكس إخلاص العبد ورقة الاستجابة لدعوةِ المولى في السياق الصوفي.

ومن أنواع هذه المخالفة التغير الصوتي الحادث في لفظة (أوَّل) من ذلك قوله في مسمط من مجزوء الرمل (وفا: 2012م، ص131)

هو أَوَّل وَهو آخِر وَهو باطِن وَهو ظاهر

فـ(أوَّل) إذ كان تأسيُس بِنائِه من همزةٍ وواوٍ ولامٍ اصلها (أأول)، فقلبت إحدى الهمزتينِ واوًا ثم ادغمت في الواو الأخرى، فهي مخالفةٌ تقدميةٌ لتأثيرِ الهمزةِ الأولى في الثانية، ومتباعدةٌ لوجودِ الصائتِ القصير بين الصامتين، أي وجود الفتحةِ بين الهمزتينِ (الفراهيدي: 2010م، 368/8)، (جسام:2023م، ص61)، تولد المخالفةُ في (أوَّل) انسيابًا صوتيًا يبرز التباين بين البداية والنهاية، فيعكس الإحساس بالأزلية والشمولية الإلهية في السياق الصوفي.

2. المخالفةُ الرجعيةُ: وفيها يؤثر الصوتُ الثاني في الأول، فيكون الأولُ هو المخالفُ، وتكون هذه المخالفةُ على نوعينِ متصلةٍ ومنفصلةٍ، ومثالُ ذلك في العربيةِ: (قيراطُ) و(دينارُ) بدلًا من (قرّاط) و(دنّار) بدليل الجمع: (قراريط) و(دنانير)، و(أملل) و(أملى) وفي القرآن الكريم: {وليملل الذي عليه

الحق}(البقرة: 282) (عبد التواب:1997م،ص58)، ومن أنواعِ هذه المخالفةِ فكّ تضعيف وتغيرُ الصوتِ الصامتِ - أول المثلين - إلى صامتٍ آخر، وكان الصوتُ الذي استعملَ لتحقيقِ عنصرِ المخالفةِ من الأصواتِ المائعةِ المتوسطةِ (ل. ر. ن. م) أو من أشباهِ أصواتِ اللينِ (و. ي)، أو من الاصواتِ الحلقيةِ (أنيس:ص141)، (إبراهيم: 2012م، ص. 425)، من ذلك قوله في مجزوء الرمل (وفا: 2012م، ص189- 190)

يـــا هَنـــا بـــي فـــي ســـرورٍ فُتِحَـــتْ بـــي بعـــد طَمْـــسِ
وابْتهـــــــاجِي بِحيـــــــاتي آمِـــنٌ مِـــنْ خَـــوْفِ رَمْســـي

ففي (طمس، ورمس) حدثتْ مخالفةٌ رجعيةٌ متصلةٌ، فأصلُ (طمس هو طسَّ) وكلاهما دلَّ على الذهابِ (ابن منظور: 1993م، 123/6)، و(رمس اصلها رسَّ) إذ دلَّ على معنى الدفنِ (ابن منظور: 1993م، 101/6) نلاحظُ تغيرَ الصامتِ في أول المثلين الى صوتٍ آخر من الأصواتِ المائعةِ وهو صوت (الميم) بسب ثقلِ المثلين؛ لان السين صوتٌ صفيريٌّ يخرجُ بتقاربِ طرفي عضوِ النطقِ رأسِ اللسانِ وهو العضوُ الأولُ وما بينَ الثنايا العليا والسفلى وهو العضو الثاني بانخفاضِ أقصى اللسانِ وعدمِ إلصاقه بالحنكِ الأعلى وبذلك يقلُّ التجويفُ الفميُّ ويكون اللسانُ منخفضًا في قاعِ الفمِ ومتجهًا رأسُه إلى الثنايا السفلى (تحت مخرجِ الصاد)، ويكون الاعتمادُ عليها ضعيفًا لوجودِ فرجةٍ بينهما أي عدم لصقِ رأسِ اللسانِ بالثنايا السفلى ويكون الوترانُ الصوتيانِ متباعدين في حالةِ همسٍ حيث يجري الهواءُ من خلالِ فتحةِ المزمارِ دون عائق أي يكون الاعتمادُ على مخرجه ضعيفًا (بشر: 2000م، ص301) (الحمد: 2004م، ص90- 91) لذلك جيءَ بالميمِ، وهو من الأصواتِ المتوسطةِ لتُبعدَ الثقلَ الحاصلَ من تضعيفِ المثلين، إذ يخرج بانطباقِ الشفة العليا العضوِ الأول بالشفةِ السفلى من الخارجِ (العضو الثاني) وعند نطقه وإن لم يكن اللسانُ دورًا يذكر إلا أنه ينخفض بأكمله في قاعِ الفمِ ولا يلتصق بالحنكِ الأعلى ويؤدي ذلك إلى تضييق التجويفِ الفميّ ولا

يكون للحرفِ مجالٌ ليتردد صداه والمنطبقُ من الشفتين هما الطرفانِ اللذان يليان البشرة ويحبس النفسَ برهةً من الزمن ويحبس الصوتَ مقدارَ الاعتدال وعند خروجِ الميمِ يجد المخرجُ مغلقًا بانطباقِ الشفتينِ من الخارجِ ذلك هو جانبُ الشدةِ في الميمِ (بشر: 2000م،ص348) (الحمد: 2004م، ص111-113)، تُبرز المخالفةُ الصوتية في (طمس، ورمس) انسيابًا صوتيًّا يخفف ثقل التكرار ويمنح الكلمات إحساسًا بالطمأنينة والتحرر من الخوف، معززًا الدلالة الصوفية للبيت في رمزية الذهاب والدفن الروحي للهموم.

ومن صور هذا النوع ما وَرَدَ في قواعدِ الصرفِ من قلبِ الواو همزةً إذا تصدرت قبل واوٍ متحركةٍ مطلقًا أو ساكنةً، ومن أمثلةِ ذلك قوله في مسمطةٍ من مجزوءِ الرجزِ: (وفا: 2012م، ص79)

قَـــــدْ خَلَـــــتِ الأوَانِـــــي وَسَـــــارَتِ المَعَـــــانِي

ف(الاواني) جمعُ إناءٍ على زنة فواعل، إذ اجتمعت واوان الثانيةِ منها اصليةٌ ليست منقلبة عن حرفٍ آخر، لذلك قلبتِ الواوُ الأولى همزةً فصارت (أواني)، وهذا ما نصّت عليه القاعدةُ الصرفيةُ بأن يخالف بين واوين متى اجتمعتا في أولِ الكلمةِ وتحقيقُ الحركةِ ينشأ عنه صوتُ الهمزة (الراجحي: ص161) وهذا هو نتيجةُ لتأثيرِ الواو الثانية على الواو السابقة لها لثقلِ التضعيف عن طريق المخالفة بينهما، فإبدالُ الواو المضمومة همزةً يرجعُ إلى كون الواو تستثقل ما لا يستثقل غيرها من الحروف، إذ يقول ابن جني: "وإذا التقت واوان في أولِ الكلمة لم يكن من همز الأولى بدٌّ، وذلك نحو الأولى أصلها وولى" (ابن جني:2000م، 110/1)؛ لذلك نلاحظ التزمَّ العربيةُ المخالفة بين الواوين متى اجتمعتا في أي سياقٍ صوتيّ. فتبرز المخالفةُ في (الأواني) تنوعَ المعاني وتدفقها في البيت الصوفي، حيث يعكس انسياب الصوت حركةَ الزمن والزوال الطبيعي للأشياء بما يتفق مع دلالة الخلود والتحول.

ومن أنواعِ هذه المخالفةِ أيضًا القلب المكاني، من ذلك قولُ الشاعر من البحر الكامل (وفا: 2012م، ص83)

قلبـــي اطمَـــأنَّ بأنَّـــه لَـــكَ شَـــاهِدٌ فِـــي حـــالِ إخفـــائي وحـــالِ وُضُـــوحِي

فـ(اطمأنَّ) اصلها (طأمن)، وهذا ما اشار اليه سيبويهُ وحجته بأن الأصل (طأمن)، فـ(طأمن) "غيرُ ذي زيادةٍ، واطمأنّ ذو زيادة، والزيادةُ إذا لحقتِ الكلمة لحقها ضربٌ من الوهن" (ابن جني: 76/2) (سيبويه: 1988م، 381/4)، فالطاء عند النطقِ به يتطلبُ تقعُّرَ اللسانِ منطبِقًا إلى الحنكِ الأعلى (أنيس:ص53)، أما الهمزةُ عند النطق بها يحدثُ انحباسًا للهواء في المزمار بصورةٍ تامةٍ، ثم بعد ذلك يحدثُ انفراجٌ للمزمار مفاجئ، إذ تستلزم هذه العملية جهدًا عضليًا قد يتعدى ما يستلزمه أي صوت آخر، مما يجعل ذلك اعتبار الهمزة من اشد الأصوات (أنيس:ص77)، لذلك تميلُ العربيةُ الى السهولة والتقليل في الجهد، فقلبُ صوت الميم محلّ الهمزة؛ لأن الميم عند النطق به يتخذ مجراه من الخيشوم (أنيس:ص66). وبذلك المخالفة في (اطمأنَّ) تخفف عناء النطق الشديد للهمزة، ممّا يعكس حالة الطمأنينة الداخلية للقلب ويتوافق مع الدلالة الصوفية للسكينة والوضوح الروحي.

ومن أمثلهِ هذا النوع من المخالفةِ التي تحدث بسبب التغير التاريخي، من ذلك قولُهُ في البحر الكامل (وفا: 2012م، ص20)

شـــمسُ الحقـــائقِ اشـــرقتْ فـــي كُـــلِّ مَـــا مَعنـــاهُ أبْـــدَعَ فِـــي الجمـــالِ وَأغرَبِـــا

كلمةُ "شمس" في الساميةِ الأولى هي: (شمش) كما هو الحال في الأكادية والعبرية والآرامية، والمعروفُ لدى علماء الساميات أن الشينَ في الساميةِ الأم تقلبَ في العربيةِ سينًا، وأن هذا القلبَ هو من قبيلِ التغييراتِ التاريخية لصوتِ الشينِ السامية وبتطبيقِ القانونِ التاريخي، تصبحُ الكلمةُ العربيةُ هي: (سمس) إلا أن المخالفةَ بين صوتي السينِ في الكلمةِ أدى إلى تحويلِ الأولى شيئًا (عبد التواب:1997م، ص57-58)، وبذلك تبرز المخالفة في (شمس) التباين بين

الصوتين المتشابهين، فتعزز وضوح النطق وإشراق المعنى مجسدةً دلالةَ الضوء والحقيقة في البيت.

3. المخالفةُ الكميةُ: تحدثُ المخالفةُ الكميةُ غالبًا بين المقاطعِ الصوتيةِ، ومن الأمثلةِ على ذلك التغيرُ الذي يصيب ضميرَ المفردِ الغائبِ حيثُ يُقصرُ حركتَه في اللغة العربية بعدَ المقطعِ الطويلِ، وبذلك تحدثُ المخالفةُ الكمية بين المقطعِ لكي لا يتوالى مقطعانِ طويلانِ يصعبُ نطقهما، كما في: (لهو- لهُ) و(لكي- لكِ) (عبد الجليل: 2014م، ص297) من ذلك قوله في البحر الكامل (وفا: 2012م، ص369)

زانَ الزمـــانَ بلُطفَـــهِ وجمالَـــهِ هـــان الهـــوانُ بظَرفِـــهِ ودلالِـــهِ

وقوله أيضا من البحر البسيط (وفا: 2012م، ص370)

العِلـــمُ دَرٌّ وَعِلـــمُ الحـــقِّ زُبدَتُـــهُ والقـــولُ بَحـــرٌ وقَـــولُ الحـــقِّ جـــوهَرُهُ

ففي (لطفهِ، وجمالهِ، وظرفهِ، ودلالهِ) و(زبدتهُ، وجوهرهُ) حدثت مخالفةُ في الكميةِ، وذلك بتقصيرِ صائتِ ضميرِ الغائبِ الهاءِ في حالةِ الافرادِ، إذ أن الأصلَ فيه أن يكون الصائتُ طويلًا، وهذا ما أشارَ اليه سيبويهُ: "اعلم أن الهاءَ أصلها الضمُّ وبعدها الواو؛ لأنها في الكلام كله هكذا" (سيبويه: 1988م، 195/4)، ثم أكدها المبرد من بعده، بقوله: "أَنَّ أَصْل هَذِه الهاءِ أَن تلحقها وَاو زَائِدَة لأَنَّ الهاءَ خُفْيَة" (المبرد: 36/1) إلا أن العربيةَ تعمدُ إلى تقصيرِ كميتها واختزالِ زمنها ليكون مقطعًا قصيرًا من خلال المخالفةِ الكمية، إذ يعللُ سيبويه سببَ حذفِ الياء والواو بقوله: "لأن الهاء من مخرج الألف، والألف تشبه الياء والواو، تشبههما في المد، وهي أختهما، فلما اجتمعت حروفٌ متشابهةٌ حذفوا، وهو أحسن وأكثر" (سيبويه:1988م،189/4)

4- المخالفةُ بطريقةِ الحذف: وهو حذفُ صوتٍ أو أكثرَ من صوتٍ من بنيةِ اللفظِ من غيرِ التعويضِ بصوتٍ آخر، هو من الظواهرِ اللغويةِ المعروفةِ في النحوِ العربيِّ (عبد التواب:1997م، ص72)

ومن أبرزِ الأمثلةِ على ذلك حذفُ نونِ الأفعالِ الخمسةِ عند توكيدها باستعمالِ نونِ، وذلك نحو: (لتضربان) والأصل (لتضربان +نِّ)، فمع التوكيد اجتمعت ثلاثُ نوناتٍ، لذلك فرق بينهما بحذفِ نونِ الأفعالِ الخمسةِ، لتسهيلِ عمليةِ النطقِ، وهذا ما أشارَ اليه سيبويهُ: "وإذا كان فعلُ الاثنينِ مرفوعًا وأدخلت النونُ الثقيلةُ حذفت نونُ الاثنينِ لاجتماعِ النوناتِ" (سيبويه:1988م،519/3)، ومما ورد مثالُ هذه المخالفة في ديوانِ علي وفا حذفُ نونِ الأفعالِ الخمسةِ مع نونِ الوقاية، قبلَ ياءِ المتكلم، أو مع ضميرِ المتكلمين المنصوب، قوله من البحر الوافر(وفا: 2012م،ص272)

فـــإن تَعْجَـــبْ فَممَّـــن يَحسُـــدُوني علَـــى مـــا لا يُحـــاوَلَ باحتيـــالِ

فـ(يَحسُدُوني) الأصلُ فيها (يحسدونني)، إذ حذفت نونُ الأفعالِ الخمسةِ لاجتماعها مع نونِ الوقايةِ، قبل ياءِ المتكلم، إذ حدثت مخالفةُ بالحذفِ لكراهةِ توالي الامثالِ، ومما تجدر الإشارةُ إليه أنها ليست الضرورةَ الشعريةَ هي المسببةَ في الحذفِ؛ لأنها وردت في النثر أيضًا (عبد التواب:1997م،ص73)، كما ور في عيون الاخبار: "لم تزعجوني من جواركم؟" (الدينوري: 1997م، 1/ 409)، وتفسير الطبري: "كنا نعطيهم في الجاهلية ستين وسقًا، ونقتل منهم ولا يقتلونا" (الطبري: 2000م، 8/ 510)، وبذلك تُبرز المخالفةُ بالحذف في (يَحسُدُوني) وضوحَ المعنى الصوفي للبيت، فتسهّل التعبير عن الحسدِ والنفور بطريقةِ انسيابية تُركّز على دلالة الموقف دون إعاقة الإيقاع الصوتي.

ومن أنواعِ هذه المخالفةِ لتوالي الامثالِ حذفُ الواو من اسمِ المفعولِ الاجوفِ، مثاله قوله من البحر الطويل (وفا: 2012م، ص231)

مَصُـــــونٌ سَـــــبَا الأغصـــــانَ والشـــــمسَ والمَهَـــــا

وَأَصْـــــــبَاهُمُ بِالقَـــــــدِّ وَالخَـــــــدِّ وَالحَـــــــدَقْ

ف(المصون) اسمُ مفعولٍ اصله (مَصْوُون) فنقلت الضمةُ التي على الواو الى الصادِ تبعًا لقاعدةِ الاعلالِ بالنقلِ، فيصير: مصُوْوْن، فاجتمعت واوان ساكنتان،

فحُذفت الثانية على الاغلب بقانون المخالفة بالحذف، فصير (مصون) (ابن السراج: 3/ 283) (ابن عصفور: 1996م، 1/ 296)، وبذلك تعزز المخالفة الصوتية في (المصون) وضوح النطق وانسيابه، بما يعكس دلالة البيت في حفظ الجمال والسكينة الروحية.

ومن أنواعِ هذه المخالفةِ أيضًا حذف إحدى الهمزتين في مضارعِ الافعالِ الثلاثيةِ التي تحتوي على همزةٍ زائدةٍ أي مضارع (أَفعل)، من ذلك قوله من مسمط الوافر (وفا: 2012م، ص27)

تَرَانِي عَنْكَ أُبْدِي كُلَّ غَائِبٍ وَأَنتَ هُوَ المُرادُ لِكُلِّ طالب

وقوله أيضا من مجزوء الرمل (وفا: 2012م، ص28)

لِيَ مَوْلًى هُوَ حَسبِي فَلِمَا أُتْعِبُ قَلْبِي

فـ(أَبْدِي، وأَتْعب) المضارع منه (أُأَبدي، وأُأَتعب)، فهنا اجتمعت همزتان: همزةُ المضارعةِ وهمزةُ (أفعل)، فعمدت العربيةُ إلى المخالفةِ بينهما اقتصادًا في الجهدِ العضليّ عن طريقِ حذفِ إحداهما وهي الهمزةُ الثانية من (أُأَفعل) نظرًا للوظيفةِ اللغويةِ التي تؤديها همزةُ المضارعة، ومن ثم أصبح الفعلان (أُبْدِي، وأُتْعِب)، فحذفت العربيةُ إحدى الهمزتين بسب ثقل تتابعهما، إذ يقول سيبويه في هذا: "فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا" (سيبويه:1988م،549/3)، وبذلك تُسهّل المخالفةُ في حذفِ الهمزتينِ انسيابَ النطق، فتُبرز إخلاصَ المتحدث وتلقائية تعبيره عن ارتباطه الروحي بالمراد الإلهي دون تعقيد صوتي.

ومن امثلة هذا النوع أيضًا ما يجري في صيغةِ (تفعّل، وتفاعل، وتفعلل) مع تاءِ المضارعةِ، من ذلك قوله من بحر المخلع البسيط (وفا: 2012م، ص207)

حُكمُكَ إذ كَثُرَ التجلِّي تَمَيَّزَ الأصلُ والفروعُ

وقوله أيضا من موشح مجزوء الرمل (وفا: 2012م، ص390)

وَعَنِ الغَيرِ تعَامِى فهو لله وباللّٰهْ

وقوله أيضا من مجزوء الكامل (وفا: 2012م، ص208)

يـــا قلـــبُ بعـــدَ تَرَوُّعِـــي عِـــشْ وانـــتعشْ وترعـــرعِ

فـ(تجلّى، وتميَّز، وتعامى، وترعرع)، فالأصل فيها (تتجلّى، وتتميّز، وتتعامى، وتترعرع)، ألا إنَّ اللغةَ العربيةَ تميلُ إلى تسهيلِ النطقِ وتقليلِ المجهودِ العضليّ، لذلك حدثت مخالفةٌ بحذفِ أحدِ التائين والاكتفاءِ بتاءٍ واحدةٍ، لذلك حُذف إحدى المتماثلين بسبب ثقلِ تتابعهما، لأنَّ نطقهما متتابعين ثقيلٌ على اللسانِ، واختلافُ الحروفِ أخفُّ من ذلك، وأنَّ الناطقَ بصوتين متماثلين يجدُ صعوبةً، إذ على اللسانِ كلفةٌ شديدةٌ في الرجوعِ إلى المخرجِ بعدَ انتقاله عنه (سيبويه:1988م،417/4)

ففي كلِّ اللغاتِ يجدُ الناطقُ صوبةً في نطقِ الصوتين المتماثلين، إذ يقولُ بروكلمان: "إذا توالى مقطعان، أصواتهما الصامتةُ متماثلةٌ، أو متشابهةٌ جدًا، الواحدُ بعدَ الآخرِ في أولِ الكلمة، فإنه يكتفى بواحدٍ منهما بسببِ الارتباطِ الذهنيّ بينهما" (بروكلمان: 1977م، ص79) فالمخالفةُ الصوتيةُ في حذفِ إحدى التائينِ في (تجلّى، وتميَّز، وتعامى، وترعرع) تُسهّلُ النَّطقَ وتُخفّفُ الجهدَ العضليَّ على اللسانِ، فيعكس سلاسة التجلي الروحي وبيان المعاني.

5. المخالفة بالتعويض: أي تعويضُ حرفٍ مكانَ حرفٍ، من ذلك قولُ الشاعرِ من موشح (وفا: 2012م،ص213)

خضـــوعُكُم رَفْـــرَفُ الصـــعود وحـــبُّكم حَضـــرةُ الوجـــود

وقوله أيضا من البحر الرمل (وفا: 2012م،ص334)

دَنْـدَنوا حَـوْلَ الحِمَـى دَهْـرًا طـويلًا قَبْـلَ أنْ لاحـتْ لهـمْ منـه مَبَـاني

فـ(رفرف، ودندن) اصلها (رفَّف، ودنَّن) على زنة (فعَّل)، وبسبِ توالي الامثال الذي يؤدي صعوبةً في النطقِ، ويتطلب جهدًا عضليًّا كبيرًا؛ اختُزل المشددُ وعُوِّض عنه بصوتٍ مماثلٍ للفاء، ف(فعفل) اصلها (فعَّل)، وهذا ما أشار اليه الفراء(ت207ه) بقوله: "والعرب تردد اللام فِي التضعيف فيقال: كركرتُ الرجلَ يريدون: كررْته وكبكبته، يريدون: كببته، وأتيت فلانًا فبشبش بي من البشاشة،

وإنما فعلوا ذَلِكَ كراهية اجتماع ثلاثة أحرف من جنس واحد" (الفراء: 1955م، 3/ 114)

ولفظُ (الحمى) أيضًا اصله (الحمَّ)، إذ عُوِّض عن الميم بصوت المد بسب ثقل التضعيف، وإنَّ صوتَ المد حرفٌ منفتحٌ لا طباقَ فيه، وهذا ما أشارَ إليه سيبويه، بقوله: "اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد" (سيبويه:1988م،417/4)

إذ نلاحظ أن قانون المخالفة هو أحد نتائج نظرية الاقتصاد والسهولة، لأنها تميل إلى لمس الأصوات السهلة والبسيطة التي لا تتطلب مجهودا عضليا، إذ تلجأ اليه اللغة العربية حين ما يتسرب إلى أبنيتها ما يتنافى مع ذوقها، لذلك فالنظام الصوتي يحرص على التخالف ويكره التنافر والتماثل؛ لأنهما لا ينسجمان وطبائع العرب في مزج أصواتها، كما يجنح إلى الفرار من التماثل، لأنه قد يوقع في اللبس. وعليه، فإن ميل العربية إلى التخالف وإيثارها له فذلك لأنه يعين على أمن اللبس بوساطة ما يهيئه من المقابلات أو الفروق بين المتخالفين (حسان:2006م، ص264- 265).

الخاتمة:

في ختام هذا البحث، تبيَّن أن ظاهرة المخالفة الصوتية تمثل قانونًا لغويًا دقيقًا يسهم في تحقيق التوازن بين الجمال النطقي والدقة الدلالية. وقد برز هذا الأثر جليًا في شعر علي وفا، حيث استثمر المخالفة لتكثيف الإيقاع وتنويع البنية الصوتية. كما أظهرت الأشعار قدرة الشاعر على توظيف هذه الظاهرة بما يخدم تجربته الصوفية والوجدانية. وعليه، فإن المخالفة ليست مجرد ظاهرة صوتية، بل أداة فنية تثري البناء الشعري وتعمّق أثره الجمالي.

نتائج البحث:

1. توظيف المخالفة لإحداث تنغيم صوتي مميز: استخدم الشاعر علي وفا المخالفة الصوتية كوسيلة جمالية لإضفاء تنوع موسيقي محبب في إيقاع الشعر،

مما ساهم في تعزيز جمالية النص وإبراز الأصوات بنغم متميز يتلاءم مع الطابع الصوفي التأملي.

2. تحقيق الاتزان بين اللفظ والمعنى: ساعدت المخالفة في شعر علي وفا على تحقيق توازن دقيق بين وضوح الدلالة وسلاسة النطق، فكل تغيير صوتي مقصود يعكس رغبة في التفريق المعنوي دون الإخلال بالسلامة الإيقاعية أو البلاغية.

3. الابتعاد عن التماثل الصوتي المملّ: أتاحت المخالفة للشاعر التحرر من رتابة التماثل الصوتي، فكانت وسيلة للهروب من التكرار الصوتي الثقيل، مما يدل على حسّ لغوي موسيقي مرهف يتوافق مع روحه الصوفية التي تميل إلى الخفة واللطافة

4. إبراز البنية الصرفية والصوتية بصورة مبتكرة: ساعدت المخالفة في شعر علي وفا على إظهار البنية الصرفية للكلمات بشكل أكثر مرونة وابتكارًا، من خلال تكسير القوالب المألوفة وتوليد تراكيب صوتية غير معتادة، مما أضفى على شعره طابعًا لغويًا متجددًا يعكس قدرته على توظيف إمكانات اللغة بما يخدم تجربته الصوفية.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم، هيام فهمي، 2012م، المخالفة (دراسة صرفية صوتية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة)، ط 1، دار الافاق العربية -القاهرة.

2. ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، د. ت، ت: عبد الحسين الفتلي، د. ط، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.

3. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، د. ت، الخصائص، ط 4، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

4. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني،2000م، سر صناعة الإعراب،ط1، بيروت، دار الكتب العلميّة.

5. ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، 1996م، الممتع الكبير في التصريف، ط 1، مكتبة لبنان.

6. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، 1993م، لسان العرب، ط 3، صادر - بيروت.

7. أنيس، إبراهيم، د. ت، الأصوات اللغوية، د. ط، مطبعة نهضة مصر.

8. برجشتراسر، 1994، التطور النحوي، اخرجه وصحح عليه: رمضان عبد التواب، ط 2، مكتبة الخانجي -القاهرة.

9. بروكلمان، كارل، 1977م، فقه اللغات السامية، ت: رمضان عبد التواب، د.ط، جامعة الرياض.

10. بشر، كمال،2000م، علم الاصوات، د. ط، دار غريب للطباعة للنشر والتوزيع.

11. البكوش، الطيب، 1992م، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ت: صالح القرمادي، ط 3، مكتبة الإسكندرية.

12. حسان، تمام، 2006م، اللغة العربية معناها ومبناها، ط 5، عالم الكتب.

13. الحمد، غانم قدوري، 2004م، المدخل الى علم أصوات العربية، ط 1، دار المطبوعات والنشر- عمان.

14. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، 1997م، د. ط، دار الكتب العلمية -بيروت.

15. الراجحي، د. ت، التطبيق الصرفي، الناشر دار النهضة العربية -بيروت.

16. رشيد، فوزي، 2009م، قواعد اللغة السومرية، ط 1، دار صفحات للدراسات والنشر.

17. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، 1988م، الكتاب، د. ط، القاهرة، مكتبة الخانجي.

18. الصيغ، عبد العزيز، 2000م، المصطلحات الصوتية في الدراسات العربية، ط 1، دار الفكر - دمشق.

19. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، 2000م، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، ط 1، مؤسسة الرسالة.

20. عبد التواب: رمضان، 1997م، التطور اللغوي مظاهرة وعلله وقوانينه، ط3، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

21. عبد التواب، رمضان، 2000م، لحن العامة والتطور اللغوي، ط 2، مكتبة زهراء الشرق.

22. عبد الجليل، عبد القادر، 2014م، الأصوات اللغوية، ط 2، دار صفاء - عمان.

23. عمر، احمد مختار، 1997م، دراسة الصوت اللغوي، د. ط، عالم الكتب - القاهرة.

24. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، د. ت، ت: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط 1، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر.

25. الفراهيدي، أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد، العين،2010م، د. ط، مصر، دار ومكتبة الهلال.

26. فندريس، 1950م، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلى، ومحمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية.

27. كانتينو، جان، 1966م، دروس في علم أصوات العربية، ت: صالح القرمادي، ط 1، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية.

28. المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، د. ت، المقتضب، ت: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب- بيروت.

29. المطلبي، غالب فاضل، 1984، في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية)، د. ط، دائرة الشؤون الثقافية.

30. وفا، علي بن محمد(807ه)، ديوان، تحقيق أنس عطية الفقي، ط 2012م، جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا.

الرسائل والدراسات:

1. بوروبة، المهدي، 2002م، ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري: (أطروحة)، المهدي بوروبة: جامعة ابي بكر بلقايد -- تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

2. يشو، جيلالي، 2006م، المماثلة والمخالفة بين الفصحى والعامية (دراسة صوتية -- منطوق ندرومة نموذجا): (رسالة ماجستير)، جامعة ابي بكر بلقايد – تلمسان/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

المجلات والدوريات:

1. جسام، احمد بريم،2023م، الظواهر الصوتية في خلق الإنسان، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد (62)، العدد(2).

2. سلمان، زينة عبد الله، 2023م،الياء وتحولاتها في اللهجة العراقية، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 62، العدد1.

3. راشد، فاطمة كاظم خضير، 2018م، المماثلة والمخالفة في ضوء العربية ولهجات شبه الجزيرة العربية – دراسة موازنة – صوت السين أنموذجا، د. فاطمة كاظم خضير راشد، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد (29)، العدد(2).

4. شريف: رجاء مهدي، 2023م، الابدال الصوتي بين الصوامت والصوائت وأثره في تنوع الدلالة (مرويات النساء الواردة في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (606هـ) أنموذجا)

.

العقلية الإبداعية وأثرها في كتاب (المستوفَى في النحو) لابن الفرخان

م.د. خير الله خميس مصلح المديرية العامة لتربية صلاح الدين
dktwrkhyrallhalmjmy@gmail.com

الملخص:

هذا البحث يدور حول الإبداع أو الجديد في النحو، وهي فكرة قديمة وليست جديدة، ولكن التركيز صار عليها من الدارسين المعاصرين، ومن المستغرب أن أحدًا لم يعط التجديد لدى النحوي العراقي المشهور قاضي القضاة جمال الدين بن الفرخان حقّه في ذلك، بل غطّى النحوي الأندلسي المشهور ابن مضاء القرطبي على هذه الجهود، لا سيما بكتابه الرد على النحاة، الذي صار مقررا على الأقسام العلمية في موضوع تجديد النحو. ولعل عنوان الكتاب (المستوفَى في النحو) سبب ذلك الإهمال؛ فليس فيه أي إشارة إلى تجديد، أو أن يكون العنوان غريبا، بل الأهم من ذلك أن من سوء حظ هذا المؤلف ابن الفرخان ليس لديه تلامذة يذيعون مصنفاته. وهذا واضح في خلو ترجمته منهم، بل إن الآراء التي نقلتها المصنفات النحوية واللغوية ليس فيها شيء عن تلامذته، بل هي كلها نقل مباشر عن كتابه المستوفى في النحو. ولكن الجيد في هذه الجانب أن السنوات الأخيرة أظهرت له كتابين متميزين ي العروض والموسيقى جعلت الدارسين يقفون عند هذا المصنف، لا سيما أن بصمته الإبداعية التجديدية موجودة فيهما أيضا.

الكلمات المفتاحية: الإبداع والتجديد، العوامل النحوية، ابن الفرخان، المستوفى في النحو.

Abstract
This research revolves around the renewal of grammar, which is an old idea and not a new one, but the focus has been on it from contemporary scholars, and it is surprising that no one has given the renewal of the famous Iraqi grammarian, Qadi al-Qudat Jamal al-Din Ibn al-Farkhan its due right in that, but the famous Andalusian grammarian Ibn Mada' al-Qurtubi has overshadowed these efforts, especially with his book Al-Radd 'ala al-Nahhat Which has become a requirement for academic departments on the subject of renewing grammar. Perhaps the title of the book (Al-Mustawfa fi al-Nahw) is the reason for this neglect; it does not contain any reference to renewal, or the title is strange. Rather, more importantly, it is the misfortune of this author Ibn al-Farkhan that he does not have students who would spread his works. This is clear in the absence of any of them in his translation. Rather, the opinions conveyed by the works The grammatical and linguistic works contain nothing from his students; rather, they are all direct quotations from his comprehensive book on grammar. However, the good news in this regard is that recent years have produced two distinguished works on prosody and music, which have drawn attention from scholars, especially since his innovative and creative imprint is also present in them.
Keywords: renewal of grammar, grammatical factors, Ibn al-Farkhan, al-Mustawfa in grammar.

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعدُ:

فهذا البحث وقفة نحوية وصفية تتناول جزئية مهمة، ألا وهي الجدة والإبداع والتجديد في النحو، وقد شاع عند الدارسين - وهمًا - ان الإبداع لا يكون إلا لدى المعاصرين، مثل محاولات الدكتور مهدي المخزومي وجهود شوقي ضيف وغيرهما، متصورين أن القدماء لم يقدّموا شيئا ذا بال في هذا الجانب، فلا حاجة للتجديد، اعتمادًا على قوة سليقتهم وفصاحتهم، وهذا لا يعطي صورة علمية عن جهود العلماء النحويين في لساننا العربي؛ ذلك أنهم أول من بدأ التجديد أو نظريات التيسير والتوضيح له. وإذا كان ابن مضاء القرطبي (ت592هـ) قد أخذ حقّه في تعريف الدارسين بما قدّمه في هذا المجال، اعتمادا على وصول كتابه (الرد على النحاة)[1]، الذي احتفل به العلماء في القرن العشرين، ولا سيما الجامعات العربية، فإن ثمّة علماء لم يتوفر لهم ذلك، وفي مقدّمتهم عالم نحوي عراقي هو ابن الفرخان.

والمزية الأخرى التي تبرز في هذا الباب أن ابن الفرخان عالم نحوي متفنن مشرقي، أما ابن مضاء فهو عالم أندلسي، ومن المعروف أن الأندلسيين صدى لجهود المشارقة، لا سيما مع قربهم من مصادر التراث وكتبه ومكتباته العامرة في حواضر العلم والمعرفة (بغداد، دمشق، القاهرة)، فباتوا ينهلون بعد إحاطة بجهود من سبقهم، فجاءت أطروحتهم ودراستهم لقضايا اللسان العربي أكثر واقعية ودقة من غيرهم.

---

1 ومما يؤسف له أن كتابه (المشرق) قد ضاع قديما. أما كتابه (تنزيه القران عما لا يليق بالبيان) فقد ضاع في السنوات الأخيرة، إذ ذكر الدكتور النحوي السعودي عبد الرحمن العثيمين رحمه الله - في مقابلة تلفزيونية - أنه رآه لدى أحد الأشخاص، ثم اختفى أثره.

والأهم من كل ما سبق أن ابن الفرخان ليس مؤلفا فحسب، وليس مجددًا نحويًا فقط، بل هو مجدد في النحو والعروض والموسيقى، وهذا مما قلّ نظيره إن لم نقل عُدِمَ له النظير. فمن يقرأ كتاب (الإبداع في العروض) وهو - إبداع بحق - يعرف موهبة الرجل وتمكنه وإحاطته وثقافته. ذلك أنه جعل البحور الشعرية في سبعة ألوان فقط، بعدم مقرنتها بالموسيقى والأوتار، وإرجاع بعضها إلى بعض. بل تصل الأمر بهذا الرجل ان يصنع شواهده بنفسه[1]، وهذه مزيّة، تدل على قريحته شعرية إبداعية (الفرخان، 2010: 16) ويرى الدكتور خلوف أنه شاعر غزير الإنتاج.

ولم أجد من درس فكره النحوي، سوى رسالة ماجستير للباحث محمد عطا أبو فنون، في بحثه: الأصول النحوية عند ابن الفرخان في كتابه المستوفَى في النحو. في جامعة مؤتة بالأردن، 2004م.

وقد بدأ البحث بنبذة عن حياة صاحب الكتاب، وتعداد مؤلفاته، ثم بيان سبب تأليف الكتاب، ثم الانتقال إلى أبرز ملامح التجديد لديه، قياسًا بالزمن الذي عاشه، من شواهده ومصطلحاته وتفرده في بعضها، ثم مفارقته بعض النحاة في قضية القراءات.

1 هذا في جانب العروض والبلاغة متسامح فيه، أما في النحو فالأمر فيه تفصيل، لأن النحاة يتوقفون عند إبراهيم بن هرمة المتوفى في حدود سنة 150هـ. لذا ثار النحاة المعاصرون بين مؤيد ومختلف حول موضوع صنع ابن مالك شواهده، بين مَن اتهم ابن عقيل بوضع شواهده، ومن برّأه من هذه التهمة، وأنه ينقل من كتاب جلها مفقود. وأول من بدأ اتهام ابن مالك هو الدكتور نعيم سلمان البدري، والباحث السعودي فيصل المنصور.

ابن الفرخان، اسمه ومؤلفاته:

هو قاضي القضاة، مجد الإسلام، مفتي العراق، حجة الحق، مقتدى الفريقين،[1] جمال الدين، وقد توهم محقق المستوفى فسمّاه (كمال الدين)(الفرخان، 1987: 11) وتابعه (أبو فنون: 2004: 4)، والصواب ما جاء في مقدّمة (الفرخان، 2010: 11)، أبو سعد علي بن مسعود بن محمود بن الحكيم بن الفرخان(السيوطي، 1964: 206/2). وما هذه التحلية في اسمه إلا دليل على حقيقة أثره، واحترام علمه، وذيوع صيته، وقوة صوته.

و(الفرخان) اسم أحد أجداده، وقد اختلف الدارسون في ضبطه، فمحقق المستوفى ومحقق الوافي في القوافي ضبطوه (الفرخان)، أما صاحب (الأصول النحوية عند ابن الفرخان في كتابه المستوفى في النحو) فضبطه (الفُرُّخان) بضم الفاء وضم الراء المشددة(الفرخان، 1987: 11)(أبو فنون: 2004).

وقد ذكر معاصره وأول من نقل أخباره ابن منتجب الدين صاحب الفهرست، الذي قال إن الفرخان من أهل قاشان، ثم وضع بعضا من أشعاره(ابن بابويه: 227).

ولأن الدنيا فشهرة الرجل لم يحالفها الحظ، فليس ثمة ترجمة مفصلة عنه، بل كل الذي وصل بضعة أسطر(الفرخان، 1987: 12)، لا تغني كثيرا، مع أن جهده أصيل مبدع، غير متصنّع، في حين اشتهر علماء كثيرون، وجهودهم تكرار لمن سبقهم، ولا تكاد تخرج عن غيرهم.

إن مزيّة ابن الفرخان صنعته وتفنن مواهبه(الفرخان، 1987: 31)، فقد ساهمت في تميز نظرته للنحو، من خلال ربطه بغيره من الفنون والعلوم لغرض التسهيل والتقريب، حتى لا ينفرَ الدارس والقارئ من النحو العربي بحجة صعوبته وشيوع المنطق فيه. وهذه قضية لا يكاد ينتبه لها إلا من أوتي حظًّا من النظر في

1 وهذا يذكرنا بقاضي القضاة بهاء الدين بن عقيل المصري (ت769هـ)، صاحب الشرح المشهور على ألفية ابن مالك الأندلسي في النحو (ت672هـ). ولكن ابن الفرخان عراقي، وابن عقيل مصري.

بواطن الأشياء، بل الشائع المعروف أن اقتصار النحوي على النحو، وعدم إجادته أي فنّ آخر مما يميزه، بحجة أن هذا الاقتصار يكتب لها قوة النظر، ولا يشتت الجهود.

أبرز مؤلفاته:

1- المستوفَى في النحو. حقّه ونشره وقدّم له وعلّق عليه مع دراسة مفصلة الدكتور محمد بدوي المختون، وقد طُبع في دار الثقافة العربية، في القاهرة، سنة 1987م. وقد اعتمد نسختين خطيتين.

ثم نشرت بدرية بنت أحمد الغامدي (فصل التمييز) من الكتاب، في مجلة البحث العلمي في الآداب، أكتوبر 2020م. ومع أن الكتاب منشور قديمًا، لا أن الباحثة رأت أن ثمة ملاحظات على عمله دعتها إلى نشر فصل التمييز(الفرخان، 1987: 17). واعتمدت أربع نسخ خطية. ويحسب لها أن حواشيها مفصلة، بل تصل حد الملل.

2- الوافي في القوافي. حقّقه ونشره نشرة علمية رائقة الدكتور العروضي السوري عمر خلّوف، ونشرته هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، سنة 2010م. اعتمادا عل نسخة خطية فريدة في إسطنبول بتركيا.

3- الإبداع في العروض. حققه ونشره بشكل وافٍ شافٍ الدكتور عمر خلّوف. وصدر عن دار اللباب للنشر والتوزيع في إسطنبول بدولة تركيا، سنة 2024م. ونسخته الخطية فريدة، موجودة في نفس المجموع الخطي الذي يحتوي كتاب الوافي في القوافي.

وهذا الكتاب مثال على تميز ابن الفرخان وتعدد جهوده وإبداعه؛ لأنه قارن فيه بين العَروض والموسيقى في اللغة العربية والفارسية، محاولا الاستفادة منهما لخدمة لغة القرآن الكريم.

4- الشامل في علم البلاغة(الفرخان، 2010: 15). والكتاب ليس موجودا في هذا الزمن، بل ضاع قديما.

أما وفاته فليس من خبر حول تحديدها بدقة(الفرخان، 2010: 12)، بل كل ما في الأمر أنه توفي قبل سنة 600هـ، بدليل الشيوخ الذين نقل في كتبه عنهم. وليس صحيحا ما ذكره د. مصطفى أحمد النماس محقق كتاب ارتشاف الضرب لأبي حيان النحوي أن ابن الفرخان توفي سنة (548هـ)، فلا يوجد دليل على الرأي(أبو حيان، 1989: 480/1)، (أبو فنون: 2004: 7).

سبب التأليف:

يقول في مقدّمة كتابه: "وبعد فإني لما تصفحتُ عامة الكتب المصنفة في النحو، وجدت موجزها يقتصر على الواجب فيه، ومبسوطها يربى على المحتاج إليه منه، ومع هذا فإن أكثرها كان مشوشا في ترتيبه، وغير أنيق في تقسيمه وتبويبه"(الفرخان، 1987).

فالمؤلف يؤكد بشكل لا يقبل الشكّ أنه وضعه بعد الاطلاع على كتب النحو مختصرها ومطولها، وأن منهجه وسط لا هراء ولا نزر.

ولقد حاول ابن الفرخان في هذا الكتاب أن يغني قارئه عما سواه، لأنه ينطلق من فكرة الأصول والمبادئ، ذاكرًا أن الأصول له مبادئ، والفقه له مبادئ، وعلم الهيئة له مبادئ، وأيضا الطبّ والموسيقى.

ولكن الذي يرفع محاولة ابن الفرخان أنه منتبه إلى ضرورة وجود قوانين للعلوم تجمع شتاتَها، ولا تفرّط بأصولها. وهذه من صفات النحاة البغداديين، ولكن البغداديين قريبون على المدرسة البصرية غالبا؛ بدليل قوله بعدم نيابة الصفات. ومن الأدلة المهمة النقل عن أساتذة النحو الكوفي(أبو فنون: 2004: 14).

ونتيجة لهذا تنبَّه القدماء إلى أهمية آراء ابن الفرخان، فنقلوا كلامه عرضا وشرحا وتفسيرا وتأييدا(أبو فنون: 2004: 10).

الاستشهاد:

الاستشهاد بالقرآن الكريم. ونحن نعرف أن النحاة قليلو الاستشهاد بالآيات الشريفة، بل كثيرو الاستشهاد بالشعر العربي. بل أورد عددا من الأحاديث النبوية الشريفة، وهذا يحسب له، إذ المعروف أن النحاة قليلو الاستشهاد بالأحاديث الشريفة. والشعر في 416 موضعاً (الفرخان، 1987: 36)(أبو فنون: 2004: 18).

القراءات القرآنية: والمعروف أن جهود النحاة في القرآنية السبع متفاوتة، بين من يأخذ بها، ومن لا يذكر اسم القراءة اعتمادًا على قدسية النص القرآني العزيز(الفرخان، 1987: 10).

منهج المؤلف:

أما منهجه فمختصر، يحاول ألَّا يشرح شيئاً إذا كان شرح ما يناظره، مثل بئس ونعم، اكتفى بشرح أحدهما.

فحينَ عرّف النحو قال: صناعة النحو، موضوعها اللفظ العربي، لكن ليس على الإطلاق بل من جهة ما يتألف مع غيره من الألفاظ. فهو النحو صناعة علمية ينظر لها أصحابها في ألفاظ العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لتُعرف النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى، فيتوصل بإحداهما إلى الأخرى(الفرخان، 1987: 11).

فالمؤلف ربط النحو بمعاني النحو أو علم المعاني في البلاغة العربية، والتي طورها عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم، وجعل للنحو العربي روحًا وليس ألفاظا فقط.

ويتميز أيضًا منهجه التعليمي بدعوة القارئ إلى التبصر والتفكير والتدبر، وهذا لا نجده في كتب النحو كثيرا.

ومن ملامحه الاهتمام بموضوع العلة. وهذا أمر متميز، بل يسهل النحو على طالبه، لأنه يجعل لكل ظاهرة تفسيرا راسخا في عقله. ولا يستبعد ذلك إذا ما

عرفنا أن زمن ابن الفرخان شهد ظهور أبي البركات الأنباري، الذي أغرم بالتعليل والتفسير والقياس وغرائب النحو ونكته.

مثال ذلك شرحه موضوع أصل (مذ) بأن أصل (منذ)، وأن أصل (كأنّ) هو (أنّ)، و(كان) هو (كأنّ). يقول: "ومما يجب أن نذكره هنا أن (مُذْ) قد يلاقي (الذال) منها ساكن بعدها، فمن حقّ (الذال) أن تحرك على الضم إشعارا بالأصل، فهو يدلّك على أنّ (مُذْ) من (منذُ) و(كأنّ) من (أن) و(كان) من (كأنّ) (الفرخان، 1987: 96).

ومن آرائه المتميزة: إلا للاستثناء و(غير) للوصف

يعتقد ابن الفرخان أن (إلّا) أصلها للاستثناء فقط، أما (غير) فهي للوصف، إلا أنه يدخل كل واحد منهما على الآخر، فيتبادلان المعاني، وهذا يحدده السياق(الفرخان، 1987: 316). مثال ذلك قولنا: جاءني القوم غير زيد، فقد استثنى بغير، وإن كان أصل عملها الوصف. ومن الوصف بالا قوله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)[الأنبياء: 22].

التكرير أساس للتوضيح وليس مصطلحا نحويا

ساق ابن الفرخان التوكيد أو التكرير اللفظي وأجراه للتوضيح وليس لغاية نحوية. قال: "الإتباع إذا كان على سبيل التكرير سمّي تأكيدا، وذلك أن التكرير إما أن يكون في اللفظ والمعنى كما في قول القائل: مررتُ ببشر بشرٍ(الفرخان، 1987: 18).

بشكل مختصر شرح بدل الاشتمال قائلا: بدل الاشتمال أحد أنواع البدل(الفرخان، 1987: 111).

أصل (هلمَّ)

مما يتميز به اختصار الشروح والخلافات في المسألة بشكل موجز مكثّف. يقول: "فأما التركيب في الفعل فقليل جدا، وهو على ضروب: أحدها نحو: هلمَّ،

فإنه مركّب عندنا من (ها ولُمْ) وأما عند الكوفيين فمن (هل وأم) (الفرخان، 1987: 18-19).

ليس في الاستثناء حرف

عد ابن الفرخان الفعل الماضي الناقص (ليس) حرفا في الاستثناء، وهذا من غرائبه وتفرّداته، والفرخان قد خرج عن كون (ليس) فعلا وعدها حرفاً في الاستثناء بقوله: وأما (ليس) فيحتمل أن يكون حرفاً للاستثناء ك- (إلا)، ومما يعضد هذا أنه استوى فيه المذكر والمؤنث، يقولون: أتتني ليس فلانة، ويحتمل أن يكون هو الذي قد ذكرناه في باب كان وأخواتها(الفرخان، 1987: 317).

والاحتمال الأخير هو كونها فعلا فقد انفرد الفرخان بهذا الرأي وهو كون ليس حرفاً في الاستثناء بعدما أورد. تعليله بخصوصها، وهذا يؤكد سعة ثقافته وعدم تعصبه لمذهبه النحوي(أبو فنون: 2004: 147).

(على) اسم وليس حرفا

"لقد خالف المصنف أغلب النحويين من المدرستين في نظرتهم أن (على) اسم دائماً في كل الحالات، وقال بها أيضاً ابن الطراوة وأبو علي الفارسي والشلوبين اسماً دائماً معرباً: لأنها لا يظهر فيها علامة البناء من شبه الحرف، في لا حرف في معناها، وقلة تصرفها لا يوجب لها البناء (السيوطي، 2010: 357/2).

يقول المؤلف: "ولما (على) فإنهم ذهبوا إلى أنها تستعمل تارة اسماً وتارة حرفاً، فكونها اسماً إذا دخل عليها (من) ا لأنه بعض حروف الجر، وكونها حرفاً إذا جاءت ولم يدخلها من والذي أراه أنا أن الأشبه بعلى أن تكون في جميع الأحوال اسماً مشتقاً"(الفرخان، 1987: 354).

فقد أقر الفرحان باسمية (على) كابن الطراوة وأبي على الفارسي والشلوبين بعد عرضه آراء النحاة فيها، وقد دافع عن رأيه وعدّ (على) منصوباً على الظرفية

يقول: "انتصابه من حيث أنه بُني على الظرفية، كما تجعل (السفل) ظرفاً في بعض الأوقات، قال الله تعالى: (والركب أسفل منكم)[الأنفال: 42]. فإذا دخل عليه من انجر، كما تقول: فوق الأرض، فإذا دخلت (من) جررت فوق فقلت: من فوق الأرض يذلك على هذا أنهم يقولون من (علام) فيحذفون المضاف إليه كما يقال: من فوق) بالضم، فلولا الألف لظهرت الهمزة عارضة للبناء(الفرخان، 1987: 354)(أبو فنون: 2004: 147).

إعمال اسم الزمان والمكان

تمسَّكَ ابن الفرخان بإعمال اسمي الزمان والمكان مثل اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة بهما(أبو فنون: 2004: 149).

جاء ذلك في حديثه عند قول الله تعالى: (النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله)[الأنعام: 128]. يقول: "وقد رابني من هذا أنني لا أراهم يستعملون إغارة ههنا مكان مغار، ولا ما هو نحو ثواؤكم مكان قوله تعالى: (مثواكم)، فلا يبعد أن يكون الاسم المشتق للزمان أو المكان معملاً، كما أن أسماء الفاعلين والمفعولين والصفات المشبهة بها معملة؛ لأن مفعلاً هذا قد يوصف به كما قد وصف بتلك قال: (البحر الطويل)

غدت من عليه بَعْدَمَا تَمَّ ظمؤها تصل وعن قيض ببيداء مَجْهل

وأيضاً قد يؤنث هذا على وجه كما يؤنث تلك، يقال: منحى ومنحاة، ومجر ومجرة، وأيضاً يكون هذا على وزن المضارع كما أن اسم الفاعل كذلك"(الفرخان، 1987: 279)(أبو فنون: 2004: 149).

ولم أجد رأياً مشابهاً له فيما بين يدي من كتب.

وخلاصة القول إن الفرخان بصري النزعة أكثر من المصطلحات البصرية Activat واعتمد الكثير من الآراء النحوية البصرية وتجنب الآراء الكوفية إلى حد ما، وهذه Go to Se كلها دلائل على نزعته البصرية وميله إليهم(أبو فنون: 2004: 147).

الإبداع في الإفادة من القراءات القرآنية

القراءات القرآنية ولا سيما القراءات السبع حجة[1]، لا يمكن إلا الإفادة منها وتسخير دلالاتها خدمة للغة القرآن الكريم، مصداقا لقول الله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، واعتمادًا على قول النبي العظيم محمد صلى الله عليه وسلّم: (أُنزل القرآن على سبعة أحرف). والنحاة يتابعون في ذلك أبا النحو سيبويه، الذي لم يخطّئ قارئا واحدا، ورأى أن ذلك دليل على ثراء القرآن الكريم وإعجازه.

ويظهر ذلك في مواطن كثيرة، منها قول الله تعالى: (يُسبّح له فيها بالغدوّ والآصال رجالٌ)[النور: 36]، إذ أخذ ابن الفرخان بهذه الآية دليلا على الفعل المقدّر، ف- (رجالٌ) مرفوعة بفعل مقدر تقدير (يسبّح رجالٌ) (الفرخان، 1987: 161)(أبو فنون: 2004: 23). أما النحاة المتأخرون فرأيهم أن (رجالٌ) نائب فاعل للفعل يسبّح، فلا حاجة عندهم إلى التقدير (يسبّح رجال)، وهذا رأي بعض النحاة المتميزين، مثل أبي علي الفارسي والواحدي المفسر وأبي حيان النحوي(الفارسي، 1993: 326/5)(الواحدي، 2011: 16/ 294)(أبو حيان، 2017: 209/6).

إن التجديد النحوي أو الفكر النحوي لدى صاحب المستوفى لا يمكن فصله عن جهده التجديدي المشابه في العروض والموسيقى، فالرجل مولع بالإبداع والجدة.

من مظاهر الإيجاز لديه والاختصار أنه لا يذكر مصادره بل اكتفى بذكر سيبويه وكتابه، مع اعترافنا أن الرجل صاحب نظرة وآراء جديدة، ولكن كتابه والنحو عموما مرتكز على فكرة أخذ اللاحق من السابق.

1 لأن القراءات العشر والخمسين فيها نقاش بين العلماء.

غايته التسهيل: أنْ أُقرِّبَ البعيد، وأسهل العويص، وأجمع فيه إلى الإيجاز التبيين، وإلى الإيضاح التلخيص،... مع إلقاء القول فيه على سبيل الإجمال دون التفصيل (الفرخان، 1987: 3-4)(أبو فنون: 2004: 10).

فجاء الكتاب مختلفا عن الكتب الأخرى المشوشة غير المرتبة وغير المقسّمة والمبوّبة، سليمًا من عيوب الكتب الأخرى، فهو كتاب واضح سهل وموجز وملخصٌ استوفى فيه صاحبه مختلف الأبواب النحوية مع البعد عن التفصيل والإطالة(أبو فنون: 2004: 11).

مثال إيجازه: وباقي الأحكام فعلى ما ذكرنا في اسم الفاعل، فتعرّفها من ثَمَّ (الفرخان، 1987: 147).

ومما يحسب له دمج كثير من الأبواب تحت عنوان جامع. فقد وضع الفعل والفاعل عنوانا لكثير من القضايا منها: المبني للمجهول والتنازع ونعم وبئس وكاد وعسى وأنواع ما، والتعجب واسم التفضيل وغير ذلك(أبو فنون: 2004: 11).

ولغته تتراوح بين السهول والصعوبة، مع ميلها أحيانا إلى الصعوبة، وليس ذلك بمستغرب، إذا عرفنا حجم الكتاب الكبير، وأنا مؤلفه شاعر وناثر ورياضي وقاض، فله معجمه الخاص وعبارته الدالة على معان تفهم من السياق. فضلا عن الاختصار الذي يجعل العبارة مركزة مكثفة.

يعتمد بشكل أساس كتاب سيبويه، اختصار ووضوحا، فإذا حضر الماء بطل التيمم. ثم يأتي دور النقل عن العلماء وليس عن مؤلفاتهم، وهم أئمة النحو وعلماؤه الفراء والأخفش الأوسط، يختصر كثيرا على منهجه بطريقة: فقد ذهب كثير من النحويين. ومن النحويين من قال(أبو فنون: 2004: 13).

عباراته الدالة على منهجه التعليمي التدبري

عبارته يوجد فيها فن السجع، وليس هذا بمستغرب، إذا ما عرفنا أنه شاعر ناثر له عبارته وأسلوبه. ومن أبرز الكلمات التي تؤكد ما أقوله:

فتبصر.

ولا يصور لك هذا إلا الشفاه منا أو التجربة منك. فافهم (الفرخان، 1987: 7).

فتأمله بعون الله(الفرخان، 1987: 364)

وأراك تفطنت له فاعتبره.

تحقق هذا بالحواس يرح سرك(الفرخان، 1987: 48-49).

والله أعلم بما أراد (الفرخان، 1987: 67/2)

فعليك بنقل البيان

فتأمل الأصول وقس (الفرخان، 1987: 32/2)

فتأمل هذا وقس عليه ما سواه (الفرخان، 1987: 242/2)

تأملها واعتبر المداخلات (الفرخان، 1987: 2/ 178)

أنعم النظر (الفرخان، 1987: 2/ 249)

وبحسب ما تتحققه بعد إن شاء الله (الفرخان، 1987: 2/ 104).

إبداعه في المصطلحات

مصطلحاته في الغالب متأرجحة بين البصريين والكوفيين، وإن كان يميل إلى البصرة(أبو فنون: 2004: 132). ولكن تفرّد ابن الفرخان بمصطلحات لم أجدها عند غيره من النحاة واللغويين:

المراقبة: القراءات (الفرخان، 1987: 37)

والمحرف أو المحدود: هو المعدول، ومعناه لديه العدْل. مثل زُفَرٍ وزافرٍ، وعُمَرَ وعامرٍ (الفرخان، 1987: 69).

ومن تفرّداته مصطلح (المعلم)، ويعني به الفعل المعروف الذي يحتوي ضميرا(الفرخان، 1987: 39). "فأما المعلم الماضي إذا كان مصوغا للمؤنث الغائب مفردا أو مثنى، وجميع أصناف المستقبل وما يجري معه، أعني النهي، فالعلامات هي التاء في آخر الماضي للمؤنث وفي أول المستقبل لمن يتوجه إليه

الخطاب، سواء كان واحدا أو كثيرا، مذكرا أو مؤنثا، وللغائب المؤنث مفردا ومثنى. والياء للغيبة مع التذكير كيف اجتمعا، ومع التأنيث مع الجمع. والهمزة للمتكلم (الفرخان، 1987: 19).

الخاتمة

بعد هذه الوقفة مع العالم المتفنن الموسوعي النحوي مفتي العراق جمال الدين بن الفرخان، يمكن القول إن هذا الرجل يستحق أكثر من دراسة حول جهوده وآرائه الصريحة، التي تميز ببعضها مخالفا نحاة البصرة والكوفة، بل يُسحب لها أنه من أهل القرن السادس، ومن المعلوم أن العلماء والنحاة في ذلك القرن وما بعده لم يأتوا بآراء أصيلة جديدة، بل كانت جهودهم تكرارا لمن سبقهم، فما ذكره ابن الفرخان يستحق لإشادة والإعجاب.

تفرّد ابن الفرخان ببعض الآراء النحوية في باب البدل وأصل هلمّ، وإعمال اسم الزمان والمكان.

تميّز في جانب الاستشهاد بآيات القرآن الكريم بشكل صارخ وواضح، وعلى غير عادة النحاة واللغويين. الذين لا يكثرون من الاستشهاد بالشعر الجاهلي، ولكن هذا لا يعني تفريطه بالشعر، بل وقف عنده كثيرا.

تميز في الأخذ بالقراءات القرآنية، مع أنه لا يبيّن اسم القارئ، وليس هذا بمستغرب، إذا عرفنا أن هذا من أساليب القدماء. وابن الفرخان حتى في الآراء النحوية لا يحدد صاحب النقل. بل يعرف ذلك من خلال الاطلاع والدربة.

يقترح البحث أن تكون ثمة دراسة لآراء ابن الفرخان بمن سبقه من النحاة، واعتمادا على المنهج الإحصائي الذي يفيد في بيان أثر السابق في اللاحق.

المصادر والمراجع

- ابن بابويه، فهرست منتجب الدين.
- أبو حيان، 1998م، ارتشاف الضرب، تحقيق: مصطفى أحمد النماس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1.
- أبو حيان، 2017م، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هنداوي، دار كنوز إشبيليا، الرياض.
- أبو فنون، (محمد عطا)، 2004م الأصول النحوية عند ابن الفرّخان في كتابه المستوفى في النحو، رسالة ماجستير، بإشراف يحيى عطية عبابنة، جامعة مؤتة، الأردن.
- السيوطي، (جلال الدين عبد الرحمن ت 911هـ)، 1964م، بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط1.
- السيوطي، (جلال الدين عبد الرحمن ت 911هـ)، 2019م، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، دار الحديث، القاهرة، ط1.
- الفارسي، (أبو علي النحوي ت377هـ)، 1993م، الحجة في القراءات السبع، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط2.
- الفرخان، (علي بن مسعود بن محمود الحكم)، 1987م، المستوفَى في النحو، تحقيق: محمد بدوي المختون، دار الثقافة، القاهرة.
- الفرخان، (علي بن مسعود بن محمود الحكم)، 2010م، الوافي في القوافي، تحقيق: عمر خلوف، مجمع أبو ظبي للتراث، أبو ظبي، ط1.
- الواحدي، (أبو الحسن ت 463هـ) 2011م، التفسير البسيط، تحقيق مجموعة من العلماء، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1.

تتبعٌ وتحليل للاعتراضات النحوية في شرح ألفية ابن مالك للمكناسي (ت: 919هـ) دراسة وصفية

م.د. هدى كريم هادي
قسم اللغة العربية/ التربية الأساسية/ الجامعة المستنصرية
drhudakareem4@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص:

تضمنت الدراسة في هذا البحث التتبع والتحليل والوصف للآراء المتعارضة في شرح ألفية ابن مالك للمكناسي (ت: 919هـ)، بينت حينها الآراء المتعارضة ومسببات الاعتراض بين العلماء والأحكام المطلقة في المسائل بعد الاعتراض النحوي توصلت بعدها إن تطور النحو بعد وضع قواعده زاد من حدة الخلافات المرافقة للاعتراضات النحوية، تصدر الاعتراض على أثر ذلك مجموعة من الأقحاح من أصحاب الدراية، لاسيما بعد انعدام السماع والقياس في أقوال المعترض عليه، وزادت حدته بعد الاجتهادات وكثرة الافتراضات وتأويل الشواهد وغير ذلك مما دفع بالعالم النحوي إلى رد الوجه والحكم عيه بالمنع وعدم الجواز.....

الكلمات المفتاحية: تتبع، تحليل، ألفية، المكناسي، وصف.

Abstract:
This study included tracking, analyzing, and describing the conflicting opinions in Alfiyyah Ibn Malik by Al-Maknasi (d. 919 AH). It then clarified the conflicting opinions, the causes of the objections among scholars, and the absolute rulings on issues following the grammatical objection. It then concluded that the development of grammar after the establishment of its rules increased the intensity of the disagreements accompanying the grammatical objections. Consequently, the objection was issued by a group of distinguished scholars, especially after the lack of listening and analogy in the statements of the objected to. The intensity of the objection intensified after the efforts, the proliferation of assumptions, the interpretation of evidence, and other matters, which prompted the grammarian to reject the argument and rule it as forbidden and impermissible.
Keywords: tracking, analysis, millennium, Al-Maknasi, description

المقدمة

الحمد لله رب العالمين المتفرد بشريف الاختراع والمتفضل بلطيف الاصطناع الذي أوجد عالم الإنسان محفوفاً بمزايا الإحسان مهيأ لإدراك العلوم قابلاً للمنقول منها والمفهوم، فجعل النحو من أشرف العلوم والمعارف إذ به يتعرف على كتابه وخطابه ومنهجه (أبو حيان، 1998، ينظر: 5/1)، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، أمّا بعد:

تصدر جهابذة العلم لحماية علم النحو فبذلوا الكثير لأجل تقعيد القواعد وتأصيل الأصول حفاظاً منهم على اللغة من الفساد واللحن فأبعدوا عنها ما ليس منها سلكوا لذلك طريق المخالفة والاستدراك أو الاعتراض، فقابلوا لأجل ذلك ما تبنوه من قواعد ونصوص وشواهد بما يخالفها فلم يقتصر الأمر على القدماء منهم بل اعترض المتأخرون على من سبقهم وجاز لهم ذلك بعد تعقب دراسات

من سبقهم للوصول باللغة إلى مرحلة الكمال والحفاظ عليها، وقد أشار إلى ذلك ابن مالك (ت: 672هـ) قائلاً: ((وإذا كانت العلوم منحة إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين))(ابن مالك، 1990: 2).

ولأنّ ألفية ابن مالك أكب العلماء عليها شرحاً واستدراكا واختصاراً استهواني بعدها البحث في شرح المكناسي لهذه الألفية، لاسيما الاعتراضات النحوية المنقولة فيها فلأجل ذلك وسمت بحثي بعنوان ((تتبعٌ وتحليلٌ للاعتراضات النحوية في شرح ألفية ابن مالك للمكناسي(ت: 919هـ) دراسة وصفية))، قسمت البحث حينها على أربعة مباحث استعرضت في المبحث الأول التعريف بالمكناسي وكتابه (شرح ألفية ابن مالك)، وتضمن المبحث الثاني حديثاً عن المعترضين نحوياً في كتابه أمّا المبحث الثالث فتحدثت فيه عن مسببات الاعتراض التي ذكرها المكناسي وغيره عن العلماء، ثم ختمتها بالمبحث الرابع الذي وسمته بـ(الحكم بعد الاعتراض النحوي).

اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر القيمة كـ(التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل)و (شرح الألفية للمرادي) و(شرح الألفية للشاطبي)، توصلت بعدها إلى أهم النتائج منها: جميع الاعتراضات النحوية التي أوردها المكناسي قامت على الردود لا المناظرات العلمية، وقد تميز أسلوب المكناسي بالتناقض إذ أجده يعترض على المسألة النحوية لعدم ورود السماع وفي مواضع أخرى يعارض من يمتلك أدلة سماعية لاسيما الشواهد الشعرية ويتهم أصحابها بالتأويل، أو أنّه لا يشير إلى ما احتج به العالم الذي اعترض عليه فينقل الأقوال عنهم منقوصة.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلِف والمؤلَف:

1- التعريف بالمؤلِف:

هو شيخ الجماعة الإمام والعلامة الحافظ والحجة والخطيب محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي ثم الفاسي، عُرّف عنه جامع شتات الفضائل خاتمة علماء المغرب وآخر محققيهم، كان المكناسي إماماً مقرئاً مجوداً صدراً في القراءات متقناً فيها عارفاً بوجوهها وعللها(أحمد، 2000، ينظر: 581).

رحل الناس إليه للأخذ عنه إذ كان عذب المنطق حسن الإيراد والتقرير فصيح اللسان عارفاً بصناعة التدريس ممتع المجالسة جميل الصحبة سري الهمة حسن الأخلاق عذب الفكاهة (مخلوف، 2003: 1/ 398)، اختلف الناس في سبب ولادته فقال بعضهم: ولد سنة 841هـ، وقال غيرهم في سنة 858هـ ويرجح آخرون أنّه ولد 841هـ (المكودي، 2005، ينظر: 15).

نشأ المكناسي في مكناس وارتحل بعدها إلى فاس لأجل طلب العلم، فكان عالماً مبرزاً عارفاً علوم اللغة والفقه والتفسير والرجال والحديث والسير والتاريخ والأدب (الحسيني، 1380ه، ينظر: 1/ 208-209)، تتلمذ حينها على يد الأقحاح كأمثال (أبي زيد الكاواني) و(أبي العباس المزدغي) و(الإمام القوري)و (ابن مرزوق الكفيف)(مخلوف، 2003، ينظر: 1/ 399).

وتخرج بين يديه عامة طلبة فاس فأخذ من علمه (ابن العباس الصغير) و(أحمد الدقون) و(المفتي علي بن هارون)، ألف المكناسي العديد من المؤلفات منها (شفاء الغليل في حل مقفل خليل)و(مواضع مشكلة في المختصر) و(تكميل التقييد وتحليل التعقيد)، توفي في سنة: 919هـ (أحمد، 2000، ينظر: 581).

2- التعريف بالمؤلَف:

اسمه هو (شرح ألفية ابن مالك في النحو والصرف)، وسمي بـ(إتحاف ذوي الاستحقاق ببعض مراد المرادي وزوائد أبي إسحاق) وسماه بعض العلماء

بـ(إمتاع ذوي الاستحقاق،بعض مراد المرادي وفرائد أبي إسحاق)(المكناسي، 1979: 170).

وأشار محقق الكتاب أنّه ورد عند بروفسنال باسم (إمتاع ذوي الاستحقاق ببعض مراد المرادي وزوائد أبي إسحاق)(المكودي، 2005، ينظر: 49) وأطلق عليه ابن القاضي المكناسي (ت: 960ه-) (إمتاع ذوي الاستحقاق ببعض مراد المرادي وفوائد أبي إسحاق) (المكناسي، 1971، ينظر: 2/ 147).

ألفه العالم: محمد بن أحمد بن غازي المكناسي (ت: 919ه-)، درس الكتاب وحققه: حسين عبد المنعم بركات، قسم الكتاب على جزأين طبع الكتابة في سنة: 1999م.

افتتح المؤلِف الكتاب بالبسملة والصلاة على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ثم حمد الله وشكره، ضم الكتاب أبيات لألفية ابن مالك معنونة ابتدأها بالكلام وما يتألف منه وانتهى بالإدغامقام المكناسي بشرحها مبينا مع ذلك شرح العلماء لها.

شمل الكتاب على موضوعات نحوية والصوتية والصرفية، وضح مضمون الكتاب بعض العبارات الغامضة ونسب المكناسي الآراء إلى أصحابها، وقد وصل الكتاب القارئ بشرحين جليلين الأول (شرح الألفية للمرادي)صاحب القيمة المفيدة والثاني(شرح الألفية للشاطبي)الذي عدّ من أحسن شروح الألفية لما امتاز به الشاطبي من سعة الاطلاع وعلو الأفق (المكناسي، 1999، ينظر: 1/ 52).

المبحث الثاني: المعترضون نحوياً:

إنّ من سمات العلوم وخصائصها الخلاف بين العلماء في المسائل بعد الاحتجاج بالأدلة لإثبات صحة الأقوال، لاسيما بعد تنوع وجوه الاستنباط واختلاف المفاهيم وتباين الاجتهادات وتفسيرها (أحمد، 2024، ينظر: 13/ 22)، إذ تعقب الكثير من العلماء في دراساتهم من سبقهم فشرحوا مؤلفاتهم

وحللوها ووصفوها ونقدوها وتتبعوها واعترض آخرون عليها مصنفين في هذا الاعتراض الكتب التي بينت ما وقع فيه غيرهم من الأخطاء أو ما خالف مذهبهم وتوجههم (علي، ينظر: 237).

فالاعتراض هو: ((عمل علمي رصين يقوم على مقابلة الأدلة والحجج ولا يهدف إلى التتبع المقصود للأخطاء والهنات بل يهدف إلى بيان المعنى والحقيقة على وجه الصواب))(آل قميشان، ينظر: 18)، وما هو إلا محصلة نتجت عن ما أكب عليه علماء العربية من دراسة قامت على الصبر والمصابرة والمرابطة في تحصيل هذا العلم الجليل، امتلكوا بعدها ناصية اللغة وقواعدها التي استقرت في أذهانهم، واستظهروا حينها المسموع الهائل من لغة العرب فسبروا أغوارها وأخرجوا مكنوناتها وأطالوا الوقوف عند دقائقها ولطائفها فلم تشغلهم دنيا ولا بيع عن إرساء أصولها وقواعدها (آل قميشان، ينظر: 7-8).

وإنّ الردود والمناظرات التي نشأت بين العلماء تعدّ مظهراً من مظاهر الاعتراض النحوي والتي قامت على إقرار الحجج وبينت ما اختلف فيه، فكانت سبباً في تأصيل القواعد واستقرارها، فمن خلالها ظهر الأثر المحمود الذي انعكس على الحياة العلمية عامة وعلى العلماء خاصة(بنت فهد، 2018، ينظر: 10-11).

نفهم مما تقدم إنّ الاعتراض قام على المناظرات والردود وإنّ الاعتراض الذي بينه المكناسي في كتابه قام على الردود بين العلماء لا المناظرات، فاعترض المكناسي على العلماء وزادت حدة اعتراضاته على ابن مالك فكان يعترض على أبيات الألفية وما تحمله من معنى حتى وصل فيه الأمر إلى تدوين أبيات شعرية يقول حينها: لو ابن مالك قالها بهذا الشكل(المكناسي، 1999، ينظر: 164/1-165، 184/1).

أو أنه يعترض عليه بأقوال العلماء(المكناسي، 1999، ينظر: 2/ 40-42، 2/ 107-108، و1/ 226-227، و335/1)، وأجده يعترض قول ابن مالك ويرد

عليه بأشد العبارات، كقوله معترضاً عن رأي ابن مالك: ((وفي علم أصول العربية شفاء الغليل في أمثال هذه المسائل، وكثيراً ما يخفى هذا الأصل على الشادين في علم العربية بل على من يدعي فيها التحقيق(المكناسي، 1999: 2/ 17).

وقال أيضاً: ((فالحق إنّ ابن مالك في هذه القاعدة غير مصيب كما لم يصب في اعتبار ضرورات الشعر باعتبار ما يجوز تبديله أو لا يجوز))(المكناسي، 1999: 2/ 95).

واعترض المكناسي على ابن الناظم بأقوال نقلها عن الشاطبي والمكودي(المكناسي، 1999، ينظر: 2/15-16،و2/ 43-44، 2/ 99).

وفي أغلب اعتراضات المكناسي وجدته يساند سيبويه ويعترض القول لأجله فكان يؤيده بشدة ويلتزم رأيه(المكناسي، 1999، ينظر: 2/ 7، و2/ 15-16) ومن المعترضين في شرح الألفية للمكناسي أيضاً وجدت المكناسي يتعرض ابن عصفور(المكناسي، 1999، ينظر: 2/113-114)، ووجدت اعتراضا لأبي حيان على أبي علي الشلوبين وعلى ابن مالك(المكناسي، 1999، ينظر: 1/314-315، و1/ 318، و2/ 7)، واعترض الشاطبي على ما اختاره الكسائي من رأي وما استدل به من قراءات (المكناسي، 1999، ينظر: 1/ 171-173.).

ووجدت المكناسي ينقل اعتراضات العلماء النحوية على الإجماع الكوفي أو البصري(المكناسي، 1999، ينظر: 11/ 351،/ 268، و1/ 343، و1/ 317)، وقد يستعرض المكناسي اعتراضه على الأكثرية النحوية(المكناسي، 1999، ينظر: 2/ 39-40).

ومن اعتراضات المعترضين نحوياً في (شرح ألفية ابن مالك) في الحديث عن جواز مجيء المبتدأ أو غيره بعد(إذا الفجائية)، فابن مالك(ت: 672هـ) يرى أنّ من جوّز مجيء غير المبتدأ بعد إذا الفجائية لا يلتفت إليه وإن كان سيبويه من جوّز ذلك (ابن مالك، 1990، ينظر: 139-140) و(المكناسي، 1999: 2/ 6).

وهذا يعني أنّ سيبويه (ت: 180هـ) جوّز وجهاً اعترض عليه ابن مالك لاحقاً وعندما بحثت عن رأيه في كتابه وجدته يجوّز غير المبتدأ في الدخول على إذا،

فقال سيبويه: ((لأنّ (أمّا وإذا) يقطع بهما الكلام وهما من حروف الابتداء يصرفان الكلام إلى الابتداء، إلا أن يدخل عليهما ما ينصب ولا يحمل بواحد منهما آخر على أول))(السيرافي، 2008: 1/ 95).

ووافق أبو علي السيرافي (ت: 368ه-) ما ذهب إليه سيبويه في هذه المسألة فجاز عنده (لقيت زيداً وإذا عبدَ الله يضربه بكرٌ)(السيرافي، 2008، ينظر: 1/ 398).

وعن هذه المسألة سأل ابن جني (ت: 392ه-) أبا الفتح الزعفراني، فقال: ((هل يجوز (إذا زيداً ضربته)، فقال: نعم، فقال ابن جني: يلزمك إيلاء (إذا الفجائية) الفعل ولا يليها إلا الأسماء، فقال: يلزم ذلك؛ لأنّ الفعل ملتزم الحذف))(الصبان، 1999: 1/ 297).

فابن جني سبق ابن مالك في طرحه، وبعد ابن جني تتبعت رأي العلامة بهاء الدين النحاس (ت: 698هـ)في هذه المسألة فوجدته لايجوّز مجيء غير الجملة الابتدائية بعد (إذا الفجائية) فلم يجز عنده إضمار الفعل بعدها استناداً إلى رأي متقدمي النحو إلا الأخفش (النحاس، 2004، ينظر: 189-190).

ثم بعد ابن مالك واعتراضه على سيبويه ينقل المكناسي رأي أبي حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، يعترض في رأيه على ما قاله ابن مالك، فقال المكناسيناقلاً ما جاز عند الأخفش (ت: 215هـ) وأبي حيان ومعترضاً على رأي ابن مالك: ((هذا ليس بصحيح إذ قد يليها الفعل مقروناً بـ(قد) كما نقل الأخفش لمعاملتهم المقرون بـ(قد) معاملة الأسمية وعليه يحمل كلام سيبويه)) (المكناسي، 1999: 2/ 7).

وقد استند الأخفش في رأيه هذا على ما حكاه العرب فجاز عنده قولهم: (خرجت فإذا قد ضرب زيد عمراً)، فاشترط الأخفش في جواز المسألة وجود (قد) بعد إذا الفجائية حتى يجوّز مجيء الفعل وإلا فلا يجوز غير ذلك عنده (أبو حيان، 1998، ينظر: 6/ 305-306).

ثم يبين أبو حيان الأندلسي وجه اعتراضه وما جوزه من وجه وافق فيه الأخفش أن الفعل المقرون بـ(قد) أجري مجرى الجملة الاسمية؛ لأنّ العرب عاملته معاملة الجملة الاسمية في واو الحال، فعلى رأي الأخفش يعد حمل الكلام الذي قاله سيبويه في ظاهره صحيحاً فكان هذا معنى قوله (إلا أن يدخل عليهما ما ينصب)(أبو حيان، 1998، ينظر: 6/ 305-306).

ثم بعد ذلك يستعرض المكناسي قولاً لأبي حيان رد فيه على ابن مالك، فقال على لسان أبي حيان: ((وكأنّ المصنف لم يطلع على نقل الأخفش، وانظر جسارته على سيبويه، وقد كشف له الغيب أنّه هو الذي لا يلتفت إليه وأنّ كلامه مردود عليه)) (أبو حيان، 1998: 6/ 305-306)، (المكناسي، 1999، ينظر: 2/ 7).

ثم ينتهي المكناسي قوله: بأنّ المرادي اختار ما ذهب إليه سيبويه والأخفش وجعله هو الصحيح (المكناسي، 1999، ينظر: 2/ 7)، وبعد ذلك تتبعت رأي المرادي الذي أ شار إليه المكناسي في كتابه، فوجدته يناقض الرأي فتارة أجده يقول: ((فقد تقرر أنّ (إذا الفجائية) لا تليها غالباً إلا الجملة الاسمية فلم تحتج إلى التوضيح لوضوحها))(المرادي، 2008: 3/ 1285).

وفي موضع آخر من كتابه أجده يوافق الأخفش في قوله ويجعله القول الصحيح(المرادي، 2008، ينظر: 2/ 614)، بعد ذلك تتبعت قول ابن مالك في هذه المسألة وجدته يستند إلى قول العرب فيما اختاره، فهو يرى أنّ العرب ألزمت (إذا) ألا تليها إلا مبتدأ بعده خبر أو خبر بعده مبتدأ ومن خالف ذلك فقد خالف العرب في نثرها ونظمها (ابن مالك، 1990، ينظر: 2/139-140).

ثم أجد ابن الناظم (ت: 686هـ) يؤكد رأي والده فلايجوز عنده نصب ما بعد (إذا الفجائية) بفعل مضمر؛ لأنّ ذلك يخرجها عما ألزمها العرب من الاختصاص بالابتداء وهذا الأمر غفل عنه الكثير من النحويين فلاسبيل إلى جواز قولهم:(خرجت فإذا زيداً يضربه عمرو) (المكودي، 2005، ينظر: 173).

وأيضاً وافق الوقاد(ت: 905هـ)ومحمد الصبان (ت: 1206هـ) قول ابن مالك حتى جعلوه الوجه الأصح(الوقاد، 2000، ينظر: 459/1) و(الصبان، 1999: 1/ 296هـ).

نفهم مما تقدم أنّ الأخفش نقل عن العرب وابن مالك استند في رأيه إلى ما قالته العرب، ولكن الذي شاهدناه أنّ المكناسي بين قول الأخفش مستندا إلى قول العرب دون ابن مالك، وكأنه لم يرد تثبيت الحجة لابن مالك في قوله المعارض لسيبويه وهذا ما لا يجوز في قواعد اللغة، فكان الأجدر به لأجل الدقة نقل كامل النص عنه حتى يتوصل القارئ بنفسه إلى ما صح عن العرب.

المبحث الثالث: مسببات الاعتراض النحوي:

إنّ الاختلاف في الآراء والاعتراض عليها تعدّ ميزة جبل عليها الإنسان، نتج ذلك عن اختلاف الإدراكات العقلية والإمكانيات المتباينة، فقلما نجد علماً يخلو من الاعتراضات لاسيما علم النحو الذي ارتبط بلغة القران التي فضلت على سائر اللغات (سالم، 2025، ينظر: 483-484).

وإنّ الأسباب في ظهور الاعتراضات بين العلماء في المسائل النحوية كثيرة لاسيما بعد فترة التأليف والتصنيف، وجدت حينها من الأسباب ما هو مرتبط بمادة اللغة وطبيعة النحو وأدلته الأصيلة والفرعية، ومنها ما خرج عن ذلك كالأمور العقدية أو المذهبية (محمد، ينظر: 265).

ومنها ما يتعلق بالتناقض أو إجمال الكلام الذي يحتاج إلى التفصيل والإيضاح، ومنها أيضاً ما يعنى بصياغة العبارة أو نسبة الآراء إلى العلماء هي ليست لهم (إبراهيم، ينظر: 55).

وعرض المكناسي الأسباب التي أدت إلى الاعتراض والتي لم يبتعد كثيراً عما أشار إليه من سبقه فأشار إلى مخالفة الاستقراء والإجماع كسبب من مسببات الاعتراض عنده وعند غيره من العلماء(المكناسي، 1999، ينظر: 1/ 159-160)، فالاستقراء عمل عقليقام على الملاحظة والتتبع للغة العربية وما يطرأ

عليها من ظواهر، وهو أحد أنواع الأدلة العقلية ينتقل الحكم خلالها من الجزئي إلى الكلي فيلحق الفرع بأصله والنوع بجنسه (حسن، 1993، ينظر: 188).

وقد شكل الاستقراء عند العلماء حضوراً بارزاً ودوراً مهماً في بناء القواعد النحوية، فهو من الوسائل المهمة التي اعتمدها العلماء في إرساء القواعد والضوابط والمعايير واستخراج التقاسيم والأنواع (المالكي، ينظر: 2)، فلا عجب بعد ذلك من انتفاض العلماء على من خالف في رأيه الاستقراء أو الإجماع؛ لأنه بني على دراسة دقيقة تحمل عنائها الأقحاح منهم ثقات العلم والمعرفة.

ومن الأسباب التي وجدتها في شرح المكناسي (عدم ورود السماع) (المكناسي، 1999، ينظر: 1/ 284-285، و2/ 192-193)، وهذا من الأسباب الأساسية التي اعتمدها أغلب النحاة واحتجوا ببطلان الكثير من المسائل؛ لأن السماع المعيار الأول الذي خضعت له رواية اللغة (موتية، 2023، ينظر: 605).

وهو: ماثبت في كلام من يوثق بفصاحته فشمل كلام الله بآياته وقراءاته وكلام نبيه محمد - عليه الصلاة والسلام - وكلام العرب الثقات (السيوطي، ينظر: 39)، فالسماع عند العلماء الوسيلة المثلى في اكتساب المعارف ونقلها وهو خير وسيلة لنقل الشعر عن رواته وحفظته وأسمى طريقة لتلقي القرآن والحديث الشريف، فهو أبو الملكات الإنسانية وأرقاها(موتية، 2023، ينظر: 604).

ومن الأسباب التي أشار إليها المكناسي أيضاً (مخالفة القواعد المثبتة على الأصول) (المكناسي، 1999، ينظر: 1/ 342-343، و1/ 310-311)، فالقواعد النحوية هي ((قانون لغوي وهذا القانون اللغوي دستور عربي عام وهو نتاج جماعي مشترك بني على الاستقراء والاستنتاج ثم التقنين والتقعيد، فالأصل في كل علم أن يكون جمعاً لجهود متقاربة مجتمعة على أصل واحد وهدف واحد بعينه))(نشأة القاعدة النحوية وتطورها: 3521).

وعلى الرغم من التأكيد على أهمية السماع كدليل مهم في صحة المسائل النحوية عند المكناسي، إلا أنّني أجده أحياناً يشير إلى ما استدل به من اعترض رأيه بالمتأول، أي: أن أصحابها تأولوا هذه الأدلة المسموعة، وعليه فقد عدّ

(تأويل الأدلة المسموعة) أحد مسبباب الاعتراض النحوي في شرح الألفية للمكناسي(المكناسي، 1999، ينظر: 1/ 265، 1/ 343).

وعلى ذلك جعل العلماء من الأدلة السماعية سبباً للاعتراض عليها بسبب ما تأوله أصحاب الرأي المعارض له، فالنحاة عندما جمعوا المادة اللغوية التي تمكنهم من الاحتجاج بها وبحسب الشروط التي استقروها وصنفوها، اختلف بعضهم في توجيه بعض من النصوص والتراكيب النحوية المخالفة للقواعد الموضوعة حين ذاك بذلوا مافي وسعهم لردها إلى الصورة التي صاغوا قاعدتهم عليها، فاضطروا لأجل ذلك إلى التأويل الذي به ترد التراكيب في مجملها إلى أصلها (علي، 2022، ينظر: 217).

نستنتج من ذلك إنّ اللغة استعمال موصل إلى الفهم، إذاً هي ليست عقلاً ولامنطقاً ولافلسفة، وعليه فإنّ إثارة قضية التأويل في النحو مسألة كان لزاماً على النحويين أن يراجعوا أنفسهم في تطبيقه من عدمه(علي، 2022، ينظر: 219)، فقد يأتي التأويل جبراً عند معظم النحاة حتى يلحقوا بالقاعدة ماليس منها، لاسيما بعد ورود السماع لإيجاد وجهاً سلساً يقارب فيه الفرع الأصل.

ومن مسببات الاعتراض الأخرى التي أشار إليها المكناسي على لسانه أو لسان غيره من العلماء ما يتعلق بالأبيات مجهولة القائل أو المختلف في روايتها(المكناسي، 1999، ينظر: 351-352، و2/ 72-73)، وهذا الأمر وجدته كثيراً عند النحاة ممن لم يقبل بالأبيات المسموعة المخالفة للقاعدة النحوية، لاسيما المختلف في روايتها أو مجهولة القائل.

وأشار ابن الجزري (ت: 833ه-) إلى سبب الاختلاف، فقال: ((كانت العرب التي نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى يصعب على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعلم والعلاج، لاسيما الشيخ والمرأة))(الجزري، 1431ه: 22/1).

قال السيوطي (ت: 911هـ) في اختلاف الرواية: ((كثيراً ماتروى الأبيات على أوجه مختلفة، وربما يكون الشاهد في بعضها دون بعض وقد سئلت عن ذلك قديماً فأجبت باحتمال أن يكون الشاعر أنشده مرة هكذا ومرة هكذا))(السيوطي: 63).

ونجد مسببات الاعتراض النحوي في شرح المكناسي واضحة فيما أجازه أهل الكوفة من رأي اعترض عليه ابن مالك والمرادي في (جواز دخول اللام بعد لكن من عدمه)، قال فيها المكناسي عن المرادي: ((وأجاز الكوفيون دخولها بعد (لكن)، وما احتجوا به متأول)) (المرادي، 2008، 530/1)، (المكناسي، 1999، ينظر: 1/ 351).

فالنص يبين لنا اعتراض المرادي وإنّ سبب الاعتراض عنده إنّ الكوفيين تأولوا ما استدلوا به، إذ أن الكوفيين استدلوا بجواز ذلك بقول الشاعر:

ولكنني من حبها لعميد

ونسبه أهل الكوفة إلى أنّه قول بعض العرب(المرادي، 2008، ينظر: 530/1)، و(المكناسي، 1999: 1/ 351)، وقال ابن مالك معترضاً على ما استدل به أهل الكوفة من بيت: ((ولا حجة فيه لشذوذه، إذ لا يعلم له تتمة ولا قائل ولا راوٍ عدلٍ))(ابن مالك، 1990: 2/ 29-30).

فمسبب الاعتراض عند ابن مالك شذوذ البيت ؛ولأنّه مشكوك النقل ومجهول القائل ولا تتمة له، وذكر المكناسي إنّ هذا الاعتراض لم يرتضيه أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، فقال فيه أبو حيان: ((أقرّ أنّه قول بعد العرب، وإذا أقرّ بهذا لم يقدح عدم تعين قائله، كأبيات مجاهيل في كتاب سيبويه ولا يضر جهل التتمة لحصول الشاهد دونها، وأمّا نقل العدل فكفى بالكوفيين عدولاً)) (أبو حيان، 1998: 5/ 118)، (المكناسي، 1999، ينظر: 1/ 352).

فمسببات الاعتراض عند أبي حيان كانت للتشكيك بصحة الإجماع الكوفي من جهة ومن جهة أخرى إنّ مجاهيل الأبيات وعدم تتمتها لم تصلح أن تكون حجة مبررة لصاحبها ابن مالك، وتتبعت المسألة بعد هذه الأقوال بحثاً عن

مسببات أخرى قد يلجأ لها العلماء وجدت حينها أبا البقاء العكبري (ت: 616هـ) قد بين اعتراض الأولين على الرأي الكوفي فلا يجوز عندهم دخول لام التوكيد على خبر (لكن)، فلو جاز لكثر ذلك في السماع، لاسيما في القرآن الكريم والشعر والكلام، والسبب الثاني أنّ اللام في هذا الباب للتوكيد وإنّ (لكن) للاستدراك فلا يجوز أن تدخل؛ لأنّ الحرف زائد والأصل لايزاد شيء إلا لمعنى (العكبري، 1986، ينظر: 353-354).

فسبب الاعتراض عند الأولين في هذه المسألة عدم ورود السماع وكثرته وكذلك لايجوز الجمع بينهما، ويوافقهم ابن عصفور (ت: 669هـ) في ذلك (الأشبيلي، 1998، ينظر: 1/ 427)، ويجعل بهاء الدين النحاس(ت: 698هـ) قول أهل البصرة هو الصحيح؛ لأن سبب الاعتراض عندهم التناقض بين ماتحمله (لكن) من معنى يختلف عن (اللام)، فبين أنّ (لكن) تقتضي تعلق الثاني عنهما بما قبلهما على ما تقدم، واللام تقطع ما بعدها عما قبلها لذلك يمنع الجمع بينهما(النحاس، 2004: 219-220).

واعترض بهاء الدين النحاس أيضاً على البيت الذي استدل به الكوفيون، فقال: ((أمّا البيت فلا يعرف قائله ولا أوله ولم ينشده أحد ممن وثق به في اللغة ولا عزي إلى مشهور بالضبط والإتقان وفي ذلك ما فيه، ثم أنّه لو صححناه لا حجة لهم فيه))(النحاس، 2004: 219-220).

وأضاف ابن هشام (ت: 761هـ) إلى قول من سبقه إن ما احتج به الكوفيون لا نظير له في العربية (الأنصاري، 1985، ينظر: 385)(تخليص الشواهد: 358-359)، واعترض محمد بن يوسف (ت771هـ) على الرأي الكوفي وسبب اعتراضه معنى الابتداء لم يبقَ كبقائه مع (إنّ) فـ(لكن) الكلام معها مفتقر إلى كلام قبله (ناظر الجيش، 1428ه، ينظر: 3/ 352).

ووافق الشاطبي (ت: 790هـ) رأي من سبقه فكان من المحتجين في قلة السماع في ذلك ونسب البيت المستدل عند الكوفيين إلى الأبيات المهجورة عند

العرب، وأضاف قائلاً: ((لو كان قياسًا لوجد في السماع كثيرًا، لكنه لم يُوجَدْ منه إلّا هذا الشطر، فدلّ على أنه عند العرب مهجورٌ -لأنّا نقول: لا تعتبر القلّة والكثرة في السماع إلّا إذا كان القياس يدفعه ويعارضه، فأما إذا كان جاريًا على القياس ولم يكن له معارض، فلا يندفع بالقلّة))(الشاطبي، 1438ه: 2/ 346).

المبحث الرابع: الحكم بعد الاعتراض النحوي:

إنّ معيارية النحو العربي تستند في جملتها إلى ركائز عملية تقوم في الدرجة الأولى على وعي المستويات اللغوية والمعايير التي تميز جيد الكلام من الرديء (عطية، 2022: 2301).

فقد عرف جيد الكلام من غيره من القاعدة التي اعتمدها النحوي في لغته، فبنى عليها أحكامه المقبولة والمردودة على غيره، وقد أشار السيوطي إليها فقال: ((الحكم النحوي ينقسم إلى واجب وممنوع وحسن وقبيح وخلاف الأولى، فالواجب كرفع الفاعل وتأخيره عن الفعل ونصب المفعول وجر المضاف إليه وتنكير الحال والتمييز والممنوع كأضداد ذلك))(السيوطي: 30).

وبعد التتبع والبحث عن الأحكام في شرح الألفية للمكناسي وجدته يشير إلى مجموعة من الأحكام تصدر أغلبها(المكناسي، 1999، ينظر: 1/ 362، و2/ 44، و1/ 174)، وجاءت كثرة أحكام أبي حيان من بعده ثم المرادي والشاطبي وابن مالك وابن الناظم وأبي يوسف المرادي(المكناسي، 1999، ينظر: 2/ 7، و2/ 134، 1/ 164، و1/ 285، و321/1، و2/ 203، و1/ 351).

هؤلاء العلماء أطلقوا الأحكام بعد الاعتراض النحوي على رأي غيرهم وحكم بعضهم بـ(لا يجوز، لم يجز، عدم الجواز، مجاز مهمل)((المكناسي، 1999، ينظر: 2/ 44، و1/ 158، و1/ 314، 1/ 164)، فالجائز في العربية: ((أحد الأحكام التي تعتري وجوه الكلام وطرق الانتهاء بها وهو قسيم الوجوب والشذوذ والامتناع والاضطرار))(اللبدي، 1985: 59).

وهو: ((جملة التراكيب الفرعية المستعملة أو الممكنة الناتجة عن الخصائص النوعيـــة والدلاليـــة والتوزيعيـــة للكلمـــات وهـــي إمكانيـــة توفرهـــا اللغـــة لمستعمليها))(العشي، 2000: 6)، فحكم العلماء بعدم الجواز لمخالفة القواعد النحوية الموضوعة، فكان الوجه عندهم ممنوعاً أو شاذاً أو مضطراً فعدم الجواز جاء رداً على من جوّز وجهاً لا يخضع لقانون العرب اللغوي، يقول الدكتور مراجع عبد القادر في ذلك: ((الجوازات النحوية مجال خصب استغله النحاة لعرض أساليب قياسية لم يرد بها الاستعمال وإن كان لها نظير ومشابه في كلام العرب))(الطلحي: 36).

ومن الأحكام الأخرى التي أشار إليها غيرهم في شرح المكناسي (الممنوع) (المكناسي، 1999، ينظر: 2/ 43، و1/ 321، و352، و1/ 312)، قالت الدكتورة خديجة الحديثي عنه: ((الممنوع والمحال حكمان لعدم جواز وجه من أوجه الإعراب أو وجه من أوجه التفسير))(الحديثي، 1974: 289).

فجعلت من الممنوع والمحال وجهان لحكم واحد، وأشار إليه غيرها بأنّه حكم يراد به رفض كل ما لا يوافق مقتضيات الصحة والقواعد الموضوعة لعلة مانعة حالت بينه وبين الصواب (عطية، 2022، ينظر: 2304)، وبعد الممنوع أشار المكناسي في مواضع قليلة جداً في كتابه إلى حكم (القبيح) (المكناسي، 1999، ينظر: 2/ 6)، ولعل السبب في قلة ذلك؛ لأنّ (القبح) لم يكن ذا حدود واضحة في نظر النحويين القدماء، ولكنهم قد استعملوه على التراكيب التي لا ترقى لمستوى الحسن في نظرهم (عطية، 2022، ينظر: 2304).

وقال العلماء في تعريفه: ((ما تزجر عنه الحكمة وليس فيه معنى المقدار، أو هو ما كان منافراً للطبع أو ما خالف الغرض أو ما فيه مفسدة))(الحميداوي، 2011: 137-138)، وحكم العلماء أيضاً في شرح المكناسي بـ(الشاذ، والقليل، والنادر) (المكناسي، 1999: 1/ 351، 1/ 173، و2/ 203)، فالشاذ ما خالف القياس من غير نظير ومنه الشاذ المقبول والشاذ المردود، فالمقبول منه يأتي

مخالفاً للقياس لكنه مقبولاً عند الفصحاء، أمّا المردود فيأتي مخالفاً للقياس ولا يقبل الفصحاء به (الجرجاني، 1983، ينظر: 124).

وأمّا القليل فهو: ((ما يرد في هذه اللغة مما يضعف في القياس ويقل في الاستعمال كثيراً جداً وإن تقصيت بعضه طال))(ابن جني، 1431: 1/ 134)، وإنّ معنى القلة يدل على عدم الشهرة مما يجعل الرأي معه خارجاً عن معنى الفصاحة(حواس، 2002، ينظر: 118).

وأمّا حكم النادر عند العلماء فهو ما كان وجوده قليلاً ولكن بني على القياس (الجرجاني، 1983، ينظر: 124)، ويضاف إلى ماتقدم أحكام أخرى ذكرها الكناسي في شرحه عنه وعن غيره ك- (غير صحيح، ليس بصحيح، غير لازم، فاسد، غير مصيب، لم يصب، غير مسلم، ووهم بلا شك) (المكناسي، 1999، ينظر: 362/1، و7/2، و16/2، و44/2، 72/2، و2/ 99، و1/ 285، و1/ 361).

ونجد ما استعرضه العلماء من أحكام في شرح المكناسي في المسألة النحوية (حذف عامل المؤكد)، فينقل المكناسي لنا أن ابن مالك منع حذف العامل المؤكد ثم يذكر أنّ ابنه اعترض قوله بحكم (لا نسلم)، وسبب المنع عند ابن مالك إنّ المصدر المؤكد يقصد به تقوية العامل وتقرير معناه وحذفه منافٍ لذلك فلم يجز(ابن مالك، 1982، ينظر: 2/ 657).

وحكم ابنه بدر الدين بـ(المسلم به) إذا ما أريد بالمؤكد مجرد التقرير، وحكم بـ(لا نسلم) إنّ الحذف منافٍ لذلك القصد؛ لأنّه يرى أنّهم يجوزون حذف عامل المؤكد إذا كان خبراً عن اسم عين من غير تكرير ولا حصر نحو: (أنت سيراً سيراً) وحذفاً واجباً في قولهم: (سقياً، رعياً، حمداً، شكراً) (ابن الناظم، 2000م، ينظر: 193)، و(المكناسي، 1999: 2/ 42-44).

وأضاف ابن الناظم بعد ذلك قائلاً: ((إنّ المنع في كل هذا يكون إمّا سهواً وإمّا للبناء على أنّ المسوغ يحذف العامل منه على نية التخصيص وهو دعوى على خلاف الأصل ولا يقتضيها الكلام)) (ابن الناظم، 2000م، ينظر: 193-194)، ثم يستعرض المكناسي حكم الشاطبي معترضاً فيه على ابن الناظم بـ(غير

اللازم)؛ لأنّ السماع في ذلك يعدّ معدوماً؛ لأنّه إذا أريد تقرير معنى العامل فقد قصد الإتيان بلفظٍ آخر قد يقدر معنى اللفظ الأول ويؤكده فحذفه مع هذا القصد نقض للغرض(المكناسي، 1999، ينظر: 2/ 43-44).

وعندما بحثت عن قول الشاطبي في كتابه وجدته يشير إلى هذه المسألة بـ(المسألة المشكلة) وحكم في كتابه على رأي ابن الناظم بـ(المنع)، فلا يجوز عنده (زيداً ضرباً) بمعنى (اضرب زيداً ضرباً)، وجاز عنده (ضرباً) في جواب من سأل: من ضربت، وأضاف قائلاً: إنّ بدر الدين لا حجة له على بطلان رأي ابن مالك؛ لأنّ ما استدل به لا دليل فيه، فالمصادر التي ذكرها ابن الناظم لم تأتِ للتوكيد عند الشاطبي، وإنّما هي مصادر بدلت من اللفظ بأفعالها وعوضت عنها، ففائدتها النيابة عن أفعالها وإعطاء معانيها لا تأكيدها، فإنّ (سقياً، ورعياً، وحمداً، وشكراً) لم تكن مؤكدة للجملة المحذوفة فلو كانت كذلك لزم أن تكون مؤكدة للجملة برأسها وذلك غير صحيح(الشاطبي، 1438هـ، ينظر: 3/ 233-238).

نستشف بعد ذلك العرض إنّ المكناسي قدم لنا اعتراضاً ثلاثياً اعترض ابن مالك من خلاله على من سبقه فحكم بـ(المنع)، ثم اعترض ابنه عليه وحكم عليه بـ(لا نسلم) ثم يأتي الشاطبي بحكم (غير اللازم) على ما اعترضه ابن الناظم، ثم ينقل عن ابن هشام أنّه يرى ابن الناظم قد أجاد في بحثه(المكناسي، 1999، ينظر: 2/ 43-44).

فقال ابن هشام في المغني: ((وأمّا حذف الشيء لدليل وتوكيده فلا تنافي بينهما ؛لأنّ المحذوف لدليل كالثابت))(الأنصاري، 1985: 794)، وحكم المكودي بعد ابن هشام على رأي ابن الناظم بـ(المتجه) (المكناسي، 1999، ينظر: 2/ 43-44).

فحكم المكودي بجواز الحذف فلا مانع عنده قولهم: (زيد ضرباً)، أي: (يضرب ضرباً) فإنّ العامل لو ظهر لأصبح الكلام (زيد يضرب ضرباً)، فتعين العامل عندها كونه مؤكداً(المكودي، 2005، ينظر: 114)، وهذا الذي قدمته هو

تتبع وتحليل للآراء التي ذكرها المكناسي في شرحه، عملت بعدها إلى تتبع الآراء التي قيلت في هذه المسألة بحثاً عن من سبق ابن مالك في رأيه، وجدت حينها رأياً لأبي الفتح بن جني(ت: 392هـ) أشار فيه إلى أنّ الحذف والتوكيد لا يجتمعان، فقال: ((إنّ التوكيد والإسهاب ضد التحقيق والإيجاز، فلما كان الأمر كذلك تدافع الحكمان فلم يجز أن يجتمعا)) (ابن جني، 1431: 1/ 288).

وكذلك لا يجوز عنده توكيد الفعل الناصب للقرطاس لمن أرسل سهماً نحو الغرض، فقال: ((لوقلت: إصابة للقرطاس، فجعلت (إصابة) مصدراً للفعل الناصب للقرطاس لم يجز من قبل أنّ الفعل هنا قد حذفته العرب وجعلت الحال الشاهدة دالة عليه ونائبة عنه، فلو أكدته لنقضت الغرض؛ لأنّ في توكيده تثبيتاً للفظة المختزلة ورجوعاً عن المعتزم من حذفه واطراحه والاكتفاء بغيره منه)) (ابن جني، 1431: 1/ 288) و(الشاطبي، 1438، ينظر: 3/ 236).

وحكم ابن جني بعد جواز التوكيد في قولهم للمهوي بالسيف في يده (زيداً)، أي: (اضرب زيداً)، فلا يقال: ضرباً زيداً؛ لأنّه سيؤدي إلى نقض القضية(ابن جني، 1431، ينظر: 1/ 288)، وبعد ابن جني وجدت زين الدين مظفر (ت: 749هـ) يوافق ابن الناظم فأجاز حذف عامل المصدر المؤكد وحكم عليه بـ(الكثير جداً) (ابن المظفر، 2008، ينظر: 1/ 68).

واعترض آخرون على رأي ابن الناظم ووافقوا والده، ومنهم برهان الدين الجوزية (ت: 767هـ) الذي حكم بمنع جواز الحذف(ابن القيم، 1954، ينظر: 1/ 358)، ويرى محمد بن الصبان (ت: 1206هـ) إنّ الأمثلة التي قدمها ابن الناظم تكون مستثناة من عموم قوله (وحذف عامل المؤكد امتنع)؛ لأنّ الحذف منافٍ للتوكيد مطلقاً عنده ((الصبان، 1999، ينظر: 2/ 169)، وأمّا عباس حسن (ت: 1398هـ) فكان يرى أنّ الأصل في المسألة عدم الحذف ولكن العرب التزموا الحذف وباطرادٍ (حسن، 1431، ينظر: 2/ 219)، ولأجل ذلك قال النحاة:

((إنّ عامل المصدر المؤكد لا يحذف حوازاً في الصحيح، وإنّما يحذف وجوباً في المواضع التي التزم فيها العرب حذفه لحكمة مقصودة مع إقامة

المصدر المؤكد مقامه والأمران متلازمان))(حسن، 1431، ينظر: 2/ 219-220).

الخاتمة:

الحمد لله الذي وهب لنا العقل والتفكير السليم الذي قدرنا على التحليل والتتبع الوصف، ومنّ علينا بالعلم والمعرفة وكرمنا باللسان الفصيح والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد - عليه الصلاة والسلام-، فمن المعروف إنّ لكل طريق نسلكه نهاية، ختمت فيها ما توصلت من نتائج فيما ارتآه العقل وارتضته النفس وآلت إليه الحكمة والبصيرة، كان منها:

1- ساهمت الاعتراضات الموضوعية المرتبطة بالنقد البناء قديماً وحتى الآن في حماية معظم القواعد الموضوعة في اللغة لاسيما النحوية منها، فمن خلالها عرّف العرب الجائز في الكلام أو الممنوع، وما هو شاذ ونادر وقليل وقبيح وغير ذلك، فالنحوي عندما يعترض يقدم حكما على المسألة مستنداً على الأدلة المسموعة أو القياس.

2- جميع ماورد من اعتراضات نحوية في شرح الألفية للمكناسي قامت على الردود بين العلماء يعترض فيها عالم على آخر، أو يعترض عالم نيابة عن آخر يسبقه بالعمر، فلم أرَ اعتراضاً أخذ شكل المناظرات بينهم.

3- تتأثر الأحكام النحوية التي يطلقها العلماء بانطباعاتهم الشخصية وتخضع بعضها للميول المذهبية، يتغاضون بسبب ذلك عن نقل مكتمل النص الذي قاله العالم المعترض عليه وهذا ما وجدته عند المكناسي في نقله للآراء التي قالها ابن مالك فيجتزئ في بعض المواضع نصوصه، لا سيما النصوص التي تشير إلى قول العرب.

4- معظم الاعتراضات النحوية كانت منقولة عن العلماء ويختفي حينها رأي المكناسي فلا يظهره ويكتفي بما قاله أو اعترضه غيره.

5- تميز أسلوب المكناسي بالتناقض، فأحياناً أجده يعترض المسألة لعدم ورود السماع والاستقراء، واحياناً يعترض الأدلة المسموعة فيجعلها أدلة متأولة أو شاذة لا يؤخذ بها.

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب:

1- ابن القيم، (برهان الدين إبراهيم ت 767هـ)، 1954م، إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، تحـ: د. محمد بن عوض، ط1.

2- ابن المظفر، (زين الدين عمر ت 749هـ)، 2008م، تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة، تحقيق ودراسة: عبد الله بن علي، ط1.

3- ابن الناظم، (بدر الدين محمد بن جمال بن مالك ت 686هـ)، 2000م، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحـ: محمد باسل عيون السود، ط1.

4- ابن جني، (أبو الفتح الموصلي ت 392هـ)، 1431هـ، الخصائص، ط4.

5- ابن مالك، (جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي ت 672هـ)، 1982م، شرح الكافية الشافية، حققه وقدم له: عبد المنعم أحمد، ط1.

6- ابن مالك، (جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي ت 672هـ)، 1990م، شرح تسهيل الفوائد، تحـ: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختوم، ط1.

7- أبو حيان، (محمد بن يوسف الأندلسي ت 745هـ)، 1997م، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحـ: حسن هنداوي، ط1.

8- أحمد، (بابا بن أحمد ت 1036هـ) 2000م، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله، ط2.

9- الأشبيلي، (علي بن مؤمن بن عصفور ت 669هـ)، 1998م، شرح جمل الزجاجي، قدم له ووضع هوامشه: فواز الشعار، إشراف: أميل بديع، ط1.

10- آل قميشان، (ناصر محمد)، اجتهادات ابن مالك واعتراضاته على العلماء العرب، ط1.

11- الأنصاري، (عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام ت 761هـ)، 1985م، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن مبارك ومحمد علي، ط6.

12- الجرجاني، (علي بن محمد ت 816هـ)، 1983م، التعريفات، تح: جماعة من المحققين، ط1.

13- الجزري، (شمس الدين محمد بن محمد ت 833هـ)، 1431هـ، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد، ط1.

14- حسن، (عباس ت 1398هـ)، 1431ه، النحو الوافي، ط15.

15- حسن، (عبد الرحمن)، 1993م، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ط4.

16- الحسيني، (عبد الله كنون ت 1409هـ)، 1380هـ، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2.

17- الحديثي، (خديجة)، 1974م، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت.

18- الحميداوي، (نزار بنيان)، 2011م، الأحكام التقويمية في النحو العربي دراسة تحليلية، ط1.

19- السيرافي، (الحسن بن عبد الله ت 368هـ)، 2008م، شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن وعلي السيد، ط1.

20- السيوطي، (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ت 911هـ)، الاقتراح في أصول النحو، طبعه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية، راجعه وقدم له: علاء الدين.

21- الشاطبي، (أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ت 790هـ)، 1438هـ، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تح: مجموعة من المحققين، ط1.

22- الصبان، (أبو العرفان محمد بن علي ت 1206هـ)، 1999م، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ط1.

23- العكبري، (أبو البقاء عبد الله بن الحسين ت 616هـ)، 1986م، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، تح: عبد الرحمن العثيمين، ط1.

24- اللبدي، (محمد سمير)، 1985م، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ط1.

25- مخلوف، (محمد بن محمد بن عمر ت 1360هـ)، 2003م، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد الخيالي، ط1.

26- المرادي، (أبو محمد بد الدين ت 749هـ)، 2008م، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، ط1.

27- المكناسي، (أبو العباس أحمد ت 960هـ)، 1971م، درة الحجال أسماء الرجال المطبوع في ذيل وفيات الأعيان، تح: محمد الأحمدي، ط1.

28- المكناسي، (محمد بن أحمد بن محمد بن غازي ت 919هـ)، 1979م، التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد، تح: محمد الزاهي، ط1.

29- المكناسي، (محمد بن أحمد بن محمد ت 919هـ)، 1999م، شرح ألفية ابن مالك (إتحاف ذوي الاستحقاق ببعض مراد المرادي وزوائد أبي إسحاق)، تح: حسين عبد المنعم بركات، ط1.

30- المكودي، (أبو زيد عبد الرحمن علي ت 807هـ)، 2005م، شرح ألفية ابن مالك، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1.

31- ناظر الجيش، (محمد بن يوسف الحلبي ت 778هـ)، 1428هـ، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، دراسة وتحقيق: علي محمد وآخرين، ط1.

32- النحاس، (بهاء الدين محمد بن إبراهيم ت 698هـ)، 2004م، التعليقة على المقرب، تح: جميل عبد الله، ط1.

33- الوقاد، (خالد بن عبد الله ت 905هـ)، 2000م، شرح التصريح على التوضيح، ط1.

ثانياً: الرسائل:

1- بنت فهد، (نجوى)، 2018م، الاعتراض بالمعنى على الشاهد الشعري دراسة نحوية، رسالة ماجستير إشراف: فريد عبد العزيز، لسنة.

2- حواس، (علي حلو)، 2002م، البناء الداخلي للمعجم العربي دراسة تحليلية تقويمية، رسالة ماجستير، إشراف: هشام طه شلاش.

ثالثاً: البحوث:

1- إبراهيم، (محمد)، اعتراضات الشيخ خالد الأزهري على ابن مالك في كتابه النبيل إلى نحو التسهيل، جامعة الأزهر.

2- أحمد، (عبد العزيز)، 2024م، اعتراضات أبي حيان لابن الحاجب، المجلة العلمية، العدد: 37.

3- سالم، (أحمد علي)، 2025م، مفهوم الاعتراض النحوي دراسة وصفية تحليلية لبعض النماذج، مجلة العلوم الإنسانية، العدد: 30، مارس.

4- الطلحي، (مراجع عبد القادر بالقاسم)، الجواز النحوي ودلالة الإعراب على المعنى، جامعة قار يونس.

5- العشي، (علي)، 2000م، الجائز في كتاب سيبويه مدخل لدراسة المصطلح النحوي ومعانيه، مجلة المورد، عدد: 1، كلية الآداب.

6- عطية، (حمزة محمد)، 2022، مصطلحات الحكم النحوي، مجلة جرش، مجلد: 23، عدد: 2.

7- علي، (ابتسام)، 2022م، التأويل وتجلياته في الدرس النحوي، مجلة رواق الحكمة، العدد: 11.

8- علي، (محمد فرح)، اعتراضات النحاس على الكوفيين في كتابه إعراب القرآن، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة سبها.

9- المالكي، (علي أمير)، الاستقراء والقاعدة النحوي، إشراف: محمد أحمد، جامعة بنغازي.

10- محمد، (علي حسين)، اعتراضات الزجاج النحوية على الكسائي في كتابه معاني القرآن وإعرابه، مجلة ابن خلدون، العدد: 7.

11- موتية، (بوخلدة)، 2023م، القواعد النحوية بين السماع والقياس، مجلة تعليمية، جامعة جيلاني، عدد: 2.

التردد العجائبي في شعر مازن المعموري وتحولاته الواقعية

م.د. زينة وليد خالد جامعة سامراء/ كلية الآداب
Zeena.w.k@uosamarra.edu.iq

الملخص

يهدف البحث لبيان مفهوم التردد العجائبي الذي ذكره تودوروف في كتابه الأدب العجائبي، ويمثل حالة عدم التقبل للنظام الطبيعي التي تمتزج فيه الحقيقة بالخيال،إذ يجسد الشيء الخارق الذي يعتري المتلقي مستوحى غالبًا من الواقع الطبيعي بأسلوب خيالي، وإن مفهوم التردد العجائبي يتغذى على الواقع، ووظيفته إدخال الرعب والخوف والدهشة والتوتر والتخيل في العالم الحقيقي، وجاء اختياري للشاعر مازن المعموري؛ لكثرة قصائده التي تصلح عينة شعرية لهذا المفهوم؛ لكونه وظف مفاهيم العجائبية في شعره بأسلوب واقعي خيالي،علمًا أن العجائبية درست في القصص والروايات، والدراسات عنها في النص الشعري قليلة ؛لأن الشاعر يحتاج مهارة في توظيف الاشياء المخالفة للمألوف أو خوارق الطبيعة في النص الشعري.

الكلمات المفتاحية:التردد العجائبي، الخيالي، الخارق، فوق الطبيعي، التشظي، اللاواقعي، اللاعقلاني، المهيمنات.

"The Fantastic Hesitation in the Poetry of Mazin Al-Maamouri and Its Realistic Transformations"

Abstrac

This research aims to explore the concept of the fantastic hesitation as defined by Tzvetan Todorov in his book The

Fantastic: A Structural Approach to a Literary Genre. This concept represents a state of non-acceptance of the natural order, where reality is blended with imagination. It embodies a supernatural element that affects the recipient, often inspired by natural reality but presented in a fantastical manner. The notion of fantastic hesitation feeds on reality, and its function is to introduce fear, horror, astonishment, tension, and imagination into the real world.

The poet Mazin Al-Mamouri was chosen for this study due to the abundance of his poems that serve as suitable samples for this concept, as he employs fantastic elements in a realistic-imaginative style. While the fantastic has been widely studied in prose fiction and novels, studies on its presence in poetry are rare. This is because poets require a high level of skill to incorporate the unusual or supernatural into poetic texts.

Keywords: Wonder Frequenc ،Imaginary ،Supernatural ، Paranormal ،FragmentationUnreal ،Irrational ،Dominant

المقدمة

الحمد لله رب العالمي والصلاة والسلام على الحمة المهداة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أما بعد...

فإن العجائبية تمثل أسلوبًا مهمًا في الأدب فهو الخيال الخارق للقوانين الطبيعية والمنطقية، الذي يتولد عنه عالم من الغرائبية والدهشة واللاطبيعي، إذ تتحقق هذه الصفات من خلال التردد وهو الحالة التي تصيب القارئ تجاه قوانين الطبيعة، أو الأحداث،والأماكن،والشخصيات المنافية للمنطق، وقد شاع توظيفها في القصص والروايات؛ لأنها تمزج بين التصوير الحقيقي للحياة والرؤيا الخيالية، وهذا المزج خصيصة فنية يستعملها الروائي؛ ليعطي مشاهدًا يمكن الاستمتاع بها،وإن ما تتميز به الرواية من خصائص جعلتها حاضنة مهمة للعجائبية

ومفهومها، وقد تناولت الكثير من الدراسات النقدية العجائبية سواء كانت في القصة،أم الرواية، وإن التوظيف العجائبي في الشعر كان قليلًا ومقتصرًا على جزئيات بسيطة لأسباب كثيرة تتعلق بطبيعة النص الشعري الوزن والقافية، ولكن شاع في العصر الحالي توظيف المفهوم العجائبي فيه، عند بعض الشعراء؛ لاحتواء النص على التقنيات السردية، ففكرة البحث تقوم على دراسة مفهوم التردد العجائبي في النص الشعري للشاعر مازن المعموري، فالتردد العجائبي شكل ظاهرة مهمة في شعره تستحق الدراسة، والوقوف على الجوانب المهمة لمفهوم التردد في الشعر، فخطة البحث كانت تمهيد يتضمن (مفهوم التردد ودوره في النص)، وجاء بعده محورين،ثم النتائج التي توصلت إليها، وبعدها قائمة المصادر والمراجع، ذكرت في المحور الأول (وظيفة التردد في النص الشعري وتحولاته الواقعية لدى المتلقي)، أما المحور الثاني (تشظي التردد بين الواقعي والمتخيل في النص الشعري).

التمهيد: مفهوم التردد ودوره في النص

شغلت العجائبية النقاد في السنوات الأخيرة، فسعى كل واحد منهم إلى الاجتهاد في وضع تصور عن مفهومها ومنهم من عدها جنسًا، والآخر يراها خاصية من خصائص الخطاب، فالعجائبي هو كل أمر خارق للقوانين الطبيعية والمنطقية الذي يتولد منه عالم من الغرائبية والدهشة اللاطبيعية، أو ظهور أحداث غير مفسرة يمكن فهمها وتقبلها من الناحية النظرية ضمن محتوى معلوم للقارئ شبيه بالعجيب لكنه مختلف عنه، وقد أعطى تودوروف دورًا مهمًا في ترسيخ الإطار النظري للعجائبية في كتابة (مدخل إلى الأدب العجائبي) الذي صدر عام 1970م، فقد شكل خطوة مهمة للدراسات الأدبية المتعلقة بالعجائبية وما يندرج تحتها من مصطلحات،الغرائبية والغريب والعجيب فهي معانٍ تتولد منها،وبينها فوارق معنوية بسيطة، تتداخل مع بعضها ما يمزها عن بعضها خيط رفيع، فالغرائبية والغريب تحتمل أحداث تتجاوز الطبيعة ؛لكنها تلقى تفسيرًا منطقيًا لدى

المتلقي، فتظل محصورة بين الحقيقة والوجود والتفسيرات العقلية التي تبين الحقيقة. (تودوروف، 1993، 58)،أما العجائبية أو العجيب فهما مفهومان يولدان احساسًا بالقلق والتردد وعدم التقبل ويمكن ارجاعه إلى العقلية البدائية المرتبطة بالحكاية الشعبية والخرافة (تودوروف، 1993، 58)، فالفرق بين العجائبي والغرائبي يتمثل في أن الأول تفسير الأحداث على وفق الطبيعي وتقبله، أما العجائبية فهي لا تنتمي للواقع المألوف فتخلق عالمًا مختلفًا له قوانينه الخاصة. (خليل، 2007، 7ـ- 8)، ونحن ليس في صدد تعريف العجائبية والغرائبية والتفصيل فيهما، بل في توضيح مفهوم التردد العجائبي ودوره في النص الأدبي فقد وضحه تودوروف في كتابه ما ينتج عن العجائبي يعكس حيرة المرء تجاه حدث غير طبيعي، أو غير متوقع يفسر ضمن قوانين الواقع أو ما يخالفه، (تودوروف، 1993، 44) فالتردد هو الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية فإن واجه حدث غير طبيعي، على اثره يتحدد الأمر الظاهر إلى مفهومين هما الواقعي والمتخيل، (تودوروف، 1993، 18) فهو مرتبط بشعور المتلقي تجاه الحدث وما ينتج عنه.

وللتردد دور مهم في تحديد العجائبية في النص ؛لأنه يعطي للقارئ جملة من القوانين في مواجهة اللامألوف إذ ينشأ توتر ويولد حيرة وعلى أساس علاقة جدلية بين القارئ، والنص إذ يكون مجبرًا على تحديد موقفه في القبول والتقبل لما فوق الطبيعي، أو الاعتراف بجديد يضمه لمخزون الذاكرة على اعتبار أن اللاطبيعي له مكان ضمن العالم الطبيعي، وفي هذه الحالة تنغرس في العجائبية الخوف،والرعب وغيرها، مما تخلق حالة جديدة تعيد فيها ترتيب كل ما متقبل أن يكون ضمن الواقع بكل تحولاته، فإ((التردد كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية فيما هو يواجه حدثًا فوق الطبيعي الظاهر حسب الظاهرة)). (خليل، 2007، صفحة 9) ويشترط تودوروف في في مفهوم التردد أن يتردد القارىء في مضمون النص وهو الشرط الأول للعجائبي، وأن يتحد القارىء بشخصية خاصة، ولا

سيما أنه ينتمي إلى العالم الواقعي وأن ما حدث أمر غير طبيعيفالقارئ في بعض النصوص لا يتوحد مع أي شخصية، والتردد ليس ممثلاً في النص فالأمر يتعلق، مع قاعدة التوحد التي تحدد العجائبي إذ يمكن أن توجد دون أن تُشبعه، على الرغم من أن معظم الآثار فالعجائبية تخضع له، ولاسيما وأن التي يتصف بها القارئ تخرج من عالم الشخصيات، وترجع إلى التردد في ممارسته الخاصة (ممارسة قارئ)، ينهض في مستوى تأويل النص. (تودوروف، 1993، 53)

فالنص الشعري له رؤية تعيد الاستفادة من مفهوم التردد العجائبي بطريقة جديدة تجعل مفهومه أكثر تحديدًا وتميزًا من الاستعمال القديم عن طريق عملية التلقي التي يبرز فيها دور المتلقي بوصفه عنصرًا أساسيًا ومهمًا للغاية فالتردد العجائبي في نصوص المعموري يسلط الضوء على العالم ومعرفة ما في داخله من خبايا فجاء اختيارها في النص الشعري التي اكتسب معطياته من الواقع،فـ((ان العجائبي ثورة الخيال الخلاق الذي يجمع مخترقا حدود المعقول والمنطقي والتاريخي والواقعي ومخضعًا كل ما في الوجود من الطبيعي إلى الماورائي لقوة واحدة فقط هي قوة الخيال المبدع المبتكر الذي يجوب الوجوب بإحساس غير خاضع إلا لشهواته ولمتطلباته الخاصة ولما يختار هو أن يرسمه من قوانين وحدود)). (ديب، 2007، صفحة 8)

ظهرت الحاجة إلى إعادة النظر في طبيعة النص الشعري ومضمونه على اعتبار أن التقنيات التقليدية باتت عاجزة عن مسايرة الواقع،وما يجري فيه، واستيعاب تحولاته المتسارعة،ولا سيما أن النص الشعري أصبح ينقل صورة حية لقضايا عجائبية كسرت قيود التردد والحيرة لدى المتلقي لتلقي بظلالها على التقبل وعدم الادهاش،فـ((تحقق قاعدة الحيرة والتردد والمشترك بين الفاعل الشخصية والقارئ حيال ما يتلقيانه، إذ عليهما أن يقررا إما إذا كان يتصل بالواقع أم لا كما هو في الوعي المشترك)). (يقطين، 2012، صفحة 233).

تعتمد الدهشة في ذهن القارئ على الصدمة تجاه ما يحدث للاشياء بأشكال غريبة عن طريق تغير صورتها الطبيعية إلى صورة غير طبيعية تسير في مجريات

الواقع وتحولاته في لا تنفك عنه ولا تبتعد عن أحداثه حتى الأمور غير المألوفة أصبحت مألوفة في ظل أمور غير طبيعة،فـ((اللامحدود ولا مألوف فن الخيال المتجاوز الطليق وابتكار المتخيل الذي لا تحده حدود)). (تودوروف، 1993، 9) وعلى أثرها يتمزق الحد الفاصل بين الواقع العيني المحسوس المرئي وبين تشظيات الخيال والايهام فيأخذ من نسيج الواقع وما حوله ويخلق واقع استثنائي فيه سمات التردد مما يؤدي إلى اثارة التفاعل بين النص الشعري والقارئ يشده الحدث.

الحيرة في تفسير الواقعة الحقيقية بين ما هو طبيعي من جهة وما هو فوق الطبيعي من جهة أخرى فهي المركز المحوري في فهم وتلقي العجائبي إذ يقدم لنا اشخاصًا من العالم الطبيعي ولحدث مفاجئ يوضعون في عالم فوق الطبيعي، فحالة التردد التي يشعر بها القارئ تجاه الأحداث والأفعال،لم يحسم أمره ويهتدي بها إلى الحل الذي يرى أن الأمر لا يعدو أن يكونوهم الحواس ونتيجة الخيال وقوانين العالم التي لم تتغير، يدخل حينئذ مجال الغريب الذي يخضع دائما إلى تفسير عقلي ومنطقي. (كيليطو، 1992، 60)

وما يشد الانتباه هو قدرة التردد العجائبي في انصهاره مع متغيرات الواقع وطرحه بطريقة جديدة يدركها المتلقي في قوالب واشكال مختلفة، ولاسيما وأن لغة الشعر للشاعر مازن المعموري اتسمت بالسرد فتم توظيف التردد العجائبي لخرق المألوف وخلخلته ومحاولة بيان تحولاته الواقعية وأثرها في المتلقي عن طريق الخوف والرعب والاستيهام وابتكاره لاساليب جديدة لمعالجة غير الواقعي والمرفوض بما هو واقعي ومعقول عن طريق اللامعقول لتوجيه الأنظار إلى رؤية مغايرة تمامًا لما يجري تجاه الوجود بلغة مختلفة،فتوظف الهوية والجمعي واللاوعي واللاشعور والواقع بخيباته وانكساراته ومفارقاته، لها دور مهم في الوظيفة النفسية التي تثير التردد لدى المتلقي وعلى أثرها تتحقق الوظيفة

الاجتماعية التي هي تأويل لتجليات الواقع إذ تعد مهمة الأدب الأولى هي الارتقاء بالإنسان والمجتمع نحو الأفضل. (السادة، 2014، 73)

1.وظيفة التردد في النص الشعري وتحولاته الواقعية لدى المتلقي

تعتمد وظيفة التردد على زعزعة المفهوم الواقعي للحدث لدى القارئ عن طريق تقديم أحداث تثير الحيرة والتساؤل فيبقى المتلقي مترددًا في إطار الحدث الواقعي في النص الشعري الذي يصبح انعكاس لحدث حقيقي أُعيد بنائه بطريقة تقبل التشكيل والتأويل فالحدث يشكل واقعة حقيقية مع احتمال وجودي خاضع لرؤية شعرية عجائبية، تتحقق على قاعدة الحيرة،أو التردد المشترك بين الفاعل و((الشخصية والقارئ حيال ما يتلقيان، إذ عليهما أن يقررا إذا كان يتصل بالواقع أم لا كما هو في الوعي المشترك)). (يقطين، 2012، 233) وعلى الرغم من حصول الحدث على أرض الواقع، ألا إن بعده يبقى يثير ترددًا تجاهه ولا يبحث المتلقي عن حقيقة وقوعه بقدر تقبله أو رفضه.

لم يخلق الشاعر عالمًا مغاير للواقع كأن يجسد واقعه كما هو لكن هناك علاقة تفاعلية تبعث في نفس المتلقي الحيرة والدهشة تجاه كل ما يجري،لأن الحدث كسب عجائبيته من ظروف مغايرة فرضت على الإنسان، وايضًا لم يوظف الشاعر شخصيات عجائبية بل هي من اكتسبت عجائبيتها بفعل فاعل وتواجدها ضمن أحداث وزمان ومكان محدد، فجاء النص الشعري يعبر عن واقع متخم بالتناقضات حافل بالصراع الذي يعيشه الإنسان صراع البقاء على قيد الحياة ومواجهة الموت.

فالظروف الطارئة كالحرب وما يتولد منها كالعنف والموت والقتل والتهجير هي ظاهرة غريبة على الحياة الطبيعية فهي تخضع لقوانيين الواقع المعيش وعدها غير طبيعي يخرج عن المألوف فإذا حصل تردد بين الأمريين فنحن في صدد العجائبي.

يخلق مازن المعوري في نصوصه الشعرية تجانس بين المألوف واللامألوف مع الحفاظ على الحدث الحقيقي متجاوزًا قوانين الواقع الطبيعية وتقديم ظواهر للحدث الحقيقي لا يمكن تفسرها ضمن المنطق المادي فقصيدة (الخسفة)، تحمل طابعًا عجائبيًا خارقًا للعادة، يقول فيها:

خرجت الجثث أخيرا
رأيتها بعيني هاتين
تتهادى نحونا
تدق أبواب البيوت والمحال
بعضها يتسلق البنايات ويهوي (المعموري، 2017، 34)

فالنص الشعري شغل حيزين لدى المتلقي الأول واقعي والثاني لاواقعي وعلى أثرهما يتحدد مفهوم التردد العجائبي، فمفهوم الموت حاضرًا يتحدد على وفق المنطق الطبيعي للحدث أو خارج عنه،(خرجت الجثث أخيرا)، فهي تكشف عن أمر محتمل يتجسد ضمن الواقع المعيش للراوي، وانتقاله للأمر اللاواقعي وهو مركز التردد وهيمنته في النص إذ يخلق مفهومًا خارقًا للحدث وللقوانين الطبيعية البيولوجية إذ يحدث خلخلة في فكر المتلقي فالراوي ينقل مشهدًا بصريًا يجعل التردد قائمًا على مفهوم الرفض والتقبل بتحديد التوظيف الدلالي واللغوي في عرض الحدث بـ(رأيتها بعيني هاتين/ تتهادى نحونا)، إذ لم يكتفِ بحدث خارق، بل أوصل النص لأحداث متتابعة غير محتملة تتحدى العقل وحدوده ومفاهيمه، فإن عبثية الموت وكثرته بدون وجل أو خوف جعلت المشهد غير طبيعي، فالمتلقي يقر بوجوده ويحدد سماته، ولكنه يتقاطع في مركزيته العجائبية فيأتي دور التردد في عدم تقبله فهو لا يتعارض مع الحيز الأول وحده بل مع نقطة الالتقاء مع الحيز الثاني الذي يحدث الصدمة والدهشة في (تدق أبواب البيوت/ والمحال/ بعضها يتسلق/ البنايات/ ويهوي)، فالمرء يرفض التفسيرات غير العقلانية للاشياء، ويعيد ترتيبها وفقًا لما يراه نابعة من ردود الفعل

التي تحدث، ضمن التجاور البنائي العجائبي، فمثله لا يقبل حلًا لما يحدث، ويواصل المعموري نصه على وتيرة أكثر تردد يلفها أنماط عجائبية:

كان قطيعاً طويلاً يمتد الى **20** كيلو جنوب مدينة الموصل تتعجب من شكلنا غير المألوف حركتنا.. تفاصيل حياتنا.. لكن القطيع ترك كل شيء وحمل توابيت المساجد، صور النساء، حبالاً، أفرشة مستعملة، مزابل الشوارع لم يبق أي شيء تقريباً المدينة.... نظيفة (المعموري، 2017، 34)

ينتقل الشاعر إلى نقلة مفاجئة تعيد وتيرة ترتيب التردد،والانفلات من عجائبيته، فيسرد الحدث ببساطة؛ ليعطي انطباعًا عقلانيًا للحدث، فالمتلقي يدرك الفجوة التي حصلت في النص مما يعزز المفهوم أكثر انعكاس الحدث الحقيقي، لمفهوم عجائبي عن طريق توظيف البعد اللغوي الدلالي (لكن القطيع ترك كل شيء وحمل توابيت المساجد)، فهي تخلق تردد آخر يثير الشك والقلق في أمر القطيع أ كانوا احياءأم قطيع من الجثث، فالغموض الذي أثاره الراوي في تحديد الشخصيات هم أحياء أم جثث؟ فالنص يجمع بين الممكن واللاممكن فالشاعر يثير احتمالات كثيرة فيه لأنها مغلفة بالايهام ويعززها بـ(صور النساء، حبالاً، أفرشة مستعملة، مزابل الشوارع لم يبق أي شيء تقريباً المدينة نظيفة)، فتصاعد الحدث العجائبي يؤجج حالة التردد لدى القارئ،إذ يجمع بين المتناقضات المنطقية وعدمها، ويمكن تفسيره بمنطق واقعي وهو الموت الفوضوي بفعل فاعل، مما تواجه حقيقة مستحيلة كواقعة مشهودة تثير الرعب والدهشة معًا وهذا مركز التردد الذي سعى له الراوي في النص،إن يبقى الحدث معلقًا بين المنطقي وغيره.

يسعى المعموري في قصائده على عرض الأحداث الحقيقية،ومحاولة المحافظة على وقائع الحدث، فهو ينقل الواقع وما تجري فيه من أحداث بطريقة مباشرة،وينزاح إلى السياقات العجائبية متجاوزًا القوانين المنطقية، مستغنيًا عن التقريرية المباشرة بالجانب العجائبي فقصيدة (مدينة السيل)، ماهي إلا صورة يومية للأحداث المتكررة في العراق حاول الشاعر أن يغاير النمطية المعتادة

للحدث بمزيج بين الحدث الحقيقي والمفهوم العجائبي يخلق فجوة بينهما يقول فيها:

المرأة العجوز كانت تمد يدها من نافذة السيارة
تنظر الى كل واحد منا
تلمس الوجوه
تحاول أن تلتقط رأس أحدهم لجثة ابنها
أتعجب من تلك الجثث التي تنهض ليلاً في ساحة الحرب
حين تسمع صوت الخلخال ورنة الحجل
تهتز أرواح القتلى (المعموري، 2017، 42- 43)

يحدد الراوي مجرى الحدث بطريقة مباشرة تتضمن حقيقته ولقطات عفوية لوقوعه، فهو يجسد تجاوز الواقع المألوف (تحاول أن تلتقط رأس أحدهم لجثة ابنها)، فتكمن بؤرة التردد في النص إذ تقوم على مفهوم خارق للعادة الطبيعية، يلجأ له الشاعر؛ ليعطي تفصيل حقيقي واقعي لبشاعة الموت والتفنن في طرقه، إذ أصبح من الممكن والمتقبل أن تفقد الجثة أغلب أعضائها نتيجة ما تفعله الحرب وما ينتج عنها، فتفاصيل الحدث تسير في نطاق الحقيقة يقابلها نطاق آخر يمثل نقطة التقاء التردد العجائبي وافترافه معًا، هو بحث المرأة العجوز عن أي رأس كان، فالحيرة التي يشعر بها القارئ تجاه هذا الفعل انتقامًا، أم قهرًا مما جرى لها أم رغبة في إيجاد جثة كاملة لأبنها، ويثير الشاعر تداخلًا عجائبيًا بين الموت والحياة يخلق بينهما خيط رفيع لا يخرق مفهوم التردد بل يثبت ويقر عجائبيته يحفز البؤرة المركزية التي انطلق منها التردد أول مرة في النص (أتعجب من تلك الجثث التي/ تنهض ليلاً في ساحة الحرب/ حين تسمع صوت الخلخال/ ورنة الحجل)، فالراوي يتجاوز الواقع بكل تفاصيله ويدخل في عالم الأشباح والخوارق، يثير لتداخلات وتقطعات زمانية ومكانية (ليلاً/ ساحة الحرب)، فالمفهوم العجائبي يوحي بالإثارة والرعب الممزوجة بالخيال وعلى الرغم من

التردد ووجوده فإن المتلقي لا يشك في الحادثة (الموت)، بل يثير فضوله حقيقة الحدث وما ينتج عنه من أمور تغير الرؤية في المفهوم الواقعي والوصول بالمتلقي إلى الخوف والرعب الذي يبين مرارة الحرب وبشاعتها فهي تغير كل شيء حتى الموت إلى شيء خارق لا عقلاني،مما يلتقي مفهوم التردد باستحضار جوانب الحياة مما يؤكد ذلك الراوي (حين تسمع/صوت الخلخال/ورنة الحجل)، فهو يريد أن يعطي حق للأموات فيسترجع عالم اللاميتين حقوقهم من قهر الحياة يتضح عمق التردد حول الحدث وتركيبه اللغوي وسماته فوق الطبيعية، (تهتز أرواح القتلى)، فالمتاهة الحقيقية تكمن في تحدد رؤية التردد بين الحقيقة التي لا يمكن تجاوزها ولا تخضع لجدال فيلتقي الخيال بالواقع أمام صور موجعة تتعدى مفهوم الجسد والروح وطبيعة وجودها المألوفة والمقبولة.

يعرض المعموري الحدث العجائبي بطريقة سينمائية ويركز على تفاصيل اللقطة مما يثير جوًا مشحون بالغرابة والدهشة لدى القارئ، ويوظف الأحداث الحقيقية بفلم واقعي في حيز عجائبي فقصيدة(لحم منثور)، يستعرضها الشاعر بلقطات واقعية ممزوجة بصور متخيلة تتجاوز عالم الواقع في الكثير من تفاصيلها يقول فيها:

لم يترك لي الإنفجار الأخير في مدينة الثورة
الكثير من اللحم، فقد كنتُ أعتقد إنّ الـ(سي فور) أكثر هدوءاً
في تقطيع لحم المارة، وصار علي تسلق البنايات المجاورة أو ما تبقى منها
للحصول على صراخ مكبوت تحول الى لحم
تركض الأم ولا تدري كمية الهواء الكافية لاستبدال عشرة
كيلوات من وزن طفلها المعلّق بأعلى عمود الكهرباء،
سوى إن ركضها يتجه الى الأعلى
مع بعض ريش الطيور المتناثر في الهواء، يمكنها أن تطرّز
ثوباً جديداً على مقاس الغيمة (المعموري،، 2017، 20)

يمهد الحدث الرئيس للعجائبية والتماهي الواقعي بينها في حصول انفجار وهو حدث يومي متكرر يحصل في كل مكان وزمان في العراق، واعتاد عليه الناس حتى بات حدثًا يوميًا، على أثره يبين الشاعر الفضاء؛ لكونه حيزًا حقيقيًا (مدينة الثورة)، فهي لا تختلف عن بقية الأماكن فكلها لا تسلم من الانفجارات،مما يعطي الشاعر توهيمات للحدث؛ ليبقى داخل النطاق الطبيعي (الكثير من اللحم)، فهي الصورة الواقعية لما يخلفه الانفجار، بعدها ينتقل إلى الجانب الآخر لما فوق الطبيعي ويمكن أن يحصل للوقائع والأحداث تفسير عقلاني من زاوية ضيقة تؤدي بالمتلقي إلى أمر غير عقلاني يتداخلان مع بعضهما البعض (تسلق البنايات المجاورة/أو ما تبقى منها/ للحصول على صراخ مكبوت/ تحول الى لحم)، فإن توالي الحدث الدرامي في رسم المشهد الفلمي المتكامل بيَن حرص الراوي في اظهار هيمنة الواقع بكل تفاصيله مما جعل التردد يأخذ منحى واقعيًا ممزوجًا بخيال الشاعر (تركض الأم/ لاستبدال عشرة كيلوات/ من وزن طفلها /المعلّق بأعلى عمود الكهرباء)، فمركزية الواقع والخيال تحدد بُعد التردد لدى المتلقي، فشدة الانفجار مزق الأجساد ولم يسلم منها أحد حتى الأطفال والطيور وكل من كان حولهم فقد أطبق على الحيز المكاني برمته، فهو مركز واقعي لا يشوبه التردد والحيرة،و استبدال ما تناثر من الاشلاء وهو الفعل الذي قامت به الأم وتدخلها يخلق مركزًا آخر يشوبه التردد العجائبي الناتج عن الخلط والتوهم في جمع أشلاء ابنها مع غيره بزيادة أو نقصان، والحيرة من جهة أخرى في النص تتحدد بموت الأم بعده (ركضها يتجه الى الأعلى)، مما يزيد دقة اللقطة والتقابل العجائبي فيها إن الصور الشعرية تخلق نسقًا دلاليًا خالصًا يمهد لردة الفعل على الحدث المذكور ولهذا السبب يبقى البعد العجائبي ضمن نطاق الواقع المتخيل (يمكنها أن تطرّز ثوباً جديداً على مقاس الغيمة)، تظهر سمة التردد مرة أخرى للأم هل لحقت به، فالحيرة التي يثيرها النص لدى المتلقي في

معرفة بُعد الحدث وما ينتج عنه من تدخلات فرعية تغذي الجوانب الواقعية وتزيد من تحولات الواقع وما يرافقها.

2.تشظي التردد بين الواقعي والمتخيل في النص الشعري

يخضع مفهوم التردد للحدث وفقًا لحدود الواقع ويتصل هذا الأمر بالقبول أو عدمه فلا يستقر المتلقي في عرض الحدث إذ يبقى متأرجحًا بين الواقعي والمتخيل، فتتقاطع اللغة الشعرية مع التردد محددة الفجوة بين الحدث الحقيقي وبين المتخيل مما يخلق حالة توتر لدى القارئ تجعله مترددًا بين الوهم والحقيقة، اشبه بحالة شعورية تتمثل داخل النص الشعري، تحفزها الذات الشاعرة التي تواجه ترددًا معاكسًا للحدث يمكن أدراك حقيقته أو تحوله أو رمزيته فيبقى المتلقي بين هذه الأمور في حركة دائمة، ويعرف هذا النوع بوسط الطريق بين ما عُرف بالصور اللامتناهية والصور المعطلة الأولى تلتمس مبدئياً اللا ترابط المنطقي وترفض برأي قبلي كل دلالة، والثانية تترجم واقعًا محددًا برموز مخصص بخلق حالة التردد وتوهجه، (تودوروف، 1993، 172)

التردد يقتصر على الفعل ولا يهتم للانفعال من خلال تفسير الوقائع غير الطبيعية دون رد فعلها على الشخصيات مما يولد إحساس بالقلق الذي يميزه بين التفسير الطبيعي، وفوق الطبيعي وتقبل الأحداث كما هي لأنها لا تنتمي إلى الواقع المألوف، فهو الذي فتح الباب لإمكانية الخرق لما هو غير مقبول، فينظر القارئ إلى الحدث العجائبي، أيراها وهمًا أم حقيقة؟ فيمضي الوقت في التردد بين الرأيين قبل أن يصل إلى أمر حتمي فيما تردد به، يكون هناك زمن خارق، وحين يستقر على أحد الرأيين يخرج من الأمر الخارق وينهي التردد (شعلان، د.ت ، صفحة 22) ففيه تجد الأحداث فوق الطبيعية تفسيرًا منطقيًا وقد تجعل القارئ يعتقد أنها أحداث فوق الطبيعية؛ لكونها غير مألوفة كأفعال العنف (الاختطاف، الاعتداء، القتل، الذبح) التي تثير في المتلقي الرعب والهلع. (البغدادي، د.ت، صفحة 439) يعني ظهور أمور خارقة خاضعة للمقابلة بين

الطبيعي وفوق الطبيعي مما تدخل القارئ في متاهة الممكن واللاممكن، فالنص العجائبي منفتح يسمح بخلق صور حسية أو فكرية تقتبس من الواقع ولكنها تختلف عنه أو تمثل ظروفًا طارئة كانت أقوى من الواقع غيرت مجراه، وهذا ما نلاحظه في شعر مازن المعموري.

يوظف الشاعر مازن المعموري العجائبية في نصوصه الشعرية، على الرغم من أن النصوص نابعة من عمق الواقع تحكي التفاصيل والأحداث اليومية التي يعيشها الإنسان العراقي في ظل الحرب وما يترتب عليها ألا إن عنصر الغرابة والادهاش كانت مزيج مع الأحداث الواقعية جامعًا بين الايهام واللامنطق وقوانين الواقع، ولا سيما وأنه صور مشاهد القتل،والموت اليومي المتكرر بطريقة غريبة تستبيح سفك الدماء،ومدى تقبلها ورؤيته للحياة ومدى التردد والحيرة التي تنتابه.

يلجأ مازن المعموري لتوظيف شخصيات تعزز مفهوم التردد العجائبي، ويسعى لإبراز الخيال والشخصيات غير الواقعية بطريقة مبتكرة غير مألوفة، مما يثير فضول القارئ، وهو استدعاء خارج حدود العالم الواقعي نحو عوالم متخيلة، وعلى الرغم من كل ذلك فهو يحافظ على الأحداث الحقيقة التي عاشها، أو كانت قريبة منه فالطريقة السلسة في عرض النصوص تستهوي المتلقي فهي لا تعترف بالقوانين الفنية والعقلية، وتنازح عن الفهم المنطقي فقصيدة (رصيف آخر للموتى)، يستدعي القتل لنفسه بطريقة يلفها الغموض والعوالم الخيالية فهي تنضح بالخصائص فوق الطبيعية، مع ذكر شخصيات من عالم آخر يقول فيها:

ترك الملائكة جسدي مرمياً في الشارع
كنتُ أصرخ بهم.. أن تعالوا لا تتركوه في الحفرة
صار الاطفال يقطعون أجزاء منه.. يتقافزون ويرمون الأذرع
والسيقان على بعضهم
أمسكت أحدهم بقوة لأردعه دون جدوى

تدحرج الرأس بين أقدامهم
عيناي بومتان في ليل الشارع
تنظران بقوة لظلال الملائكة الهاربين
وأنا أتشبث بمن يمر
كي يحمل ما تبقى من الجسد (المعموري، 2017، 160)

يعرض الشاعر النص بطريقة سردية يوظف فيها أغلب معطيات السرد بصورة شعرية مكثفة فيستعرض الراوي موته بطريقة خارقة (ترك الملائكة جسدي)، فيغيب هوية القاتل ويحافظ على فعل القتل وما ينتج عنه ويتجاوز الراوي في النص حدود العقل فالملائكة لم تكن شخصية اسطورية،ولا قوة خارقة في النص بل كانت شاهدًا على الحدث مما أدى إلى هيمنة التردد وتشظيه إلى عالم خيالي يدركه القارئ، فالملائكة شخصية حاضرة في النص لها دور مهم فيه رمز للعناية الإلهية، فنجد الراوي يتحاور معها ويستنجد بها عبر مهيمنات مهمة تنقله من السياق السردي المباشر إلى سياق عجائبي يثير التردد في جميع مضامينه (صار الاطفال يقطعون أجزاء منه)،ويتعاور التتابع السردي في بيان تفاصيل الأحداث مع عمق مفهوم التردد الذي يدعمه وصف الراوي بخصائص دقيقة، وكأنه حدث بسيط عابر، ويبلغ التردد قمته لدى المتلقي من طبيعة الفعل الذي قام به الأطفال في تقطيع الجثة، لبيان إيلافهم مشاهد الموت وما ينتج عنها، فالأمر واقعي عقلاني ناتج عن ظرف طارئ، لكن ردة الفعل امتزجت بالخيال الخارق، وكأن الخوف والرعب مات لدى جميع الناس وباتت الجثث شيئًا مألوفًا يتم التعامل معه وكأنه دمية، والشاعر يصور مشهد موته من عالم الحلم فهو يتشبث بالحياة على الرغم من إقراره في المشهد بحدوث الموت، (أمسكت أحدهم بقوة لأردعه دون جدوى)، فهي تقاطعات رمزية تندرج إلى مفهوم الحياة اليومية، والرفض لما يجري فيها، مما جعله يعيد المفهوم العجائبي وصياغته بطريقة مغايرة، وسرعان ما يعود الراوي في ذكر ما حدث له بعد قتله(تدحرج الرأس بين أقدامهم)، فهذه اللقطة تحتوي على إثارة الحيرة، والدهشة لدى القارئ فقد انفصل فيها الشاعر

عن الراوي في سرد الحدث، (تنظران بقوة لظلال الملائكة الهاربين/ وأنا أتشبث بمن يمر)، فتنهض شخصية الملائكة في النص مرة أخرى؛ لتعيد تحفيز التردد في إخفاء القاتل وعدم ذكره، إذ يبقى شخصية مهمة يجب اخفاءها في النص، وما يهم الراوي فعل القتل وما جرى له بعده، ويخلق التردد تساؤلات غيبية تتجاوز المفاهيم الدينية، مما يخلق صراعًا من أجل البقاء والتمسك بالحياة، وإن هذا الفعل الذي ذكره الراوي بتفاصيله الخارقة وتشظياته الخيالية، كان حدثًا حقيقيًا يحصل كل يوم خارج نطاق الزمان والمكان، إذ تبقى الجثث ملقاة على الأرض لأيام لأسباب مختلفة يطول ذكرها،فالشاعر جعل مهيمنات التردد تتشظى لأبعاد خيالية مع تمسكه ببقاء الحدث الواقعي ضمن النص، ثم يكمل سرده للحدث قائلًا:

الأصابع تراب العائلة
كانت مزروعة قرب النهر بعد أن تركها الاطفال
خرج وجه أمي من أحدها، ينتظر خلف الباب
تركني الملائكة.
أتساءل عن جسد متروك لشخص ما
تركه الملائكة.. لا يستحق الصعود الى السماء
يدخل ليلاً، ويجلس على حافة السرير المجعد حيث أنام
ويبدأ بالتقاط الشظايا من بياض الفراغ
وجدت تحت سريري، الكثير من الرؤوس المتورمة (المعموري، 2017، 160)
جمعتها في صندوق، ووضعته في عشرة صناديق أخر،
وقفلتها جميعاً بفمي المسمر في القبو
هناك.. حيث الظلمة الحالكة لمخيلة أجدادي (المعموري، 2017، 161)

يثير الراوي ترددًا في سرد الحدث فتتقاطع الأمور العجائبية مع الحقيقة ضمن نطاق متواتر لا ينفصل عن بعضه، فالشاعر يغذيه بصور لامتناهية تحدث تفرعات في مفهوم التردد العجائبي، فعالم الشخصيات يعطي تفسيرات غير طبيعية للحدث المروي، ويذكر الحيز المكاني ودوره في خلق فضاء حقيقي يكون طيف التردد (الأصابع/ مزروعة قرب النهر)؛ لينهض الحدث مرة أخرى بشخصية جديدة تعيد وتيرة سرد الحقيقة

(خرج وجه أمي)، فكوامن الشخصية الحقيقة تظهر حالة القلق والترقب فهي تنتظر عودة ابنها،وحدود توقعها في العودة مبني على الايهام، (خلف الباب) ينهض التردد بفاعلية؛ ليعيد تقابل النص مع الخيال

(تركني الملائكة)،يوجه الخطاب إلى أمه ويبدأ بقص المشهد كما فعل في بداية القصيدة، مع جملة من التساؤلات التي يكررها في النص عن مصير جسده وما حل به، فيضطرب العقل البشري تجاه ما يحدث بينما يميل فعل التردد على خلق تفسيرات واقعية (تركه الملائكة.. لا يستحق الصعود الى السماء)، فمفهوم صعود الجسد إلى السماء يخلق متاهات للقارئ في تقبل الصورة ومدى بُعدها فهو يعطي قدسية وحرمة لجسد الإنسان الميت، فالراوي يريد أن يحاوط اللطف الإلهي مصير الناس وحياتهم،(يدخل ليلاً، /ويجلس على حافة السرير المجعد/ حيث أنام)، فتعاور الزمان والمكان في رسم حدود الشخصية يعطي مشهدًا مرعبًا يمتزج بين الحلم وعودة الأرواح وعالم الأشباح، وتقيد الزمان بـ(ليلاً)، يقر بهذا المزيج الثلاثي الخارق، فالراوي هدم معالم الحقيقة، وحطم جوانب الحدث، (ويبدأ بالتقاط الشظايا/ من بياض الفراغ)، فالعودة الحياتية بمفهومها اللامنطقي تخرق مفاهيم الواقع وتنقض حوله، في التردد وكأنها لقطة من حلم أو حيرة لدى المتلقي وهنا يثبت التردد فاعليته في سير الحدث اللاواقعي، وتظهر شخصية الرواي مجردة في بث الحدث، وكأنه يتحدث من عالم آخر في زوايا غيبية (وجدت تحت سريري، الكثير من الرؤوس المتورمة)، فالصورة أكثر قتامة وسوداوية على الرغم من خروجها عن عالم الحقيقة فهي تثير الخوف والذعر

لدى المتلقي، فالانتقال من مكان عام مفتوح وهو الشارع وحافة النهر إلى مكان خاص مغلق وهي الغرفة، تعمل على تقاطع مكاني يردم الفجوات الترددية في تحديد الخارق والواقعي، وإن إعادة فهم التردد يمثل الصدمة للمتلقي(جمعتها في صندوق)، توظيف حالة التشويق والتوتر معًا، والوصول إلى اللايقين مما يحدث (وقفلتها جميعاً بفمي المسمر في القبو)، إن سعي المتلقي في فك الشفرة لما يحدث يخلق تداخلًا بين الواقع والهلوسة فيستقيم التردد هنا، فالرضوخ للقتل والموت بكل مسمياته، يعطي انعكاسًا للخضوع والرضوخ لما يحدث في واقع الشاعر، يحفزه عنصر الخوف (حيث الظلمة الحالكة لمخيلة أجدادي)، فقد أعطى التردد مفهوم التداخل والخروج عن الجانب المنطقي والخارق، فهو يشير لظلمة القبر أم الظلم أم ماذا هنا يكمن دوره في عدم طرح مضامين يقينية بل هي قائمة على الحيرة خارج حدود المألوف.

ويمزج الشاعر بين الوهم والواقع في النص الشعري متخذًا من الحيرة تجاه الظواهر الطبيعية وطريقة توظيفها في المتن الحكائي وسيلة لفاعلية التردد في النص، فقصيدة (جولة رقم (1) ساحراتي الممسوسات)، النص يلفه الغموض يقوم على تصوير حالة الفوضى والانفجارات والموت من جانب ومن جانب آخر يستعرض الشاعر شخصيات خيالية لها اثر مهم في اظهار التردد ممزوجة بين ما هو سحري أو خيالي خارق يقول فيها:

أصوات الإنفجارات وسخام دخانها الملون
الفوضى مكان لا يعرفه أحد غيري
أضع فيه ساحرات صغيرات بحجم العقلة، يعملن على تحوير
أشلاء وخرق الموتى الى قطع من البلاستك وكراس متنوعة
للجلوس عليها قبالة شباك ساحة التحرير
المشكلة.. إن كل الأشياء التي أجدها في طريقي تصرخ كلما
وضعتها في كيس الكتان الواسع

تتألم وتهذي بأسماء وكلمات لا أعرفها
تقول لي الساحرات: إن هذه الأسماء صارت دمى تتقافز
في الحديقة
تدخل الى البيت وترمي كل شيء أمامها
في المرة الأخيرة، رمتني من السرير دمية تذكرت حريق
الكرادة حين سمعت صفير إبريق الشاي
ساحراتي الممسوسات لا يتركن شيئاً دون لمسة من عصاهنَّ.
ليصبح الأثاث متحركاً وعاقلاً مثلهن. تفعل الكتب ما يحلو لها، (المعموري، 2017، 25)

وهي تطير في أجواء الغرفة وتتحدث عن مفاتنها، وتنتقد حياتي
أحياناً، أو تطلق بعض الإبتسامات الساخرة من شكلي، وأنا
أدخل حاملاً كيس الجنفاص المليء بالشظايا والملابس
المحروقة والعظام وأكياس صغيرة من هواء الإنفجارات
الملوث برائحة (TNT) وC)
لقد قلتها لي في المرة الأخيرة: (المعموري، 2017، 26)

يقوم التردد العجائبي على مكونات السرد فالشاعر يفصل بين الواقع والخيال بخيط رفيع، تقوم على اثره الحيرة والشك في النص،إذ يمهد للحدث بطريقة واقعية منعكسة عن الحياة اليومية تتمازج فيها العناصر الطبيعية وغير الطبيعية ولا وجود للاختلاط بينهما (أصوات الإنفجارات/ الفوضى مكان لا يعرفه أحد غيري)، فالحدث اليومي يتماهى مع الشخصية الواقعية بطريقة منسابة، ولكن سرعان ما ينقلنا لحدث فوق الطبيعي ظاهريًا لا يمكنه أن يأخذ تفسيرًا عقلانيًا،(ساحرات صغيرات بحجم العقلة)، يمهد ظاهر الحدث لفعل التردد ودوره في مركزية النص عن طريق عمل تقاطعات متوالية بين الحدث والشخصيات تمثل علائق متعارضة بين الخارق والطبيعي (يعملن على تحوير /أشلاء وخرق الموتى)،إذ تعيد اللقطة الخارقة انفصالها عن بداية القصيدة؛ لأنها بدأت تنزاح

بالتردد لفعل غير طبيعي، يراد به أدارك حدود العقل والمنطق، فحالة التعاكس والتناظر تقف حدًا فاصلًا في تشظيات الواقع، أي إن الحدث الذي يرويه الراوي هو سمة للحياة اليومية لم يكن بعيدًا عنها يحدد السمة البنائية للنص (ساحة التحرير)، مما تأخذ حيزًا مبهمًا يثير قلق الشخصيات، فالإبهام في الفضاء المكاني والزماني، يؤكد على استمرارية الحدث، وذكر ساحة التحرير يرتبط بقضايا واقعية كثيرة خلقت تحولات مهمة من أجل النضال والحرية، وإن إعادة بناء المفهوم العجائبي للنص يصف حدثًا غير طبيعيًا (إن كل الأشياء التي أجدها في طريقي تصرخ/كلما وضعتها في كيس الكتان الواسع)، إذ يمهد التردد العجائبي للبوح عن ثورة حقيقة تكسر قيود الصمت تجاه مايحدث؛ لأن إعطاء الصفات الإنسانية للجمادات من ركائز اللغة الشعرية، فرفض الواقع وما فيه طريقة للخلاص، (تقول لي الساحرات: إن هذه الأسماء صارت دمى تتقافز)، وإن قدرة التحول من العالم الواقعي إلى عالم الأشباح ومايشابهه بلورت فكرة تقاطع النص فالواقعي المضمر داخل عالم الخيال، يسير باتجاهين الأول خاطف يسرد الحدث الحقيقي والآخر خارق خيالي، (في المرة الأخيرة، رمتني من السرير دمية/ تذكرت حريق الكرادة)، فالكائنات فوق الطبيعية مثل الساحرات لهن قدرتهن في التحكم بالقدر البشري، يستطعن أن يحولن أو يتحولن،فالصورة تكشف عن مغايرة تامة للواقع، فاستثارة الجمادات في تأجيج الأحداث الفعلية وما يترتب عليها، وقدرتها أيضًا في تحريك مكامن الوجع تجاه الحدث المأساوي،وإن الذكريات مرتبطة بجلد الذات والاحساس بالفقد،وينهض التردد في مستوى البعد العجائبي فقدرة الساحرات على فعل أمور خارقة تغاير تفاصيل الواقع، إذ تمثل حالة انقاذ لكل ما حوله (لا يتركن شيئاً/ وهي تطير/ وتتحدث عن مفاتنها/ وتنتقد حياتي)، يبني الراوي رغبته في الواقع فيعطي احتمالية اللاممكن، فالتردد بين مفهوم الدهشة والخارق ومفهوم الواقعي الممكن، فالعقلاني واللاعقلاني يعطي سمة الجنون للراوي في نقل تفاصيل الحدث (أدخل حاملاً كيس الجنفاص المليء بالشظايا والملابس)،

فالعودة للممكن تعطي استحالة الالتقاء مع اللاممكن، فالصورة تحافظ على التردد بين التفسيرين؛ لأنها جعلت ارتباطها في بدء القصيدة، وهو حدوث (الانفجارات)، إذ تحدد ترابط دائري لا متناهٍ (والعظام وأكياس صغيرة من هواء الإنفجارات)،يشكل نقطة التقاء بين البداية والنهاية يسير بوتيرة متوازية بين الواقعي والوهمي والخيالي، ويطرح هذا المسار تصورًا مغايرًا يحدد الحدث الخارق الذي اثار مفهوم التردد في النص.

يعطي مازن المعموري النصوص الشعرية أبعادًا حقيقية، ويضمنها بعوالم خيالية لا تلتقي مع الواقع فالهروب منه ومن فجاعيته بات يتشكل بصور جديدة مغايرة للصور النمطية المعتادة،فقصيدة (فصوص)، قصيدة طويلة تضمنت مقاطع متعددة اختلط فيها العقلاني واللاعقلاني والممكن واللاممكن، وتداخلت فيها الأحداث وتنوعت، وإن ذات الشاعر امتزجت مع الواقع، مما أعطت مشاعر حقيقية تجاه الحدث، يقول فيها:

فتحت تابوت أمي
رأيت الفراشات تتطاير فوق ملاءات بيض وأوراق خضر
تتلمس فجاج الرحمة على صدرها
شعرت بالبلل حين أمسكت أطرافه.. كان الماء يتدفق من عينيها وهي
تشير إلى حقل النمل الرابض فوق الدكة.
بعض البراعم المسودة بزغت من ثنيات الأخشاب الندية
التفت حولي.. ثقبت جسدي.. فانهمر المطر (المعموري، 2014، 36)

يتحرك النص في حيز الموت ونهاية الإنسان، فشخصية الأم جسدت حالة شعرية تقابلها حالة شعورية للكثير من الناس، فالتردد يقوم على البعد المباشر لطبيعة اللقطة (فتحت تابوت أمي)، تتماهى معه حالة الفقد والحرمان والوجع، مما يعززه بصورة مرئية يغلفها الخيال ويعكس مفهوم النقاء والرحمة(رأيت الفراشات تتطاير/ ملاءات بيض/ وأوراق خضر)،فالمزيج اللوني الذي ينهض على ركام الوجع الملم بالراوي، ومواساته لألم اللحظة، يهيمن على البنى

الشعرية للنص،ويخلق صور غير واقعية فنقطة التحول تتمثل في (كان الماء يتدفق من عينيها/ التفت حولي.. ثقبت جسدي.. فانهمر المطر)، فبكاء الأم ميتة يمثل أمرًا خارقًا للعادة، والتفاتها حوله، يعكس الإيهام وتشظيه وانتقاله إلى اللاممكن، فهذه النقلة تجسد التردد العجائبي وانتقال النص من لحظة فتح التابوت، حتى إيهام الراوي لنفسه بما حدث من أمور غير طبيعية، يريد بها مفهوم العطاء والبذل تجاه أولادها التي تقوم به كل الأمهات، فالشاعر يرسم صورة جميلة للموت يخفف من بشاعته إذ يظهر حياة أخرى تخلق حياة جديدة، وهذه اللقطة تضني القارئ في تقبلها أو مواساته للمشهد، ويعود الشاعر إلى سرد الأحداث اليومية المتكررة متحررًا من الأحداث الخارقة والمتخيلة فيقود بالنص إلى نقطة البداية ويخلق حالة تقاطع وتقابل بين ما هو واقعي حقيقي وخيالي خارق غي طبيعي يقول فيها:

لم يكن ممكنا الخروج إلى ضفة الشارع وأنا حامل كل هذه الأقنعة
بكيس من الجنفاص فوق كتفي، يخر فوانيس وحروفا صامتة
بعض الأنوف تتقاطع، وربما كانت تريد أن تنفث أنفاسها على المارة...
على الشحوب المتدلي من الحياة أو الوهم القاطن في الأرصفة.. على
واجهات المحال وهي تعلّق لافتات الموت أو الاستهلاك المزين.
هل البقاء في المنزل حكمة الجبناء أم العقلاء..؟، فكل من الطرفين يفكران بهدوء

وفي نهاية المطاف نلبس دائما وجوها حيوانية مختلفة (المعموري، 2014، 37)

إن التحول المركزي من منحى سردي حقيقي وتخلصه من اللامعقول يعيد البعد المكاني للحدث(إلى ضفة الشارع)، فالسارد يعطي بعدًا نفسيًا يجسده عامل الخوف والرهبة وانعدام الأمان، وهذا لا يقبل التردد فالحدث واقعي حقيقي، والتجربة الشعورية حقيقية،إذ لا مكان للشك والحيرة،فالهيمنة العقلانية

التي حلت محل اللاعقلاني يصاحبها طبيعة الحدث، فالنص يدفع القارئ إلى التصديق في الأمر (الشحوب المتدلي من الحياة أو الوهم القاطن في الأرصفة)، فيتماهى القارئ مع الشخصية؛ لأنه يدرك طبيعة الأمر وما يحدث، فنتاج الحروب /خوف /وترقب وتبقى الحياة متأرجحة تحمل لعبة نفسية مرعبة، فالشاعر يمنح القارئ الواقعي الحدث اليومي المتكرر (واجهات المحال وهي تعلّق لافتات الموت)، فالاحتفاظ بوتيرة الحدث وتشظي التردد ومفهومه والابتعاد عن المتخيل تعيد النص إلى واقعه بمشهده اليومي الذي يتضمن مصير الانسان، فالتساؤلات التي يثيرها الشاعر تجاه هذا المصير تتحدد (هل البقاء في المنزل حكمة الجبناء أم العقلاء)، وهي حادثة غريبة من نوعها يبقى الإنسان ملازمًا لمنزله لكي يبقى على قيد الحياة ويسلم من الموت، فينهي الشاعر هذا المقطع بمنحنى ترددي يثير الشك(نلبس دائما وجوها حيوانية مختلفة)، فالحدث غير طبيعي يذهب إلى مفهوم التخفي، أو انتزاع المشاعر الإنسانية لما يجري وعدم الإدراك لما يحدث، فهو يمهد للعبور من الطبيعي إلى ما فوق الطبيعي فنجد حركة معاكسة تبين لنا إن التردد والتكيف بين الواقعي والخيالي يأتيان متنظرين ومتعاكسين، وبسببهما فقد المقطع دهشته؛ لهيمنة الحدث الواقعي عليه.

الخاتمة

1. يخلق التردد حالة من الإيهام لدى القارئ؛ لأن الجمع بين ضدين أو متناقضين تخلق متاهة وهنا تكمن فاعليته في النص الشعري، بعيدًا عن اللغة الشعرية ونطاق الصورة.

2. إيجاد قوانين جديدة للغة الشعر تحوي الممكن واللاممكن في آن واحد، وتتخطى الوظيفة الجمالية والدلالية تجعل النص الشعري يظهر المفهوم العجائبي بطريقة تقترب من توظيفه في الرواية والقصص.

3. الأحداث الحقيقية التي امتزجت مع الخيال والخوارق، أعطت النص الشعري مميزات مختلفة واستيعاب آخر للغة الشعر.

4. خلق حالة فجوة بين طبيعة السياق الشعري بلغته البسيطة الواضحة، والانتقالة المفاجئة للمفهوم العجائبي ضمن السياق ذاته.

قائمة المصادر والمراجع

1. أبو ديب، كمال. (2007). الأدب العجائبي والعالم الغرائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي (المجلد ط1). دار الساقي.

2. البغدادي، فوزية قصي. (د.ت). العجائبي مفهومه وتجليه في الموروث السردي.

3. تودوروف، تزفتان. (1993). مدخل إلى الأدب العجائبي. (المجلد ط1). (محمد براءة، المحرر، والصديق بوعلام، المترجمون) الرباط: دار الكتب.

4. خليل،لؤي علي. (2007). عجائبية النثر الحكائي (المجلد د.ط). دمشق: التكوين للتأليف والترجمة.

5. السادة، مي. (2014). السرد العجائبي في الرواية الخليجية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

6. سناء، شعلان. (د.ت). السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة في الأردن (1970- 2002).

7. كيليطو،عبد الفتاح. (1992). الأدب والغرابة (المجلد ط1). بيروت.

8. المعموري، مازن. (2014). كائنات سرية (المجلد ط1). القاهرة: شمس للنشر والإعلام.

9. المعموري،مازن. (2017). ماذا تفعل الظلمة في غرفتي. دار المتوسط.

10. المعموري،مازن. (2017). جثة في بيت داكن. دار الرافدين للطباعة والنشر. العراق.

11. يقطين، سعد. (2012). السرد العربي مفاهيم وتجليات. بيرت، لبنان: الدار العربية للعلوم، ناشرون.

جسدنة العقل في الفكر اللّساني الغربي

م.م. علي عبد الكاظم حميد
مديرية تربية ميسان، وزارة التربية، ميسان، العراق
Ali11w11ali@gmail.com

الملخص

تمثل جسدنةُ العقل أو المعرفة المجسدة تحولًا فكريًا وفلسفيًا في تأثيرها على الفكرِ اللّساني الغربي الذي كان سائدًا آنذاك لا سيما تلك اللّسانيات التي أدخلت علوماً غيرَ لغوية في دراساتها وفي مباحثها وهو ما يترجم بمصطلح (اللّسانيات الادراكية). فالتحول من التجريد إلى التجسيد ضرورةٌ علميةٌ في تلك العلوم وهي عند بعضهم ركنٌ جوهريٌ في فهم اللّغة وما يحيط بها من معارفٍ حسيةٍ أو خارجيةٍ.

وإن كان الفهمُ السائدُ في جسدنة العقل متعلقًا في تطور اللّسانيات المتجهة نحو العلوم العصبية، التي تعد نقضًا للسانيات القائمةِ على الفهم المجرد للغة إلّا إنّنا نجد ذلك المصطلح موجودًا في اللسانيات البنيوية من دون أن تصرّح به لاسيما فيما يتعلق بالفلسفات التي اتخذت التماهي والتفاعل في فهم اللّغة والعقل من أجل أن تكون دراستهم علميةً.

الكلمات المفتاحية: جسدنة العقل، دي سوسير، اللسانيات الوصفية الامريكية (سابير، بلومفيلد)

ALI ABDU AL KADHIM HAMEED
Ministry of Education
Misan Education Directorate
Ali11w11ali@gmail.com

ASBSTRACT:
The body of mind or embodied knowledge represents an intellectual and philosophical shift in its influence on Western linguistics then prevalent, particularly those linguistics that introduced non-linguistics into their studies and research (cognitive linguistics). The shift from abstraction to embodiment is a scientific necessity in this science, and for some it is fundamental to the understanding of language and the surrounding sensory or external knowledge
Although the prevailing understanding of the body of the mind is related to the development of linguistics oriented toward neuroscience, which is in contrast to linguistics based on the abstract understanding of language, we find that term found in structural linguistics without pronounting it, particularly in relation to philosophies that take for identification and interaction in understanding
Keywords
:Body of Mind, De Sausser, American Descriptive Linguistics Sapir, Bloomfield

المقدمة

من يطّلعُ على التراث الفكري واللّساني لجمعٍ من المفكرين الغربيين أو فلاسفة الغرب لا يبدي استغرابًا من سماع مصطلح (جسدنة العقل) فهذا المصطلح تجذرٌ فكري عميقٌ في التراث الفلسفي وفلسفة العلم، وهو كذلك

يخضعُ لمنهجِ العلم الذي اتخذه علماءُ الغرب من أجل بناء فرضيات وانساق لعلومهم جميعًا.

وربما ما يهوّن الامر اتخاذهم التجربة منهجاً في بناء المعرفة الانسانية والتي ألقتْ بظلالها على الفكر اللّساني الغربي لا سيما بعضهم اتخذ فلسفة العلم سبيلًا لفهم وبناء نسقٍ لساني متميز، وهذا ما فعله سوسير خاصةً وأحدث بذلك قطيعةً معرفية مع القرن التاسع عشر وهذه القطيعة تمثلت بتطور اللّسانيات والنهوض بها من الواقع الخارجي إلى الدماغ/ الذهن ومن الدماغ إلى الواقع، وهذا النهوض يمّثلُ مناهجَ مختلفةً في علم اللسانيات ومدارس اختلفت في فهمها للغة.

تمثل جسدنةُ العقل أو المعرفة المجسدة تحولًا فكريًا وفلسفيًا في تأثيرها على الفكرِ اللّساني الغربي الذي كان سائدًا آنذاك لا سيما تلك اللّسانيات التي أدخلت علوماً غيرَ لغوية في دراساتها وفي مباحثها وهو ما يترجم بمصطلح (اللّسانيات الادراكية).

فالتحول من التجريد إلى التجسيد ضرورةٌ علميةٌ في تلك العلوم وهي عند بعضهم ركنٌ جوهريٌ في فهم اللّغة وما يحيط بها من معارفٍ حسيةٍ أو خارجيةٍ.

وإن كان الفهمُ السائدُ في جسدنة العقل متعلقًا في تطور اللّسانيات المتجهة نحو العلوم العصبية، التي تعد نقضاً للسانيات القائمةِ على الفهم المجرد للغة إلّا إنّنا نجد ذلك المصطلح موجوداً في اللسانيات البنيوية من دون أن تصرّح به لاسيما فيما يتعلق بالفلسفات التي اتخذت التماهي والتفاعل في فهم اللّغة والعقل من أجل أن تكون دراستهم علميةً.

ولا يعْنى هذا البحث بطبيعة الكلام ذاته بوصفه تعبيرات وإنّما مهمة البحث الكشف المتمثل بفهم علماء اللّسانيات للغة أو قل الكشف عن المعرفة اللّسانية التي تمثّلها اللسانيون البنيويون، وكذلك معرفة تمثل تلك المعرفة في الدماغ وتجسيد العقل مسايرةً لطبيعة العلم وتقدمه في الإيمان بالتجربة ومادية المعرفة ونحن نعرفُ أنّ جسدنة العقل في المناهج اللّسانية ما بعد البنيوية كان واضحًا ومعبرًا عنه بالدماغ في خطوة تتمثل بالتفاعل بين المعرفة اللّغوية والدماغ لا سيما

بعد الكشف عن مناطق انتاج اللغة. أمّا البنيوية فلم يسلّط عليه الضوء في ما يتعلقُ بجسدنة العقل وأثر ذلك في انتاج المعرفة اللغوية في كليتها وشمولها.

لذلك أصبحت دراسة اللغةُ دراسةً مجردةً تنطلق من السمع إلى الذهن ومن الذهن إلى السمع في دورةٍ معرفيةٍ اصطبغت بها الدراسات اللّسانية وحينئذٍ أدخلت مفاهيم منطقية وفلسفية (الدماغ/ الذهن).

واضافة مقولة (العقل) وتجسيده إلى اللّسانيات الغربية وذلك لمعرفة التجذر الفلسفي والمعرفي في بناء نظرياتهم فهي لم تكن لغوية فحسب بل حتى تكون علمية أخذوا جانبا مهماً من الفلسفة ونظرية المعرفة

التمهيد: مفهوم جسدنة العقل

لم تكن اللّسانيات بمنأى عن النّظريات الفلسفية والمنهجيات العلمية، فقد أخذت منها ما يساعد على عدّ اللّسانيات علماً مستقلاً منذُ تأثر سوسير بالعلوم الأخرى لا سيما الاجتماعية والنفسية منها وصولًا إلى بلومفيلد الذي تأثر بالمنهج السلوكي في تفسير اللّغة وعدها سلوكاً كغيره من السلوكيات التي يقوم بها الإنسان.

فقد تأثرعلماء اللّسانيات بالمحيط العلمي والتوجه الجديد في العلم فاستقطبه هؤلاء العلماءُ كي يفيدوا منه في علاج مشكلات المنهج اللّغوي السائد في القرن التاسع عشر، لذلك انبثقت البنيوية اللّسانية المتأثرة بالتحول الجديد تجاه العلم ومنهجه القائم على الأساس التجريبي ومَنْ ثَمّ تطوير علم اللغويات لمنهج علمي تجريبي (حمودة، 1997،216) كي لا تكون بمنأى عن ذلك التحول الفلسفي.

وبهذا المنعطف اتخذت اللّسانيات منهجاً علمياً مستقلًا ناظرة بذلك إلى ما له علاقة باللّغة فوجدتْ أنّ العقل/ الدماغ هو الأقرب ابستيميًا لمناهجها وفهمها، ألّا أنّ العقل في الفكر الفلسفي الغربي لا يؤمن بالميتافيزيقيا والرغبات وغيرها فهو تجريبي وهذا يعني أنّه مادي لذلك ظهرت مقولات متعددةٌ ومختلفةٌ حول

طبيعة العقل وعلاقته بالجسم، فهل العقل جوهريٌ مستقلٌ عن الجسم؟ أو هناك تفاعل بينهما.

وكل ذلك الاختلافُ نابعٌ من مناهج الفلسفة المتخذةِ من قبل علماء الفلسفة فالذي آمن بالميتافيزيقيا فهو ينظر إلى طبيعة العقل الجوهريةِ والمستقلة، أمّا الذي لا يؤمن بهذا الاتجاه فهو ينظر إلى العقل بطريق الجسم أو بطريق الاعصاب (الدماغ).

لذلك ظهر مصطلح (The embodied mind) وترجم بـ(جسدنة العقل)،ويتمحور مفهوم جسدنة العقل حول فكرة رئيسة هي التأكيد على ((أهمية التجربة البشرية ومحورية جسد الإنسان والبنية الإدراكية والتنظيم الإدراكي البشري المحدد كلها تدعم طبيعة تجربتنا وفقا لوجهة النظر التجريبية، العقل البشري - وبالتالي اللغة - لا يمكن تحقيقهما بمعزل عن الجسدنة البشرية)) (Evans et al., 2018)، 44)

والقول بجسدنة العقل (المعرفة المجسدة) ما هو إلّا نقضٌ معرفة اللّغوية المتأتية من علاقة المعنى بالأشياء أو الكلمات وعلاقتها بالأشياء الخارجية وكذلك نقض فهم اللغة أو علم اللّسانيات المتكئة على الفهم المجرد والقول بالاعتباطية.

وجد العلماء أنّ الفهم هذا لا يلبي أو يفسر لنا حقيقة اللغة عند تلك المنهجيات فهي مجردة لا صلة لها بالواقع، لذلك ظهرت نظريات أخرى تقتربُ أو بداياتٌ لنظرية جسدنة العقل سواء كان على مستوى الفلسفة أم على مستوى اللّسانيات.

ولعل أولاها ما قاله تشومسكي بأنّ اللّغة قدرة بيولوجية مزود بها الطفل (تشومسكي.، 1990،62)، وهذا القول فتح المجال أمام الباحثين لفهمٍ أوسعٍ وأشمل للغة وعلاقتها بالعقل أو الدماغ، لكن ينبغي الاشارة إلى أنّ مصطلح (جسدنة العقل) كان بداياته عندما فهموا العقل فهماً مادياً وأنّ الدماغ هو العضو المسيطرُ على مشاعرنا وحركاتنا ويتفاعل مع الواقع الخارجي.

ولعل هذا القولُ هو بدايات ظهور ذلك المصطلح أو القول بـ(العقل المجسد) في الفكر اللّساني ولعل تشومسكي كان له السبق في ذلك عندما رأى أنّ ((الدماغ أو بعض عناصره يتدخلُ بشكلٍ مهم جداً في الظواهر اللّغوية والظواهر الذهنية الأخرى، فيمكن أن نستخدمَ مصطلح الذهن - بصورةٍ تقريبيةٍ لكن واضحة - في كلامنا عن الدماغ..)) (نعوم تشومسكي، 216،2015).

وعندما نقول تشومسكي له السبق في ظهور بدايات مصطلح (جسدنة العقل) هذا على مستوى اللّسانيات ما بعد البنيوية، إلّا أنّ ذلك لا يعني أنّه كان مخترعاً لهذا المصطلح بل أخذه من الفلاسفة واختلافهم فيما يتعلق بثنائية الجسد - العقل لا سيما من قال بأنّهما ((ليسا كيانين أو عمليتين منفصلتين ومتميزتين من الناحية الوجودية، بل هما جوانب وأبعاد تجريدية لعمليةٍ تفاعليةٍ..)) (Johnson, 2007، 186)

ومن جهة أخرى فإنّ مقولة تجسيد المعرفة إذا فُهِمت من وجهة نظر فلسفة اللغة فهي نقض أو ثورة على التصور الفلسفي اللغوي القائم على اساس مفهوم الصدق وشروطه، تلك النّظرية التي قال بها جمعٌ من فلاسفة اللغة لا سيما (راسل) وغيره من الفلاسفة والتي تؤكد ((على نوعٍ من العلاقة تماثل بين حدود أو العلاقات الفكرية ولا سيما الخارجية والمجموعات من الأشياء)) (هيلاري بتنام، 2012،91)

وتصورهم هذا قائمٌ على أنّ الصدقَ أو نظرية الصدق مستقلةٌ عن التفاعلات الجسدية فهي بشكل موجز (لفظيةٌ)، فمتى كانت العبارةُ اللفظيةُ تتصفُ بأنّها حقيقة (طبعاً بالمعنى النسبي للحقيقة) فهي صادقةٌ، أمّا في نظرية العقل المجسّد فيُنظَر إلى صدق القضية من عدمها ليس عن طريق التلفظات ذوات العلاقة الخارجة، إنّما هناك معايير تجعل من تلك القضية صادقة أم لا ومن أهمّ تلك المعايير:

1- التنظيم الذهني البشري.

2- النسق التصوري.

3- الاستعارة (جورج لا يكوف جونسون، 2016، 12)

والنسق التصوري بشكل عام ربما يعتمد على أشياء أخرى وهي (النسق البصري) و(النسق الحركي) و(الآليات العصبية) (جورج لا يكوف جونسون، 2016،38) وهذه المعايير تؤدي بشكل تلقائي إلى تصور العقل المجسد.

ولعل صدق القضية في نظرية تجسيد (العقل) متى ما أصبحت تلك القضية ضمن الواقع الذهني المتجسّد فإنّها تعد صادقة، والصدق هنا ليس بمعناه المتعارف.

وقبل أن تكون نظرية التجسيد لها معايير أو أن تتطور وتصل إلى الفهم المتعارف في الفلسفات واللّسانيات فإنّ لها تجذري ومراحل تختلف بمعناها المعرفي، فالإدراك قبل ذلك ربما يفهم بأنّه آلية ذهنية تحدث عند الإنسان لكن اختلف حول طبيعته العلماء هل هو حسي أو مجرد؟

لذلك فرضية (المعطى الحسي) قد تكون البذرة الأولى لفكرة تجسّد العقل، فالإنسان لا يتفاعل بشكلٍ مادي مع حواسه أي التمثيل الذهني بوساطة الحواس لا يحدث بشكل مباشر أو مادي وإلّا أصبح التمثيل انعكاسي ليس إلّا.

فالمعرفة المتجسدة تحدث وفق تلك الفرضيةِ ما تعطيه الحواس وما تنتجه مع العقل وبالنتيجة تصبح تلك الاضافة الإسمية مادية لذلك أكّد أوستن على إنّنا ((لا ندرك أو نتحسس في شكل مباشر - الموجودات المادية (أو الأشياء المادية)، إنّما معطيات الحواس وحسب..)) (أوستن، 2020، 22)

لذلك يتمحور مفهوم الجسدنة حول نسقين مهمين وهما (النسق الحسي) و(النسق الحركي) وبوساطتهما نستطيع أن نفهم تصوراتنا بشكل جيد، والنتيجة من ذلك أنّ الذهن لا يعد مستقلاً أو يعمل بشكل مستقلٍ فهو لا وجود له من دون الانساق المذكورة التي تتفاعل معه كي يُعْرف.

فكل النظريات التي جاءت بعد اللّسانيات البنيوية أصبح المفهوم مستقراً عندها في تجسيد العقل وبناء تصوراتها وفق ذلك ويمكن تمثيل ذلك بشكل أدق فب اللّسانيات المعرفية او الادراكية.

ويمكن القول أنّ تجسيد الذهن في مفهومه يؤكد على أنه ((لا يمكن لتصوراتنا أن تكون انعكاساً مباشراً لواقع خارجي موضوعي متحرر من الذهن وغير متصل به؛ لأنّ نسقنا الحسي والحركي يلعب دوراً حاسماً في تشكيل هذه التصورات وصياغتها))(جورج لا يكوف جونسون، 2016، 88).

ولا يعني مجرد تفاعل العقل مع العالم الخارجي تتحقق المعرفة المجسدة أي تفاعل العقل مع الأنساق المادية إذا صح التعبير لا يعني المعرفة تحققت، ولا يكون للمنطق والفكر دخل في ايجاد تلك المعرفة لذلك نجد راسل أدخل مفهوم (البنى المنطقية) في تجسيد المعرفة وهذه هي أيضا من المعايير المهمة في جسدنة العقل وفق معطيات الحس.

اللّسانيات البنيوية وجسدنة العقل

لم تعد اللّسانيات الغربية (البنيوية الاوربية) مكتفية بالجانب الكلامي أو اللفظي بعد القرن التاسع عشر الذي أغْرِق بمسائل الكلام وتحليله تركيباً ودلالةً، إلّا أنّ الثورة اللّسانية التي فتح بابها سوسير أصبح الكلامُ ليس من ضمن النظرية اللّسانية التي توصف بأنّها كلية تشمل اللّغات جميعاً.

لذلك أصبحت دراسة اللغة دراسةً مجردةً تنطلقُ من السمع إلى الذهن ومن الذهن إلى السمع في دورةٍ معرفية اصطبغت بها الدراسات اللّسانية وحينئذ ادخلت مفاهيم منطقية وفلسفية العقل أقرب لها.

ونجد اشارات مهمة عند سوسير بشأنِ الذهن ابتداءً من العلامة اللغوية ورسمه المشهور الذي ذكره في كتابه(محاضرات في اللّسانيات العامة)

وإذا كانت العناصرُ اللّغوية قائمةً على مبدأ (الخلاف) أو الاختلاف فإنّ ذلك يعني استبعاد الذهن في انتاج وتركيب تلك العناصر، وعلى هذا الاساس طرح

سوسر مبدأ مهماً في تكوين العلامة اللغوية وهو مبدأ(السمع) فعن طريق السمع استطاع سوسير تفسير اللغة وعناصرها ونتج عن ذلك مبدأ الاختلاف، إذ هذا العنصر متوقفٌ على السمع وكأنّما نستطيعُ أن نتخيل جسدنة العقل عند سوسير بما يلي:

1- مبدأ السمع (الوضوح السمعي (الصورة الصوتية)

2- مبدأ الاختلاف إذا كان الاختلاف نابعاً من حيث التلازم أو السببية فهو ذهني.

ولكن يمكن طرح اشكالية معينة وهي، هل الاختلاف الذي طرحه سوسير ذاتي النشأة في اللغة؟ أي هل اللغة في ذاتها قائمة على أساس الاختلاف؟

إذا كان الاختلاف ذاتي النشأة فلامعنى لجسدنة العقل على الرغم من استبعاد العقل في تكوين الاختلاف، أمّا إذا نظرنا إلى الاختلاف بين عناصر اللغة ناشئاً عن عناصر اخرى كوّنت الاختلاف وأهم تلك العناصر (مبدا السمع (ومبدأ النطق) فيكون هناك تفاعل بينهما في لحظة نفسية مقترنة بلحظة فكرية (ذهنية) فهذا ينتجُ جسدنة العقل ولكن بتصورٍ آخر غير التصور الشائع في اللّسانيات الادراكية.

فتصور جسدنة العقل عند سوسير لم تكن بالوضوح الذي في الدراسات المتقدمة كما هي عليه في اللّسانيات الادراكية، فتصورها (الجسدنة)عند سوسير تكمن في جانبين:

1- من جانب تأثره بالعلوم الأخرى الطبيعية (الوضعية المنطقية) التي تؤمن بمادية الأشياء وكذلك العقل، ولا تؤمن باستقلال العقل بوصفه وجوداً مستقلاً عن الأشياء وهذا ما ذكره (جوناثان كلر) حينما أكد على أنّه لو ((كانت اللغة مجموعة من الأسماء الموضوعة للتصورات الذهنية القائمة على نحو مستقل إذن لوجب أن تظل هذه التصورات الذهنية ثابتة على مدى التطور التأريخي للغة)) (جوناثان كلر، 2000، 76).

وهذا يعني أنّ التصورات الذهنية ليست مستقلةً عن الأشياء الاخرى؛ لأنّ القول بذلك يؤدي إلى خللٍ منهجي في دراسة اللّسانيات بحسب تصور سوسير ولذلك بسبب قوله بالمنهج الآني وليس الثابت في الأزمنة كلها، وإن كان الثبات في منهج سوسير ثباتاً آنياً أيضاً فهو يدرس اللغة في لحظةٍ معينةٍ في ثبات معين.

فاللغةُ ليست هي الأشياء وكذلك الأشياء ليست هي اللغة، أنّما عملها (اللغة) تفاعلي أو بشكلٍ توقفي احداهما متوقف على الآخر، وادراك الأشياء لا يتمُّ عبر وسيط وهو اللغة إنّما يتمُّ عبر وسيط بين اللغة والأشياء وهي الأدوات غير اللغوية كأن تكون سايكلوجية أو فسيلوجية أو بيولوجية، فهذه العناصر مهمةٌ في عمل اللغة وتفاعلها بشكل كلي ينتج ما يسمى(تجسيد اللغة) أو المعرفة لذلك ارتكزت((لسانيات سوسير على علم نفس حدسي يتعين على العلاقات الداخلية للغة أن تكتشف فيه من خلال الاستبطان)) (كلارك، 2015، 122).

وهذا الجانب يؤكد تأثر لسانيات سوسير بعلم النفس الذي لا يرى استقلالاً للعقل أو الفكر بل يرى أنّ ((الوقائع الذهنية ليست إلاّ نتائج طارئةً للسياقات البدنية...)) (تشارلز فيرست، 1987،20)، ففكرة التماهي والتفاعل بين العقل والحواس الأخرى تكاد تكون من مسلّمات الفكر الغربي القديم وصولاً إلى فكره الحديث وهذا الأمر لا مناص منه لمن أراد أن تكون فكرته أو نظريته علميةً أو وفق النسق والسياقات العلمية، ولا بد أن يؤمن بقضية التماهي والتفاعل بين ما يصدره العقلُ وفق المرتكزات الجسدية.

وقد لا تكون جسدنةُ العقل بالمفهوم الذي نؤمن به نحن بل ما يراه الفكر اللّساني الغربي الذي هو تبعٌ للفكر الفلسفي والعلمي السائد آنذاك قضية لا تؤثر في انتاج المعرفة بشكل عام والمعرفة اللغوية بشكل خاص، لذلك لم يركز سوسير على هذا المبدأ بشكل مباشر إنّما يُفْهم ما هو تأثربه من علوم أخرى كعلم الاجتماع مثلاً الذي هو الآخر لا يؤمن باستقلالية العقل فضلاً عن وجوده وكينونته لكنه يؤمن بالظاهرة التي تحكم العلم في نمو المعرفة الاجتماعية

واللغوية، فالظاهرة الاجتماعية واللغوية هي المشترك بين سوسير ودوركهايم فكلاهما عدّ هذين العلمين بالأشياء والشيء عندهم ما ((انتظم كل موضوعات المعرفة التي لا يمكن ادراكها بالنشاط العقلي الداخلي ولكن بما تقتضيه من الخبرة والملاحظة والتجربة..)) (عبده الراجحي، 1979، 26).

وقد لا نكون في غرابة في تمييزنا بين العلم وموضوعه، فالعلم عادة ما يكون مجرداً صورياً في حين موضوع العلم لا يتميّز بهذه الميزة وإن اشترك في سمة معينةٍ معه، لهذا فإنّنا نجد أنّ سوسير خلط بين موضوع علم اللغة وعلم اللغة نفسه حين عدّ علم اللغة موضوعاً مجرداً، وأنّ وجهة النظر هي التي تحدد الموضوع وعادة ما تكون وجهة النظر مختلفةً متباينةً بين الأشخاص أو قل بين العلماء وتخضع لمبدأ الحواس والمعطى الحسي له دخلٌ في انتاج الموضوع من جهة كونه وجهة نظرٍ في حين العلم ذاته قائم على التّجرد.

ولهذا نحن نعتقد وفق هذا التمييز أنّ سوسير خلط بينهما وهذا ما نتج عنه اضطراب في وجهة نظره لا سيما فيما يتعلق في العلامة اللغوية، وكذلك فيما يتعلق بـ(الصورة الصوتية) حينما عدّها لحظة نفسية لها انطباع نفسي من خلال الحواس، في حين عدّ علم اللغة او اللغة نظاماً محايثاً يقوم بعزل ((اللغة عن الاعتبارات السايكولوجية والاجتماعية والفسيولوجية...)) (كلارك، 2015،155).

والمحايثة عنصرٌ ومبدأ أساسي في علم اللغة وليس في موضوع علم اللغة فعند النظر في موضوع علم اللغة حينئذ تأتي الاعتبارات المذكورة آنفاً في الموضوع وهذا ما يستدعي التجسيد، وهذه الاعتبارات تتأتّى بوساطة المعطى الحسي الذي هو يوضح طريقة الادراك الحسي في تجسيد المعرفة اللغوية. وإذا ما عرفنا هذا التمييز فإنّ تجسيد المعرفة أو قل (جسدنة العقل) تتعلق بالموضوع لا في علم اللغة نفسه وإن كان هذا الامر غريباً إلّا أنه ممكن الحصول.

ولذلك المبادئ الاساسية في النظرية اللّسانية (التجرد) (الشكل) (القيمة) (المحايثة) تتعلق بعلم اللغة ذاته لا موضوعه، ومن هنا فالتمييز بين الكلام

واللسان هو تمييز بين علم اللغة وموضوعه فالأسماء والأشياء والتسميات الموضوعة للتصورات الذهنية تمثل موضوع علم اللغة، وهذا هو الخطأ الذي وقع به سوسير حينما لم يقم تمييزاً بين موضوع علم اللغة والعلم نفسه، وكذلك رفضه الأشياء والأسماء والمسميات في انتاج العلامة اللغوية.

لذلك قام سوسير ببناء علم اللغة وفق نسقٍ معرفيٍ مجرد وهذا النسق ليس بخارج عن التصور العلمي السائد في عصره ومهمة النسق العزل والتنظيم والشمول والاستقلال فهو يسير بالنسق كما يسير العلم الحديث الذي يرى أنّ((نسق العلم يشتمل على جميع الظواهر الكونية ما عدا الانسان)) (محمد عبد الرحمن جابري، 2010، 311).

وعزل اللغة عن الإنسان يمثل مرحلةً معرفيةً منهجيةً في بناء اللسانيات وهذا ما دعا سوسير إلى القول بانّ القضايا الفسيولوجية والنفسية لا تمثل علم اللغة وليست هي من موضوعاته؛ لأنّ علمَ اللغة نظامٌ ونسقٌ مجردٌ عن الاعتبارات تلك، لكنّ التجريد وبناء الفرضيات لا يتمُّ إلّا عن طريق تلك الاعتبارات لذلك جعل اللّساني الشهير (هلمسلاف) دراسة اللغة وسيلةً لا غايةً، وسلة لبلوغ معرفة هي في ذاتها خارج اللغة وحينئذٍ تكون اللغة ((وسيلة لمعرفة متعالية(بالمعنى الأصلي والاشتقاقي لكلمة متعالية) وليست هدفاً لمعرفة محايثة)) (هلمسلاف، 2018، 20).

والتركيز على هدف اللغة في بناء النّظرية اللّسانية أمرٌ في غاية الاهمية؛ لأنّ جعل هدف اللغة غاية يؤدي إلى المحايثة وهو ما يعني قطع علاقة اللغة بالاشياء التي هي في ذاتها ليست لغة وإنّما نتائجها تكون مهمة في النّظرة اللّسانية كالوصف الفيزيائي للأصوات، والوصف النفسي للشخص، والتكوين البيولوجي في انتاج اللغة لذلك جعل اللّسانيات وسيلةً لبلوغ تلك المعرفة المجسدة في نظر هلمسلاف جزءاً في بناء اللّسانيات.

ولعل من نتائج عزل الإنسان عن انتاج اللغة التخندق بخندق اللغة في ذاتها ويؤدي ذلك إلى ثبات الفرضيات في علم اللسانيات وهذا ما أراده سوسير في منهجه الآني، إلّا أنّ سوسير أخذ الثبات من فلسفة العلم وطبقها على النظرية اللسانية في حين هناك اختلاف في وجهات النظر وتباينها بين الفلسفة واللّسانيات وهذا لم يلتفت إليه سوسير ربما.

والقول بمبدأ الثبات يؤدي إلى ما يسمى (قابلية التحقق) ضمن العالم الواقعي التي هي سمة جوهرية في العلوم الطبيعية وفي فلسفة العلم، فمن دون تحقق أو قابلية التحقق لا تكون القضية صادقةً وتلك التي ضمن نطاق قابلية التحقق تخضع لمبدأ آخر هو (المعطى الحسي) أو الخبرة في حين في اللسانيات الثبات يختلف عمّا هو في العلوم الطبيعية، فهو لا يخضع لقابلية التحقق ؛لأنّ اللّسانيات مجردة لا تقابل الأشياء ولا المسميات وكذلك تخضع للطبيعة السيكولوجية والوصف الفيزيائي وهذا ما ذكره سوسير في كتابه (محاضرات في علم اللسانيات).

وإذا كان التجرد مفصلاً محورياً في اللّسانيات فهو بمنزلة (الأفكار الموضوعية) والتي هي ليست مدركةً حسياً أي تجريدية، وبالتالي فإنّها لا تعد عنصراً في العالم الفيزيقي الخارجي (عصام زكريا جميل، 2012، 322).

لذلك نجد أنّنا على خلاف ما يراه سوسير في ثبات فرضيات اللسّانيات في لحظة عدها متجردة تعطي نتائج موضوعية قائمة على أساس عزل اللغة عن الكائن البشري، والاتجاه نحو الموضوعية العلمية من سماتها أنّها تكون مطلقةً وثابتة ولها قابلية التحقق في كل زمان ومكان؛ وذلك لأنّ التصورات الذهنية لا تخضع لقاعدة كلية ثابتة بل متغيرة بحسب عوامل مهمة تؤدي إلى جسدنة العقل فيها، وهذه العوامل:

1- العامل الوراثي 2- البيئي 3- السايكلوجي

وتعد هذه العوامل نقضٌ لفكرة الثبات للتصورات الذهنية للأسماء والاشياء والموضوعات اللغوية، فالتصور الذهني أو قل (الوجود الذهني) وإن كان ثابتاً عند البشر كله ألّا بناء المفاهيم فيه متباينة من شخص لآخر

2- التصور الثاني لجسدنة العقل عند سوسير هو تصوره للعلامة اللغوية والتي قابل فيها الصورة السمعية (الصوتية) والفكرة (الذهن)، وعلى الرغم من ميول سوسير نحو التجرد في فهم تلك العلاقة إلّا أنّه يفهم من كلامه ما يدل على جسدنة العقل في فهم العلامة وإن كان هناك اضطراب في فهم سوسير لتلك العملية إلّا أنّنا نفهم من نص ذكره في المحاضرات وهو يتحدث عن الصورة السمعية إذ يقول ((فالصورة السمعية إذن ناتجة عن أعضائنا وقدراتنا الحسّيّة)) (سوسير، 2008، 104) فهذه الصورة أحد طرفي تكوين العلامة وهي بحسب هذا النص مادية؛ لأنها نابعةٌ عن المعطيات الحسية؛ لأنّ الحواس تنطلق من الأشياء الخارجية في تصورها لها وهو في مصطلح الفلسفة الماهية فهناك وجودان الوجود المادي والوجود الماهوي، ولعل سوسير لم يأخذ بذلك التصور الماهوي وهذا ما أوقعه في الاضطراب حينما عد العلامة اللغوية انّها لا تقابل الاشياء ولا المسميات (سوسير، 2008، 104) في حين نصعه آنف الذكر اكدأنّ الحواس هي من تؤلف الصورة السمعية،امّا الطّرف الثاني لتكوين العلامة وهو (الفكرة) فقد وضح سوسير بأنه مرتبطٌ بدماغنا عن طريق مبدأ التداعي (سوسير، 2008، 104).

ويكفي ذلك ما يوضح حالة الجسدنة حين عد العلامة اللغوية ومنها الفكرة مرتبطة بالدماغ وهذا هو السبيل الواضح في جسدنة العقل، إذ أصل المفاهيم عقلية لكن سوسير ربط ذلك بالدماغ وهو بذلك يساير المنهج القائل بالتفاعل بين المفاهيم والجسد، إذ الدماغ ما هو إلاّ تعبيرٌ عن الجسد كله وهو من باب تعبير الجزء عن الكل.

ومما يؤكد النزعة الجسدية للمعرفة اللغوية ما ذكره سوسير في كتابه (في جوهري اللغة) إذ يؤكدُ أنّ ((النزعة الثنائية تلك إنما تكمن في الثنائية القائمة بين الظاهرة الصوتية بوصفها كذلك والظاهرة الصوتية بوصفها علامة، أي القائمة بين واقعة فيزيائية (موضوعية) وواقعة فيزائية ذهنية (ذاتية)))(فرديناند دو سوسير، 2019،160).

جسدنة العقل في اللسانية الامريكية (الوصفية)

اتخذت اللّسانيات بُعْداً ومنحى مستمداً مبانيه من النظر الابستيمولوجي للمعرفة اللغوية، فلم تعد المصطلحات (القيمة ــ- التجرد) لها وقع من النّظر الابستيمولوجي لذلك المنهج؛ لأنّه جعل الإنسان جزءاً من فلسفته في تفسير ظاهرة اللّغة بعدما أُغْرق كثيراً في عزل اللغة عنه.

ولعل هذا الاتجاه مزج بين أمرين في تفسير اللغة

1- العقل 2- الكلام

ومن خلال هذين العنصرين استطاع تفسير ظاهرة اللغة وإن كان حضور مصطلح العقل قد يكون ضعيفاً في حضوره في انتاج هذه المدرسة، إلّا أنّ آثار العلة موجودٌ بالأصل فالمفاهيم هي نتاجات العقل أو الوجود الذهني باختلاف النّظر فيه.

واهتمام هذه المدرسة بـ(الكلام) شكّل قطيعةً معرفية لما قبله بعد استبعاده عن علم اللغة وهذا ما فعله سوسير على الأقل بما كتب في محاضراته.

وجعل الكلام عنصراً معرفياً في تفسير اللغة ينبئ عن شيءٍ آخر وهو تغيّر الكلام بحسب ظروف محيطة به، فالكلام ليس واحداً في انتاجه وهو ليس مثل القدرة اللغوية التي قد تكون لها صفةُ الشمول والعموم، وحينئذٍ تكون هناك أشياء تؤثر فيه من أمزجةٍ فكريةٍ أو نفسيةٍ.

لذلك انبرى سابير - وهو من أعمدة علم اللغة الوصفي في أمريكا- إلى فهم اللّغة عن طريق فهم الكلام، فالكلامُ وظيفةٌ اجتماعيةٌ مما يمكن أن نألفه في

حياتنا اليومية ومن خلال اهتمامه بالكلام يمكن لنا فهم موضوع التجسيد عنده فقد عرّف الكلام بأنّه ((نظام شديد التركيب وشبكة دائمة الحركة يتكون من التعديلات في المخ والجهاز العصبي وأعضاء النطق والسمع التي ترمي إلى الغاية المنشودة وهي التبليغ))(إدوارد سابير، 20،1995-21).

وعلى الرغم من ذكر سابير (العقل) في مواضع من كتابه منها اصطلاح (العقل المدرك)(إدوارد سابير، 17،1995-26-54) وغيرها إلّا أنّ فهم العقل لديه مقيد بمقيدات يمكن تسميتها بـ(أدوات فهم التجسيد) ومن تلك الأدوات:

1- الجهاز العصبي، وذكر سابير هذا المصطلح مسايرة للفهم الشائع بعد الثنائية الديكارتية وهذا الفهم قائم على أساس التفاعل بين الجهاز العصبي وما ينتجه الانسان، فالعقل لديهم يختلط بمفاهيم أخرى مثل (المخ) أو (الدماغ) ويسميها العلماء (اطروحة التطابق النفسي الجسدي) التي تؤكد بشكل جازم اختزال الحالات العقلية في الحالات الدماغية وذلك وفقاً لما تؤكده الاسكشافات العلمية(ريبول، 2023، 77).

2- أعضاء النطق: وهذا يؤكد على اهتمامه بالجانب الفسيلوجي في فهم اللّغة، فتلك الأعضاء لها مدخلية في انتاج الكلام لا اللغةِ وهذا ربما لم يكن غائباً عن سابير؛ لأنّ فهم اللغة لديه ينبع من فهم الكلامِ لا انتاجه، إذ يؤكد سابير على أنّ ((الكلام فيسيوولوجيا وظيفة مركبة أو هو في عبارة أوجز مجموع وظائف متماسكة))(إدوارد سابير، 1995، 21).

3- الأعمال الحركية (المركز الحركي، المركز البصري، المركز السمعي) وهذا ما أكده سابير إذ يرى أنّ اللغة ((تتكون من علاقة دلائلية متميزة علاقة فيزيولوجية اعتباطية بين جميع عناصر الوعي الممكنة من جهة وعدد من العناصر المختارة في مراكز السمع الحركية وغيرها من مراكز المخ والاعصاب من جهة أخرى))(إدوارد سابير، 1995، 22).

ووظيفة تلك الاعمال الحركية هو التفاعل الحاصل بين الوعي (العقل) وبين تجارب الانسان الت يتكّونه تلك الاعمال الحركية، فعن طريق البصر تنشأ عند المتكلم ما تسمى بـ(المرئيّات) وهذه البصريات تتفاعل مع العقل في انتاج اللغة أو الكلام وهذا هو التجسيد في حدّ ذاته، وكذلك السمعيات وهذه السمعيات يعدها سابير من أهم أقسام الكلام، فالصوت اللغوي لايمكن انتاجه فقط من خلال الدماغ بل يجب أن يجتمع مع عناصر الحركة كلها(إدوارد سابير، 1995، 21-22)

وهذا ما حدا بأحد أهمّ علماء المدرسة اللّسانية الامريكية وهو (بلومفيلد) ــ- الذي تأثر بالمنهج السلوكي واستثماره وتوظيفه في تفسير ظاهرة اللغة ــ- أن يعرّف الشكل اللغوي بأنّه ((الموقف الذي ينطق فيه المتكلم هذا الشكل وردّ الفعل الذي يستثيره في السامع))(Bloomfield, 1933,p.139)

عبارة (الموقف الكلامي) لم يكن مجرد كلامٍ عابرٍ لا يتضمن محتوى معرفي، بل هو مصطلح ابستيمولوجي يعبّر عن الذات الانسانية وما يستثيره في نفسه من خلجاتٍ نفسية تؤدي إلى تكوين الموقف الكلامي.

وعلى الرغم من استبعاد العقل أو بتعبيرٍ أدق (الوعي الإنساني) بما هو مصطلح تقني لا بعموم دلالته إلّا أنّ ملامح الجسدنة تبدو واضحة عند بلومفيلد فيما يتعلق باللغة فقط ويمكن أن نطلق مصطلح (جسدنة اللغة) بحسب ما يُفهم من كلام بلومفيلد، إلّا أنّنا قد لا نتفقُ مع ما يذهب إليه بلومفيلد في استبعاد الوعي الإنساني في انتاج اللغة؛ لأنّ الموقف الكلامي يتحدد محددات معيّنة وهي

1- الفعل وردّ الفعل لا يستثار من دون اشارة عصبية.

2- انتاج الموقف الكلامي يلزم نسقاً كلامياً معيناً وهذا لا يحدث من دون تدخل العقل في اتخاذ هذا الشكل اللغوي.

3- في بعض المواقف الكلامية يتردد المتكلم في اتخاذ شكل استجابته للمثير وهذا لا يحدث من دون تفكّر وعقل ووعي.

إلا اننا قد نفهم خلاف ما ذُكر فاستبعاد العقل له ما يبرره عند بلومفيلد فهو يرى أنّ اللغة سلوكٌ وهو ما يكون قابلاً للملاحظة، فالمعيار عنده قَبول الشيء للملاحظة تبعاً لما يراه السلوكيون غير أنّ القدرات العقلية ليست قابلة للملاحظة لذلك تم استبعاد ها في دراسة اللغة(برجيته بارتشت، 2004، 206)، ولكن يبقى السؤال هل اللغة سلوك؟.

ومعيار الملاحظة وإن كان ثمة اختلاف في فهمه ولعل في قبوله اصلاً إلّا أنه من المعايير الرئيسة للمذهب التجريبي، فالتجربة قائمة على أساس ملاحظة الأشياء ويختلف مجال اشتغاله بين العلوم الطبيعية والانسانية.

وإذا كانت الملاحظة قائمة على ملاحظة الاشياء وهي الوجودات الخارجية، فهل اللغة شيءٌ خارجي؟ والشيء الخارجي مشخّص بآثاره لا في ذاته واللغة ليست كذلك.

وتبدو ملامح جسدنة العقل عند بلومفيلد واضحة حينما عدّ اللغة سلوكا قابلاً للملاحظة وكذلك ما ذكره بشأن (الموقف الكلامي) وما يستلزم أن تكون خلجات النّفس في حالة الظهور متفاعلة مع العقل أو قل التفكير في انتاج ذلك الموقف الذي يتضمن مثيراً واستجابةً وهذا بحدّ ذاته جسدنة العقل تبعا للمذهب التفاعلي بين الجسم والعقل والقائل ((أن العقل يتطابق مع الجسم الفسيولوجي للكائن البيولوجي الذي يمتلكه أو يستضيفه العقل هو هذا الجسم)) (Brandt, 2019,p.22).

ولعل استقلال العقل عن الموقف الكلامي يؤدي إلى نتيجة وهي إحداث الاشياء والافعال من دون الحاجة إلى مثيرات واستجاباتٍ، لذلك أرى أنّ جسدنة العقل أقرب إلى مبادئ السلوكية وإن كان رفض الحالات العقلية في النّظرية السلوكية لا سيما سلوكية بلومفيلد لم يكن شاملاً للحالات العقلية كلها، بل يرتبط ذلك ببعضها مثل النوايا والرغبات التي لا تخضع للسلوك، أمّا الامور العصبية الدماغية فهي من مضمّنات المذهب السلوكي الذي يرى أنّ السلوكية ((

بصفةٍ عامةٍ هي وجهة النّظر القائلة إنّ كل ما يعرف أو يقال عن الحالات العقلية للناس يمكن معرفته أو قوله في حدود سلوكهم القابل للملاحظة))(صلاح اسماعيل، 80،2025).

الخاتمة:

1- جسدنة العقل تبدو واضحةً في نصوص سوسير وغيره على الرغم من عدم وجود هذا المصطلح في كتبهم بشكل صريح، إلّا أنّ وجود الفهم التجسيدي واضحاً وبادياً بشكل جلي.

2- اختلاط المفاهيم بشكل واضح في اللّسانيات البنيوية لا سيما فيما يتعلق بـ(العقل) فتارة يعبّر عنه بـ(المخ) أو (الدماغ) أو (النفس) وهذا الخلط يؤدي إلى نتائج غير مرجوة في فهم اللغة وتكون دراستهم صورية ومن جانبٍ واحدٍ تستبعد بعض المفاهيم المهمة في فهمٍ أوسع للغة

3- فهم اللغة على أنّها سلوكٌ تماشياً مع المنهج السلوكي للغة فيه نظر، فالكلام لم يكن قائماً على أساس التشارط؛ لأنه ليس هناك تداعٍ بين السلوك والكلام أو قل بين المثير والكلام فقد يحدث الكلام من دون حاجةٍ إلى مثير.

4- القول بجسدنة اللغة لم يكن ببعيد عن تهافتٍ وقع فيه اللّسانيون بشكل عام واللّسانيات البنيوية بشكل خاص، إذ القول به ينفي الصفة الكلية والشمولية التي اتسمت بها تلك اللسانيات، فالكليات من الامور الاعتبارية التي لا دخل لجسدنة العقل في انتاجها، فالدماغ أو مراكز الحركة المادية لا يمكن أن تنتج مفاهيم مجردة فالمادي لا يمكن في حدّ ذاته ينجز أموراً اعتبارية وتحليلية.

5- نقترح فهماً آخر لجسدنة العقل وهو (عقلنة الجسد) وهو ما يتمثل بالوجود الذهني المستقل عن الجسد.

المصادر:

Bloomfield, L. (1933). *Language*. New York: Holt, Rinehart & Winston.

Brandt, P. A. (2019). *Cognitive Semiotics*. Bloomsbury Academic. doi: 10.5040/9781350143333

Evans, V., & Green, M. (2018). *Congnitive Linguistics an Introduction*. Routledge. doi: 10.4324/9781315864327

Johnson, M. (2007). *The Meaning of the Body*. University of Chicago Press. doi: 10.7208/chicago/9780226026992.001.0001

أوستن، ج. ل. (2020). الحواس والمحسوس، ترجمة طلال وهبة (ط 1). هيئة البحرين للثقافة والأثار.

إدوارد سابير. (1995). اللغة مقدمة في دراسة الكلام، ترجمة المنصف عاشور (ط 1). الدار العربية للكتاب.

برجيته بارتشت. (2004). مناهج اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة سعيد بحيري (1st ed.). مؤسسة المختار.

تشارلز فيرست. (1987). الدماغ والفكر، ترجمة محمود سيد رصاص، (ط 1). دار المعرفة.

تشومسكي.، ن. (1990). اللغة ومشكلات المعرفة ترجمة حمزة بن قبلان المزيني (ط 1). الدار البيضاء دار توبقال.

جورج لا يكوف جونسون. (2016). الفلسفة في الجسد، الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، ترجمة عبد المجيد جحفة (ط 1). دار الكتاب الجديد.

جوناثان كلر. (2000). فرديناند دي سوسير (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات)، ترجمة عز الدين اسماعيل، (ط 1). المكتبة الاكاديمية.

حمودة، ع. ا. (1997). المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك (عالم المعر). عالم المعرفة.

ريبول، ي. (2023). من العقل إلى الدماغ، ترجمة محمد أحمد طجو (1st ed.). المنظمة العربية للترجمة.

سوسير. (2008). محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر قنيني. افريقيا الشرق.
صلاح اسماعيل. (2025). فلسفة العقل (ط 1). نماء للبحوث والدراسات، مصر.
عبده الراجحي. (1979). النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج. دار النهضة.
عصام زكريا جميل. (2012). اتجاهات معاصرة في نظرية المعرفة (ط1). دار المسيرة.
فرديناند دو سوسير. (2019). في جوهري اللغة، تحقيق سيمون بوكي ورودلف أنغلر ،ترجمة مختار زوازي (ط 1.(
كلارك، س. (2015). أسس البنيوية نقد ليفي شتراوس والحركة البنيوية، ترجمة سعيد العليمي (ط 1). المركز القومي للترجمة.
محمد عبد الرحمن جابري. (2010). نظرية العلامات عند جماعة فينا رودلوف كارناب نموذجا دراسة وتحليل، (1.(st ed. دار الكتاب الجديد.
نعوم تشومسكي. (2015). آفاق جديدة في دراسة اللّغة والذهن، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني (ط 2). المركز القومي للترجمة (مصر.(
هلمسلاف، ل. (2018). مداخل لنظرية اللغة، ترجمة يوسف إسكندر (ط 1). دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع.
هيلاري بتنام. (2012). العقل والصدق والتأريخ، ترجمة حيدر حاج اسماعيل (ط 1). مركز دراسات الوحدة.

تحليل منهج اللغة العربية للمرحلة الخامسة في المدارس الإسلامية : دراسة في الأهداف والمحتوى وطرائق التقويم من وجهة نظر المدرسين والمدرسات

م. د. سميرة خطاف عبد الكريم جامعة الفلوجة/ كلية التربية

الملخَّص:

استهدف البحث تقويم وتحليل منهج اللغة العربية للصف الخامس الاعدادي للمدارس الإسلامية مع بيان مواطن القوة والقصور والإشكال في مادة اللغة العربية مجتمعة في ثلاثة كتب هي: النحو الواضح والبلاغة الواضحة والصرف؛ المقررة في الثانويات الإسلامية التابعة لدائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية والتي تم رصدها من خلال تدريس هذه الكتب لسنوات، ومحاولة علاجها بدراسة مباحث الكتاب وموضوعاته، وكذلك محاولة جعل معلومات الكتاب تلائم المستوى العلمي للطلبة في هذه المرحلة العمرية والعلمية. باستخدام أسلوب المنهج الوصفي التحليلي، وقد استخدمت الباحثة في الدراسة أدوات تحليل محتوى الكتاب من حيث: الأهداف التعليمية، مكونات المعرفة، الأنشطة التعليمية، أسئلة الكتاب.

الكلمات المفتاحيّة: تحليل، تقويم، اللغة العربية، الخامس اعدادي.

The Analysis of the Arabic Language Curriculum for the Fifth Grade in Islamic Schools: A Study of Objectives, Content, and

Evaluation Methods From the perspective of male and female teachers

PH. Dr. Samira Khataf Abdul Kareem Al-Janabi
University of Fallujah/ College of Education
Samirah.k.abdul-kareem@uofallujah.edu.iq

Abstract:
The research aims to evaluate and analyze the Arabic language curriculum for the fifth preparatory grade in Islamic schools, identifying its strengths, weaknesses, and areas of difficulty. The Arabic language subject consists of three textbooks—*Al-Nahw Al-Wadih* (Clear Grammar), *Al-Balaghah Al-Wadihah* (Clear Rhetoric), and *Sarf* (Morphology)—which are prescribed in Islamic secondary schools affiliated with the Directorate of Religious Education and Islamic Studies. The evaluation was based on several years of teaching these textbooks, with an attempt to address their shortcomings through a detailed study of their topics and structure, as well as to align their content with the students' academic and intellectual level at this educational stage. The researcher employed the descriptive and analytical method, using tools for content analysis focusing on educational objectives, knowledge components, learning activities, and textbook questions.

Keywords: Evaluation and analysis, Arabic language, fifth preparatory grade.

المقدمة:

تعد اللغة العربية أهم وسيلة للتواصل بين الناس أفرادا، وجماعات، وتعد من أهم وسائل التواصل والتفاهم بين الأبناء لغة يتبادلون ويعبرون عن الرغبات والحاجات والآلام والأحاسيس لذلك تعتبر من أهم العوامل التي تربط بين الفرد والجماعة، وهي وسيلة اجتماعية تتمثل في: التعبير عن المشاعر والأحاسيس اتجاه الآخرين، والتواصل الاجتماعي في مواقف الحياة، والتعبير عن الحاجات

الاجتماعية، والتأثير في عقول الآخرين، فاللغة بذلك تؤدي دورا مهما في اندماج أبناء المجتمع مع مجتمعهم.

يحتل المنهاج مركزا حيويا في العملية التربوية لا بل يعتبر إلى حد ما العمود الفقري للتربية، والمنهاج هو المرآة التي تعكس واقع المجتمع وفلسفته وثقافته وحاجاته وتطلعاته وهو الصورة التي تنفذ بها سياسة الدول في جميع أبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية والتربوية والاقتصادية (العسالي، 2005م).

ويأتي الكتاب المدرسي في مقدمة الوسائل التعليمية التي تسهم في تنفيذ المنهاج وتحقيق أهدافه، حيث أنه عامل مؤثر في العملية التربوية، فهو أداة تحقيق الأهداف التربوية التي خطط لها المنهج، ويعتبر أحد العناصر المكونة للنظام التعليمي وركيزة أساسية لإنجاح العملية التربوية وتحقيق أهدافها.

والكتاب المدرسي يجب أن يراعي في مادته العلمية وطريقة عرضها حاجات المتعلمين واستعداداتهم، لأنه يعتبر الوعاء الذي يحتوي على الخبرات غير المباشرة لأنه يتم تقديمها للمتعلم في شكل مكتوب أو مرسوم أو مصور والتي تسهم في جعل المتعلم قادرا على بلوغ جميع الأهداف (سعادة وابراهيم 2001، 104).

ويشكل المقرر الدراسي مرجعا أساسيا لكل من المعلم والمتعلم، بالنسبة للمعلم يعتبر خير مرشد ومعين له في مهمته التعليمية، وكما أنه خير أداة في يده يستعمله كمصدر لتخطيط العملية التدريسية، وكمرجع منظم للمعرفة (شاهين 1999).

كما يعتبر الكتاب المدرسي مصدرا أساسيا من مصادر التعليم المقروءة، ويشتمل بطرق منظمة على الجانب المعرفي الواجب إكسابه للمتعلم، وعلى جوانب مساندة على اكتساب المتعلم للجوانب المعرفية بأقل وقت وجهد وكلفة وبأعلى إنتاجية(جامعة القدس المفتوحة، 22). لأنه يساعد الطلبة والمتعلمين على استكشاف الأفكار الرئيسة في العلوم التي أدت إلى فهم الإنسان للكون من حوله، والتي قادت البشرية إلى هذا التقدم التكنولوجي المذهل الذي نعيشه هذه

الأيام، كما أن الكتاب يشرك الطالب في إيجاد حلول للمشاكل الاجتماعية والأخلاقية المحيطة في بيئته.

كذلك يعتبر أحد أهم المدخلات في نظام المناهج، لذا فان عملية تغير الظروف والمتغيرات المتسارعة في الحياة تتطلب من المنهاج المدرسي تغيرات عديدة في طبيعته وتنظيمه شكلا ومضمونا، لذا ينبغي أن يكون المنهاج مرنا إضافة إلى ضرورة الأخذ بالتطوير المستمر في المناهج، لأن أي تغير يجب أن يتصف بالاستمرارية حتى يستطيع مواكبة متطلبات العصر واحتياجاته المتسارعة، ومن هنا فانه أصبح لزاما على المناهج أن تتغير عاما بعد عام حتى تواكب هذه التغيرات المحيطة، وأيضا فان الكتاب المدرسي هو الأداة الرئيسة في العملية التربوية(جرادات واخرون، 1983).

مصطلحات البحث:

وردت في بحثنا هذا بعض المصطلحات التي يجدر بنا تعريفها وتوضيحها وأهمها ما يلي:

- التقويم: هو الوسيلة الأساسية التي يمكن بواسطتها ومن خلالها التعرف على مدى نجاحنا في تحقيق الأهداف التربوية والكشف عن مواطن الضعف ومواطن القوة في العملية التعليمية بقصد تحسينها وتطويرها بما يحقق الأهداف المتوخاة، فهو عملية تشخيصية علاجية وقائية(إمطانيوس 1995، 15) .

- التحليل: القدرة على تجزئة الموضوع إلى مكوناته الأساسية أو أجزائه (ابراهيم عميرة1991، وسيتم تحليل كتاب اللغة العربية للصف الخامس الأساسي من حيث عناصر المنهاج، وهي: الأهداف، مكونات المعرفة، الأنشطة التعليمية، الأسئلة التقويمية. وهو كذلك أسلوب من أساليب البحث العلمي الذي يستهدف الوصف الموضوعي المنظم والكمي للمضمون الظاهر لمادة الاتصال(رشدي، طعيمة،37).

- تقويم المنهج: ويعرف بأنه: تحديد قيمة المنهاج أو بعضه لتوجيه مسيرة تصميم المنهاج ومسيرة تنفيذه ومسيرة تطويره نحو القدرة على تحقيق الأهداف المرجوة في ضوء معايير محددة سلفًا.

- كتاب اللغة العربية للصف الخامس اعدادي: يتألف من ثلاثة كتب منفصلة ما يقارب 220 ورقة لمجموع الكتب وبدرجة امتحانية نهائية من 100 مقسمة على(40 درجة للنحو الواضح) و(30 للصرف) و(30 للبلاغة)، هذا مادعانا واستوقفنا لتحليل الكتب الثلاثة مطالبين في إعادة صياغتها أو النظر في محتواها.

مشكلة البحث:

يُعَدّ المنهج التربوي نظاماً متكاملاً يقوم على مدخلاتٍ تتمثل في فلسفة المجتمع وقيمه وتطلعاته، وآليات تنفيذ تشمل تحديد الأهداف واختيار المحتوى وطرائق التعليم والتقويم، وينتهي بمخرجات تنعكس في الكتب الدراسية المعتمدة. وبالنظر إلى منهج اللغة العربية للصف الخامس الإعدادي في المدارس الإسلامية - المكوَّن من ثلاثة كتب: النحو الواضح، والبلاغة الواضحة، والصرف - تتضح الحاجة الملحّة إلى تحليل محتواه للكشف عن مدى اتساقه مع الأهداف التربوية الحديثة، ومدى مواكبته لمتطلبات التطوير اللغوي والمعرفي للمتعلمين.

إن غياب الدراسات التحليلية الشاملة لهذه الكتب قد يؤدي إلى بقاء جوانب القصور أو عدم الاتساق دون معالجة، مما يستدعي بحثاً علمياً يحدد نقاط القوة والضعف فيها، ويقترح مسارات تطويرية تسهم في الارتقاء بمنهج اللغة العربية.

ومن هنا تتحدد مشكلة البحث في السؤال الآتي:

ما مدى كفاية محتوى كتب اللغة العربية للصف الخامس الإعدادي (النحو الواضح، البلاغة الواضحة، والصرف) في تحقيق الأهداف التربوية والمعرفية المقررة، وما أبرز جوانب القوة والقصور فيها؟

المبحث الأول: أهداف البحث وأهميته وحدوده

المطلب الأول: أهمية البحث:

المنهج: هو الأداة الأساسية المستخدمة لتحقيق أهداف العملية التربوية وهو يحتاج ألي التخطيط والتنفيذ وتقويم لعناصره بشكل مستمر وهو يمثل نظام متكامل له مدخلات ومخرجات وآليات تنفيذ. ومن مدخلات المنهج: فلسفة المجتمع وقيمه وآماله وطموحاته، مدخلات بغرض التطوير ومواكبة التكنولوجيا الحديثة.

أما آليات التنفيذ: فمنها: تحديد الأهداف واختيار المحتوى وكتابة مرجع للمعلم والمتعلم، تقويم المنهج بهدف التحسين والتطوير.

المخرجات: يكون ناتجا عن التفاعل بين المدخلات واليات التنفيذ (المقررات المدرسية).

إذًا المنهج يشمل كل شيء يتصل بالعملية التعليمية، سواء كان ذلك الاتصال اتصالاً مباشراً أو غير مباشر، فالمنهج هو نظام متكامل يتكون من أربعة عناصر أساسية هي: (الأهداف، المحتوى، التعليم، والتقويم).

فالمفهوم الحديث للمنهج هو: "مجموعه من الخبرات التربوية التي تهيئها المؤسسة التربوية لطلابها بقصد مساعدتهم على النمو المعرفي الشامل. إذا هو مادة اللغة العربية للصف الخامس اعدادي ومتألفة من ثلاثة كتب(النحو الواضح، البلاغة والصرف) فله أهمية تجعلنا نعتني بدراسته وتحليله وكشف ما يتضمنه من نقاط قوة وضعف.

فنرى أن أهمية تحليل المحتوى للكتب الثلاثة تساعد في كشف نقاط القصور من أجل تجاوزها وتصويبها ومعالجتها اما بالحذف أو التكييف من خلال المقترحات والتوصيات التي يطمح اليها الباحث للوصول اليها والانتفاع بها من اجل تطوير كتب اللغة العربية للخامس الاعدادي.

المطلب الثاني: أهداف البحث:

- يهدف البحث هنا الى معرفة الواقع الحالي لكتب اللغة العربية شكلًا ومضمونًا في الصف الخامس اعدادي في ضوء معايير جودة الكتب المدرسية.

- كذلك يهدف الى تحديد مواطن القوة والقصور في كتب اللغة العربية للصف الخامس.

- معرفة ما إذا كانت هناك علاقة ارتباطية بين تقديرات مدرسي اللغة العربية التقويمية لكتب اللغة العربية المقررة للصف الخامس اعدادي وبين اتجاهاتهم نحو تحديث المناهج.

المطلب الثالث: حدود البحث:

اقتصرت الباحثة على تحليل محتوى كتب اللغة العربية للصف الخامس اعدادي وهي (النحو والبلاغة والصرف) لأنه يمثل انطلاق لعملية تدريس مادة اللغة العربية في كتاب مستقل، والسعي نحو تطوير الكتاب بما يتوافق وخصائص المتعلمين العمرية ومتطلبات الحياة العلمية والعملية، ومن أجل الترغيب في تعلمها وتبسيطها.

كذلك اقتصرت في البحث على العينة القصدية لتحديد وحدات التحليل وفئاته بحسب نوعية المحتوى وكميته بوجهة نظر الطلبة والمعلمين. واختارت الباحثة عينات بسيطة تضمنت فئة الموضوع الرئيسية التي احتوتها كتب اللغة العربية في الصف الخامس اسلامي: كتاب النحو الواضح في اللغة العربية تأليف كل من (د. مصطفى أمين، ود. علي الجارم ويقع في 73 صفحة ط 2022م).

وأما البلاغة الواضحة تأليف كل من (د. علي الجارم، ود. مصطفى أمين ع في وتقع في 94 صفحة ط2020م) وكتاب الصرف إزالة القيود عن الفاظ المقصود في فن الصرف (تأليف د. عبد الملك عبد الرحمن السعدي يقع في 55 صفحة ط2020م).

المبحث الثاني: مواصفات الكتاب المنهجي الجيد:

يقول عبد الرحمن سعيد من عوامل تحديد مواصفات الكتاب الجيد منها،(رشدي طعيمه، 93):

- أن تتصدر في بدايته الأهداف المطلوب تحقيقها من تدريسه وتعلمه، وهذا ما كان موجودا في كتاب النحو الواضح ويعتبر نقطة قوة مهمة، بينما افتقرت اليه كل من (كتابي الصرف والبلاغة الواضحة).

- أن تكون المقدمة وافية لكل من الطالب والمعلم لتبصرهم بأهداف الكتاب ومادته العلمية وطرائق التدريس والانشطة التعليمية لتثير دافعية الطالب للتعلم وتحفزه (وزارة الثقافة والفنون)

- لم يتضمن كتاب النحو الواضح على مقدمة وافية وكذلك كتاب الصرف. لكن كتاب البلاغة قد تصدر بمقدمة للمحقق " فضل محمد الحميدان" كانت في وصفها عامة.

- أن تختتم فصوله ووحداته بمجموعة من الأسئلة والأنشطة التي تدعو المتعلم للبحث عن الاجابات الوافية، وهذا ما وجدناه في الكتب الثلاثة سوية.

- أن تعطى العناية الجيدة للكتب من حيث الطباعة وحجم الحروف والعناوين الرئيسية وابراز القاعدة والملخص بلون مغاير للشرح. وهذا ما وجدناه في كتابي النحو الواضح والبلاغة الواضحة ماعدا كتاب الصرف إذ كان بلون واحد.

- يجب أن تراعى الفروق الفردية بين الطلاب ويوازن بين شمول المحتوى وعمق مواضيعه. وكذلك تجاري موضوعاته التغيرات والمستجدات وتتناسب مع الحصص المقررة له.

- بالنسبة لكتاب النحو كانت متناسبة نوعا ما مع عدد الحصص بينما البلاغة الواضحة كانت كثيرة التمرينات قياسا بعدد الحصص ووقتها.

المبحث الثالث: تدريس اللغة العربية بين طريقتي الوحدة والفروع:

اللغة العربية كمادة دراسية تهدف أساساً إلى الوصول بالتلميذ إلى الأداء اللغو السليم تعبيراً وفهماً بما يتضمنه من مهارات سواء أكانت قراءة أم كتابة أم حديثاً أم استماعاً وتوظيف هذه المهارات في الحياة العملية توظيفاً موفقاً. والأداء اللغوي لكي يكون سليماً يجب أن يعتمد على قواعد اللغة العربية من نحو وصرف ولكي يؤدى هذا الأداء اللغوي وظيفته يجب أن يكون متسلسلاً في أفكاره، خالياً من عيوب النطق واللسان والكتابة، فاللغة العربية كلٌ متكامل لها مهام ووظائف تؤديها مجتمعة حيث أن لكل فرع من فروع اللغة وظائف تتداخل مع وظائف الفروع الأخرى لتنتج لنا لغة سليمة إلا أن هذه الوحدة لا تمنع من دراسة تلك اللغة من خلال فروعها والتعمق فيها وذلك من أجل التبحر في تلك الفروع والتمكن منها من جهة ومن أجل التيسير فيتعلمها من جهة أخرى.

المطلب الأول: طريقة الوحدة في تدريس اللغة العربية:

مفهوم طريقة الوحدة في تدريس اللغة العربية وكيفية العمل بها: -

المراد بطريقة الوحدة في تعليم اللغة العربية أن ينظر إلى اللغة على أنها وحدة واحدة مترابطة متماسكة وليست فروعاً مفرقة مختلفة ولتطبيق هذه النظرية أو الطريقة يتخذ الموضوع أو النص محوراً تدور حوله جميع الدراسات اللغوية فيكون هو موضوع القراءة والتعبير والتذوق والحفظ والإملاء والتدريب اللغوي ... وهكذا كما معمول به لمنهج اللغة العربية في مدارس التربية، وقد كانت هذه الطريقة هي السائدة في العهود الأولى تدريساً وتأليفاً وكتاب الكامل للمبرد يعد مثالاً للتأليف على هذه الطريقة، ففيه يعرض النص ويعالج من الناحية اللغوية والنحوية والصرفية وغيرها.

ومن مزايا طريقة الوحدة في تدريس اللغة: - هناك مميزات أو أسسا نفسيةً وتربويةً ولغويةً تعتمد عليها طريقة الوحدة في تعليم اللغة (ابراهيم عبدالعليم ص52). فمن تلك الأسس أو الميزات التربوية والنفسية:

- أن فيها تجديداً لنشاط التلاميذ وبعثاً لشوقهم ودفعاً للسأم والملل عنهم لتنوع العمل وتلوينه. وفيها نوع من تكرار الرجوع إلى الموضوع الواحد، لعلاجه من مختلف النواحي وفي ذلك التكرار تثبت وزيادة فهم.

- طريقة الوحدة تقضي بفهم الموقف الذي يمثله الموضوع فهماً كلياً أولاً ثم الانتقال بعد ذلك إلى فهم الأجزاء وهذا يساير طبيعة الذهن في إدراك الأشياء والمعلومات.

- أن فيها ربطاً وثيقاً بين ألوان الدراسات اللغوية، وفيها ضمان للنمو اللغوي عند التلاميذ نمواً متعادلاً لا يطغى فيه لون على آخر؛ لأن هذه الألوان جميعها تعالج في ظروف واحدة لا تتفاوت فيها حماسة المدرس أو إخلاصه أو غير ذلك.

المطلب الثاني: طريقة الفروع في تدريس اللغة العربية:

المراد بطريقة الفروع أن يدرس كل فرع من فروع اللغة العربية على حدة باعتباره

وحده قائمة بذاتها ويكون لكل فرع منهجه وكتبه وحصصه (زقوت، شحادة، 94)، ولتطبيق هذه الطريقة يعالج كل فرع من الفروع على أساس منهجة المرسوم في حصصه المقررة في الجدول الدراسي(ابراهيم عبدالعليم، 52) وهذه الطريقة متبعة في مناهجنا الدراسية وخاصة مواد اللغة العربية المقررة في الثانويات الاسلامية.

مزايا طريقة الفروع في تدريس اللغة العربية: تُعد مزايا طريقة الفروع في تدريس اللغة العربية من الانتقادات الموجهة لطريقة الوحدة في تدريس اللغة وهذه الميزات هي:

- إن تدريس اللغة العربية مقسمة إلى فروع يتيح للمعلم فرصة التعمق في تدريس بعض الفروع التي يرى ضرورة لزيادة الإهتمام بها، وهذا ما التمسناه في تدريس مادة النحو الواضح وفي أغلب مواضيعه لما تحتاج من توضيح المقصود وإلمام بالمادة على حسب ما موجود في التمرينات الموضوعة في المنهج.

- طريقة الفروع تساعد على استيعاب الطلبة لجميع العناصر والجزئيات التي يحتويها الفرع والتي قد لا تأخذ حقها من العناية في طريقة الوحدة (زقوت شحاذة، ص 95).

-التدريس بطريقة الفروع يُجنب المعلم الاستطراد في جانب معين دون الجوانب الأخرى كما يحدث أحياناً في طريقة الوحدة(السيد، محمود،1990م 44).

- طريقة الفروع تتيح للمعلم أن يتبحر في المسائل التي ينبغي التبحر بها ودراستها بتوسع بخلاف نظرية الوحدة التي قد تترك ثغرات في المنهج لا تظفر بنصيبها من العناية والدرس(ابراهيم عبدالعليم ص52). وهنا قد لا تكفي الحصة المقررة للدرس الواحد وتخالف بذلك الخطة الموضوعة لها، قد تفيد في مراحل متقدمة وليست في مرحلة الاعدادية.

هناك بعض الانتقادات التي وجهت لطريقة الفروع وهي: أن طريقة الفروع فيها تمزيقٌ لّلغة يفسد جوهرها ويخرجها عن طبيعتها، فهذا التمزيق يعد تفتيتاً للخبرة اللغوية التي يكتسبها التلاميذ ولعل هّذا من أسباب عجزهم عن استعمال اللغة في المواقف الحياتية استعمالاً سليماً من جميع الوجوه، فهم لا يتحرون الضبط الصحيح والنطق السليم إلا في حصة القواعد، ولا يهتمون برسم الكلمات رسماً صحيحاً إلا في حصة الإملاء ولا يرسمونها رسماً جميلاً إلا في حصة الخط(ابراهيم عبدالعليم ص52). كذلك تقلل طريقة الفروع في تدريس اللغة فُرص التدريب اللغوي السليم الذي هو الغاية من دراسة فروع اللغة الأخرى(زقوت، شحادة، ص 95).

المبحث الرابع: أسلوب تحليل البحث

استخدمت الباحثة أسلوب تحليل البحث العلمي الذي يستهدف الوصف الموضوعي المنظم والكمي للمضمون الظاهر لمادة الاتصال من خلال الاستبيان الذي يتحصل منه على البيانات الوصفية عن محتوى الكتاب أو المعلومات المكتوبة.

المطلب الأول: تحليل بيانات الاستبيان

أولا: استبيان المدرسين لكلا الجنسين:

جدول (1) يبين عدد الذكور والاناث

الجنس	التكرارات	النسبة المئوية
ذكر	10	%50
انثى	10	%50
المجموع	20	%100

يتضح من الجدول أن عدد الذكور يساوي عدد الإناث في عينة الدراسة، حيث بلغ عدد كل فئة (10) من أصل (20) معلّمًا ومعلّمة، أي بنسبة (50%) لكل منهما.

وهذا التوزيع المتوازن بين الجنسين يعكس عدالة في تمثيل الفئتين داخل مجتمع الدراسة، ويُكسب النتائج موضوعية ومصداقية أعلى، إذ يُتيح إمكانية المقارنة بين آراء المدرسين والمدرسات في تقويم كتب اللغة العربية دون تحيّز لجنس معين.

جدول (2) متوسط سنوات الخدمة لمادة اللغة العربية.

2. سنوات الخدمة في تدريس اللغة العربية	التكرارات	النسبة المئوية
اقل من 5 سنوات	6	%30
5-10 سنوات	6	%30

اكثر من 10 سنوات	8	%40
المجموع	20	%100

يتضح من الجدول أن نسبة المعلّمين ذوي الخبرة الطويلة (أكثر من 10 سنوات) هي الأعلى، حيث بلغت (40%) من إجمالي أفراد العينة، يليهم فئتا المعلمين الذين تتراوح خبرتهم بين 10-5) سنوات(وأقل من 5) سنوات(بنسبة متساوية (30%) لكل منهما.

يشير هذا التوزيع إلى أن العينة تضم مستويات متنوعة من الخبرة التدريسية، وهو ما يُثري نتائج الدراسة ويمنحها شمولية في تمثيل وجهات النظر بين المعلمين الجدد والمخضرمين. ارتفاع نسبة المعلمين ذوي الخبرة الطويلة قد يُسهم في تقديم آراء أكثر عمقًا وموضوعية حول محتوى كتب اللغة العربية، نتيجة خبرتهم في التعامل مع المناهج عبر سنوات مختلفة. وجود نسبة مناسبة من المعلمين الجدد والمتوسطي الخبرة (60% مجتمعين) يُتيح أيضًا رؤية معاصرة حول مدى ملاءمة المناهج الحالية لاحتياجات الطلبة الحديثة.

جدول (3) وضح العينة مجتمعة لنوع الدراسة.

3. نوع المدرسة	التكرارات	النسبة المئوية
اسلامية	20	%100
المجموع	20	%100

يتضح من الجدول أعلاه ان العينة ومجتمع الدراسة المدارس الإسلامية فقط.

جدول (4) يبين الوسط الحسابي والاهمية النسبية والانحراف المعياري لفقرات الاستبيان

مفردات الاستبيان وفقراته	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية
1 | أهداف كتب اللغة العربية واضحة	3.2	0.503	%64

ومحددة في بداية كل وحدة.			
2 | محتوى الكتب يتناسب مع مستوى الطلبة العمري والعقلي.	2.55	0.366	%51
3 | الأمثلة الواردة في الكتب متنوعة وتشمل القرآن الكريم والحديث النبوي.	3.7	0.503	%74
4 | تمارين الكتاب تساعد الطلبة على الفهم والتطبيق.	2.89	0.41	%58
5 | الطباعة والإخراج الفني للكتب مشجّع على القراءة.	3.29	0.444	%66
6 | هناك توازن بين موضوعات النحو والبلاغة والصرف.	2.4	0.503	%48
7 | الكتاب يثير دافعية الطلبة للتعلّم وحبّ اللغة العربية.	2.6	0.47	%52
8 | الأنشطة التعليمية تراعي الفروق الفردية بين الطلبة.	3.12	0.51	%62
9 | الأسئلة التقويمية في نهاية الدروس تقيس الفهم بعمق.	4.1	0.503	%82
10 | من الضروري إشراك المدرسين في تطوير المناهج والكتب الدراسية.	4.21	0.366	%84

تشير نتائج الجدول إلى تقييم شامل لمحتوى كتب اللغة العربية من خلال مجموعة من البنود المرتبطة بالأهداف والمحتوى والأنشطة والأساليب التقويمية والإخراج الفني. يمكن تحليل النتائج بصورة أكاديمية وفق مؤشرات الوسط الحسابي والانحراف المعياري والأهمية النسبية، بما يعكس مستوى جودة الكتاب المدرسي ومدى توافقه مع المعايير التربوية الحديثة.

تُظهر البيانات أن أعلى البنود من حيث المتوسط الحسابي والأهمية النسبية تمثّلت في ضرورة إشراك المدرسين في تطوير المناهج والكتب الدراسية (M=4.21، نسبة 84%)، وهو ما يؤكد إدراك المشاركين لأهمية الدور المهني للمعلم في تحسين جودة المحتوى التعليمي وضمان توافقه مع واقع الممارسة الصفية.

كما حصل بند الأسئلة التقويمية في نهاية الدروس (M=4.10، نسبة 82%) على درجة مرتفعة، مما يدل على فاعلية أدوات التقييم في قياس الفهم والتحصيل المعرفي بعمق. أما بند تنوع الأمثلة وشمولها لمصادر أصيلة كالقرآن الكريم والحديث النبوي (M=3.70، نسبة 74%) فقد عكس اتساع قاعدة المحتوى واستناده إلى مراجع لغوية وثقافية رصينة.

في المقابل، جاءت بعض البنود بمستوى متوسط مثل وضوح الأهداف التعليمية (M=3.20، نسبة 64%) والإخراج الفني والطباعة (M=3.29، نسبة 66%) ومراعاة الفروق الفردية في الأنشطة (M=3.12، نسبة 62%)، وهي نتائج تشير إلى وجود مقبولية عامة مع الحاجة إلى تطوير الأساليب البصرية والتربوية بما يتناسب مع تنوع الطلبة.

أما البنود الأدنى تقييمًا، فقد تمثلت في تحقيق التوازن بين موضوعات النحو والبلاغة والصرف (M=2.40، نسبة 48%) ومدى تناسب المحتوى مع المستوى العمري والعقلي للطلبة (M=2.55، نسبة 51%) وقدرة الكتاب على إثارة الدافعية للتعلم (M=2.60، نسبة 52%)، وهي مؤشرات تكشف عن جوانب ضعف تتطلب إعادة نظر في بنية المحتوى وتضمين استراتيجيات تعلم نشط ومحفزة للمتعلمين، بوجه عام.

توضح النتائج أن كتب اللغة العربية تتسم بجودة معقولة في جانب التقويم وتنوع الأمثلة، بينما تحتاج إلى تحسينات نوعية في التوازن المعرفي والدافعية التعليمية وتكييف المحتوى مع خصائص المتعلمين. ويُوصى بأن يتم تطوير هذه

الكتب وفق مدخل تشاركي يدمج آراء المعلمين والمشرفين التربويين لضمان مواءمتها لمتطلبات التعليم الحديث ومعايير الجودة الشاملة في المناهج.

المطلب الثاني: الاخطاء المطبعية والفنية في كتب اللغة العربية:

أولا: الأخطاء المطبعية في كتاب الصرف:

الجدول (5) يوضح الأخطاء المطبعية في كتاب الصرف للخامس إسلامي.

المفردة	التصويب	الصفحة
فعلل	تفعلل	نقطة خامسًا في الجدول ص6
لوازك	لوازم	ص15
فالإعلال	فالإعلال	ص24
وانفتح كا	وانفتح ما	ص25
بالفتح فِرَّ	بالفتح فَرَّ	نقطة ب، ص47
برامي	رامي	ص31

ثانيا: الأخطاء الفنية في كتاب البلاغة:

جدول رقم (6) يبين الأخطاء في كتاب البلاغة الواضحة للصف الخامس.

المفردات	التصويب	الصفحة
تعريف علم البديع	تعريف علم البيان	ص11
استهلال اغلب الامثلة في التمرينات بالشعر كثيرا ما وجدناه في كتاب البلاغة بينما كتاب النحو الواضح كاد يخلو من الشواهد القرآنية	وكان الأولى التمثيل لذلك من آيات القرآن الكريم وبعدها الحديث النبوي ومن ثم كلام العرب	

المطلب الثالث: أبرز نقاط القوة والضعف في كتب اللغة العربية للصف الخامس

أولا: أبرز نقاط القوة في كتب اللغة العربية للصف الخامس.

أجمع عدد من المدرسين على أن كتب اللغة العربية تتضمن عدداً من الجوانب الإيجابية التي تسهم في تحقيق الأهداف التعليمية، من أبرزها:

1. وضوح الأهداف التعليمية في بداية الوحدات الدراسية، مما يساعد المعلم والمتعلم على توجيه عملية التعلم وفق مخرجات محددة وواضحة.
2. تنوع الأمثلة والمصادر اللغوية التي يستند إليها الكتاب، حيث شملت نصوصاً من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ونماذج من الأدب العربي، وهو ما يعزز القيم الدينية واللغوية لدى الطلبة.
3. جودة الأسئلة التقويمية في نهاية الدروس، والتي تسهم في قياس مدى الفهم والتحليل وتساعد على ربط المحتوى بالأهداف التعليمية.

4. الإخراج الفني المقبول للكتب من حيث الطباعة والتصميم والعرض البصري، مما يجعل الكتاب أكثر جذباً وتشجيعاً على القراءة.

ثانيًا: أبرز نقاط الضعف أو الصعوبات التي تواجه المدرسين والطلبة

بيّنت آراء المدرسين أن هناك عدداً من التحديات التي تحدّ من فاعلية كتب اللغة العربية في الصف الخامس، من أهمها:

1. عدم التوازن بين فروع اللغة (النحو، البلاغة، الصرف)، مما يجعل بعض الموضوعات أكثر تركيزاً على حساب أخرى.

2. صعوبة بعض المفاهيم اللغوية والمحتوى بالنسبة للمستوى العمري للطلبة، الأمر الذي يقلل من قدرتهم على الاستيعاب والتطبيق.

3. ضعف عنصر التشويق والدافعية للتعلّم، حيث يرى المدرسون أن الأنشطة والتمارين لا تحفّز اهتمام الطلبة أو تنمّي حبهم للغة العربية.

4. قصور في مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، إذ لا تتنوع الأنشطة بما يكفي لاستيعاب اختلاف قدرات الطلبة ومستوياتهم.

5. قلة مشاركة المعلمين في إعداد وتطوير الكتب الدراسية، مما يؤدي إلى فجوة بين الواقع التعليمي والمحتوى المقدم في الكتاب.

6. وجود أخطاء مطبعية وفنية وهذا ما يستدعي لتنقيح الكتب أو إعادة صياغتها.

ثالثًا: المقترحات التطويرية لتجويد كتب اللغة العربية

انطلاقاً من تلك الملاحظات، يقترح المدرسون عدداً من الإجراءات التي من شأنها رفع جودة الكتب وتفعيل دورها التربوي، ومن أبرزها:

1. مراجعة المحتوى اللغوي لتحقيق التوازن بين فروع اللغة، مع التركيز على التكامل بين المهارات اللغوية.

2. تبسيط المفاهيم والمعلومات بما يتناسب مع الخصائص العمرية والنمائية للطلبة في هذه المرحلة.

3. إدخال أنشطة تفاعلية متنوعة تثير الدافعية وتشجع الطلبة على المشاركة الإيجابية في الدرس.

4. تصميم تدريبات تراعي الفروق الفردية وتتيح فرصاً للتعلّم الذاتي والعمل الجماعي.

5. تفعيل مشاركة المعلمين في عمليات التطوير من خلال لجان تربوية واستطلاعات دورية تضمن مواءمة المحتوى للواقع العملي.

6. تحسين الإخراج الفني بإضافة عناصر بصرية ورسومات تعليمية تدعم الفهم وتزيد من جاذبية المحتوى.

7. دمج الوسائط الرقمية المساندة مثل الروابط التفاعلية أو التطبيقات التعليمية التي تدعم التعلم الممتد خارج الصف.

ثانيًا: استبيان للطلّاب

جدول (7) يبين الوسط الحسابي والاهمية النسبية والانحراف المعياري لفقرات الاستبيان

	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية
1 | الكتاب المدرسي سهل الفهم وواضح في الشرح.	2.1	0.517	%42
2 | الأمثلة والتمارين تساعدني على تطبيق الدروس.	2.7	0.428	%54
3 | حجم الكتاب مناسب وعدد الدروس غير مبالغ فيه.	2.86	0.757	%57.2
4 | الخط وحجم الطباعة مريح	3.4	0.618	%68

للقراءة.			
5 | الدروس ممتعة وتشجعني على حب اللغة العربية.	3.1	0.515	%62
6 | أستطيع فهم الأمثلة من القرآن والحديث بسهولة.	2.86	0.535	%57.2
7 | الكتاب يحتوي على أنشطة ممتعة تساعد على التعلم.	3.2	0.584	%64
8 | الوقت المخصص للدرس كافٍ لفهم المواضيع.	2.4	0.647	%48
9 | أستفيد من الكتاب في حياتي اليومية وخطابي العربي.	3.24	0.622	%64.8
10 | أرغب أن تكون هناك صور أو خرائط ذهنية في الكتاب.	3.88	0.521	%77.6

يعكس الجدول الحالي نتائج تحليل آراء طلبة الصف الخامس حول جودة كتب اللغة العربية من حيث سهولة الفهم، ووضوح الشرح، وفاعلية الأنشطة التعليمية، وجودة الإخراج الفني. ومن خلال مؤشرات الوسط الحسابي والانحراف المعياري والأهمية النسبية، يمكن استنتاج تصورات الطلبة تجاه الكتاب المدرسي بصورة علمية دقيقة تعكس اتجاهاتهم نحو تعلم اللغة العربية.

تشير القيم الإحصائية إلى أن المستوى العام لتقييم الطلبة جاء متوسطًا، حيث تراوحت المتوسطات الحسابية بين (2.1) و(3.88)، وهو ما يعكس تبايناً واضحاً بين الجوانب الشكلية للكتاب والجوانب المعرفية المرتبطة بالمحتوى والفهم. فقد اتضح أن البنود الأعلى تقييمًا كانت تلك المتعلقة بالتصميم والإخراج الفني، بينما حصلت البنود الخاصة بوضوح الشرح وسهولة الفهم على تقييم منخفض نسبياً.

فقد جاء بند »أرغب أن تكون هناك صور أو خرائط ذهنية في الكتاب« في المرتبة الأولى من حيث التقدير، مما يشير إلى إدراك الطلبة لأهمية الوسائط البصرية في دعم الفهم وتنشيط التفكير. كما أظهر بند »الخط وحجم الطباعة مريح للقراءة« مستوى مرتفعاً من الرضا، ما يدل على أن الإخراج الفني يلعب دوراً إيجابياً في تحسين تجربة التعلم. أما البنود المتعلقة ب»وجود أنشطة ممتعة تساعد على التعلم والاستفادة من الكتاب في الحياة اليومية، فقد نالت هي الأخرى تقديرات جيدة، وهو ما يعكس نجاح الكتاب في تقديم أنشطة ذات بعد تطبيقي تجعل اللغة أكثر قرباً من واقع المتعلم.

في المقابل، أظهرت البنود الخاصة بمستوى الفهم والشرح انخفاضاً واضحاً في التقييم؛ إذ أشار الطلبة إلى أن بعض الدروس تتسم بصعوبة لغوية وتراكيب معقدة لا تتناسب تماماً مع قدراتهم العقلية والعمرية، الأمر الذي يقلل من فاعلية الكتاب كأداة تعلم ذاتية. كما عبّر عدد من الطلبة عن شعورهم بعدم كفاية الوقت المخصص لتغطية الدروس وفهمها بعمق، مما يعكس حاجة إلى مراجعة توزيع المحتوى الزمني والكمّي للدروس. كذلك، تبيّن أن الأمثلة القرآنية والحديثية الواردة في الكتاب تحتاج إلى مزيد من التبسيط والشرح لتكون أكثر قابلية للفهم لدى هذه الفئة العمرية.

وتشير هذه النتائج إلى أن كتب اللغة العربية للصف الخامس تمتلك جاذبية شكلية وتنظيماً بصرياً مقبولاً، إلا أن هناك حاجة واضحة إلى تطوير الجانب التربوي واللغوي بما يضمن ملاءمته لقدرات الطلبة ويعزز دافعيتهم للتعلم. ومن منظور أكاديمي، يمكن القول إن نقاط القوة تكمن في جودة الإخراج الفني وشمول الأنشطة التطبيقية، بينما تتركز جوانب الضعف في صعوبة المحتوى وعدم كفاية الوقت الدراسي وغياب الوسائل البصرية المساندة بشكل كافٍ.

بناءً على ذلك، توصي النتائج بضرورة تبسيط لغة الكتاب ومحتواه، وتضمين وسائط تعليمية بصرية مثل الخرائط الذهنية والصور التوضيحية، إلى جانب تنويع الأنشطة التعليمية لتشمل مهاماً تفاعلية تدمج بين الجانب اللغوي والمهاري. كما

يُقترح مراجعة الخطة الزمنية للدروس لتتناسب مع قدرات الطلبة ومعدلات استيعابهم، وتوظيف أمثلة واقعية قريبة من بيئتهم لتيسير الفهم وتعزيز الارتباط بالواقع.

ومن منظور علمي تربوي، فإن هذا التحليل يؤكد أن تطوير كتب اللغة العربية يجب أن يستند إلى فهم عميق لخصائص المتعلمين، وأن نجاح الكتاب لا يتحقق فقط من خلال حسن الإخراج، بل من خلال تكامل الجانب المعرفي والتربوي والبصري في تصميم المحتوى، بما يسهم في تحقيق تعلم فعّال ومستدام للغة العربية.

النتائج والتوصيات:

1.أن يكـون الكتـاب المدرسـي مناسـباً لمسـتوى الطلبـة المعرفـي ومسـايراً لواقعهم وبيئتهم، وخاصة بعد تكييف بعض المناهج، وبضرورة عرض الأفكار بصـورة متسلسـلة، وتنـوع الأسـاليب وبتعويـد الطلبـة علـى القـراءة الصـحيحة والاهتمام بعلامات الترقيم.

2. إشراك المدرسين في إعداد المناهج وتطويرها لأنهم هم من يدرسون تلك الكتب ولكونهم هم من كانوا مع تماس مباشر مع الطلبة وتطلعاتهم ومدى استيعابهم لفهم تلك المواضيع.

3. أن يحتوى الكتاب المدرسي على منهج يثير لديهم التفكير ويحمسهم على البحث والدراسة والاطلاع أكثر.

4. بالنسبة لكتاب الصرف يجب أن يتضمن على قائمة بالمحتويات التي ورد ذكرها في طيات الكتاب. وكذلك أن يحتوي على مقدمة فيها شرح الأهداف المتوخاة مع بيان أسلوبه في عرض مادته.

6. الاهتمام بالاقتباسات القرآنية والحديث النبوي والاكثار من أمثلتهما في التمرينات. اذ يكاد ينعدم وجودها في كتابي النحو الواضح والصرف.

7. جعل أهداف عامة وسلوكية لكل فصل لبيان موضوعات الفصل.

المصادر:

1. إبـراهيم، ع. (د.ت). *الموجّـه الفنـي لمدرّسـي اللغـة العربيـة* (الطبعـة 7). القاهرة: دار المعارف.

2. العسالي، ع. ي.(2005) . *المنهج المدرسي: أسسه الاجتماعية والفلسفية ما بين المفهوم التقليدي* (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية التربية، جامعة النجاح الوطنية.

3. عطية، م، والهاشمي، خ.(2009) . *تحليل محتوى مناهج اللغة العربية: رؤية نظرية تطبيقية* (الطبعة 1). عمّان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

4.جامعة القدس المفتوحة.(1992) . *المنهاج التربوي*. عمّان: جامعة القدس المفتوحة.

5. جرادات، ع.، وآخرون.(1983) . *التدريس الفعّال*. عمّان: المكتبة التربوية المعاصرة.

6. زقوت، م. ش. (د.ت). *المرشد في تدريس اللغة العربية* (الطبعة 2). غزّة: مكتبة الأمل.

7. سعادة، ج.، وإبراهيم، أ.(2001) . *المنهج المدرسي في القرن الحادي والعشرين* (الطبعة 3). الأردن: مكتبة الفلاح.

8. السيد، م. أ.(1990) . *الموجز في طرائق اللغة العربية وآدابها* (الجزء 1، الطبعة 1). بيروت: دار العودة.

9. شاهين، م.(1999) . *الجودة الشاملة والمنهج*. عمّان، الأردن: دار المناهج للنشر والتوزيع.

10. طعيمة، ر. أ. (د.ت). *الكتاب الأساسي لتعليم اللغة العربية - تحليله وتقويمه*) .

11. وزارة الثقافة والفنون. (د.ت). *نحو لغة عربية سليمة* (سلسلة دراسات رقم 140). العراق: منشورات وزارة الثقافة والفنون.

Websites
https://www.sistani.org/arabic/archive/24918/
https://www-archiv.fdm.uni-hamburg.de/lhn/node/125.html
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%87%D9%84%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%A9_(2014%E2%80%932017(
https://quranyusufali.com/

الخلاصة

تنص خطب الجمعة التي ألقيت في ضريح الإمام الحسين عليه السلام على توجيهات وجهتها المرجعية العليا للشعب العراقي بشكل خاص والأمة الإسلامية عامة. وخطبة الجمعة، التي أُعلن فيها عن فتوى الجهاد الكافي، من الخطب التاريخية. أعلن المرجع الأعلى للشيعة في العراق، الإمام السيستاني، عن فتوى الجهاد الكافي للدفاع عن العراق الذي يغزوه تنظيم داعش. تحلل الدراسة الحالية الجوانب التداولية للسرد في هذه العظة. وهي تتبنى نموذج Van Dijk's (1988) للبنية السردية ونموذج Ilie and Norrick (2018) للجوانب التداولية للسرد. يفترض أن نموذج Van Dijk`s (1991) لمخطط الخطاب يطبق بشكل مثمر على فقرات الخطاب. بالإضافة إلى ذلك، ان تكرار الكلمات والعبارات، والتحول باستخدام الزمن، والعلامات الفعالة والتفاعلية تعمل بشكل تداولي لتركيز انتباه المستمع على الموضوعات المركزية للخطاب.

Fludernik, M., (2006). **An Introduction to Narratology**. New York: Routledge.
Genette, G. (1988). **Narrative Discourse**. Trans. Jane E. Lewin. Oxford: Blackwell.
Grice, P. (1989). **Studies in the Way of Words**. London: Harvard University Press.
Hyland, K. (2005). **Metadiscourse: Exploring Interaction in Writing**. London: Continuum.
Ilie, C. and Norrick, N.R. (2018). **Pragmatics and its Interfaces**. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
Meiser, J.C. (2011). Narratology. Published on **the living handbook of Narratology**. Hamburg: University of Hamburg.
Murdoch, I. (2003). "Vision and Choice in Morality". In **Existentialists and Mystics: Writings on Philosophy and Literature, p. 81; Iris Murdoch, Metaphysics as a Guide to Morals.** London: Vintage, 2003), pp. 25- 26.
Pearson, B.Z. (2006). **Discourse, Narrative and Pragmatic Development**. Amherst: University of Massachusetts Press.
Quirk, R. , Greenbaum, S. ,Leech,G. and Svartvik, J. (1985) **A Comprehensive Grammar of the English Language.** London: Longman.
Ryan, M, (2007). "Toward a Definition of Narrative". In **The Cambridge companion to narrative, David Herman** . Cambridge: Cambridge University Press.
Schiffrin, D., Tannen, D. and Hamilton, H. (2003). **The Handbook of Discourse Analysis.** Oxford, Blackwell Publishing.
Todorov,T. (1969). **Grammar: The Hague Traditions**. London: Sage Publication
Trask, R.L. (2007). **Language and Linguistics**. London: Routledge.
Van Dijk, T.A. (1988). **News Analysis**. Hove and London : Lawrence ERLBAUM Associates Publishers.

central topic, the necessity of sufficient jihad, by mentioning holy verses from the Glorious Qur`an.

5. The interactive markers are the most prominent one in the text. They function to guide the listener to the central topics of the text. They help to give an adequate interpretation to the listeners. Frame markers are the most used as they function as assigners of the structure of the text. They order the text and introduce the goals of the discourse. Interactional markers are used to function as helpers of the listeners to participate the discourse. In addition, they signal the speaker`s point of view as well as drawing their attention to important points of the text. Engagement markers are the most used among the interactional markers. They pragmatically function to fulfill the listener`s expectations of engagement in the discourse. In addition, they reflect the rhetorical position to attract the listeners` attention into the discourse.

References

Barthes, R., Duisit, L. (1975). "An Introduction to the Structural Analysis of Narrative", in **New Literary History**, 6, pp. 237-272.

Bonheim, H. (1982). **The Narrative Modes: Techniques of the Short Story**. Cambridge: Brewer.

Chatman, S., (1978). **Story and Discourse: Narrative Structure in Fiction and Film**. Ithaca and London: Cornell University Press.

_____, S., (1990). **Coming to terms: The Rhetoric of Narrative in Fiction and Film**. Ithaca: Cornell University Press.

Crystal, D, (2008). **A Dictionary of Linguistics and Phonetics**. London: Blackwell Publishing.

Finnem, S. (2014). Narration in Religious Discourse: The Example of Christianity. Published on **the living handbook of Narratology**. Hamburg: University of Hamburg.

Self-mention markers function to express a direct attempt of persuasion for the listeners to contemplate the main topic which is the necessity of defending Iraq. Boosters function to help the speaker to exclude options and to express certainty in the proposition.

Finally, despite the one use of attitude markers, they function to foreground the effective attitudes.

8. Conclusions

According to the prior hypotheses, the study arrives at the following conclusions:

1. The selected discourse consists of eleven paragraphs. Van Dijk`s (1988) schema of the structure of narrative discourse can be better applied. The first paragraph presents the abstract which summarizes the dangers which Iraq passes through. The second paragraph presents the introduction which shows that the Iraqi people are greater than any challenge. The paragraphs from 3-8 reveal the substance as the speaker talks to all the Iraqi people, families, security forces, and political leaders. Then, the ninth and tenth paragraphs present the conclusion which is the declaration of the fatwa of the sufficient jihad.

2. " واوAnd" as a discourse marker is the most prominent marker. It occurs 85 times. It functions as a connector of two clauses, a director of two or more entities in the same order, and an implicature of the narrative development.

3. Repetition of words and phrases functions a highlighter of central events. The tautological use of words such as " العراقIraq", " الشعبpeople", " ينجز achieve", and " الغرضpurpose" foregrounds the central event of the discourse which is the necessity of defending Iraq and its people.

4. Tense shift plays a grammatical role as it focuses the attention of the listeners on the central topic of the discourse by reminding them that Iraqi people are famous for their courage, so their joining the sufficient jihad is logical. In addition, the tense shift from present to past in " قالsaid" shows the firm support of the

For the types of the interactional markers, engagement markers occur 16 times and amount 48.4 %. Self-mention markers occur 13 and amount 39.3%. Boosters occur 3 times and amount 9.0%. Then, attitude markers occur only one time and amount 3.0%, as illustrated in Table 3 and Figure 3 below:

Table 3: Interactional Markers

Interactional Markers	Occurrence	Percentage
Engagement Markers	16	48.4%
Self-mention Markers	13	39.3%
Boosters	3	9.0%
Attitude Markers	1	3.0%
Hedges	0	00.0%
Total	36	100%

Figure 3: Interactional Markers

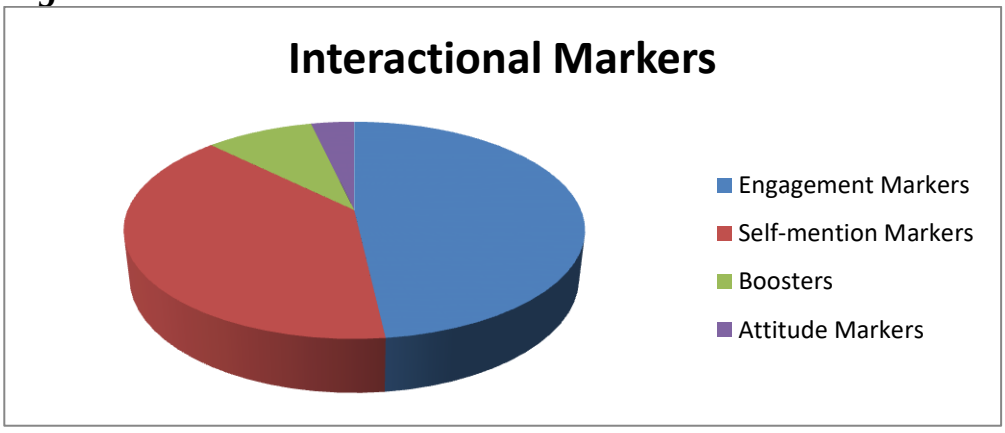

Obviously, engagement markers are the most prominent among the other types of interactional markers. They pragmatically function to fulfill the listener`s expectations of engagement in the discourse. In addition, they reflect the rhetorical position to attract the listeners into the discourse.

Table 2: Interactive Markers

Interactive Markers	Occurrence	Percentage
Frame Markers	25	69.4%
Code Glosses Markers	8	22.2%
Transition Markers	3	8.3%
Endophoric Markers	0	00.0%
Evidential Markers	0	00.0%
Total	36	100%

Figure 2: Interactive Markers

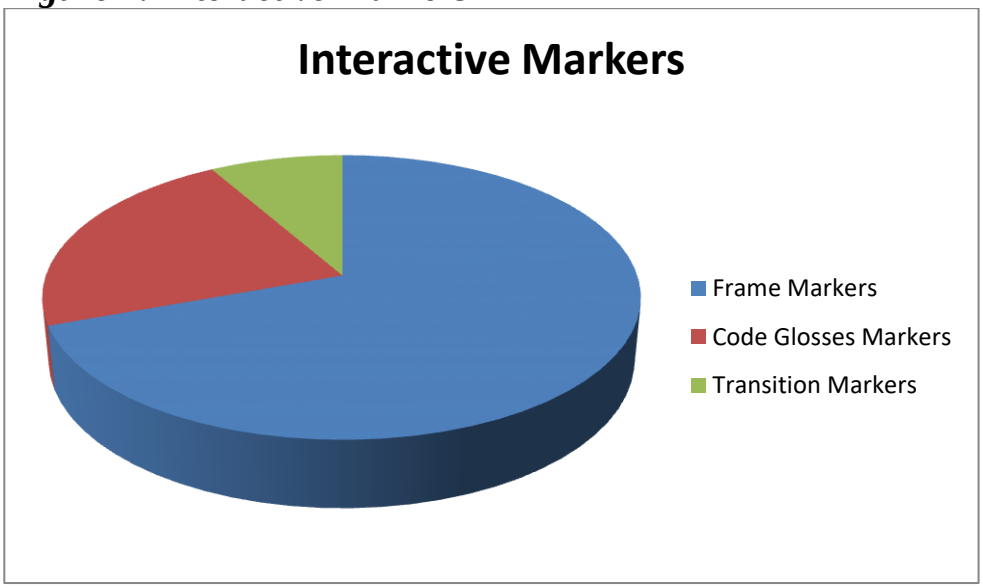

Frame markers pragmatically function as assigners of the structure of the text. They order the text and introduce the goals of the discourse. On the other hand, code glosses markers function as providers of extra contents or information. They elaborate the propositional meaning of the text which is the necessity for the fatwa of sufficient jihad. Last, but not least, transition markers function to reveal the pragmatic relation between the steps of the argument presented.

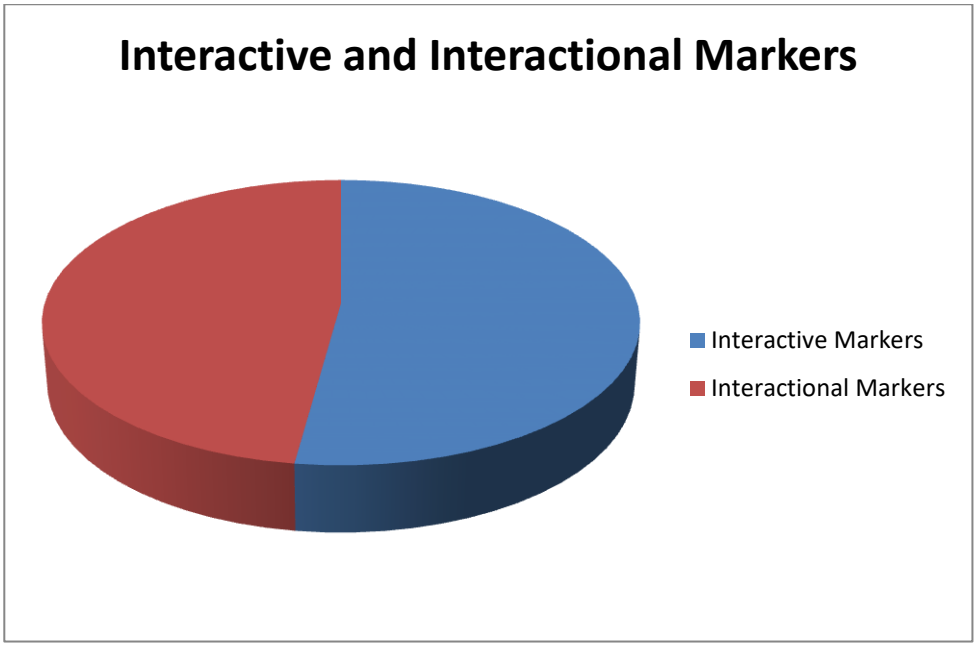

The interactive markers pragmatically function as a guide of the listener/ reader to the text. They help the speaker to construct information that gives an adequate interpretation to the listener. They help the listener to be aware of the main topic which is the necessity to defend the country against the attack of ISIS. On the other hand, the interactional markers pragmatically function as helper of the listeners to participate the discourse. In addition, they signal the speaker`s point of view as well as drawing attention to important points of the text.

For the types of the interactive markers, the frame markers occur 25 times and amount 69.4%. Code glosses markers occur 8 times and amount 22.2%. Then, transition markers occur 3 times and amount 8.3%, as illustrated in Table 2 and Figure 2 below:

"بـل لا بـد أن يكـون ذلـك حـافزاً لنـا لمزيـد مـن العطـاء فـي سـبيل حفـظ بلـدنا ومقدساتنا"

"Rather, this must be an incentive for us to give more in order to preserve our country and our sanctities."

- "us" (2 times), as in:

"هذه توفر حافزا لنا لتقديم المزيد من العطاء و التضحيات في سبيل الحفاظ على وحدة بلدنا وكرامته"

"It stimulates us for more giving and sacrifices for the sake of preserving the unity and dignity of our country …"

Finally, there are no hedges in the selected discourse.

7.2.4.3 Results and Discussion of Hyland`s (2005) Discourse Markers

The total number of the observed markers is 69 times. Interactive markers are more prominent than interactional markers. Interactive markers occur 36 times and amount 52.1%. Interactional markers occur 33 times and amount 47.8%, as illustrated in Figure 1 below:

Figure 1: Interactive and Interactional Markers

"it becomes clear that the aim of these aggressive terrorists is a dark aim that is far from the spirit of Islam."

- "known" (2 times), as in:

"الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة والإقدام وتحمّل المسؤولية الوطنية والشرعية"

"the Iraqi people, who are known for their courage and daring, and their shouldering of national responsibility."

C. Engagement ةarkers occur in:

- " (لابد) يجبmust" (9 times", as in:

"بل لا بد أن يكون ذلك حافزاً لنا لمزيد من العطاء في سبيل حفظ بلدنا ومقدساتنا"

"this must be an incentive for us to give more in order to preserve our country and our sanctities."

- "you" (5 times), as in:

"تحثكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر. وان من يضحي.."

"We urge you to show courage, valor, steadfastness and patience."

- "your" (2 times), as in:

".....واجعلوا قصدكم ونيتكم ودافعكم هو الدفاع عن حرمات العراق ووحدته"

"… and make your intent, intention and motive to defend the sanctities of Iraq…"

D. Self-mention Markers occur in:

- "I" (2 times), as in:

"أوضح لكم ذلك.... يعني..."

"I clarify it … I mean .."

- "we" (3 times), as in:

"هذا معنى الوجوب الكفائي الذي نذكره هنا"

"This is the meaning of compulsion that we mention here."

- "our" (6 times), as in:

- "so" (6 times), as in:

فالمطلوب من الجهات المعنية تكريم هؤلاء تكريماً خاصاً لينالوا استحقاقهم من الثناء""

"The concerned authorities are required to reward them with a special honor, so that they receive the praise …."

C. Transition Markers occur in:

- " (لهذا) من هناHence: (2 times) as in :

"ومن هنا فإن مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم هي مسؤولية الجميع ولا تختص بطائفةٍ دون أخرى أو بطرفٍ دون آخر".

" ..and hence the responsibility of confronting and fighting them is everyone's and it is not limited to one sect over another, or to one party over another."

- "Rather" (1 time), as in:

"بل لا بد أن يكون ذلك حافزاً لنا لمزيد من العطاء في سبيل حفظ بلدنا ومقدساتنا"

"Rather, this must be an incentive for us to give more in order to preserve our country and our sanctities."

There are neither endophoric markers nor evidential markers in the selected discourse.

7.2.4.2 Interactional Markers

A. Attitude markers occur in " مهمةimportant" (1 time), as in:

"هذه الفقرة مهمة"

"This paragraph is important."

B. Boosters occur in:

- يتضح clear" (1 time), as in:

"حينما يتضح أن منهج هؤلاء الإرهابيين المعتدين هو منهج ظلامي بعيد عن روح الإسلام"

- "for example" (1 time) and "I mean يعني" (1 time), as in: مثلا

"يعني، لو تصدى له مثلا عشرة آلاف و تحقق الغرض، ... ""

"I mean, if the volunteers are, for example, ten thousand and they achieve the purpose."

- "Or x أو" (1 time), as in :

"أو بطرفٍ دون آخر"

"or to one party over another."

- "Said قال" (6 times), as in:

"الله سبحانه قال"

" God Almighty said.."

- "Such as كاف" (1 time), as in:

"كنينوى وصلاح الدين""

"such as Nineveh and Salah al-Din."

- "That is" (1 time), as in "that is far from the spirit of Islam."

"هو بعيد عن روح الإسلام"

B. Frame Markers occur in:

- "first أولا", "secondly ثانيا", "third ثالثا", "fourth رابعا", "fifth خامسا", "sixth سادسا", and "then ثم".

- "aim هدف" (3 times), as in:

"أن منهج هؤلاء الإرهابيين المعتدين هو منهج ظلامي بعيد عن روح الإسلام""

"it becomes clear that the aim of these aggressive terrorists is a dark aim that is far from the spirit of Islam."

- "intention نية" (1 time), as in:

"أنكم أمام مسؤولية تاريخية و وطنية و شرعية و اجعلوا قصدكم ونيتكم ودافعكم هو الدفاع عن حرمات العراق ووحدته"

"You are facing a historical, national and legal responsibility, and make your intent, intention and motive to defend the sanctities of Iraq and its unity."

- "purpose" (8 times), as in:

"ان يتحقق الغرض"

"they achieve the purpose."

achieve (ينجز)(8 times) the purpose (الغرض) (8 times) and defend (يدافع) (3 times) their country (الوطن) (4 times) and sanctities of Iraq (مقدسات العراق) (6 times).

7.2.3 Tense Shift

There are 9 cases from tense shift. They are generally from the present to the past, then, to the present again. Six of them used the verb "قال said" to show a direct speech by Allah, almighty, to narrate some verses from the glorious Qur`an. Such tense shift, in such manner, functions pragmatically as establisher of focus to mark transaction in storytelling. The speaker uses such tense shift to enhance what he is going to declare of fatwa sufficient jihad against SISI. As a result, he mentions holy verses that urge to jihad.

The other three cases of tense shift are in:

صرحوا بأنهم يستهدفون جميع المحافظات""

They have declared that they are targeting all provinces.

للمواطنين الذين عهدنا منهم الصبر""

Whom we have known for patience.

إن الكثير من الضباط والجنود قد أبلوا بلاءً حسناً في الدفاع..."""

Many officers and soldiers have done a good job in defending….

Three above sentences have a tense shift that functions as a signal of a shift of attention during the narrative performance. In " صرحواhave declared", the tense shift functions as focus the target of ISIS which aims to attack all the cities of the country. In "عهدنا منهم have known", the tense shift functions as to focus on the willing and the patience of the Iraqi people. In "أبلوا have done", the tense shift plays a pragmatic role in foregrounding the braveness of the Iraqi army.

7.2.4 Hyland`s (2005) Discourse Markers

7.2.4.1 Interactive Markers

A. Code glosses markers occur in:

Words/ Phrases	Occurrence	Percentage
العراق (Iraq)	15	16.8%
الشعب (People)	13	14.6%
الغرض(Purpose)	8	8.9%
ينجز(Achieve)	8	8.9%
مواطنين(Citizens)	7	7.8%
مسؤولية(Responsibility)	6	6.7%
مقدسات العراق(The sanctities of Iraq)	6	6.7%
حرب(War)	4	4.4%
أخــوة و أخــوات(Brothers and sisters)	4	4.4%
وطن(Country)	4	4.4%
وطني(National)	4	4.4%
ابناء(Sons)	4	4.4%
كفائي(Sufficient)	3	3.3%
يدافع(Defend)	3	3.3%
Total	89	100%

Among the selected words and phrases that are counted as tautologically occurred, it is obvious that " العراقIraq" and "الشعب people" are the most used words. " العراق Iraq" appears 15 times and amounts 16.8%. "الشعب People" occurs 13 times and amounts 14.6%. Such tautologies pragmatically function as highlighters of central events and details in the storytelling. They reveal that the country and its people are the most important target of the speaker. Such tautologies guide recipients to their main points of evaluation. On the other hand, words and phrases such as " قادة سياسيين political leaders" are not used more than one time. Such rare occurrences function as guide to less important factors in the defense of the country. The speaker does not depend a lot on them. He rather depends on the people (الشعب) (13 times), the citizens (المواطنين) (7 times), and the sons (الابناء) (4 times) to take their national (وطني) (4 times) responsibility (مسؤولية) (6 times) to

2. It functions as a director of two or more entities in the same order, as in:

"الأخوة و الأخوات"

"***Brothers and sisters***"

"المطلوب أن يحث الأبُ ابنه، ان تحث الأمُ ابنها، ان تحث الزوجة زوجها على الصمود والثبات دفاعاً عن حرمات هذا البلد ومواطنيه".

" ***What is required is for the father to urge his son, for the mother to urge her son, for the wife to urge her husband to stand firm and steadfast in defense of the sanctities of this country and its citizens.***"

3. It functions as an implicature of the narrative development, as in:

"لم يتحقق عشرين ألف. لم يتحقق خمس و عشرين ألف، ثلاثين ألف، و هكذا الى ان يتحقق الغرض."

"***Twenty thousand is not, so twenty-five thousand, thirty thousand, and so on until the purpose is achieved.***"

In addition, there is only one use of "بل (لكن) but", as in:

"وإن الارهابيين لا يستهدفون إلى السيطرة على بعض المحافظات كنينوى وصلاح الدين فقط بل صرحوا بأنهم يستهدفون جميع المحافظات ولا سيما بغداد وكربلاء المقدسة والنجف الأشرف"

"***The terrorists do not only aim to control some provinces, such as Nineveh and Salah al-Din, but have declared that they are targeting all provinces, especially Baghdad, the holy Karbala, and the most honorable Najaf.***"

7.2.2 Repetition and Formulaicity

The selected discourse is full of cases of repetition, as in Table 1 below:

Table 1: Repetition of words and Clauses in the Selected Discourse

"Or do ye think that ye shall enter the Garden (of Bliss) without such (trials) as came to those who passed away before you? They encountered suffering and adversity and were so shaken in spirit that even the Apostle and those of faith who were with him cried: "When (will come) the help of God?" Ah! verily the help of God is (always) near!" (Baqara:214)

"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" (البقرة:190)

"Fight in the cause of God those who fight you but do not transgress limits; for God loveth not transgressors." (Baqara:190)

The fourth paragraph presents an appeal to political leaders to withdraw from the conflict and support the armed forces.

The fifth, sixth, and seventh paragraphs provide support to the armed forces and tell them that whoever dies in defense of the homeland is a martyr.

- Conclusion is presented by the eighth paragraph. It is the declaration of the fatwa of the sufficient Jihad against ISIS.

7.1.3 The Microstructure

It is analyzed according to the pragmatic model of the narratives in the following section.

7.2 Ilie and Norrick`s (2018) Model

7.2.1 Discourse Markers

There are 85 uses of "واو And" in data under scrutiny. The conjunctive "واو" presents many pragmatic functions. For example:

1. It functions as a connector of two clauses in a narrative unit, as in:

"تحثكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر. و ان من يضحي .. "

" ***We urge you to show courage, valor, steadfastness and patience. And that whoever sacrifices …..***"

إن التحـدي وإن كـان كبيـراً إلاّ أن الشـعب العراقـي الـذي عـرف عنـه الشـجاعة والإقدام وتحمّل المسؤولية الوطنية والشرعية في الظروف الصعبة أكبر من هذه التحديات والمخاطر.

" If it is great, is that the Iraqi people, who are known for their courage and daring, and their shouldering of national responsibility and legitimacy in difficult circumstances, are greater than these challenges and risks".

Such appeal is reinforced by verses from the Glorious Qur'an as follows:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (آل عمران:200)"

"O ye who believe! persevere in patience and constancy: vie in such perseverance; strengthen each other; and fear God; that ye may prosper." (Āl-i-'Imrān:200)

" قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ " (الأعراف:128)

"Said Moses to his people: "Pray for help from God and (wait) in patience and constancy: for the earth is God's to give as a heritage to such of his servants as He pleaseth; and the end is (best) for the righteous." (A'rāf:128)

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" (الأنفال:46)"

"And obey God and His Apostle ; And fall into no disputes, Lest ye lose heart And your power depart ; And be patient and persevering : For God is with those Who patiently persevere" (Anfāl:46)

"أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ" (البقرة:214)

need to realize the great responsibility that the people must bear to defend the homeland, and this is what the speaker emphasizes in the following two phrases:

"ولابد أن يكون لدينا وعي بعمق المسؤولية الملقاة على عاتقنا. أنها مسؤولية شرعية ووطنية كبيرة.

"we must be aware of the depth of the responsibility entrusted to us. It is a great and patriotic responsibility."

7.1.2 The Superstructure

The whole discourse is structured by an abstract and three important parts: introduction, substance, and conclusion.

- Abstract, which is embodied by the first paragraph that reveals what follows. It declares the danger of ISIS and the necessity to confront it.
- Introduction, which presents the devilish aims of ISIS and its seeking to occupy the whole cities of Iraq. The speaker ensures that:

وإن الإرهابيين لا يستهدفون إلى السيطرة على بعض المحافظات كنينوى وصلاح الدين فقط بل صرحوا بأنهم يستهدفون جميع المحافظات ولا سيما بغداد وكربلاء المقدسة والنجف الأشرف.

"The terrorists do not only aim to control some provinces, such as Nineveh and Salah al-Din, but have declared that they are targeting all provinces, especially Baghdad, the holy Karbala, and the most honorable Najaf."

- Substance is the linguistic body of the discourse. It is resembled by many paragraphs:

The third paragraph presents an appeal to the Iraqi people for patience and not to despair, as in:

B. Repetition and Formulaicity

IIlie and Norrick (2018,pp.127-8) believe that repetition plays an essential role in narrative. It mostly aims to emphasize a specific point or reinforce a basic idea in the mind and perception of the recipient.

C. Tense Shift

Overall, the shift in narration time from the past to the present tense, which IIlie and Norrick (2018,p,129) describe as "historical," directs the focus toward narrative interaction and the fluid transition of time during the narration.

D. Hyland`s (2005) Discourse Markers

According Hyland (2005a,p.49), there are four functions of metadiscourse: experiential (relational and verbal markers), interactive (evidential markers and coda glosses), interactional (self-mention and engagement markers), and rhetorical (persuasive appeals) function.

7. Analysis of the Pragmatic Aspects of the Narratives in the Religious Sermon

7.1 Van Dijk`s (1988) Model

7.1.1 The macrostructure

Since the macrostructure is concerned with the main topic of the discourse, it is obvious that the sermon mainly focuses on the necessity to confront the ISIS invasion of Iraq. From the very beginning, the speaker confirms that:

"إن العراق شعب العراق يواجه تحدياً كبيراً وخطراً عظيما"

"the conditions that Iraq and its citizens are going through are very dangerous".

The introductory phrase of the speech reflects social and psychological dimensions. Exposing Iraq to danger means the

van Dijk`s (1988) model of schema categories and Ilie and Norrick`s (2018) model of the pragmatic aspects of the narratives.

6.1 Van Dijk`s (1988) Model

Van Dijk's model is divided into three discourse structures: macrostructure, superstructure, and microstructure (1988,pp.71-118). The first deals with the main topic which is essential be highlighted as it reflects many social and psychological aspects of the discourse. The second introduces an abstract which presents a hierarchical order of introduction, substance, and conclusion. The last tackles semantic, syntactic, stylistic, and rhetoric aspects of the text.

6.2 Ilie and Norrick`s (2018) Pragmatic Model of Narratives

IIlie and Norrick (2018) developed a model based on applied narrative bottom-up analysis that aims to gain a deeper understanding of the pragmatic aspects of narrative. They (2018, pp.124-9) suppose that

They also rely their model on linguistic tools that contribute to the analysis of the narrative text in a way that overlaps with Hyland`s (2005) signs of metadiscourse and Halliday and Hasan`s (1976) devices of cohesion.

A. Discourse Markers

IIlie and Norrick (2018,p.125) assume that discourse markers, such as “And,” express the sequential status in a narrative text. In addition, Grice (1989,p.37)considers the two connected clauses by "And" invite a generalized conversational implicature as we hear sequentiality. Hencefore "And functions as a connector, director, and an implicature. On the other hand, Ilie and Norrick (2018,p.126) believe "well" and "but" function as dependent, determiner, and director.

The religious context is conveyed through communication between the sender, the message, and the recipient. The religious context of the sender reveals that he is a believer or has a religious background. Narration is used to send a religious or preaching message. Recipient means the faithful or skeptical audience (Finnem,2014,p.1).

According to Finnem (2014,p.1), religious narration cannot contain all the typical literary features. There is no certainty that religious texts have religious supernatural entities. A priest may tell a joke which is perceived within the content of a sermon, yet, it has no thing with religious beliefs.

5. The Friday Sermon of the Fatwa of the Sufficient Jihad for the War against ISIS

The entry of ISIS into Iraq in 2014 began with a rebellion that escalated to eventually turn into a long military war with the invasion of Fallujah, Mosul, and major areas in northern Iraq by the terrorist organization ISIS, and the declaration of Abu Bakr al-Baghdadi himself as the caliph of the new Islamic state. As a result, the Supreme Reference al-Sistani gave the fatwa of the competent jihad, following which the Popular Mobilization Forces were formed, fighting side by side with the Iraqi security forces until this was accomplished by declaring final victory in 2017. (Wikipedia)

The sermon under scrutiny is the Friday sermon in which the fatwa of sufficient jihad was announced to fight ISIS. The speaker is the representative of the Supreme Religious Authority in Holy Karbala, Sheikh Abd al-Mahdi al-Karbalai on 13.6.2014.

6. Methodology

This section introduces the pragmatic model through which the pragmatic aspects of the narratives in selected religious discourse and their structure are analyzed. The empirical analysis of the data under scrutiny is based on an eclectic model that involves

There is a type of narration in which the narrator belongs to a group of participants in the story, and this is called the "We" narration. If the hero of the story is the person addressed, it is called the "You" narration.

The selected text reveals a naturalistic narrative because it contains events which occur in everyday conversations.

3.2 Narrative Genres and Modes

Barthes (1975,p.237) indicates that Oral narratives resembles everyday conversations, while written ones approximate literary texts. Chatman (1990, p. 115) even posits that written advertisements are a category of written narratives. Bonheim (1982,p.20-4) supposes that there are four main narrative modes. Scenic representation (which shows a continuous stream of detailed action events), summary (which introduces an organized narrative), what Chatman (1978,pp.43-4) supposes as description (of characters or a setting), and commentary presents the comments of a narrator on different events (Bonheim,1982,pp.30-2)

4. Narration in Religious Discourse

According to Finnem (2014,p.1), there are different types of narratives in religious discourse that consist of either a purely religious content or an approximate religious context. Religious content appears in one of the following forms: First, a religious or non-religious figure which is presented by defining its identity, personal characteristics, opinions and personal manifestations that indicate its intentions (such as monk, believer, and atheist). Second, a supernatural being associated with a particular religious belief system or belief as part of the narrative world. Third, the direct and indirect references to religious texts or to the beliefs and rituals espoused by the narrator.

narrative discourse, (Genette,1988,p.186). Schiffrin et al. (2003,p.482) differentiate between narrative voice (who is speaking?) and point of view (whose perception orients the report of information?). On the other hand, Ilie and Norrick (2018,p.136) suppose that "narration is after all the natural mode for prevarication as well as for 'factual' description of events."

3. Narrative

According to Ilie and Norrick (2018,p.136):

"Narrative is the standard conversational resource for describing what happened, but not necessarily for expressing feelings, in traditional speech act terms, so that narratives initially, from the inside-out perspective constitute representatives rather than (direct) expressives, though they can certainly function as indirect expressives, for instance as indirect apologies from the outside-in perspective."

Trask (2007,p.181) defines narrative as " a text which tells a story. A narrative differs from most other types of text in that it relates a connected series of events, either real or fictional, in a more or less orderly manner". Crystal (2008,p.320) defines a narrative as "an application of the everyday use of this term, as part of the linguistic study of discourse, which aims to determine the principles governing the structure of narrative texts".

3.1 Types of Narratives

According to Chatman (1978,p.26), there are several types of narratives, all of which relate to the nature of the narration. Some are narrated by a character in the story, and this is called a homogeneous narration. Some are narrated by a person not involved in the story, and this is called a heterogeneous narration. When the narrator is in the third person, this is called a metaphorical narration. As for the fictional narration, it is based on a true story. When the story is incomplete, the narrative is called matrix narration. If the story contains anecdotes from natural everyday conversations, it is called naturalistic narration.

Accordingly, it hypothizes the following:

1. Van Dijk`s (1988) schema of the structure of a narrative discourse is well applied to reveal the pragmatic aspects of narratives in the selected discourse. 2. "And" as a discourse marker is the most used connector of two clauses as well as an implicature of the narrative development.
3. Repetition plays a pragmatic role if focusing attention on certain topics.
4. Tense shift plays a pragmatic role in revealing the most prominent senses of the speaker.
5. Interactive markers are the most used among Hyland`s (2005) discourse markers.

2. Linguistics Narration

Any evaluative features that describe the linguistic behaviour of human beings must involve some hidden elements that cannot be interpreted from the mere linguistic structures (Murdoch,2003,pp.25-6). Hence, the linguistic narrativism theory is the actual investigation of such implicit meanings. In addition, narratology presents the empirical facilities to the study of logic narrative representation (Meiser,2011,p.1). Fludernik (2006,p.8) attributes narrative theory to its descriptive nature. “the constants, variables and combinations typical of narrative and to clarify how these characteristics of narrative texts connect within the framework of theoretical models (typologies)".

Primarily, Plato (428-348 BC) and Artsitotle (348-322 BC) adopt a distinction between narration and imitation. Then, Todorv (1969,p.9) uses it in 1966 in the French journal "Communications". Genette (1988,p.43) and Chatman (1990) distinguish two types of narratology associated with words and events.

Grammatically, voice is a characteristic of verbs. It indicates the relation subjects to their resulted actions (Quirk et al,1985,p.159). In narration, the basic voice question is "Who narrates?". Is the narrator the speaker or the "voice" of the

1. Introduction

The pragmatic aspects of the narratives in different linguistic genres have been broadly studied. Pearson (2006,pp.12-3) mentions that Labov and Waletsky (1967) study the pragmatic functions of narratives in general. He (2006,pp.12-3) adds that Labov (1972) studies the narratives in everyday life from a sociolinguistic prospective examining the human encoding of sense.

Pearson (2006,pp.12-3) adds that Halliday and Hasan (1976) hold a seminal work in which they study the microstructure of the narratives. Their study depends on the cohesive devices that are used to unify the text of narrative. They manage to distinguish between linguistic cohesion and thematic cohesion.

Ille and Norrick (2018) discuss the relationship between pragmatic and narrative studies according to two different perspectives. Yet, there is a gap in analyzing the pragmatic aspects in the religious discourse in general and the Shiite religious discourse in particular. This study discusses the pragmatic aspects in the Friday Sermon of the Fatwa of the Sufficient Jihad for the war Against ISIS, which is narrated by the representative of the Supreme Religious Authority in Holy Karbala, Sheikh Abd al-Mahdi al-Karbalai on 13.6.2014.

The study aims at:

1. Revealing the pragmatic aspects of the narratives of the selected text by observing the Van Dijk`s (1988) schema of discourse.
2. Showing the pragmatic role of "And" as a connector of ideas.
3. Knowing the pragmatic aspect of repetition in the narratives of the selected religious discourse.
4. Illustrating the pragmatic role of tense shift in narratives.
5. Showing the most used discourse markers in the selected discourse.

The Open Educational College/ Center of Thi-Qar, Al-Ayen university

Jaafar Hachim Malih (MA/ Assistant Lecturer)
jafarhachimalbadri@gmail.com
Jaafar.Hachim@alayen.edu.iq

Abstract

Friday sermons delivered at the shrine of Imam Hussein, peace be upon him, provide instructions sent by the supreme authority to the Iraqi people in particular and the Islamic nation in general. The Friday sermon, in which the fatwa on sufficient jihad was announced, is one of the historic sermons. The supreme authority of the Shiites in Iraq, Imam al-Sistani, announced the fatwa of sufficient jihad to defend Iraq, which is being invaded by ISIS. The current study analyzes the pragmatic aspects of the narratives in this sermon. It adopts Van Dijk`s (1988) model of narrative structure and Ilie and Norrick`s (2018) model of the pragmatic aspects of narratives. It hypothizes that Van Dijk`s (1988) model of discourse schema is applied fruitfully to the discourse texts. In addition, "And", repetition of words and phrases, tense shift, and interactive and interactional markers function pragmatically to direct the listener`s attention to the central topics of the discourse.

Key words: Friday sermon, narrative, discourse markers, sufficient jihad (Fatwa)

Appendix
P. B. Shelly
To the Moon
I
And, like a dying lady lean and pale,
Who totters forth, wrapp'd in a gauzy veil,
Out of her chamber, led by the insane
And feeble wanderings of her fading brain,
The mood arose up in the murky east,
A white and shapeless mass.
II
Art thou pale for weariness
Of climbing heaven and gazing on the earth,
Wandering companionless
Among the stars that have a different birth,
And ever changing, like a joyless eye
That finds no object worth its constancy?
The Pragmatic Aspects of the Narratives in the Friday Religious Sermon of Declaring the Fatwa of the Sufficient Jihad

Works Cited

Crystal, D. (2008) *A Dictionary of Linguistics and Phonetics*. First Edition Oxford: Basil Blackwell.

Dictionary of Literary Terms. New Delhi: Rama Brothers India PVT.Ltd

Enkvist, N.E (1973) *Linguistic Stylistics*. Mouton, The Hague.

Hendricks, W.D. (1980) "The Notion of Style," *in Language and Style*. Vol. XIII, No.1

Leech, G.(1969) A Linguistic Guide to English Poetry. London: Longman Group Limited.

Quinn, Edward (2006) *A Dictionary of Literary and Thematic Terms*. Second Edition. USA

Wales, Katie (2001) *A Dictionary of Stylistics*. Second Edition. London: Longman

Electronic resources

Taylor and Francis (2025) I,A. Richards's concept of Tenor and Vehicle[Online], Available from:
Tahttps://www.tandfonline.com › doi › pdf[Accessed 1 June 2025]

Shakespeare, William, Romeo and Juliet (2025) [Online], Available from:
https://myshakespeare.com › romeo-and-juliet › act-5-s... pdf[Accessed 11 June 2025]

English Verse (2025) [Online], Available from:
https://englishverse.com › poems › the_moon pdf[Accessed 14 June 2025]

WordPress (2025) [Online], Available from:
https://wordsmusicandstories.wordpress.com › ... pdf[Accessed 14 June 2025]

Despite being so inconstant, she is looking for constancy (Wordpress 2025)

The moon, here, represents the poet himself in his loneliness and despair. The poem personifies the moon, drawing parallels between her solitude and the poet's own sense of alienation, while also exploring themes of weariness, beauty, and the fleeting of existence. (ibid). *To the Moon*, being a poetic text explores the concepts of solitude, detachment and changeability by recording to the natural planet, the moon, as a poetic symbol. By the use of these figurative devices, the language of the whole text becomes deviant from the norms of the ordinary language. There is an aesthetic violation of the norms of the language in use. And this aesthetic value exists only in the realm of art. In addition, the metaphorical modes of meaning, in Shelley's *To the moon* are functional, in the sense, that they uncover the psychological traits of the poet who feels the burden of solitude on his own soul These devices have their role or function, i.e. to unblock the spiritual and the aesthetic traits of the poet who believes that he is, like the moon, living in that space of solitude with no companion. He is, the spirit of solitude.

Concluding remarks

Literary stylistics is that fruitful area of study that correlates linguistic analysis to the critical interpretation. The analysis of the poetic structure of Shelly's *To the Moon* , in terms of Leech's stylistic model, has indicated the prominence the figurative figures of style. This predominance has proven that the poet thinks of the existential problems, like, detachment, changeable beauty and fleeting of time, nor in a rational way bur in a figurative style which is more expressive and impressive of the poet's world views. The critical interpretation has brilliantly shown that the symbol of the lonely moon is to represent the poet's existential crisis where the bright planet (the moon) moves silently. but nobody realizes her suffering and variability.

Art thou pale for weariness
Of climbing heaven and gazing on the earth,
Wandering companionless
Among the stars that have a different birth,
And ever changing, like a joyless eye
That finds no object worth its constancy? (English Verse 2025)

Having read Fig.1 plainly shows the prominence of the figurative forms, especially metaphor, personification and simile. The whole poetic fragment becomes an extended metaphor. The idea of variability and loneliness is highly expressed by a sequential set of figurative figures of style. So, the whole setting becomes symbolic. Here, the moon (a natural phenomenon) is personified. It is *a dying lady lean and pale* (a human phenomenon). In one interpretation

In this poem P. B. Shelley reflects on the timeless journey of the moon, a symbol of great contradiction, variability and loneliness, represented here by a lady in search of constancy in love. She is very pale because she has grown tired of travelling in the sky, and of looking upon the earth continuously, and she is sad because she is companionless, having to wander among the stars which are different from her in nature and origin. Struggling with weariness and loneliness, with a hint of madness, so alone and without friends, she may also represent the poet who stands alone and without companion even if in the middle of the crowd. Constantly changing in shape and size, her waxing and waning is likened to joyless, unsteady eyes of a man in search of something pleasant to look at, which may deserve his constancy. She is lake that, too: she is never the same even in two consecutive nights because she can't find anyone she can love faithfully.

TEN: Art thou[ill and tired] _____

VEH: “ “ Pale for weariness

Of [reaching]heaven, and [be shining]
_____on earth

“ climbing “ “ gazing
Wandering [withy no feeling]

“ compassionless
Among the stars that having a different [rising]

“ “ “ “ “ “ “
Birth

The literal interpretation of the metaphorical or the figurative forms shows that the metaphorical sense is derived from the literal one; there is a strong connection between the figurative and the literal use. This interpretation may lead to identify the ground of the set of metaphors in the poetic text. This covers the third step of the stylistic analysis.

Literary stylistics, as stated earlier, is the creative area that lies between the linguistic analysis and the critical interpretation.

As a poetic text, *To the Moon* is a fragment consisting two stanzasr, rhyming aabbcd for the first selected stanza, while *ababcd* for the second stanza.

I
And, like a dying lady lean and pale,
Who totters forth, wrapp'd in a gauzy veil,
Out of her chamber, led by the insane
And feeble wanderings of her fading brain,
The mood arose up in the murky east,
A white and shapeless mass.
II

murky

L. Art thou _____

F. “ “ Pale for weariness

L. Of _____ heaven, and _____on earth

F. “ climbing “ “ gazing

L. Wandering _____

F. “ compassionless

L. Among the stars that having a different _____

F. “ “ “ “ “ “ “

Birth

Flowing Leech’s model, the ditto marks are placed beneath words which belong equally to the literal as to the figurative interpretation. One point here to be indicated. The “moon arose . . .< serves as an introductory context to the figurative context, “like a lady lean and pale . . .”

The next step is to indicate the tenor and the vehicle in Shelley’s poetic fragment. This is obviously stated in the following stylistic interpretation (Figure 2).

VEH: And, like [a sick woman]

“ “ a lady lean and pale

TEN: The moon arose in the [desolate] east

. “ “ “ “ “ “

murky

Is crimson in thy lips and in thy cheeks,
And death's pale flag is not advanced there.

Compound metaphor

A compound metaphor, in Leech's phraseology, consists in the overlapping of two or more individual metaphors. It is by no means confined to highly concentrated and elliptical styles of poetic writing, but occurs even in passages of verse which fairly easy to follow and understand. An example of the compound metaphor is Lord Byron's lines of verse in (*Childe Harold's Pilgrimage, IV*)

Unchangeable, save to thy wild waves' play,
Time writes no wrinkle in thine azure brow;
Such as creation's dawn behold, thou rollest now(ibid:160).

Still, leech thinks that the simplest kind of metaphor is the one based on a clause structure with the verb *to be, as in Shakespeare's Macbeth, V.v.* (Leech, ibid.: 151)

Life's but a walking shadow, a poor plyer
That struts and frets his hour upon the stage.

These illustrations serve as an introductory note to the poetic text analysis.

2.2: A stylistic analysis

From an applicable standpoint, it is well to start with the separation of the literal from the figurative use. This is clearly shown in fig.1.

L. And, like _____

F.. " " a lady lean and pale

L. The moon arose in the ____ east
F.. " " " " "

the separation of the literal from the metaphorical use. The process of separation is made by setting them out one different lines. The two modes are labelled as L, for the literal, and F, for the metaphorical (Leech, 1969: 154).

Based on Richard's formula comes Leech's second stage. The stage is construct Tenor and *Vehicle* by postulating semantic elements to fill in the gaps of the literal and the figurative interpretations. So, the top line now represents the tenor ("TEN") and the bottom-line the vehicle ("VEH") (ibid). The merit of this stage is to show clearly the tenor and the vehicle, i.e. the things compared in the metaphor, are not usually identified with the literal or figurative senses of particular words: often one whole clause is placed in opposition to another (ibid). Leech proceeds to say that the tenor is the literal part of the expression with its reconstructed literal context, and the vehicle is the figurative part of the expression, together with its reconstructed context(ibid).
The third stage concerns the *ground of the metaphor* (ibid: 155). Having separated the tenor from the vehicle, it is possible to seize the similarity between the two components. This depends on the researcher's intuition in the stylistic interpretation. But before going a step further, it is of importance to uncover the typology of metaphors according to Leech's paradigm. Metaphors can be classified into three sub-categories. They are as follows.

Extended metaphor

An extended metaphor is a metaphor which is developed by a number of different figurative expressions, extending perhaps over several lines of poetry (p. 159). This is clearly shown in Shakespeare's Romeo and Juliet (Act 5, Scene 3) where Romeo describes Juliet's beauty, even in the omnipresence of death (my Shakespeare 2025)

O my love, my wife,
Death, that hath sucked the honey of thy breath,
Hath had no power yet upon thy beauty.
Thou art not conquered; beauty's ensign yet

The second characteristic of the language of literature is that these figurative devices of expression are derived from the literal one. Put simple, there is a strong connection between the figurative and the literary. So, instead of saying, Helen is beautiful, mild and tender, it is imaginatively said, Helen is a lily. Still, the meaning of the metaphorical meaning is tied up to the literal one.

The third characteristic is that there is a ground of meaning transfer. In his 1936 book, The Philosophy of Rhetoric, Richards introduces the two main components of metaphor, i.e. tenor and vehicle. The 'tenor' of the metaphor is its principal subject, the topic addressed. The 'vehicle' is the equivalent or the subject carried over from another field of reference to that of the subject. He proposes that the entire meaning of a metaphor is the formation of a difficult communication between the tenor and vehicle (Bradford,1997:22-23). In another expression, the tenor is the subject in which something is being compared, whereas the vehicle is the image or the idea used to make that comparison (Taylor and Francis, 2025). This elucidation may pave the path to discuss Leech's linguistic modes for the stylistic analysis.

Part II: *Shelley's To The Moon*

Part II is divided into two subdivisions. While the first sub-division deals with the theoretical framework, the second sub-division explores the stylistic analysis in terms of the stylistic model. Part two, on the whole, will refer to certain forms of the figurative language in Shelley's fragment, *To the Moon.*

2.1 Leech's stylistic model

In his 1969 book, A Linguistic Guide to English Poetry, Leech introduces a theoretical framework where metaphor can be identified as a transference of meaning. The tripartite model consists of a sequence of stages. Language, in general, produces two modes of meaning: the literal or the direct and the metaphorical or the indirect. Leech's first stage is concerned with

beauty added to the style in language; but they are new powers of expression and impression. For the scope of the study, simile, metaphor and personification will be focused on. To do so, the study will generate a network among these figurative devices.

If simile is un overt comparison between two or more different entities, and metaphor is covert comparison between these forms, personification id the device that bestows human characteristics to inhuman things. Simile, in the broadest sense, is a figure of speech whereby two concepts are imaginatively and descriptively compared (Wales, 2011: 383). In the instance, *Helen is like a lily*, there is a sort of comparison between *Helen* (human being) and *lily* (a plant). Still, the comparison is split by the preposition *like* in the linguistic structure. Metaphor, on the other hand, is "a figure of speech based on a comparison that is implied rather than directly expressed (Dictionary of literary Terms, 2007: 108). So, in the expression, Helen is a lily, there is a metaphor, where the comparison is implied, and not a driest one. Within the scope of the trope or the figurative meaning comes personification. It is the attribution of human characteristics to inanimate objects (Quinn, 2006: 318). In the example, *The wind is singing through the trees*, the human characteristic of *singing* is attributed to the *trees*.

Now, the question that comes to one's mind: what are the main characteristics shared by these topes or the figurative forms of language? The main merit is that these tropes witness the transference of meaning. In the language of literature, more specifically the imaginatively creative works of art, the diction or the literary words are not used in their literary use or meaning. Rather, they deviate from the direct senses to acquire new senses in the literary structures. This new shade or figurative meaning can be realized in tropes such as simile and metaphor. Deviation is one of the techniques used by the writers to avoid the direct expressions in literary works of art. Enkvist (1973: 15) thinks that style can be perceived as a deviation from a set of rules which have been labeled a norm (ibid).

التحليل الأسلوبي لقصيدة شيلي (الى القمر)

الملخص:

أنماط المعنى الاستعارية في مقطوعة (شلي) (إلى القمر) دراسة في أشكال الأسلوب المجازية في مقطوعة الشاعر الإنكليزي الرومانسي، والغاية منها بناء عالم القصيدة المتخيل. ولمقاصد التحليل، فالدراسة تتبنى نموذج (ليچ) للوقوف على الأبنية اللسانية الاستعارية تفريقاً لها عن الأبنية المعيارية. وتظهر الدراسة ان أنماط المعنى الاستعارية في القصيدة تشكل خرقاً لمعايير اللغة العادية مما يشكل سر فرادتها في الكشف عن معاناة الشاعر. فهناك مقارنة ضمنية بين عزلة الشاعر في الأرض مثلما هي عزلة القمر في السماء.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب، الأنماط المجازية، الرؤية الشعرية

Part I: Basics of the study

It is well to start with the concept that *style* is a specific form of expression in which the writer has recourse to use language according to selection or choice. Style, as Hendricks (1980: 49) has put it, is "a deferential mode of expression manifested on lexico grammatical level." The scientific field which studies style or the distinguished variations of language in literary texts is referred to as *Literary stylists*. So, literary stylistics explores "the variations characteristic of literature as a genre of the 'style' of individual authors" (Crystal, 2008:460)". It is the study of the literary style (Leech, 1969:1). The literary stylistics is the inter-between area meditative area that links linguistics to literary criticism.

In the early twentieth century and after, there was a high interest in re-exploring the figures of rhetoric or the figures of speech. This new revival led to the emergence of the theory of style. Therefore, simile, metaphor, synecdoche, metonymy, personification was no more looked at as embellishments or extra

STYLISTIC ANALYSIS OF SHELLEY'S TO THE MOON

م.م. نماء سمير عبد الكريم
جامعة ميسان/ كلية التربية/ قسم اللغة الانكليزية
nimaasameer95@uomisan.edu.iq

ABSTRAT

Modern linguistic theory, literary criticism and cultural studies look at the figures of style differently within different visions. This study purports to scrutinize these figures, more specifically simile, metaphor and personification in P. B Shelley's fragment, *To The Moon*. It aims at analyzing the figurative forms from a purely stylistic standpoint. It is hypothesized that the figures of style are not merely embellishments or extra beauty with no functional roles in the linguistic structures. Rather, they are expressive and impressive powers that have insights into the poet's spiritual and esthetic worldviews. P. B. Shelly's fragment, *To the Moon*, is selected as linguistic data for stylistic analysis. The text will be analyzed in terms of Leech's tripartite linguistic model. The study comprises two main parts. Part I deals with the main concepts of the study, while Part II copes with the connected stages of the analysis. It is rounded up with a set of conclusions deduced from the coherent analysis.

Key concepts: style, metaphorical modes, poetic vision, tripartite model

- Eliot, T.S. "Ulysses, Order and Myth." *Selected Prose of T.S. Eliot*. London: Faber and Faber, 2009. 175.

- I.J. Boullata, The poetic technique of Badr Shakir Al-Sayyab, In: Critical Perspectives on Modern Arabic Literature, I.J. Boullata (Ed.), (1980), 232-243

- N. Bishai, Trans. and Introd., Badr Shaker As Sayab: Selected Poems, Intro. Aziz Al Haj Ali Haidar, (1986), 7-8, London: Third World Center for Research and Publishing.

- Neimneh and Zainab. (2015). The Poetry of B.S. Al-Sayyab: Myth and the Influence of T.S. Eliot. al Qaisi International Review of Social Sciences and Humanities. Vol. 9, No. 1, pp. 178-192

- R. Awad, Badr Shaker Al-Sayyab (1st ed.), (1983), Beirut: The Arab Company for Dirasat and Publication.Shadi

- Sinan Antoon. (2010). On al-Sayyab's "Rain Song". New York: New York University-Gallatin. P . 14

the poems. The global focus of cultural studies benefits greatly from international comparative situations.

Bibliography

- Al Haj Ali Haidar, Aziz. "Introduction." As-Sayab, BadrShakir. *Selected Poems*. Trans. N. Bishai. London: Third World Center, 1986. 5-9.

- Ali, Abdul-Ridha. "Myth in Al-Sayyab's Poetry." *Gilgamesh* (1988): 67-70.

- Asfour, John Mikhail. *An Anthology of Modern Arabic Poetry 1945-1984 With a Critical Introduction*.PhD Thesis. Montreal: McGill UP, 1984.

- Azouqa, Aida. "Defamiliarization in the Poetry of 'Abd Al-Wahhāb Al-Bayātī and T. S. Eliot: a Comparative Study." *Journal of Arabic Literature* (2001): 167-208.

- Badawi, Muhammad Mustafa. *A Critical Inroduction to Modern Arabic Poetry*. Cambridge: Cambridge UP, 1975.

- Bor Nehzami, Youssef Hady and Nikta Samimi. "Badr Shakir As-Sayab wa Osturat Tammuz Bayn Al-Asatir." *Ida'at Nakdiyya* 4 (2011): 134-146.

- Eliot, T.S. "Tradition and Individual Talent." *Selected Prose of T.S. Eliot*. Faber and Faber, 2009. 37-44.

literary tradition at its most dignified and eloquent levels of expression".

5. Conclusion

The poetry of Edith Sitwell and Badr Shakir Al-Sayyab demonstrates that rebirth and resurrection are fundamental human desires. This process of transformation is required due to social, political, and cultural causes. As a result, their poetry illustrates the connections between hope and sorrow as well as between life and death. Therefore, it is not surprising that blood, water, and tears are connected in their poetry. Al-Sayyab employs strategies like archetypes and mythological symbols. By portraying Arab governments in a mythical framework, he becomes the spokesperson for the country's issues, elevating his poetry to a universal level and using popular myth to further his creative goals as an Iraqi Arab poet. Even while our comparison of Edith Sitwell and Al-Sayyab's poetry has shown some Productive intertextual relationships within a modernist setting, each poet's work is still highly significant and deserving of independent study. Additionally, the local contexts in each instance—the Eastern-Arab environment in Al-Sayyab and the Western tradition in Sitwell—can serve as an interpretive key to

Sayyab draws upon myth to deepen our understanding of the present, and perhaps insinuate the cyclical nature of human history. The "villages moaning and emigrants/with oar and sail fighting the Gulf" refer to socio-cultural obstacles of occupation and oppression. In the 1960s, though plagued by illness, al-Sayyab continued to write, again adopting a new poetic mode. In a philosophical homecoming al-Sayyab seems to have arrived at a new threshold beyond which he would truly find himself. Self-analytical and reflective of his struggle with disease, the poetry of this time covers darker themes, "Mourning the withering greenness and the delay of rebirth." Themes of despair, the ephemeral quality of happiness, and the ultimate acceptance of death dominated al-Sayyab's work of this period. Shortly before his death in 1964, al-Sayyab writes in Death and the River: "I want to run out and link hands with others in the struggle/ clench my fists and strike Fate in the face/ I want to drown in my deepest blood/ that I may share with the human race its burden/ and carry it onward, giving birth to life/ My death/ shall be a victory." Al-Sayyab was influential in the progression of the Free Verse movement and essential in its popularization. For these contributions to Modern Arabic poetry he is highly regarded in the literary world. Al-Sayyab's principal biographer Terry DeYoung says he uses "…the power of Arabic in its magnificent

And every drop spilt of the blood of serfs
Is a smile awaiting a fresh one
To follow in its wake, or a nipple
Which flowers at the mouth of a babe
In the young world of tomorrow;
World, giver of life.
And the rain falls heavily. (ibid 98)

Death as the cause of renewal brings forth life. Al-Sayyab's system of imagery includes "similes, metaphors, allegories, literary allusions and symbols". Boullat argues that Al-Sayyab's village and its river "with their palms, waters, and shells become part of this system of symbolism of fertility; and Babel, the wicked city and its labyrinthine paths of mud, become their counterpart of barrenness, complexity, and death". Al-Sayyab found in myths lasting "archetypes that would embody man's hopes and fears, and suited them with acuteness to man's modern predicament, especially that of the modern Arab" (Boullata 80).

"Rain Song" is perhaps the most salient representation of al-Sayyab's unique flair for combining, sometimes in a single stanza, traditional Iraqi folklore, political and cultural ideology, and arresting imagery to produce intelligible yet brilliant poetry.

In referring to Thamud, a mythical pre-Islamic tribe said to have perished at the hands of God for infidelity (DeYoung, 16), al-

4.2 Analysis " Rain Song"

Al-Sayyab makes the most of his modernist literary endeavors in "The Rain Song" by relying on a fundamental fertility myth and the inevitable rebirth—without naming Adonis. According to R. Awad and Al-Sayyab (1983), this makes myth an intrinsic structural pattern in the poem rather than a decorative element. In this instance, the woman represents mother-earth, the land, and the country.

Al-Sayyab's "The Rain Song" reiterates in a ritualistic fashion the words "Rain…Rain…Rain" to quench the thirst of
the soil and the hunger of people:

"Iraq will burst forth into leaf
With the rain." (Bishai, 86).

People wait for the rain that will eventually fall. However, in Al-Sayyab's "The Rain Song," rain is combined with blood and tears. There is hope for rebirth, but it may come after a brutal revolution and a great deal of pain (Shadi Neimneh et al., 190). While deliverance is difficult, overthrowing tyranny is not impossible:

In every drop of rain which falls
Yellow or red from the heart of a flower,
And every tear shed by the hungry and the naked,

clarifies that the narrator also asks God to show mercy to both good and evil people. Since killing one another is a complex aspect of combat, it might be difficult to decide which side is superior.

The voice of someone who likes the human heart then appears in the final stanza. was once a young child who lived amid monsters. The narrator talks about a person who was once innocent and kind like a child, but because he grew up in an area with wicked people, he ended up being one of them. However, the narrator did not alter their love or faith since they continued to feel that there was something positive hidden within. "Still do I love, still shed my innocent light, my Blood, for thee" appears in the final lines and verse.

We can infer from the preceding analysis that the rain in this poem conveys a sense of misery, anguish, and sorrow. This poem's combination of visual and aural images wonderfully captures the author's desired atmosphere. This poem has a strong religious overtone, emphasizing that repentance to God is the only way to purify oneself and that violence is wicked. This rain has both positive and negative effects, much like genuine rain. that everybody who believes has hope at all times.

Man hung upon the cross." Similar to the sentence ninetieth (– those of the light that died, The last faint glimmer), which implies that prayer is the only thing left for the defenseless, the Starved Man here indicates that there is yet hope for humans.

In the fourth stanza, describes a second instance of the Starved Man in line three of the fourth stanza: He carries all of His wounds inside Him. This implies that the Starved Man is the last chance for humans because war only brings suffering and crimes that the average person could not handle on their own. However, as war never chooses its victims, it may equally be said that proletarians, the weak, and the destitute are the ones who will suffer the most from it.

The scars of the sorrowful, incomprehensible gloom can be found in the self-murdered heart, much like in Lazarus and the Dives. This indicates that despite how evil the world appears to be, there is still a sense of regret within.

In the third verse, "Christ that each day, each night, nails there, have mercy on us—On Dives and On Lazarus," she is modifying the reflections on Christ's wounds and applying the idea of Christ's suffering, death, and wounds. In line twelve, "Dives" refers to the rich man who, without realizing that the poor man (Lazarus) had died at his gate, sent Lazarus to paradise and Dives to hell. It informs us that war is immoral, but the final phrase

According to Edith Sitwell's biography and the poem's date, Still Falls the Rain is considered a war poetry, particularly one about the Second World War. According to the other source, rain is a metaphor for a bomb dropped during combat. Although the entire poem is about grief, it seems to be trying to convey that there is yet hope. Three similes are used to depict the rain: "Dark as the world of man, black as our loss, and blind as the nineteen hundred and forty nails upon the cross."

Black and dark create a gloomy atmosphere that is associated with grief, mourning, and sorrow. Blindness, on the other hand, demonstrates that grief will never be indiscriminate about its victims, regardless of whether they are men, women, or even children, wealthy or privileged, educated or not, etc. The final line of the third stanza, "Under the Rain the Sore and the Gold are as one," further reinforces this. This poem has a lot of rhythm.

The emergence of rain is also described in the second line, with a sound that resembles a heartbeat that has been altered to a hammerbeat. This metaphor illustrates how the rains get more and more intense like a hammerbeat.

As a devout person, Edith Sitwell incorporated a lot of religious ideas into her poetry, including this one. She refers to The Messiah, the Christian messiah, by using the phrase "the Starved

4. Discussion

4.1 Analysis of "Still Falls the Rain"

One of Sitwell's earliest serious poems after finishing Gold Coast Customs (1929) is "Still Falls the Rain." The start of World War II and her brother Sacheverell Sitwell's urging ended her ten years of relative quiet. rather than criticizing Germany and the other adversaries of Great Britain throughout the war, Sitwell concentrates on the more general problems of pain and forgiveness as they apply to all people. She prays for Lazarus and Dives, both the worthy and the undeserving. She recognizes that Christ endured suffering on behalf of everyone and that every year of his life—rather than just the years of war—contributed to his death on the cross. Her depiction of wartime England serves as a metaphor for humanity's ongoing desire for atonement throughout history. At the poem's conclusion, Christ is shown as having unwavering love and selflessness. The world's crimes and sorrows seem endless, yet God's love surpasses them all. This poem is therefore highly optimistic in its faith in God's capacity and readiness to intervene in a chaotic world, despite the fact that it deals with the wartime.

and perplexing intimate allusions. Despite opposition to her attempts at reform, she emerged as the high priestess of twentieth-century poetry, "losing every battle, she won the campaign," as noted by the New Statesman. Sitwell's position in poetry is "roughly commensurate with that of Christina Rossetti in the previous century," according to The New Statesman, which also emphasizes the importance of her character. It was true that Osbert and Sacheverell's sister should not be taken lightly. Sacheverell says, "She was always determined to be remarkable and she has succeeded." The New Statesman characterized her as follows: "great rings load the fingers, the hands are fastidiously displayed, the eye-sockets have been thumbed by a master, the eyes themselves haunt, disdain, trouble indifference, and the fashions are century-old with a telling simplification." She occasionally, and maybe not accidentally, resembled a Tudor queen. "I've always had a great affinity for Queen Elizabeth," the author of a study on Elizabeth I once said. When I was younger, I was very similar to her because we were born on the same day of the month and around the same time of day." (Poetry Archive).

his numerous excellent poems from that era gave it legitimacy. Among them was the well-known "Rain Song," which had a significant role in raising awareness of the use of myth in poetry. In addition to writing numerous personal poems, he also produced highly intricate political and social poetry, revolutionizing every aspect of poetry. One of the most important developments in modern Arabic poetry was the release of his third book, Song of Rain, in 1960.

He was a Marxist at the beginning of his career, although he never became radical before switching back to mainstream nationalism. He passed away in poverty after developing a degenerative nervous condition while still in his forties. The poetry of Aragon, Nazim Hikmat, and Edith Sitwell—who, together with T. S. Eliot, had a significant effect on him—is included in the seven poetry collections and several translations he created. (www.adab.com /en /modules)

"At the time I began to write, a change in the direction, imagery, and rhythms in poetry had become necessary, owing to the rhythmical flaccidity, the verbal deadness, the dead and expected patterns, of some of the poetry immediately preceding us," British poet Dame Edith Sitwell wrote in the introduction to ‘The Canticle of the Rose’. In her early work, she frequently experimented with melody, stunning conceits, novel rhythms,

Crucifixion," have titles and subjects that allude to this. This was also a period in which the idea of committed literature had taken root in the Arab world. Al-Sayyab was also instrumental in translating Anglophone poetry into Arabic. He translated and was influenced by Eliot, Edith Sitwell, Yeats, Auden, Ezra Pound, Neruda, Nazim Hikmet, Federico Garcia Lorca, Paul Eluard, and Aragon.(Sinan Antoon, 2010)

English romantic poets like Wordsworth, Shelley, and Keats had an impact on Al-Sayyab. In addition to translating some of their writings and incorporating them into his own, he dedicated poems to them (Baidoun 44–45). But he was more affected by modernists like Eliot, particularly throughout his mature poetry stage. English poetry had an impact on him, and he was "an admirer of Edith Sitwell" (Haidar 8). We are not surprised by his assimilation of modernist ideas and methods as modernism was a global movement in scope, influence, and vision. His elegant use of articulate diction and (the Eliotic) free verse created the foundation for modernism in Arabic poetry. (Shadi Neimneh and Zainab, 2015)

Iraqi writer. 1926–1964 Among the seminal poets in Arabic literature, his experiments influenced the development of contemporary Arabic poetry. He co-founded the free verse movement with Nazik al-Mala'ika at the end of the 1940s, and

3. Method

3.1 The Influence of Edith Sitwell on Badr Shakir Al-Sayyab

In 1926, Badr Shakir al-Sayyab was born in a village in southern Iraq close to Basra, near the confluence of the Tigris and Euphrates. He worked as a teacher and studied Arabic and English literature at the Higher Teachers' Training College in Baghdad. However, he was fired from his position due to his membership in the Iraqi Communist Party, which he had joined in 1945 when Iraq was ruled by the pro-British monarchy that Communists had established in 1917. Ten years later, in 1954, he quit the Iraqi Communist Party. The middle stage of his poetic career, known as the "commitment period," coincides with the time he was a member of the Communist Party.

His sympathy for the oppressed and victims of social and political tyranny persisted in his poetry even after he left the Communist Party and wrote a number of articles outlining his disillusionment and disassociation from the ideology he had supported for ten years. Although his tone was arguably and less revolutionary, his solidarity with other people's battles was still strong, even though it was incorporated into more personal themes. Many of his poems, such as "The Blind Prostitute," "The Gravedigger," "Weapons and Children," and "Christ after

rhythms, and confusing private allusions. Her efforts at change were resisted, but, as the *New Statesman* observed, "losing every battle, she won the campaign," and emerged the high priestess of twentieth-century poetry. The *New Statesman* has said that Sitwell's place in poetry is "roughly commensurate with that of Christina Rossetti in the previous century," and insists on the primacy of her personality. The sister of Osbert and Sacheverell was indeed not to be trifled with. Says Sacheverell: "She was always determined to be remarkable and she has succeeded." The *New Statesman* described her thus: "great rings load the fingers, the hands are fastidiously displayed, the eye-sockets have been thumbed by a master, the eyes themselves haunt, disdain, trouble indifference, and the fashions are century-old with a telling simplification." At times, and perhaps not unintentionally, she looked like a Tudor monarch. The author of a study of Elizabeth I, she once remarked: "I've always had a great affinity for Queen Elizabeth. We were born on the same day of the month and about the same hour of the day and I was extremely like her when I was young." (poetry archive).

poems, he also created extremely engaged political and social poetry, revolutionizing every aspect of the poem. Badr Shakir al-Sayyab's poetry had a significant impact on Palestinian poet Mahmoud Darwish. One of the most important developments in modern Arabic poetry was the release of his third volume, Song of Rain, in 1960. He was a Marxist at the beginning of his career, although he never became radical before switching back to Arab nationalism. He passed away in poverty after developing a degenerative nervous condition while still in his forties. (Al Haj Ali Haidar 77)

The poetry of Louis Aragon, Nazim Hikmet, and Edith Sitwell—who, together with T. S. Eliot, had a significant effect on him—is included in the seven poetry collections and translations he created.

2.2 Contribution of Edith Sitwell

In the introduction to "*The Canticle of the Rose"* British poet Dame Edith Sitwell wrote: "At the time I began to write, a change in the direction, imagery and rhythms in poetry had become necessary, owing to the rhythmical flaccidity, the verbal deadness, the dead and expected patterns, of some of the poetry immediately preceding us." Her early work was often experimental, creating melody, using striking conceits, new

celebrated Iraqi poet Badr Shakir al-Sayyab. Discussing al-Sayyab's poetry necessitates a simultaneous discussion of the origin of free verse experimentation which was the movement he helped define. Al-Sayyab began to compose in the early 1940s' when the Romantic Movement was gaining visibility in Iraq. The Romantics wrote poetry that challenged the thematic limitations of Classical Arabic Poetry, but while they moved from traditional to more personal themes and offered a diverse range of imagery, they remained loyal to classical structure. The Romantic Movement was instrumental in guiding the transition to Free Verse Poetry, in which al-Sayyab's mastery is so celebrated. Al-Sayyab's first collection of poetry, *Azhar dhabila* (Withered Flowers), published in 1947, remained adhered to classical structure but reflected popular romantic themes. A single poem in this collection experiments with free verse, (Ali, 67).

He was one of the best poets in Arabic literature, and his experiments influenced the development of contemporary Arabic poetry. He started the free verse movement with Nazik al-Mala'ika at the end of the 1940s, and Abdulwahab Albayati and Shathel Taqa soon followed. His numerous excellent poems from the 1950s gave it legitimacy. Among them was the well-known "Rain Song," which had a crucial role in raising awareness of the use of myth in poetry. In addition to writing numerous personal

frame" in a poem gives it "universality" (Azouqa, 45). Comparing Azouqa's claim with Frazer's *The Golden Bough* which speaks of parallel myths, it can be said that Azouqa's notion of "universality" of myths is applicable in terms of the parallelism of myths across Western and Eastern cultures. A very significant issue is brought up by John Mikhail Asfour. In his *An Anthology to Modern Arabic Poetry*, Asfour speaks about the references that modern Arabic poets relied on for mythology. Eliot, for example, as an Anglo-American writer relied on Western Mythologies found in ancient European tradition and the Christian and Jewish scriptures. Arab poets, however, and according to Asfour, did not rely on the Muslim scripture- the Koran, for mythologies; they referred to ancient Arabic legends and folk tales, in addition to some "famous wanderers and martyrs" such as (Al-Hallaj and Sinbad 63). This is true, but not to mention that many Arab poets were in fact Christians and many of them referred to Christian mythology, including some Muslim poets, as As-Sayab himself,
who wrote of Christ's crucifixion.

2.1 Contributions of Badr Shakir al-Sayyab

As the movements of Modern Arabic Poetry were shaped by social, cultural and political change, so was the poetic career of

making the modern world possible for art" (Eliot 178). Similarly, the "mythical method" is also used by As-Sayyab in many poems, including "Rain Song" or "Unshudat Al-Matar" and "Jaikur" published in 1960. Taking into consideration Eliot's influence on As-Sayyab, and both poets' use of myth, this paper will conduct a comparative study between Eliot's "The Waste Land" and As-Sayyab's "Rain Song" proving that As-Sayyab uses the mythical method that Eliot calls for with preserving the myth of the Eastern Civilization, and adopting Eliot's free writing.

2. Literature Review

T.S. Eliot is known for his extensive use of Myth in his poetry. Commenting on the concept of "tradition", Eliot argues that "tradition" makes the writer "most conscious of his place and time" (Eliot 38). In other words, tradition have an important impact on the text of an author. On the one hand it gives an author a historical sense, and on the other hand it makes him more aware of his writings and surroundings. Eliot says in the same essay that writers are always conscious of what they are writing, taking into consideration that his present is affected by the past (Eliot 41). Aida Azouqa comments on the role of myth in modern poetry, and says that the use of what she calls "mythical

1. Introduction

Thomas Stearns Eliot is one of the most influential poets of the twentieth century. The word “influential” is used on purpose since Eliot’s concepts and poetry have played an important role in the shaping of modern poetry and modern literature. In fact, Eliot’s influence was not restricted to English or American literature alone. One of Eliot’s effects was on modern Arabic literature and poetry. Although Eliot’s works were popular in the 1920s, his effect on Arabic poets began to take place in the 1940s (Asfour 69). His free verse and free themes penetrated into Arabic poetry that followed the traditional form. Among the poets who adapted Eliot’s style is the Iraqi poet Badr Shakir As-Sayyab. As-Sayyab is argued to have been influenced by many Western writers, including William Shakespeare and T.S. Eliot (Bor Nehzami and Samimi 145). Many critics, such as Aziz Al Haj Ali Haidar, argue that As-Sayyab's reception of Eliot made him the revolutionary leader of modernism in Arabic poetry. As-Sayyab’s poetry has been known for its free verse and free themes, as similar to Eliot’s. Mythology, on the other hand, is one of the major characteristics in Eliot’s poetry. In one of his most influential works, “The Waste Land”, Eliot uses what he calls the “mythical method” which he believes is “a step toward

could not escape being impersonal in his poetry. On the one hand, Al-Sayyab's poems bear stamps of personality and impersonality. The study also concludes that intertexulaity between Al-Sayyab on the one hand and T. S. Eliot on the other hand, is due to acculturation rather than influence and eurocentrism.

Key Word: Modern Arabic Poetry, Song of the Rain, Still Falls the Rain, Edith Sitwell, Badr Shakir Al-Sayyab's.

يهدف هذا البحث المقارن إلى دراسة أوجه التشابه والاختلاف بين الشاعر ت. س. إليوت والشاعر العربي بدر شاكر السياب. تتناول الدراسة منظورَي هذين الشاعرين حول التجريد، مُبينةً كيف يُشدد إليوت على أن التجريد جوهري في الشعر، بينما لا يُبدي السياب، على النقيض منه، أي انتقاد للشخصية أو التجريد. إضافةً إلى ذلك، تتناول الدراسة مدى تشابه منظورَي الشاعرين حول التراث التقليدي، فضلاً عن دراسة التناص في أعمالهما. تخلص الدراسة إلى أن السياب وإليوت يتشاركان وجهات نظر متقاربة حول التراث التقليدي، إذ يؤكدان على ضرورة وجود علاقة إيجابية بين التراث الحديث والتراث التقليدي. وفيما يتعلق بالحياد في الشعر، يتناقض إليوت مع نفسه لأنه لم يستطع التخلص من هذا الحياد في شعره. من جهة أخرى، تحمل قصائد السياب سماتٍ من الشخصية والحياد. وتخلص الدراسة أيضاً إلى أن التداخل النصي بين السياب من جهة، وت. س. إليوت من جهة أخرى، يعود إلى التثاقف لا إلى التأثير والمركزية الأوروبية.

الكلمات المفتاحية: الشعر العربي الحديث، أغنية المطر، لا يزال المطر يهطل، إديث سيتويل، بدر شاكر السياب.

Badir Shakir Al-Sayyab's Response to Edith Sitwell: A study of Rain Son and Still Falls The Rain

Zainab Hakim Musa Al-mustaqbal university

Abstract

The purpose of this comparative research is to examine the parallels and differences between T. S. Eliot and Arab poet, Badr Shaker Al-Sayyab. The study investigates those poets' perspectives on impersonality. It demonstrates how Eliot stresses that impersonality is essential to poetry, while Al-Sayyab, in contrast to him, makes no negative remarks on personality and impersonality. Additionally, the study investigates how similar those poets' perspectives on traditional heritage are. Additionally, it looks into the intertextuality of their works. The study concludes that Al-Sayyab and Eliot hold similar views on traditional heritages they emphasize the necessity of a positive relation between modern and traditional heritage. In this regard impersonality in poetry, Eliot contradicts himself because he

- Journal .
- Meara,P. (1980)."Vocabulary Acquisition : Neglected Aspect of LanguageLearning ".13-4:221-46.
- MeCarthy, M. (1990). Vocabulary. Oxford : Oxford University Press.
- Nation, I.(1990).Teaching and Learning Vocabulary. New York: Newbury House.
- Richards, and Renandya, W.A. (2002).Methodology in Language Teaching: An Anthology of Current Practice: Oxford : Heinemann.
- Richards, and Renandya, W.A. (2002).Methodology in Language Teaching: An Anthology of Current Practice. Oxford: Oxford University Press.
- Rosen(2007) Facebook's effect on Subtle Emotion Decoding, Academic Performance , and Identity protection . The Faculty of the Communication Department at Southern Utah University.
- Thornbury, S. (2005).How to Teach Speaking. Essex: Person Education Limited.
- Ur, P. (2012). A Course in Language Teaching: Practice and Theory. Cambridge: Cambridge University Press.
- Wallance , M. (1988). Teaching Vocabulary. Oxford : Heinman.
- Williams, D. (1995). A suggested Framework for the Educational Use of Internet Technologies. (WWW Document) ORL http://wfs. Eun. org \ support\edumodel\ ppframe \ edu.htm.

knowledge. In general, the obtained results asserted that Instagram is really helpful and effective in improving vocabulary. Accordingly, the researcher recommended that Instagram should be integrated in the learners and teachers of relationship. Because communication in English between the two, outside classroom doors, can help them to learn new words and improve their lexical knowledge. It is recommended also in that teachers and learners have to be conscious about the importance of using Instagram for learning and for vocabulary improvement.

6. **References**

- Ali, Sebah Al. "Embracing the Selfie craze: exploring the possible use of Instagram as A language learning tool." Issues and Trends in Educational Technology 2(2014): 1-16.
- Assche. F. Van (n.d. \ 1998) The Web for Project (WWW Document). URL http: \\ wfs. Eun.org.\ about \ context\ wfs\ Project Frame. HtmL.
- Dewing (2010) Social media . social affairs division . Library of Parliament.
- Frizler, K. (1995). The Internet as an Educational Tool in ESOL writing Instruction (www document). Unpublished Master's , San Francisco State.
- Gairns, R. and Redman, S. (1989) . A guide to Teaching and Learning Vocabulary. Cambridge : Cambridge University Press.
- Gebhard G. (2006). Teaching English as a Foreign or Second Language. The University of Michigan Press.
- Harmar, J. (2012).The Practice of English Language Teaching. Essex: Longman.
- Harris, R (1999).Evaluation Internet Research Sources. (WWW Document) URL.http:www.sccu.edu\faculty\ R Harris\evalu8it.htm.
- Hedge, T. (2000).Teaching and Learning in the Language Classroom. Oxford: Oxford University Press.
- Magoto, J. (1995). From the nets: World Wide Web and ESL. AELL

questionnaire, they used mobile phones to look up some words they did not understand.

7. In EFL classrooms, students are often frustrated with the traditional teaching methodologies, and it is time for English teachers to try and test mobile technology integrated activities to help students develop a positive attitude towards language learning. English teachers should encourage students to work productively and cooperatively on language learning activities by using mobile phone technology in the classroom.

5. Conclusion

Through this study, the researcher tried to get acquainted with the effect of using Instagram to improve the vocabulary of students. The communication methods will be helpful for students to enrich their vocabulary, as students who using Instagram are more likely to improve their vocabulary than those who do not use it.

One of the issues that face EFL students, especially university learners, is the subject of vocabulary on improvement and in that is why many researchers investigate the possible solutions that may help in facilitating vocabulary learning. "After many studies, scholars found that pleasant and motivating atmosphere could in play a great role in enhancing learning vocabulary process in. Moreover, one of the techniques that creates funny and attractive" situation is using social media.

"The present study had been undertaken in to investigate the importance of creating the pleasant situation for obtaining satisfactory results. "It also aimed at investigating the impact of using Instagram in improving vocabulary, that is to say, it tried to study how Instagram can effect on learners' vocabulary storage improvement. "After analyzing the provided data concerning the use of Instagram by EFL on students for improving vocabulary storage, the researcher can realize that this research confirms that using Instagram can improve EFL students' in vocabulary

7.	The applications I use on my mobile phone can translate	0	9.1	81.8	0	9.1
8.	I scan and save the study-related reading materials to my mobile phone.	9.1	27.3	36.4	9.1	18.2
9.	My English learning is supported by a mobile phone.	18.2	27.3	18.2	27.3	9.1
10	My teachers of English allow me to use a mobile phone to translate English words in the classroom.	9.1	9.1	18.2	54.5	9.1

4.2 Finding and Discussion

Some of the research findings are read as follows:

1. The impact of mobile phones in university EFLs is found in their everyday activities, as well as in their academic activities, which proves its dominance.
2. It is observed that university EFLs scan study-related material on their mobile phones and read notes from their mobile phones during exams.
3. It is noted that university EFLs spend most of their time on their mobile phones in academic activities in addition to social networking activities.
4. It is suggested that university EFLs use mobile phones that come with English applications like English dictionaries so as to look up unfamiliar words.
5. Data analysis suggests that university EFLs prefer using Arabic, rather than English, in common communication activities.
6. The findings also reveal that students use translating applications available on the mobile phones, to understand and find synonym English words and sentences. Even when doing the

4.1 Result of Analysis

Based on the data analysis presented in the previous section, all those participated in the questionnaire have Instagram. Plus, they rely on Instagram to review literary study material in particular. This is for two reasons. First: mobile phones with Internet connectivity can provide university EFLs with full access to international literal libraries and information. Second, Instagram are both portable and compatible which can maximize the usability for university EFLs.

Please indicate your level of agreement or disagreement with each of these statements regarding impact of Instagram on learning vocabulary:

	Items	Strongly Agree	Agree	Neutral	Disagree	Strongly Disagree
1.	I need a mobile phone to understand English words and sentences	0	45.5	36.4	9.1	9.1
2.	Mobile phones can help me to improve my English writing skills.	36.4	36.4	18.2	9.1	0
3.	Mobile phones help me to learn new words of English.	36.4	27.2	0	0	36.4
4.	Mobile phones are necessary for me to translate English words into Arabic.	9.1	54.5	9.1	27.3	0
5.	I can understand English words without using a mobile phone.	9.1	36.4	36.4	18.2	0
6.	The applications I use on my mobile phone can translate English words correctly into Arabic.	0	36.4	36.4	27.3	0

process of collecting and analyzing numerical data. This method can be used reliably with large samples and gives results that can be contextualized, and the findings can be reproduced in other cultures and settings with different participant groups reliably (Fielding & Schreier, 2001).

3.3 Data of the Study

The test consists of (6) questions. The students are given questions and they are required to translate it according to their background knowledge. This study adopted a descriptive design as it aimed to describe the quality of the use of Instagram in Learning vocabulary.

3.3.1 Participants

The participants of this study were randomly selected among high school, and bachelor students, in the academic year 2024/2025. Ten students were randomly selected from open educational college, and they were given the questionnaires in person. All participants agreed to be part of the study as volunteers.

3.4 Data Analyses

Data was collected using a set of Likert-scale English statements in a questionnaire. The researchers designed the Likert-scale questionnaire. The participants answered one group of questions (about 10 questions). In addition, the participants were asked about their opinions on the impact of Instagram on learning English.

Since the researchers designed the questionnaire, the validity and reliability of the questionnaire were tested. The type of reliability used to determine the reliability of the study is test-retest reliability.

190reflections. The research was done in two cycles a month from March to April 2017 and obtained qualitative and quantitative data. The information was within the shape of field notes, meeting transcripts, perception checklists, and scores. Based on the information gotten within the field, the issues were students' moo intrigued in learning composing, less hone, their trouble in getting thoughts, moo language structure dominance, moo lexicon, instructing strategy, and the part of media.

Finally, the study by Astiti Dwi Handayani (2018) entitled "The Use of Instagram in the Teaching of EFL Writing: Effect on Writing Ability and Students' Perceptions" thinks about inspecting the impact of the utilization of Instagram on EFL students' writing capacity. It included 34 EFL understudies of an Indonesian college. The comes about of the information examination appeared that there was a noteworthy distinction between the pre-test the post-test scores. Based on the discoveries of this consideration, a few suggestions are given for instructors and future analysts concerning the utilization of Instagram within the education of EFL writing.

Whereas the show study contrasts with these considerations centered on creating students' writing capacity by utilizing Instagram as a learning apparatus. The information was optioned by capability pre-post tests on both test and control bunches.

3. Methodology

3.1 Overview

In this chapter, the research will discuss information about the participants (numbers of students), research design (how to test students) and data collection and data analyses procedures employed in this research

3.2 Design of the Study

The method used in this research is a quantitative research design as the primary and significant method of the study. Quantitative research design is the research strategy that focuses on the

instruction. More particularly, it'll investigate how utilizing Instagram, an SNS influences English dialect learners' graphic composing capacity. As a portion of this examination learners' states of mind towards Instagram as a connections learning apparatus are moreover inspected. The current chapter will build up the reason, setting, and system for the examination of the consideration.

This study concludes that SNSs and their use in L2 education is a burgeoning field, with much more research required. In this study using Instagram, a prominent SNS was found to positively affect the vocabulary range and grammatical accuracy of learners' descriptive writing ability. Conversely, the structural aspects of learners' writing were mainly unaffected, further illuminating L2 learners' informal approach to writing on SNSs. Learners in this study have also been found to harbor generally positive attitudes regarding the use of the SNS Instagram in L2 education. The results of this study serve to offer an insight into the pedagogical potential of Instagram and SNSs in L2 education. Consequently, evolution can be achieved by exploring enhanced integration of SNSs in L2 education via smartphones, the development of diverse learning communities, and supporting autonomous learners within these communities. To conclude, the global magnitude of SNSs compels L2 educators to further embrace and celebrate their role in L2 education. Moreover "Improving Students' Writing Skill Using Instagram in Grade X of Science 5 at SMAN 5 Yogyakarta" by Irfan Zidny Suharto (2017). This study is classified as a classroom action research study that was aimed at improving students' writing skills using Instagram in Grade X of Science 5 at SMA N 5 Yogyakarta. The subjects were 28 understudies of Review X of Science 5 at SMAN 5 Yogyakarta. To do the research, the researcher referred to the four phases in conducting action research stated by Kemmis and Mc Taggart in Burns (2010) with a modification by adding a reconnaissance step as the first step. As a result, the whole steps were reconnaissance, planning, action, observation, and

the teacher and the learners with different tools and websites via the social media platform students can learns from each other as well as ‘’socializing with their peers and ‘’develops their communication skills. (Schmitt, 2009:45) mentioned, that social scientists have concluded that being, involved in groups ,via social networking sites , has a positive, impact on health and well-being. Social media can also be a source to increase doing projects on groups .Moreover, the social media sites give EFL students the opportunity to learns about other cultures, and to communicates directly with native speakers who can help,, them improving/,,, their vocabulary knowledge’’ . Nevertheless, there are reasons to use authentic materials, and media because they “can reinforce for students the direct relation between the language classroom and the outside world”. In addition, they offer a way to contextualize language learning. Media offers students a valuable source of language input, since they can be exposed to more than just the language presented by the teacher and the text (Gebhard,2009:105). ‘’Platforms like Skype, Face, Time or Adobe Connect, for example, allows people to communicate while seeing each,, other in real, time . ‘’This can be extremely. useful for student-to student communication, but also for individual coaching between a teacher, and a student (Harmer, 2012:195).

2.6 Previous Study

Nouf Aloraini's (2018) study entitled “Investigating Instagram as an EFL Learning Tool”. The reason for this pondering was to explore the potential of the Instagram stage in learning EFL, especially whether the sort of post (lexicon or linguistic use) influenced the sum of yield the learners given and their level of precision in dialect generation. Moreover, whether the sort of post influenced the input the learners got has been examined.

Another study entitled "An Exploration of Instagram to Develop ESL Learners’ Writing Proficiency" by Ronan Kelly (2015). This considers looks to examine how SNSs can be coordinated into L2

2. Schools and teachers that exploit ICT to the fullest will dramatically improve the effectiveness of the educationalprocess.
3. It is a real example of getting information from all over the world.
4. It helps in group learning because it provides the ability to connect with others more freely.
5. It helps to connect with others faster and at a lower cost.

2.4 Common Social Media Forms

According to Dewing (2010:5), "social media websites, such as Instagram, YouTube, and Facebook, have become extremely popular among Internet users who wish to share their ideas, videos, and other activities online. Social media covers many digital tools such as Facebook, YouTube, Instagram, Twitter, MySpace, email, and SMS."

2.4.1 Instagram

Instagram is a very large, online community that being one of the most well-known sites on the internet, it is discovered in 2004 by "Mark Zuckerberg" .(Rosen, 2007:17) ''explains that the name Instagram originates from " the small photos albums that colleges once gave to incoming freshmen and faculty to helps them copes with meeting so many new people".
Instagram allows registered users to create profiles, upload photos and videos send messages or join common interest user groups and keeps in touches with friends, family and colleagues''.

2.5 Advantages of Social Media in EFL Classes

''Many have pointed to s the educational benefits of this s media and all agree that with the right g guidance ,the advantages outweigh the disadvantages. (Shihc, 2011 ;23).He claimed also that : "The internet,, and social media,, train our b rains to skim and scan ". So, social media can be used as an educational tools and to facilitate EFL learning by allowing interactions between

2.2 The World Wide Web (W.W.W)

Harris (1999:12) defines the WWW as "the most recent arrival on the Internet scene." It combines most of the uses that the Net has been put to in the past and introduces some new ones. These new features include interactivity, multimedia, and hypermedia. In addition, the WWW offers a graphical interface that is easy and straightforward to use. The possibilities of the World Wide Web are limited only by imagination. As such, the WWW also has many benefits to offer to any FL (Foreign Language) classroom. Frizler (1995:32) identifies a number of these benefits:

1. Offers real-world examples of integrated knowledge.
2. Is a rich source of authentic language and cultural material.
3. Offers possibilities for collaborative work.
4. Enables users to retrieve up-to-date and abundant information.
5. Appeals to learners with visual/tactile learning styles.
6. Offers the opportunity to write with real purposes for a real audience.
7. Builds critical thinking skills.
8. Offers opportunities for online publishing.

2.3 Reasons for Using Internet in EFL Classroom

Magoto (1995:10) points out that the question arises as to whether schools can be allowed to fall behind in their roleof educating our populations in things that are becoming core elements of economic and social life. "There is a need for new skills and a basic understanding of the underlying technology." To achieve this, it is imperative that learning to work with social media and understanding new technology be assimilated into the curriculum and into teaching methods for both the student and the teacher. In this respect, Assche (1998:22) and Williams (1995:38) argue that the use of the World Wide Web and the Internet can have several potential results and benefits:

1. Schools will be able to cope better with the challenges of preparing students for the information society.

2. Theoretical Background.

2.1 Teaching Second Language Vocabulary

In the literature, teaching and learning vocabulary was not given due attention. In the early 1970s Wilkins wrote: 'Linguists have had remarkably little to say about vocabulary and one can find very few studies which could be of any practical interest for language teachers**'** (Hedge, 2000:110), and almost a decade later Meara (1980:221) commentedthat vocabulary acquisition had received short shrift from applied linguistics. In order to understand the task involved in learning the vocabulary of the English language well, we need to look at two aspects of meaning: the first concentrates on the link between meaning and the world to which words refer. The second involves the sense relations that exist among words.

The English language, like any other language, has different areas that students may study; however, vocabulary, grammar, spelling**,** and listening were often given little priority in second language programs, but recently there has been a renewed interest in the nature of vocabulary and its role in learning and teaching (Richards & Renandya, 2002:255). Thornbury (2002:22) focuses on the teacher's role of encouraging an enthusiasm for vocabulary acquisition, and provides learners with strategies for self-directed learning. The most important things that students need to know about a lexical item are its written and spoken forms and its most usual meaning. Nation (1990:31) proposes the following list of different kinds of knowledge that a person must master in order to know a word:

a) The meaning (s) of the word,
b) The written form of the word,
c) The spoken form of the word,
d) The grammatical behavior of the word,
e) The collocations of the word,
f) The register of the word.

1. Introduction

Instagram was launched on October 6, 2010. It is one platform of social media in which its users can share photographs, and beginning from mid-2013 Instagram services extended to sharing 15-second videos. Since that time, the number of individuals utilizing Instagram expanded quickly. The Instagram statistics showed that it has attracted more than 150 million active users, with an average of 55 million photographs uploaded by users per day, and more than 16 billion photographs shared so far (Instagram 2013). Currently, Instagram can perform numerous functions: make accounts, post content (pictures or 15-second videos), apply filters, add captions, tag users, add locations, add hashtags, like content, add comments, browse and follow other accounts, check a feed created by followed accounts, and explore (search for) hashtags/users (Ali, 2014). In general, Instagram has particular features which are commonly used by users. The features can be described in the following: Instagram profile interface.

Instagram appears to be a perfect tool to support learning English for the following reasons. First, it offers plenty of contextualized visual information that can provide help in language classrooms. Second, utilizing Instagram within the classroom can help in making a socially connected community of learners, as the tool itself gives room for students to communicate and socialize with each other beyond classroom constraints. Third, Instagram is a commonly utilized social media outlet that young learners are presently nearly completely immersed in and accustomed to; including it in their learning process can be seen as a form of applying subjects learned in the course in a real-life environment. Finally, ease of access to Instagram and accessibility on most handheld devices make it more appealing to consider this platform for utilization in a language classroom. (Ali, 2014).

Using Instagram on Learning English Vocabulary with Reference to Iraqi Intermediate EFL Learners

Akram Kadhim Cheyad Karbala Education Directorate
cheyadkadhim@gmail.com

ABSTRACT
The social media platform worked well to advance their interest, focus, and capability in writing. Furthermore, they were more interested in the teaching and learning process and remained focused on the course. They also had more opportunities to sharpen their mastery of utilizing social media.
This study mainly aims at finding ways that could be integrated with traditional instruction to support EFL learners' writing skills. Additionally, it focuses on using Instagram to develop writing ability to enhance EFL learners' performance.
The investigation concluded with the following results:
1. Instagram has significant positive impacts on Iraqi EFL students.
2. Students whose instructors teach English by utilizing engaging techniques, rather than focusing solely onconventional ones, have positive motivation toward learning.
Key words: Instagram, Iraqi EFL, The World Wide Web (W.W.W), Social Media Forms, Second Language Teaching.